

تفسيرالقرآن الكريم

الجزء التاسع عشرمن القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته



الجزء التاسع عشر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بنسي إلله التحزال يحب

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْ لَا أَيْرِلَ عَلَيْمَ الْمَلْتَ عِكَةً أَوْرَى رَبَّنَا لَقَدِ السَّتَكَبَرُوْ اِنَ الْفَسِهِمْ وَعَنَوْ عُنُواً كَجِيرًا فَ يَعْمَرُونَ الْمَلْتِ كَةَ لَا بُشْرَىٰ يُوْمَ يِلِلَّهُ جَرِينَ وَيَقُولُونَ حِبْرًا تَعْبُورًا ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَاعَمِلُوا مِنْ عَمَلِ فَجَمَلْنَهُ هَمَا مَنْدُورًا ﴾ أَصْحَنُ الْحَدِّلَةُ وَمِنَا إِلَى مَاعَمِلُوا مِنْ عَمَلِ فَجَمَلْنَهُ هَمَا مَنْدُورًا ﴾ أَصْحَنُ الْحَدِّلَةُ مَنْ وَيَعْمِ اللَّهُ عَلَى الْمُعْلِمُ وَيُولِكُ اللَّهُ عَلَى الْمُعْلِمُ وَيُولِكُ اللَّهُ عَلَى الْمُعْلِمُ وَيُولِمُ اللَّهُ عَلَى الْمُعْتَقِعُ الْمُعْلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْتَلِكُ اللَّهُ عَلَى اللْمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْتَلِقُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْلِقُ اللَّهُ عَلَى اللْمُ الْمُعَلَى الْمُعْلِقُ اللَّهُ عَلَى اللْمُعْلِقُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْلِقُ اللَّهُ عَلَى الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ اللَّهُ الْمُعْلِقُ عَلَى الْمُعْلِقُ عَلَى الْمُعْلِقُ عَلَى الْمُعْلِقُ عَلَى الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ عَلَى الْمُعَلِقُ عَلَى اللَّهُ الْمُعْلِقُ عَلَى الْمُعْلِقُ

المفردات:

لايسرجون، لا يخافون ، أو لا يتوقعون .

الصفاءات الرجوع إلينا للحساب، أو لقاء جزائنا.

السولاانسزل، هلا أنزل علينا الملائكة لكي يخبرونا بصدق محمد على المدائلة علينا الملائكة الحرونا بصدق

اونرى ريشا، أو هلاً نرى رينا جهرة ومعاينة ، ليقول لنا إن محمدًا رسول من عندى .

استكبروا في النسم ، أوقعوا الاستكبار في شأن أنفسهم ، بعدها كبيرة الشأن .

العدوان.

عشواكيير ، وصلوا إلى الغاية القصوى منه ، حين كذبوا الرسول الذي جاء بالوحى ، ولم يكترثواً يالمعجزات التي أتاهم بها . حجرا محجورا ، كلمة تقولها العرب حين لقاء عنُو موتون أو هجوم نازلة هائلة. يقصدون بها الاستعادة من وقوع ذلك الخطب الذي يلحقهم ، والمكروه الذي يلم بدارهم ، أي : نسأل الله أن يمنم ذلك منمًا ، ويحجره حجرًا .

وقسد سناء وعمدنا وقصدنا.

السهسباء؛ دقاق التراب إذا انبث في الهواء، ولا يبدو إلا في أثناء ضوء الشمس.

السمسششور ، المتفرق في الجوّ ، بحيث لا يتأتى جمعه أو حصره .

المسقيدان الدكان الذي يؤوى إليه للاستمتاع بالأزواج ، والتمتع بحديثهن ، سمى بذلك لأن التمتع به يكون وقت القائلة غالبا .

تشتق : تتفتح السماء عن الغمام .

الصحق، الثابت الذي لا يزول.

مسيراء شيدًا.

يعَمْنُ الطَّالِمِ عَلَى يَدِيدُ؛ كَنَايَةٌ عَنَ النَّدِمِ .

خسلسيسلا: صديقا وصاحبا.

السسدكسسر، القرآن.

خمستولاء الخذل: الترك من الإعانة.

التفسيره

٢١ - وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَوْجُونَ لِفَاَعَنَا لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَئِكَةُ أَوْ نَوَىٰ زَبْنَا ...

قال الكفار الذين لا أمل لهم في البعث والجزاء والحساب، لأنهم ينكرون البعث ولا يتوقعونه، قالوا على سبيل التعنت والعناد: هلا أنزل علينا الملائكة، لكي يخبرونا بصدق محمد، أو هلا نرى ربنا فينبئنا بذلك.

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: أَوْ تَأْتِي بِٱللَّهِ وَٱلْمُلْكِكَةِ قَبِيلاً . (الإسراء: ٩٢) . أي : ليشهدوا بصدقك .

لْقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا .

لقد أخسروا في أنفسهم الكبر والغرور، والبعد عن الحق، والظلم والطغيان، ووصلوا في عتوهم إلى . الغابة القصوى منه . ٢٧ - يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَآئِكَةَ لَا يُشْرَىٰ يَوْمَنِدِ للمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مُحْجُورًا.

إن الكفار طلبوا نزول الملائكة ، تعنقًا وكبرًا فهما سبق ، وهنا يقول : إن الكفار سيرون الملائكة في يوم الممات ، ولكن لا تحمل لهم البشرى بالجنة ، بل تحمل الوعيد والقهديد للمجرمين ، الذين أسرفوا على أنفسهم في الدنيا ، وعندئذ يقول الكافرون : عونًا معاذًا ، أي : نرجو ونأمل أن نستعيذ من عذابكم .

واختار ابن جرير الطبرى أن تكون جملة : حِجُّرًا مُّحَجُّرًا . من كلام الملائكة ، أي : تقول الملائكة للكافوين : حرام محرم عليكم الفلاح اليوم (١٠).

وقديب من هذه الآية قوله تعالى : وَلُوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ ٱلْمَلَئِكَةُ يَضُوبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبُكُوهُمْ ... (الانفال: ٥٠).

وقال تعالى : وَلَوْ تَوَىٰٓ إِذِ ٱلطَّلِيمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَابِكُةُ بَاسِطُوا أَنْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ٱلَّذِيمَ تُجَرُّونَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُتُمْمَ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُتُمْ عَنْ مَائِنِهِ نَسْتَكُمُونَ (الأنمام: ٣٠).

وهذا بخلاف حال المؤمنين حال احتضارهم ، فإن الملائكة تحضر وفاتهم ، وتبشرهم بالجنة وأنواع النعيم .

قال تعالى: إِنَّ ٱللَّهِنَ قَالُواْ رَثِنَا ٱللَّهُ لَمُ ٱسْتَقَلَمُواْ تَنَوَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَكِيَّةُ ٱلْا تَتَعَالُواْ وَلاَ مَحْزَلُواْ وَٱلْهِيْرُواْ بِٱلْحَبَّةِ الَّهِى تُتَشَمُّ لُوعَلُونَ * مَحْنُ أَوْلِيَا وُكُمْ فِي الْحَيْلَةِ ٱللَّذِيَا وَلِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْعُونَ * لُولًا مُن عَشْورِ رُحِيمٍ * (مسلت ٢٠٠ – ٢٠) .

قال ابن كثير :

جاء في الحديث المسحيح ، عن البراء بن عازب : وإن الملائكة تقول لربح المؤمن: اخرجي أيتها النفس الطبية ، من الجسد الطبب كنت تعمييته ، لخرجي إلى روح وريحان ، ورب غير غضبان» .

وفى هذا المعنى يقول الله تعالى : يُفَهَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ وَامَنُواْ بِٱلْقُوْلِ ٱلنَّابِ فِي ٱلْحَيْرَةِ ٱلدُّيُّ وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلِهِيلً اللَّهُ ٱلطَّلِهِينَ وَيُفْعِلُ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ . (إبراهيم : ٢٧) .

وقال آخرون: بل المراد يقوله تعالى: يُؤمَّ يَرُونَ الْمَلْكِكُةُ لاَ بُشْرَى ... يعنى يوم القيامة ، قاله مجاهد والضحاك وغيرهما ، ولا منافاة بين هذا ، وما تقدم . فإن الملائكة فى هذين اليومين ، يوم الممات ، ويوم المعاد ، تتجلى للمؤمنين والكافرين ، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان ، وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران ، فلا بشرى يومئذ للمجرمين [™]. ٣٣ - وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلِ فَجَعَلْنَكُ هَبَاءً مُّنفُورًا .

كان المشركون يعملون أعمالا حسنة المظهر ، مثل صلة الرحم وإطعام الفقراء ، لكن لا أساس لها من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فهى أشبه بخضراه الدَّمن ، وهى المرأة الحسناء فى المنبت السوء ، وفى يوم القيامة يجدون جزاء هذه الأعمال ضائعا ، ضياع ذرَّات التراب ، المنتشرة بسبب شعاع الشمس ، أو ضباع الوقش الجاف فى شدَّة الرياح .

قال تعالى : مَثَلُ ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ٱلشَّنَّدُ" بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ... (براهيم: ١٨).

قال قتادة : هَاآءٌ مُنْعُررًا . يبس الشجر إذا ذرته الربح ، فهو ذلك الورق .

وقال عبيد بن يعلى : الهباء : الرماد إذا ذرته الريح .

قال ابن كبثير:

وحاصل هذه الأقوال : التنبيه على مضمون الآية ، وذلك أنهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها على شيء ، فلما عرضت على الملك الحكم الحدل الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا ، إنا بها لا شيء بالكلية ، وشبهت في ذلك بالشيء الثافة الحقير المتقرق ، الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية .

كما قال تعالى: مَثَلُ ٱللِّينَ كَفُرُواْ بِرِبُهِمْ أَعْمَنْلُهُمْ كَرَمَادِ ٱلشَّتَلَاتَ بِهِ ٱلرَّبِحُ فِي يَوْمِ عَاصِفُو ... (إبراهيم: ١٨). ٢ ٤ - أَصْحَنْتُ ٱلْحِنَّةُ يُوْمَنَا عَنْهُ مُّشِيَقًا وَأَحْدَبُ مَقِيلًا

المستقر: مكان الاستقرار ، والمقيل : المكان الذي يأوون إليه ، للاسترواح إلى أزواجهم ، والاستمتاع بمغازلتهن ، وملامستهن كحال المترفين في الدنها .

والمعنى :

أصحاب الجنة في يوم القيامة في مكان حسن ، وزمان حسن ، حيث إنهم من جهة المكان في أحسن مكان ، ومن جهة الزمان في أحسن زمان ، فهم في الغرف من الجنة ، وفي منزل عظيم من المتعة والسرور ، والحبور والمؤانسة .

قال تعالى : فَأَمَّا مَنْ أُولِيْ كِتَنْهُمْ بِيَمِينِهِ وَ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا و وَيَقَلِبُ إِلَى أَقْلِهِ مَسْرُورًا . (الانشقاق: ٧ - ٩) .

وتغيد الآيات أن حساب المؤمن يكون يسيرا ، وأن موقف الحساب يكون هيئا من طلوح الشمس إلى ارتفاعها وقت الضحى ، ثم يقضى وقت القيلولة مع الحور العين ، في جنات النعيم . وروى ابن جرير الطبرى بإسناده : أن يوم القيامة يقصر على المؤمن ، حتى يكرن كما بين الحصر إلى غروب الشمس ، وإنهم ليقيلون في رياض الجنة ، حتى يفرغ من الناس^(١). وذلك قوله تعالى :

أَصْحَلْبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَتِلِ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَخْسَنُ مَقِيلاً.

٢٥ - وَيُوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْفَصَلَمِ وَنُزَّلَ ٱلْمَلَكِيكَةُ تَنزِيلاً .

تصف الآية مظهرًا من مظاهر القيامة، حيث تنشق السماء على غلظها ، ويخرج الغمام من السماء، وتتعلق الملائكة بأطراف السماء ، ثم تنزل إلى الأرض فتحيط بأهل الأرض ، والغمام : غيم أبيض رقيق مثل الضبابة ، كما كان لبنى إسرائيل فى التيه ، حيث كان يقيهم وهج الشمس ، قال تعالى : وَظُلْلُنا غَلَيْكُمُ ٱلْفَيْهُ وَأَنزَكُا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلُوعَ كُلُواً مِن طَيِّتَ مَا زَوْقَتَكُمْ وَمَا ظُلْمُونَا وَلَئْكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ نَطْلُمُ نَا (الدية : ٧٠) .

وقد ورد في القرآن الكريم وصف مشاهد القيامة ، ومن هذه المشاهد : انشقاق السماء ، وتعلَّق الملائكة بأرجاء السماء ، واشتداد الهول ، وتميّز المؤمنين بالسعادة والسرور ، واختصاص الكفار بالعذاب والويل والثبور .

قال تعالى : وَٱلشَّقَّتِ ٱلشَّمَّاءُ لَهِيَ يَوْمَدِلِ وَاهِيَّهُ ، وَٱلْفَلْكَ عَلَىٰٓ أَرْجَائِهَا وَيَحْوِلُ عَرْشَ زَبُكَ فَوْلَهُمْ مَوْمَدٍلِ كَمُنْهِا هُوَ مُولِدُ هُوَ لَكُفُعُ مِعِكُمْ جَائِلَةً ، (الساقة : ١٥ – ١٨) .

وقال تعالى : هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيُهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْفَمَامِ وَٱلْمُلَّئِكَةُ وَلُعِبِيَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ . (البدية : ۲۷) .

وقال تعالى : وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا . (الفجر: ٢٢).

وتشير الآية إلى أن الملائكة تنزل إلى الأرض نزولاً مؤكدًا ، لا لبس فيه ولا شك ، وفي هذا ردُّ على المشركين الذين قالوا : لَوْ لَاَّ أَلْوِلُ عَلَيْهَا ٱلْمَلْتَكِمُّةُ أَوْ نُرَكا رُبَّنا ...

قال النيسابوري:

وَيَوْمَ لَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْغَمَلْمِ ...

أى: وإذكر يوم تتفتح السماء ، يسبب غمام يخرج منها ، وفي الغمام الملائكة ، فينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العياد . وقديب من هذه الآية قوله تعالى: إِذَا آلسَّمَاءُ آنشَقُتْ ، وَأَفِيْتَ لِرَّهُهَا وَخُفَتْ ، وَإِذَا آلْأَرْضُ مُلْتُ ، وَأَلْفَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتُ ، وَأَفِيْتَ لِرَبُّهَا وَخُفَتْ ، يَتَأَلِّهَا ٱلْإِنسَانُ إِلَّكَ كَادِحَ إِلَىٰ رَلَكَ كَذَاعًا فَمَلَاقِيهِ ، فَأَمَّا مَنْ أُولِيَ كِنْبَمُرُ يَوْمِيهِ ، فَسَرْفَ يُعَامَسُ حِسَانًا يَسِرًا ، وَيَتَقِلِمُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَشُرُورًا . (الانتقاق . ١ - ٩)

٧٦ - ٱلْمُلْكُ يُومِيدِ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمِينِ * وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَلْفِرِينَ عَسِيرًا .

فى هذا اليوم تبطل أملاك المالكين من الناس ، وتنقطع دعاواهم ، ويخلص الملك للرحمان وحده، ويكن اليوم شديدا عصيبا على الكافرين ، كما يكون يسيرا ومبشرا للمؤمنين ، وفى معنى هذه الآية قوله تمالى : نُمَّن الْمُلْكُ ٱلْيَّزِمُ لِلْهِ ٱلْأَنْهِلَ (. فاهر: ١٦٠) .

قال ابن كثير:

و في الصحيح: «أن الله تعالى يطوى السماوات بهمينه ، ويأخذ الأرضين بهده الأخرى ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الديان ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون؟ "أن

٧٧ - وَيَوْمَ يَعَضُ ٱلطَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَذَلَيْنِي ٱلْخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا.

وفي يوم القيامة يعضُّ الظالم على يديه ، كناية عن الندم والأسف والحسرة .

قال تعالى : وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأُوا ٱلْقَدَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَالُ فِي أَغْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ... (سها : ٢٣).

ويقول الظالم في ذلك اليوم : يا ليتني اتبعت الرسول ، وسلكت معه طريق الحق والجنة ، وتجنبت طريق النار والمكابرة والعناد.

سيب النزول :

نزلت هذه الآية وما بعدها ، في عقية بن أبي معيط ، دعا النبي ﷺ لحضور طعام عنده ، فقال له النبي ﷺ : «لا آكل من طعامك حتى تنطق بالشهادتين» ، فنطق بهما ، فبلغ ذلك صديقه أبي بن خلف ، فقال له له : يا عقبة ، بلغني أنك أسلمت ، فقال له : لا ، ولكن قلت ما قلت تطييبا لقلب محمد ، حتى يأكل من طعامي، فقال أبي بن خلف لعقبة بن أبي معيط: كلامك على حرام ، حتى تفعل كذا وكذا ، من الإيذاء بمحمد ، ففعل الشقى ما أمره به صديقه ، أما عقبة بن أبي معيط، فقد أمر النبي ﷺ بقتله في غزرة بدر ، وأما أبي بن خلف فقد ما النبي ﷺ في غزرة بدر ، وأما أبي بن خلف نقد أمر النبي ﷺ بقتله في غزرة بدر ، وأما أبي بن خلف نقد أمر النبي ﷺ بقتله في غزرة بدر ، وأما أبي بن خلف المدن النبي ﷺ في غزرة بدر ، وأما أبي بن خلف الدن النبي ﷺ في غزرة أحد طعنة لم يبق بعدها سرى أيام ، ثم هلك . والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

قال جار الله الزمخشرى: تمنّى أن لو صحب الرسول ، وسلك معه طريقا واحدًا ، وهو طريق الحق ، ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى .

٢٨ يَلْوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً .

يا حسرتاه ، ويا هلاكاه ، ليتنى لم أتخذ الفاجر الظالم صديقا وخليلا وأنيسا وصاحبا ، وكالمة: يُلْوَيُلُقَىٰ . تستعمل عند وقوع داهية دهياء لا نجاة منها ، وكان المتحسر ينادى ويلته ، ويطلب حضورها بعد تنزيلها منزلة من يفهم نداهم ، أى : يا هلاكى أقبل ، فهذا أوان إقبالك .

قال النيسابوري :

فإن أريد بالظالم عقبة بن أبى معيط، فالمعنى: ليتني لم أتخذ أبيّ بن خلف خليلا ، فكنّي عن اسمه. وإن أريد به الجنس ، فكل من اتخذ من المضلين خليلا ، كان لخليله اسم علم فجعله كناية عنه .

وقال ابن كثير :

والمراد بـ فلاناً : كل من صرفه عن الهدى ، وعدل به إلى طريق الضلال ، من دعاة الضلالة ، وسواء في ذلك أمية بن خلف أو أخوه أبيّ بن خلف أو غيرهما . كهـ .

٢٩ -- لُّقَدْ أَصَلْنِي عَنِ ٱللَّـكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً .

أي: والله لقد أضلنى هذا الصديق المشئوم ، عن الهداية والإيمان ، أو عن تعاليم النبي ﷺ ، بعد إذ وصلتنى ، أو عن القرآن بعد أن بلغنى ، وكان هذا الصديق وأمثاله أشهه بالشياطين ، التى تصرف الإنسان عن الحق والهداية ، أو أراد به الجنس فيدخل فيه كل من تشيطن من الجن والإنس .

قال ابن كثير:

وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَلُولاً .

أي : يخذله عن الحق ويصرفه عنه ، ويستعمله في الباطل ، ويدعوه إليه . ا هـ .

وفى هذا المعنى يقول الله تعالى : إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُّواً فَاتَجْدُوهُ عَدُوًا إِنَّمَا يَذَعُواْ جِزْيَهُ, لِيكُولُواْ مِنْ أَصْحَلْبِ السَّجِرِ ، (فاطر: ١) . ومن خذلان الشيطان ، تحريض الإنسان على الشر، وصوفه عن الحق ، ثم إن الشيطان لا ينفع الإنسان ، ولا ينجيه مما يحل به من البلاء بل يتبرأ منه . قال تعالى: وَقَالَ النَّيْطَلَنُ لُمُا قَعِنِي الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهُ وَعَلَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقِّ وَوَعَدَّكُمْ فَأَخْلَفُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلطَنن إلاَّ أَن دَعَوْنُكُمْ فَاسَتَجِنَّمْ فِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومَزاَ أَنْفَسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِ حِكُمْ وَمَا أَنْفِم بِمُصْرِحِيُّ إِلَيْ تَظَوْتُ بِمَا أَلْمَرْتُكُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الطَّلِيمِينَ لَهُمْ عَلَابُ إِلَيْهِ . (ارولعب: ٢٧).

* * *

﴿ وَقَالَ الرَّسُولَ يَرَتِ إِنَّ قَوْمَى اَتَّخَذُواْ هَذَا الْقُرَّ انَ مَهْجُورًا ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلَنَا لِكُلِّ نِعِيّ عَدُوَّا مِنَ الْمُجْرِمِينُّ وَكَفَن مِرَ بِلِكَ هَادِيكَ وَيَصِبرًا ﴿ وَقَالَ اللَّذِينَ كَفُرُواْ لَوَلاَ نُزِل عَلَيْهِ الْفُرَّ اَنْجُمْلَةً وَحِدَةً حَكَذَلِكَ لِنَثْبِتِ بِهِ فَوَادَكُ وَرَتَّلْنَهُ تَرْتِيلًا ﴿ وَلَا أَتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَا حِنْنَكَ بِالْمَقِي وَأَحْسَنَ تَقْسِيلًا ۞ اللَّذِينَ يُحْتَمُونِكَ عَلَ وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَمُ أُولَتَهِكَ شَكَرُّ مَكَانًا وَأَصَلَ سَيِيلًا ۞ اللَّذِينَ يُحْتَمُونِكَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى

المفردات:

مسه جود، تركوه وصدُّرا عنه وعن الإيمان به ، أو أهملوه ولم يتعهدوه بالقراءة والحفظ والعمل به .

جسمسلسة واحسدة؛ دفعة واحدة.

السنسة سبت، لنقوى ونطمئن.

وتسلسلسسانساه، أتينا ببعضه إثر يعض ، على تؤدة ومهل ، من قولهم : ثغر مرتل ، أي : متفلج الأسان .

المستميد في المستقب المستقب المستقبة و المثل من المثل من المثل من المثل من المثل من المستقبة المنطقة المنطقة

السيسم القول الثابت الذي يزهق باطلهم .

تصفسسيسراه إيضاكا.

يعشرون على وجوههم ، يسحبون على وجوههم ، ويجرون إلى جهتم .

لتقسيره

• ٣ - وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَلْرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱلْتَحَذُّواْ هَلْمَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا .

اشتكى الرسول محمد ﷺ إلى ربّه ، من تعدُّت المشركين ، وصدودهم عن الإيمان ، وإعراضهم عن سماع القرآن ، بل كانوا يتشاغلون عن القرآن ، ولا ينصنون إليه خشية أن تلين له قلويهم ، أن أن تتأثر به نفوسهم ، كما قال تعالى : وَقَالَ الْأَيْنِ كَفُرُواْ لاَ تَسْمُعُواْ أَهْمُنَّا ٱلْقُرْءَانِ وَالْفَوْاْ فِيهُ لَعَلَّكُمْ تُعْفِرُونَ . (نصلت: ٢٦) .

قال ابن كثير:

كانوا إذا تلى عليهم القرآن ، أكثروا اللغط والكلام في غيره ، حتى لا يسمعوه ، فهذا من هجرانه ، وترك الإيمان به وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به ، وامتثال أوامره والإيمان به وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، والعثال أوامره واجتناب نواهيه من هجرانه ، والعدول عنه إلى غيره من شعر أن قول أو غناء أن لهو أو كلام ، أن طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ، فنسأل الله الكريم المنان ، القادر على ما يشاء ، أن يخلصنا مما يسخطه ، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار ، على الوجه ويستعملنا فيما يرضيه ، من حفظ كتابه وفهمه ، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار ، على الوجه الذي يحبه ويرضاه ، إنه كريم وهاب .

٣١ - وَكَلَا الِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيَّ عَدُوا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا.

استخلف الله الإنسان في الأرض ، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل له الكتب لهبايته ، ودعوته إلى الحق والإيمان ، وقد وقف أهل الباطل في وجه دعوة الحق ، لحكمة إلهية عليا ، فلو نجحت دعوة الحق بدون معارضة ، لكثر الأدعياء وكثرت دعاوى الباطل ، لكن مشيئة الله الخالية ، أرادت أن تكون هذاك مقاومة للحق من المجرمين المضلين ، حيث إن هؤلاء أشبه بالحشرات والديدان ، تكره الماء المسالح النقيّ ، وترغب الحياة في الماء الأمال المتالح النقيّ ، ومن حكمة الله أن يبدأ المصراع بين دعاة الحق ، ودعاة الباطل ، وأن تقف الكثرة من الناس منتظرة متفرجة ، فإذا طال العذاب والتضحيات ، قالت الكثرة المتفرجة ، مناذ وأن تقف الكثرة من الناس منتظرة متفرجة ، فإذا طال العذاب والتضحيات ، قالت الكثرة المتفرجة ، مناذ يحمل هؤلاء على المسعود والتضميات ؟ لابد أن مذاك شبئاً ما ، يهؤن عليهم الممبر والمصابرة ، فيدخلون في دعوة الحق لمساهدة هذا الشيء ، ويكن ذلك سببا في هدايتهم إلى الدق ، وانتصار الحق على الباطل ، كما خال المتفاهدة هذا الشيء ، ويكن ذلك سببا في هدايتهم إلى الدق ، وانتصار الحق على الباطل ، كما خال المتفاهدة هذا الشيء ، ويكن ذلك سببا في هدايتهم إلى الدق ، وانتصار الحق على الباطل ، كما خال المتفاهدة أن المن بُغض أن يُقتُرُونَ ، وتِشمَعُيّ إلّه أفيئة ألَّلِينَ لا يُؤمُونَ إلَّاتِهمْ أَنْ يَشْمُ وَرُقُ مَنْ النَّالِي المتفردة) الأمال المناس ، ١١٤ ما ١٠ ما كم

والآية تسلية للرسول ﷺ اليمسير على إيذاء قومه ، وليطم أن هذه ضريبة الدعوة ، قد دفعها الرسل السابقون ، كما سيدفعها اللاحقون ، قال تعالى : فَأَصْبِرْ كُمَّا صَبَرَ أُولُواْ ٱلْفَرْمِ مِنَ ٱلْرُسُل ... (الأحقاف : ٣٠).

جاء في المنتخب في تفسير القرآن الكريم :

كما جعلنا قومك – يا محمد – يعانونك ويكثبونك ، جعلنا لكل نبى عدوًا من المجرمين ،يعادونه ويقارمون دعوته ، وسينمسك الله ويهديك إلى قهرهم وكفي به هاديًا ونصيرًا . اهـ.

٣٧ - وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُوَّلَ عَلَيهِ ٱلْقُوْءَانُ جُمُلَةً وَاحِدَةً كَذَالِكَ لِثَبَّتَ به فَوَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْبِيلاً.

تغنن الكافرون في اعتراضاتهم على القرآن والرسالة ، وفيما سبق طلبوا نزول الملائكة ، ورؤية الله تعالى ، وهنا ، يعترضون على نزول القرآن مغرقا ، في ثلاث وعشرين سنة ، ويقولون : لماذا لم ينزل القرآن جملة واحدة ، كما نزلت القرراة والإنجيل والزبور ؟ ويجبب القرآن بالحكمة من نزوله مفرقا منجما ، وهي:

- ١ تثبيت قلب النبي ﷺ ، برؤية جبريل سفيرًا عن الله في أحيان كثيرة .
- ٢ ليتم التحدى والإعجاز ببعض سور القرآن ، فإذا عجزوا عن بعض القرآن ، كانوا عن الكلُّ أعجز.
 - ٣ استمرار مناقشة الكافرين ، ومناقضة حججهم .
 - ٤ -- تربية المسلمين ورعايتهم والتشريع لهم ، والتدرج في ذلك التشريع بما يناسب أحوالهم .
- ٥ عام الله أن هذا الكتاب ، أحر الكتب السعاوية نزولا إلى الأرض ، فشاه الله أن ينزله منجما متفرقا ، يواكب حياة المسلمين في مكة ، ويحثهم على الصبر ، ويحكى لهم خبر الأمم السابقة ، ثم يواكب حياة المسلمين في العدينة ، ويرصد جهادهم ، ويشرع لهم ، ويراقب المنافقين ويحذر المسلمين من فتنتهم وبذلك يكون القرآن الكريم كتاب الحياة ، والتربية والجهاد ، شأن الأوامر اليومية ، التي تورّع على الجنود في كتيبتهم ، فيطيعونها وينقذونها ، ويتفلقون بأخلاق القرآن ، على تؤدة وتمهل ، وقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها ، عن أخلاق رسول الله ﷺ ، فقالت : كان خلقه القرآن (٢).

قال تعالى: وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتُقْرَأُهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكُتْ وَنَرْ ثَنَاهُ تَوِيلاً . (الإسراء: ٢٠٦) .

أى: فرقنا القرآن ليثبت قلوب المؤمنين ، ويتعهدهم بين الفينة والفينة ، ولو نزل جملة واحدة ، لكان كتاب علم أو معرفة أو متعة ، وقد أراد الله أن يكون كتاب حياة ، ومنهج عمل ، وتشريمًا وتربية وسلوكًا ويعنًا، وتدريبًا على الامتثال والتحمل ، والطاعة والشهرية والوسطية .

قال تعالى : وَكُذَا لِكُ أُوْ حَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ... (الشورى : ٥٧) .

وقال سيحانه : وَكُذَا لِكَ جَعَلْنَكُمُ أَلَّهُ وَسَطًا لِتُكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى ٱقَاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شُهِيدًا ... (العدة : ١٩٤٧) ٣٣ - وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلِ إِلَّا جِئْتَلَكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا .

المثل يطلق على الأمر العجيب ، والقصة العجيبة ، وكان الكفار يتعنتون فى أسئلتهم ، ويقترحون تفجير العيون بمكة ، وانتشار البساتين حولها ، مثل بساتين الشام ، أو زحزحة الجبال من حول مكة ، أو نزول الملائكة ، أو رؤية الله ، وكان القرآن ينزل منجما ليردُ عليهم ، ويتحدّلهم ، ويوضح لهم مهمة الرسول والرسالة .

وقد جمع الله للقرآن من صفات العظمة ما جمع ، فأنزله جملة واحدة إلى اللوح المحقوظ ، في السماء السابعة ، ثم أنزله منجمًا مفرقًا حسب الوقائم والحوادث .

قال في المنتخب في تفسير القرآن الكريم:

ولا يأتونك بحال من الاعتراضات الواهية ، إلا جئناك بالحق نبينه ونفسَّره أحسن تفسيرا.

٣٤ - ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَئَتِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَصَلُ سَبِيلاً.

كان كفار مكة يستهينون بالنبي الأمين ، ويقولون : أما وجد الله رسولا غير هذا البتيم الفقير ، ويمنعهم الكبر والتعالى عن الإيمان ، والآية هنا تخيرهم : بأنكم ستكونون أهط منزلة ، وأسوأ حالا ، حين تُسحبون إلى النار على وجوهكم ، عقابا على تكبركم ، وعدم استخدام عقولكم .

قال ابن كثير:

وفى الصحيح ، عن أنس : أن رجلاً قال : يا رسول الله ، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ ُ فقال : وإن الذي أمشاه على رجليه ، قادر أن يمشيه على وجهه يوم اللقيامة، ™.

وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة ، وغير واحد من المفسرين . أ هـ.

﴿ وَلَقَدْءَ انَيْنَامُوسَ الْكِتْبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ وَآخَاهُ هَدُونِ وَفِيرًا ۞ فَقُلْنَا اَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِيكَ كَذَبُواْ بِعَايِنَنَا فَدَمَّرَ نَهُم مَنَّهِ مِرَا ۞ وَفَوْمُ فُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ اَضْرَقَنَاهُمْ وَعَمَلْنَهُمْ الِلنَّى سِ اَمِيةٌ وَأَعْتَدَ نَالِظُلْلِمِيكَ عَذَا بَا أَلِيمَا ۞ وَعَادَا وَثَمُودُا وَأَصْنَهَ الرَّسِ وَفُودُنَا بَيْنَ ذَالِكَ كَثِيرًا ۞ وَكُثَّرَ ضَرَنَا لَهُ ٱلْأَمْثَلُ وَكُلَّ وَكُلَّا تَنْبِيرًا ۞ وَلَقَدْ أَقَوَا عَلَىٰ لَفَرَيْهِ آلَتَى أَمْطِرَتْ مَطَرَا لِسَّوْءً أَفَكُمْ يَكُونُواْ لِيرَوْنَهَا بَلْكَ الْوَالْا يَرْجُونَ فَشُورًا ۞ هَا لَيْنَ أَمْطِرَتْ مَطَرَا لَسَوْءً أَفَكُمْ يَكُونُواْ لِيرَوْنَهَا

المطردات؛

وزيسوا؛ الوزير: المعين والمساعد، قال الزجاح: الوزير من يرجع إليه للاستعانة برأيه.

تناميجاء التدمير: كس الشيء على وجه لا يمكن معه إصالحه.

أعتسناه هيأنا وأعدنا.

السوس، البئر غير المبنية ، والجمع رساس ، قال أبو عبيدة : والمراد بهم كما قال قتادة : أهل قرية من اليمامة ، يقال لها : الرس والقلج ، فتلوا نبيهم فهلكوا ، وهم بقية ثمود قوم صالح .

التتبيره التفتين والتكسين

القبيسة: هي سدوم أعظم قرى قوم لوط.

لايرجون؛ لا يتوقعون.

المتشور، البعث للحساب والجزاء.

التفسيره

٣٥ – وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَلْبَ وَجَعَلْنَا مَعَاهُ أَخَاهُ هَلْرُونَ وَزِيرًا .

يستعرض القرآن الكريم هنا قصص الأمم السابقة تسلية للرسول ﷺ، وتحذيرًا للمشركين حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب هزالاء المكذبين .

والمعنى:

والله لقد آتينا موسى التوراة ، وجعلنا معه هارون رسولاً أيضًا ، ووزيرًا مساعدًا ومعاونًا لموسى عليه السلام ، وكان موسى قد طلب من الله ، أن يرسل معه هارون مساعدًا ومعاونًا ، فاستجاب الله لرجانه . قال تعالى : وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿ هَنْرُونَ أَخِي ﴿ ٱشْتُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي آمْرِي . (١٥٠ - ٢٧) .

وقال سبحانه وتعالى: وَأَخِى هَلُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانَا فَأَرْسِلْهُ مَنِىَ دِدَّا يُصَدُّفَنَى إِلَى أَخَافَ أَنْ يُكَذَّبُونِهِ قَالَ سَنَتْكُ عَطْدُلَا بَأَخِيكَ ... (القصص: ٣٤، ٣٥) .

٣٦ - لَقُلْنَا ٱذْهَبَا إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَلَّبُواْ بِثَايَاتِنَا فَنَمَّوْنَاهُمْ تَلْمِيرًا.

تستعرض الآية في إجمال قصة رسالة موسى، وتكذيب فرعون، واستمقاقه العذاب والإغراق في ماء النيل. والمعنى :

قلنا لموسى وهارون: انهها إلى فرعون وملئه ، فكذّبوا بالتوراة ورسالة موسى ، والمعجزات التي أعطاها الله لموسى مثل: اليد ، والعصا ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وغيرها من الآيات ، وقد كذّب فرعون وقومه ، وسخروا من موسى ، واشتد عذابهم لبنى إسرائهل ، فاستدرج الله فرعون حتى خرج وراء موسى والبحر بعصاه فانظاق تصفين ، فسار فيه موسى وقومه ، ثم أتبعهم فرعون بجنوده ، فأغرقهم الله أجمعين ، ودموهم تدميرا ، وأهلكهم إهلاكا مبيناً .

قال تعالى : وَجَلَوْوْنَا بِيَى إِسْرَآءِيل ٱلْبَحَرُ فَالْبَعْلِم الْإِعَلِى الْآبِحَرُ فَالْبَعْلِم الْإِعَل عَامَسَتُ ٱللَّهِ لاَ إِلَيْهَ إِلَّهُ ٱلَّذِي َعَامَتَتْ بِهِ بِثَوْا إِسْرَآءِيلِ وَأَنَّا مِن ٱلْمُصْلِعِين فَالْقِرْمُ لُنجِيكَ بِلَدَيْكِ لِتَكُونَ لِمَنْ حَلْفُكَ ءَايَةً وَإِنْ كَتِيلًا مَنْ ٱلنَّاسِ عَنْ وَالِسَّا

وقال سبحانه وتعالى : فَلَمَّا رَبُّهُو أَنْ هَتَوْلاً ءَ قُومٌ شُخِرِمُونَ هَ فَاسْرٍ بِعِبَادِى لَيْلاً إِنَّكُم مُتَّبُعُونَ هَ وَٱتُرَاكِهِ آلْبَحَنَ رَهُوا إِنْهُمْ جُلدُ مُغْرَقُونَ هَ كَمْ تَوْكُواْ مِن جَنَّـت وَعُيُونِهِ هَ وُزُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ه وَفَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَلكِهِينَ ه كَذَلاكَ وَأَوْرَتُسُهَا قُوْمًا عَاصَرِينَ . (الشَّمان: ٧٢ – ٢٨) .

٣٧ – وَقَوْمَ لُوحٍ لِّمًا كَنَّدُواْ ٱلرُّسُلَ ٱغْرَقْتَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةٌ وَأَغْتَلْنَا لِلطَّالِمِينَ عَلَىٰهَا أَلِيمًا .

تشير الآية إلى قصة نوح مع قومه ، فقد مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وتغنن فى دعوقهم إلى توحيد الله ، وأرشدهم إلى عظمة الخالق وعظيم نعمائه ، وفى سورة نوح نجد طرفا من ذلك ، ثم سخر قوم نوح منه وكذبوا برسالته ، ويذلك صاروا مكذبين ارسالات الرسل أجمعين : لأن الرسل جميعا أرسلوا بدعوة التوحيد ، وعبادة الله تعالى ونيذ الشرك وعبادة الأوثان ، فمن كذب يدعوة رسول من رسل الله فكأنما كذّب برسل الله أجمعين .

وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ...

أى: جعلناهم عظة وعبرة ، حيث أغرقهم الله أجمعين بالطوفان ، ونجَّى الله نوحا ومن آمن معه .

وَمَّا ءَامَنَ مَعَلُمْ إِلَّا قَلِيلٌ . (هود: ٤٠) .

وفنى هذا تهديد ورعيد لكل ظالم ، فالله يمهله ولا يهمله ، وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل : «با عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجملته بينكم محرما فلا تظالمواء ⁴⁰ .

وُأَعْتَدْنَا لِلطَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا .

هيأنا وأعددنا للظالمين عذابًا أليمًا موجعًا.

٣٨ - وَعَادًا وَلَمُودًاْ وَأَصْحَلْبَ آلرُسُّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَالِكَ كَثِيرًا .

ودمرنا وأهلكنا قوم عاد، بسبب تكذيبهم لنبيُّهم هود، كما أهلكنا قوم ثمود بسبب تكذيبهم لنبيهم صالح.

قال تعالى : الْحَالَةُ هَ مَا الْحَالَةُ هَ وَمَا أَذُوسُكَ مَا الْحَالَةُ هَ كَلْبُتَ لَمُودُ وَعَادٌ بِالْفَارِعَةِ هَ فَأَمَّا لَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالشَّاطِيَةِ هَ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِهِيجٍ صَوْصَرٍ عَلِيَةٍ هِ سَحْرَهَا عَلَيْهِمْ سَنِعَ قِبَالر وَلَمُنْيَةٌ أَيَامٍ حُسُومًا فَيْرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَالْهُمْ أَعْجَازُ نَحْل عَالِيَةٍ * فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ نَائِيةٍ . (الحالة : ١ - ٨) .

كانت عاد تسكن في جنوب الجزيرة في مكان يسمى الأحقاف ، أي : الكثيب من الرمال

قال تعالى : وَآذَكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنلَزَ أَوْمَهُر بِٱلْأَخْقَافِ . . (الأحقاف : ٢١) .

وهذا المكان الآن بين اليمن وسلطنة عمان . في منطقة صلالة ، وتوجد في صلالة سينما تسمّى سينما الأحقاف ، وقد اكتشفت قرب صلالة ، آثار مطمورة ، طمرتها الرياح ، عبارة عن مدن بائدة يرجّع أنها من آثار عاد قوم هود .

قال تعالى : أَلَا يُعْدًا نُّعَادٍ قُوْمٍ هُودٍ . (هود : ٦٠) .

وكانت ثمود تسكن فى شمال الجزيرة العربية ، بين الحجاز والشام . وقد مر النبي ﷺ على قراهم ، وهو فى طريقه إلى غزوة تبوك ، ولما مرّﷺ على قرى ثمود قوم صالح ، حنى ظهره ، واستحث راحلته ، وقال لأصحابه : «لا تمرّوا على قرى القوم الذين ظلموا أنقسهم إلا وأنتم مشفقون أن يصيبكم ما أصابهم، ٩٠]. قال تعالى : وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَلقَوْم ٱغْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَاهِ غَيْرُهُ, هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَآسَتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَأَسْتَغْفِرُوهُ ثُمِّ مُونِنَا إِلَيْهِ إِنَّ وَلِيهِ مُجِبِّ . (هود: ١٦) .

أصحاب البرس

الرس : البنر التي لم تبن بالحجارة ، وقيل : البئر مطلقا ، وقد اختار ابن جرير الطبرى : أن أصحاب الرس هم أصحاب الأخدود ، الذين ذكرهم الله في سورة البروج .

وقال بعض المفسرين : إنهم من بقايا قبيلة قمود ، بعث الله إليهم نبيا فكذبوء ، ورسُّوه في تلك البئر ، أي : ألقوا به فيها ، فأهلكهم الله تمالي .

وفي ذيل المنتخب في تفسير القرآن ، طبعة ١٣ لوزارة الأوقاف المصرية ما يأتي :

وأصحاب الرسّ ، قوم كانوا يعبدون الأصنام ، فيعث الله شعيبا إليهم ، وقد ذكرهم شعيب بأنعم الله عليهم وما هم فيه من أشجار وآبار ، وخيرات كثيرة ، ولكنهم كفروا بنعمة الله ، وكذبوا رسولهم ، وعبدوا الأوثان ، ويينما هم حول الرس (أي : الهتر) إذ انهارت بهم ، وخسف الله تعالى بهم الأرض .

قال تعالى : كَلَّبَتْ قَلْلُهُمْ قُومُ نُوحٍ وَأَصْحَلْبُ آلَوْسُ وَفُمُوهُ ، وَعَادٌ وَلِوْعَوْنُ وَإِحْوَانُ لُوطٍ ، وَأَصْحَلْبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ لِشِع كُلِّ تَذْسُهَ ٱلنَّصِلَ لَعَحَقٌ وَعِيدٍ . (3 : ٢٠ – ١٤) .

وَعَادًا وَلَمُودًاْ وَأَصْحَلْبَ ٱلرُّسَّ وَقُرُونَاْ بَيْنَ ذَالِكَ كَلِيرًا .

أي: لقد أهلكنا عادًا وثمود ، وأصحاب الرس لما كذبوا رسلهم ، وأهلكنا أمما كثيرة كانوا بين أمة فرح وبين عاد ، فأصابهم جزاء الظالمين ، والقرون جمع قرن، والمراد به : الجيل من الناس ، الذين اقتربوا في زمان ولحد من الأزمنة .

وفي الحديث الشريف: «خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ...» (١٠٠ رواه البخاري .

ومن شأن الله أن يهلك الظالمين ، والأمم الظالمة ، وأن ينشئ بعدها أهما أخرى ، قال تعالى : أَلَمُ يَرُولًا كُمُ أَهْلَكُنَا مِن قَلِهِم مَّن قَرْنِ مُكَنْنَهُم فِي ٱلأَرْضِ مَا لَمُ نُفكَّن لَكُمْ وَأَوْسَلْنَا ٱلسَّمَاءَ عَلَيْهِم مَّدَرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَارُ تَحْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَاهْلَكُنْنِهُم بِلَنُوبِهِمْ وَٱنشَأْنَا مِنْ يَعْدِهِمْ قَرْلُ عَاضِرِينَ . (الانعام: ٦) .

٣٩ - وَكُلُّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْشَالَ وَكُلًّا تَبُرْنَا تَشْبِيرًا .

أى: جميع هؤلاء المكذبين، من قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس، والأمم الكثيرة التي كذبت رسلها، كل هؤلاء أرسلنا إليهم الرسل، وأنزلنا لهم الكتب، وقدمنا لهم المواعظ، والنصائح والعظات، والأمثال الصحيحة النافعة، ولكنهم لم يتعظوا، وآثروا الضلالة على الهدى؛ فاستحقوا الهلاك والنكال.

وَكُلُّا تَبُونُنَا تَشِيرًا .

أي: وكل قرن وأمة من هؤلاء ، أهلكناه إهلاكًا لا قيام له منه .

وأمىل التتبير: التفتيت ، ومنه : التبر ، لقتات الذهب والقضة ، والمراد : التمزيق والإهلاك الشديد الذي يستأصل من نزل به .

. ٤ - وَلَقَدُ أَتَوْا عَلَى ٱلْقُرِيَّةِ ٱلَّتِي أَمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْلَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نَشُورًا .

إن أهل مكة يعرون في طريقهم إلى الشام ، بقرى سدوم ، وهي أكبر قرية لقوم لوط ، وكان أهلها يأتون الذكران من العالمين ، ويتركون جماع النساء ، بحثا عن المثلجة الجنسية ، واستغناء الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، وقد أهلك الله قرية سدوم ، بمطر بركاني ، من الأبخرة والحجارة فدمُرها تدميرًا ، وصارت عظة وعبرة لكل مكنب فاجر .

أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَالُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا .

أفله يشاهدوها ويشاهدوا ما حلّ بأهلها ؟ لقد شاهدوها ، ولكنهم لم يعتبروا ولم يتعظوا، لأنهم كذبوا بالبعث والنشور والحساب ؛ لذلك لم تتأثر قلويهم بهذه الآية، قال تعالى: وَكَأَيْنَ مُنْ عَالِمَ هِي ٱلسَّمَسُوُ 'تَوَالْأَرْضِ يُمَرُّونُ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ، وَكَمَا يُهْمِنُ أَكَثَرُهُم بَاللَّهِ إِلاَّ رَهُم مُشْرُكُونَ . (يوسف : ١٠٥، ١٠٥) . ﴿ وَإِذَارَاقِكَ إِن يَنْجُذُونَكَ ۚ إِلّا هُـزُوا أَهَدَا الَّذِي بَمَكَ اللَّهُ رَسُولًا ۞ إِنكَادَ لَيُضِلَّنَا عَنَّ اللِهَقِ عَالَوْلَا أَن صَبْرَنَا عَلَيْهِ أُوسَوَفَ يَعْلَمُونَ حِيثَ يَرَوْنَ الْعَذَا بَ مَنْ أَصَلُّ سَيِيلًا ۞ أَنَ يَتَ مَنِ اتَّضَدُ إلَكَهُ هُو هُونِهُ أَفَانَتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ لَمْ تَعْسَبُ أَنَّ أَكَثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْمَةِ مِّلَى هُمْ أَصَلُ سَيِيلًا ۞ ﴾

لتفسيره

٤١ - وَإِذَا رَأُوْكَ إِن يَتْخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَلْنَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً .

كان أهل مكة أعرف الناس بصدق الرسول ﷺ وأمانته ، فقد مكث بينهم أربعين عاما قبل الرسالة ، شاهدوا سلوكه ، وقبلوا حكومته بينهم في وضع الحجر الأسود عند بناء الكعبة ، وقد كان أحسنهم ممورة من ناحية الشكل والمظهر ، وأحسنهم أخلاقا من ناحية المعاني والمخبر ، وقد تحدّاهم أن يأترا بمثل هذا القرآن ، وحين جمعهم عند الصفا ، وقال لهم : «لو أخبرتكم أن خيلا بالمادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ ، ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كنبا ، فقال لهم : «والله الذي لا إنه إلا هو ، إني لرسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة » ، فقال أبو لهب : تباً لك ، ألهذا جمعتنا ؟ (") ، فأنزل الله تعالى : ثَبَّت بُنآ أَبِي لَهُم. رُبُّ " .. إلى آخر السورة . (المسد : ١ - ٥) .

ومعنى الآية :

إذا شاهدك كفّار مكة ، سخروا منك ، وأنقصوا من قدرك ، واستهزءوا بك ، عنادًا وسفها ومكابرة ، وقالوا ساهرين على سبيل التنقص والازدراء:

أَهَلْدًا ٱلَّذِي يَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً .

أي : أما وجد الله غير هذا البتيم الفقير حتى يرسله رسولا .

ونحو هذه الآية قوله تعالى : وَإِفَا رَعَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرَوْ إِن يَتْجَلُّونَكَ إِلَّا هُؤُوا أَهْلُمَا ٱلَّذِي يَذَكُرُ وَالْهَنْكُمْ وَلَهُ بِلِكُو ٱلرَّحْمَانِ لِهُمْ كَانِمُورُونَ ءَ خُلِقَ ٱلْإِنسَانُ مِن عَجَلِ صَافَرِيكُمْ وَايْدَى فَلاَ تَسْتَعْجُلُونِ . (الانبياء : ٧٧) .

وفى هذا المعدى قال تعالى : وَقَالُواْ لَوْلَا نُوْلَا مُثَلَّا الْشُرَّوَانُ عَلَىٰ رَجُلِ مُنَ الْفَرْيَتِيْنِ عَظِيمِ • أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتُ رَبُّكَ ... (الزهرف: ٢٣٠٣). ٤٢ - إِن كَادَ لَيَضِلُّنَا عَنْ عَالِهَتِنَا لَوْ لَا أَن صَبْرُنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَصَلُّ سَبِيلاً .

أي: كاد أن يصرفنا عن عبادة الأصنام ، لولا أن قاومنا دعوته ، وانصرفنا عنها ، وتمسكنا بعبادة الأصنام والأوثان .

وفى هذا المعنى يقول تعالى : وَالطَّلَقُ الْمَاكُو مِنْهُمْ أَنْ الْمُشُواْ وَاصْبِرُواْ عَلَى ْ مَالِهَكُمْ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ لِمُوادُّهُ مَا سَمِتنا بِهَا لَمَا فِي الْمُلِدَّ الْاَحْرِوَ إِنْ هَذَالَمْ إِلَّا اَحْبِلَاقُ مَّ أَعَانِلَ عَلَيْهِ اللَّكُرُ مِنْ يَبْنِنَا بَالْ هُمْ فِي شَكَّ مِّن دِكْمِى بَلْ لُمَّا يَلُوقُواْ عَلَمُ مِن . (م. : ٢ – ٨) .

ونجد في هذه الآية اعترافًا من الكفار بقوة القرآن ، وأذره في النقوس ، وإخلاص الرسول وقوة حجته ، حتى إنه أوشك أن ينقلهم من الكفر والشرك ، إلى الإيمان والتوحيد ، لولا صمودهم وتعاليهم، وإصرارهم على الكفر ، كما قال تعالى: وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ لاَ تُسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَاتِ وَٱلْفَوْأَ فِيهِ لَعَلَكُمُ مُغْلِمُونَ.
(فصلت: ٢٩)

ثم يعاجلهم القرآن ، بمشهد العذاب يوم القيامة ، حين يرون جهنم تتلمظ غيظا على من عصى الله ، عندنذ سيعلمون علم اليقين ، من هو الضال ، ومن هو المهتدى ، أهم أم المؤمنون . وَسُوْفَ يُعْلَمُونَ حِينَ يَرُوْنَ آلْمَذَابُ مَنْ أَصَلُّ سَبِيلاً .

قال النيسابورى: وإنما يرون العذاب عند كشف الغطاء عن يصر البصيرة.

وقال في المنتخب في تفسير القرآن :

معنى الآية: لقد أوتى هذا الرجل من حسن البيان وقوة الحجة ، ما يجذب السامعين ، ولقد نال من عقائدنا حتى كاد يزحزحنا عن آلهتنا ، ويميلنا إلى إلهه ، ويكننا ثبتنا على آلهتنا وديننا . وسنبيّن لهم جلية الأمر حين يرون العذاب يوم القيامة ، ويعلمون من هو أثبت في الضلال والغواية .

٤٣ – أَرْءَيْتَ مَنِ ٱلْمُحَدِّ إِلَىٰهَهُ, هَوَىٰلُهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً .

وهنا يتعجب القرآن من هزلاء الكفار ، الذين عبدوا الأحجار ، ولم يفتحوا عقولهم للنظر في الحق والهدى ، أي : إنهم – يا محمد – أهل لأن تعجب منهم ، ولكن لا تحزن على كفرهم ، فما عليك إلا البلاغ ، ولست مسئولاً عن هدايتهم .

قال أبن عباس : كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمانا ، ثم إذا رأى غيره أحسن منه ؛ عبد الثاني وترك الآول . وفي معنى هذه الآية يقول الله تعالى: أَفَعَن زُيُّنَ لُمُ سُوَّءُ عَمَلِهِ قَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهُ يُعِولُ مَن يَشَاءُ ... (ناطر: ٨). ٤٤ – أَمْ تَحَسَّبُ أَنْ أَكْرَهُمْ يُسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعُدِمِ بَلُ هُمْ أَصْلُ سَبِيلاً .

وهل تخان أن أكثرهم يسمعون سماح الفهم ، أو يهتدون بعقولهم ؟ لقد نبدوا ما تأمرهم به أحلامهم ، وصادروا كالبهاء ، وصادروا كالبهائم ، لا هم وصادروا كالبهائم ، لا هم ألم الله في الله من البهائم ، فالبهائم ، فالبهائم تنقاد لأصحابها إلى ما فيه خيرها ، وتذأى عما يضرها ، وهزلاء يلقون مأنضهم فيما يهلكهم .

ومن كمال القرآن قوله: أَمَّ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْتَرَهُمْ ... لأن هناك قلة منهم كانت تعرف الحق معرفة حقيقية ، لكن المكابرة والعناد والحسد وأشياه ذلك ، منعهم من الإيمان ، قال تعالى : فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذَّبُونَكَ وَلَكِنَّ ٱلطَّلِهِمِنَ بَالْإِنْجَ ٱللَّهُ يَجْحَدُونَ . (الأنمام: ٣٢) .

قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

فإن قلت : ما معنى ذكر الأكثر؟ قلت : كان فيهم من لا يصدّه عن الإسلام إلا داه واحد ، وهو حب الرياسة ، وكفي به داه عضالا . ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَلِكَ كَيْفَ مَدَ الظِلَ وَلَوْشَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنَا شُوَّجَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَلِكَ رَئِكَ كَمْ الظِلَ وَلَوْشَاءَ لَجَعَلُهُ سَاكِنَا شُوَّجَعَلَ النَّمُ النَّسِلَ وَالنَّوْمُ سَبَاتًا وَجَعَلَ النَّمُ النِّهِ كَنَى يَدَى رَحْمَتِهُ مُ النَّوْمُ النَّهِ النَّهُ اللَّهُ اللَّهُ النَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُلَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

المفردات،

ألحم تنظر.

السسى ديك: إلى صنعه .

----د سما

السمظسسا؛ ما يحدث من مقابلة جسم كثيف ، كجبل أو بناء أو شجر للشمس ، من حين ابتداء طلوعها إلى غروبها .

سك نساء ثابتاً على حاله في الطول والامتداد ، بحيث لا يزول ولا تذهبه الشمس .

داسيسلا ؛ علامة .

قب بضب نساه ، محوناه .

يسمين الشمس في فلكها .

سبباتها ، من السبت ، وهو القطع ، لانقطاع التعب فيه ، أو لانقطاع الحياة الكاملة .

السنشيور والبعث .

بشب ا : (تخفیف بُشُر بضمتین) واحدها : بشور ، کرُسل ورسُول ، أي : مبشرات .

بين بعيه ، قدَّامه .

السرحسمسة ؛ المطان.

طــهـورا، يتطهر به .

المسلحة: الأرض.

المسمسيت ، التي لا نبات فيها .

الأنسع الم الإبل والبقر والغنم، وخصها بالذكر لأنها ذخيرة، ومعاش أكثر أهل المدر منها.

الساسس، واحدهم: إنسان (أصله: أناسين، أبدلت النون ياء، وأدغمت في الياء).

مسرفستساه؛ حولناه في أوقات مختلفة إلى بلدان متعددة.

اسيدكروا، ليعتبروا.

كمستمسوراء كقرانا للنعمة ، وإنكارًا لها .

نستيسراء نبيًا ينذر أهلها.

مسمسترج ؛ خلط ، ومنه قوله تعالى: فَهُمْ فِينَ أَمْرِ مُربِع . (ق: 0) . أى: مختلط، ومنه قيل للمرعى: مرج؛ لاختلاط الدواب فيه بعضها ببعض ، ويطلق المرج بمعنى الإرسال والتخلية .

السيسيات، مقرط العذوية .

بسرزخسا ، حاجزا .

حجرا محجورا ، تنافرًا شديدًا ، فلا يبغى أحدهما على الآخر ، ولا يفسد الملح العذب .

نسياوسهرا، ذكورًا ينسب إليهم ، وإناثًا يصاهر يهن .

التفسير،

٥٥ - أَلَمْ نَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدُّ ٱلطُّلُّ وَلَوْ هَنَّاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمُّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً.

فى هذه الآيات يلفت القرآن الأنظار إلى ما فى الكون من دلائل القدرة والعظمة ، والمناية والرعاية، فهذا الكون أثر قدرة الله ، خلقه الله وأمدّه بمقومات الحياة ، وجعل فيه التكامل والتعاون بين أجزئه ، ليستغيد بذلك الإنسان والحيوان والنبات ، ومن هذه النعم : نعمة الظل والشمس ، والنوم واليقظة ، والرياح والسحاب والمطر ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وتيسير الأمطار ، وتكوين البحار والأنهار ، وخلق الإنسان والحيوان والنبات ، وسائر الموجودات . إن حركة الكون عند انقضاء الليل ، ومجىء الفجر ، ونور النهار ، تجد ظلاً كاملاً بين عتمة الليل المخيف، وضوء الشمس وحرارتها اللافحة ، وعند طلوع الشمس يبدأ الظل يظهر ، ثم يتقلص قليلاً تليلاً .

قال في ظلال القرآن:

والظل هو ما تلقيه الأجرام من الظلمة الخفيفة ، حين تحجب أشعة الشمس فى النهار ، وهو يتحرك مع حركة الأرض فى مواجهة الشمس ، فتتغير أوضاعه وامتداداته وأشكاله ، والشمس تدل عليها وعليه بضوئها ومرارتها ، وتميز ساحته وامتداده وارتداده ، ومتابعة غطوات الظل فى مدّه وانقباضه ، يشيع فى النفس نداوة رواحة ، كما يثير فيها يقطة لطيفة شفيفة ، وهى تتبع صنع البارى اللطيف الخبير . ا هـ .

وجاء في المنتخب في تفسير القرآن الكريم ما يأتي :

لقد نصينا من الدلائل على التوحيد ما يهدى ذوى الألباب ، لنظر إلى الظل فقد بسطه الله وجعله ساكنا أول النهار بدور السطه الله وجعله ساكنا أول النهار، ثم سلطنا الشمس تزيل منه بما يحل محله من أشعتها ، فكانت الشمس دالة عليه ، ولولاها ما عرف الظل ، ولو شاء الله لجعل الظل ساكنا مطبقا على الناس ، فتفويت مصالحهم ومرافقهم .

وفي هامش المنتخب ما يأتي :

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبُّكَ كَيْفَ مَدُّ ٱلظُّلُّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ, سَاكِنًا ثُمٌّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا.

هذه الآية تظهر عناية الخالق وقدرته ، فمذ الظل بدل على دوران الأرض ، وعلى ميل محور دورانها،
ولو أن الأرض سكنت ، بحيث إنها ظلت غير متحركة حول الشمس ، وكذلك اندمام دورانها حول محورها ،
لسكن الظل ، ولظلت أشعة الشمس مسلطة على نصف الأرض ، بينما يظل النصف الأخر ليلاً ، مما يحدث
المخلاف الثوازن العرارى ، ويؤدى إلى انعدام المهياة على الأرض ، وكذلك إذا كان هذا هو حال الأرض ، فإن
الظل يظل ساكنا ، وهذا أيضًا يحدث إذا كانت فترة دوران الأرض حول محورها هى نفسها فترة دورانها
حول الشمس ، أى أن اليوم يصبح سنة كاملة ، ولكن لا يمكن أن يقعل ذلك غير الله ، هذا فضلا عن أن الظل
ذاته نعمة من نعم الله ، ولو أن الله خلق الأشهاء كلها شفافة لما وجد الظل ، ولانعدمت فرص الحياة أمام
الكائنات التي تحتاج إليه . (٥٠) .

٣ ٤ – ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا.

عندما ترتفع الشمس تزيل آثار الظل شيئا فشيئا بالتدريج ، وينقبض الظل سهلاً هيئا لا يكسر شيئًا ، ولا يعطل حركة .

رقيل: المعنى: ثم قيضنا الشمس قبضًا يسيرا.

قال في الظلال:

وإن مشهد الظلال والشمس مائلة للمغيب ، وهي تطول وتطول ، وتمتد وتمتد ، ثم في لحظة ، لحظة ، والله وإلى منظم المنط واحدة ، ينظر الإنسان فلا يجدما جميعا ، لقد اختفي قرص الشمس ، وتوارت معه الظلال ، أين تراها ذهبت ؟ لقد قيضتها اليد الخفية التي مدّتها ، لقد انطوت كلها في الظل الغامر الطامي ، ظل الليل والطلام (١٠٠٠).

إنها بد القدرة القوية اللطيفة التي يغفل عنها البشر، وهي تعمل دائبة لا يدركها الكلال.

٤٧ ~ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمُ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارُ نُشُورًا .

يمتن الله تعالى على عباده بثلاث نعم :

١ - الليل يأتي بظلامه البهيم فيهدأ الناس، ويغطى الظلام كل شيء كأنه لباس تلبسه الأشياء.

- النوم يقطع الأعمال ، وتستريح الأبدان ، وتنسحب الروح من البسم ، وتكون الأحلام فى النوم ، والراحة
 التي تكسب الإنسان قدرة وصفاء وتألقا .

٣ - ثم يأتى النهار فتنبعث الحياة ، وتشرق الشمس ، ويعم الضياء ، ويهبُّ الناس بحثًا عن أرزاقهم ،
 واستثنافا الأعمالهم .

فالنوم موتة صغرى ، واليقظة بعث ونشور ، قال ﷺ: «والذي نفس محمد بهده ، لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن على ما تعملون ، ولتجزين بالإحسان إحسانًا ، ويالسوء سوءًا ، وإنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا به .

قال ابن كثير في تفسير الآية:

وَهُوَ ٱللَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْيَلَ قِامًا ... أي : يلبس الوجود ويفشاه ، كما قال تعالى : وَٱلْيَلُو إِذَا يَعُشَىٰ . (الليل : ١). وَٱلنَّهُ مَ سُرَاتًا ...

أى : قاطعًا للحركة لراحة الأبدان ، فإن الأعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة ، في الانتشار بالنهار في المعاش ، فإذا جاء الليل وسكن ، سكنت الحركات فاستراحت ، فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح ممًا .

وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا .

أى : ينتشر الناس فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسبابهم ، كما قال تعالى : وَمِن رَّحْمَهِ جَعَلَ لَكُمُّ ٱلْبَلَ وَالنَّهُارُ لَسُكُواْ لِهِ وَلَيْتِنَهُواْ مِن لَفَسُلُهِ وَلَعَلَّمُ تَشْكُرُونَ . (القصص ٢٧٠) . وللنوم أثر فى تجديد الخلايا ، وراحة البدن ، وسياحة الروح فى الملأ الأعلى ، وإمكان حدوث الرؤيا المسالحة فى النوم ، وفى الحديث الصحيح : «نهبت النبوات ويقيت المبشرات ، والمبشرات مى الرؤيا ، يراها الرجل للصالح أن تُرى له» " " .

وفي تفسير هذه الآية تكلم الشيخ عبد الحميد كشك كلاما جيدًا عن النوم ، فقد كان هناك كلام كثير عن النوم وأسبابه ، ثم رحب العلماء بما وصل إليه العلم ، من اعتبار أن النوم طرح روحي موقت ، ونقل أن الرحالة أحمد حسنين باشا كان يستكشف ولحة في الصحواء ، ثم نفد الماء وعلف الدواب ، فاستراح الجميع في انتظار الموت ، ثم رأى أحمد حسنين في منامه امرأة تلبس ثيابا بيضاء ، وترشده إلى كثيب ، ثم يتابع المسير فيصل إلى مكان مأهول ، ثم نجا هو والقائلة بالعثور على ذلك المكان (١٠٠).

وقد تحدث القرآن عن النوم واعتبره آية من أيات الله وجميل قدرته.

قال تعالى : آللَهُ يَتَوَلَّى ٱلْأَنْفُسُ حِينَ مَوْلِهَا وَٱلتِّى لَمْ نَمْتُ فَى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلْتِي فَعَنَى عَلَيْهِا ٱلْمُؤْتَ وَيُومِيلُ الْأَخْرَىٰ إِلَيْمَ آجَلِ مُسَمَّى إِنْ فِي ذَاكِكَ لَهُمْسَتِ أَفْوَمِ يَتَفَكُّونَ . (الزمز: ٤٢) .

والنوم بالنهار لفترة قصيرة ، تستريح فيها الأجسام والأرواح ، يؤدي إلى تجدد النشاط وتألق الذهن .

قال تعالى : وَمِنْ عَلَيْتِهِ مَنَامُكُم بِٱلنَّهِلِ وَآلَتُهَارِ وَآلِيقَاؤُكُم مِّن فَصْلِهِ إِنَّ فِي ذَالِكَ أَلَيْتُ مِنَّ لَقُوْم يَسْمَعُونَ . (الدوم: ١٣).

وقد نصح الأطباء، بأن يغفو الإنسان غفوة كل يوم، وهذه الغفوات التى تتخلل النهار تدفع الكلال، وتخفض ضفط الدم حوالى ١٥ -٣٠ مليمترا، وترفع عن القلب بعض الحمل المتعب، وينصح (ديل كارنيجي) فى كتابه: «دع القلق وابدأ الحياة»، بأن تغفر نصف ساعة بعد ظهر كل يوم فى غرفة مكتبك أو عملك، ويقول: إن ساعة تنامها فى خلال النهار، مضافة إلى ست ساعات تنامها ليلاً، تجعل المجموع سبم ساعات، أجدى لك من ثماني ساعات من النوم المتواصل ليلاً ٧٠؟

٨ \$ – وَهُوَ ٱلَّذِينَ أَرْسُلَ ٱلرَّيْكَ يُشْرَا بَيْنَ يَدَىٰ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسُّمَآءِ مَاءً طَهُورًا .

الله تعالى يرسل الرياح فتكون بشيرا أمام فضله . بإنزال المطر ، وهذا المطر ينزل من السماء وهو في أعلى درجات الطهارة ، ورغم ما يحمله من شوائب في الجو، إلا أنه يظل طاهر مطهرًا ، ويظل الماء سببًا في حياة النبات والإنسان والحيوان ، والعيون والآبار والبحار والأنهار ، بيد أنَّ الزراعات التي تزرع على المطر مباشرة ، أصحابها يتعلقون بالمطر ، ويشاهدون نزوله ، ويستبشرون بالسحب ، لأنها تبشر بالمطر ، وتلقح السحب بعضها ، فينزل المطر بسببها ، وقد عرف العرب أنواعًا من الرياح .

ال ابن كثير

وَهُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرَّيْكَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَى رُحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا.

وهذا أيضًا من قدرته القامة ، وسلطانه الغظيم ، وهن أنه تعالى يرسل الرياح مبشرات ، أى : بمجىء السحاب بعدها . والرياح أنواع ، في صفات كثيرة من التسخير : فمنها ما يثير السحاب ، ومنها ما يحمله ، ومنها ما يحمله ، ومنها ما يكرن قبل ذلك تقمّ الأرض ، ومنها ما يسوقه ، ومنها ما يكرن قبل ذلك تقمّ الأرض ، ومنها ما يلقح السحاب مبشرا ، ومنها ما يكرن قبل ذلك تقمّ الأرض ، ومنها ما يلقح السحاب ليمطر ، ولهذا قال الله تعالى : وَأَنْزَلْنَا مِنْ ٱلسَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا . أَى : آلة يتطهر بها ، كالسُّحور لما يسحر به . اهد.

وقد امتن الله على عباده بالماء ويالمطر ويالبحار والأنهار ، قال تعالى : وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلُ شَمْرُه حَيِّ .. (الأنبياء: ٣٠) .

وقال سبحان : أَلَمْ قَرَ أَنَّ اللَّهُ يُؤْجِي سَحَايَا فَمْ يُؤَلِّفُ يُبْتَدُونُمْ يَجْعَلُهُ رَكَامًا فَقَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ حِلْلِهِ وَيُقَوِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جَالِو فِيهَا مِنْ رَزِدُ فِيصِيبَ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَعْمُوفُهُمْ عَنْ مِنْ يُشَاءُ وَيَعْ

وقال تعالى : فَلْيَنظُرِ ٱلْإِسَنَّنُ إِلَيْ طَعَامِهِ هَ أَنْ صَبَيْنَا ٱلْعَاءَ صَبَّاه مُثَمَّ طَفَقَا ٱلْأُوْصَ هَفَّا هَ فَالْتَسْنَا فِهَا حَبَّا ه وَعِبَّا وَقَعَنْها ه وَزَيْشُونَا وَنَحْلُهُ وَوَخَذَالِقَ فَلْهَا ه وَقَلْكِهَةً وَأَبَاه هَنَاهُا لَكُمْ وَلِأَنْصَبِكُمْ . (عبد: ۲۷ – ۲۷) .

وقال في المنتخب :

وهو الذي سخر الرياح فتسوق السحب وتبشّر الناس بالمطر ، الذي هو رحمة منه فهم ، ولقد أنزلنا من السماء ماءً طاهر مطهرًا ، مزيلاً للأنجاس والأوساخ .

٩ - لَتُحْمِى بِهِ بَلْدَةً مُيْتًا وَنُسْقِيَةً, مِمَّا خَلَقْنَاۤ أَنْعَلَمًا وَأَنَاسِى كَثِيرًا .

سفر الله المطر لإحياء الأرض المجدية ، وهذه آية من آيات الله ، أن ترى الأرض هامدة لا حياة فيها ولا نبات ، فإذا نزل عليها الماء ، اخضرت وأفمرت وأبنحت ، وتسبب ذلك في إثراء الحياة .

وَنُسْقِيَهُ, مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَلْمًا وأَنَاسِيٌ كَثِيرًا .

كما أن المطر فيه حياة للأرض المبتة ، كذلك فإن هذا المطر يكون سببا لشرب الأنعام وهى الإبل والبقر والغنم ، وسائر الحيوانات ، كما يشرب أناس كثيرون من هذه الأمطار ، وقد قدم الله حياة الأرض ، وسقيا الأنعام على شرب الإنسان ، لأن الأرض والأنعام مسخرة للإنسان ، وإذا شريت الأرض والحيوانات ، فلن يعدم الإنسان وسيلة للشرب . بل الإنسان هو المستفيد بعد ذلك . ٥ - وَلَقَدْ صَرُّ فَسَنَهُ يَنْتَهُمْ لِيَذَّكُرُواْ الْأَيْنَ أَكُورُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا.

لقد وزَّعنا هذا المطر بين عباد الله في أرضه ، ليعتبروا ويتعظوا ، ويتذكروا أنَّ تسخير السحاب ، وإنزال المطر وإنبات النبات ، بقدرة الله ، فيقوموا بالشكر والتذكر لفضل الله ، لكن كثيرا من الناس ينسبون المطر إلى النجوم ، والظواهر الطبيعية ، وينسون أن الله هو الذي طبع الطبيعة ، وسخرها ويسرها لخدمة الإنسان ، ومع هذا ققليل من الناس من يشكر ، وكثير منهم من يكفر.

روى مسلم فى صحيحه: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومًا ، على إفر سماء أهمابتهم من الليل : «أكدون ماذا قال ربكم ؟» قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : «أصبح من عبادى مؤمن وكافر ، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته: فقاك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ؛ فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب » ٥٠١.

وذهب بعض المفسرين إلى أن الضمير في الآية يعود إلى القرآن ، فقالوا : معنى هذه الآية : وهذا القرآن قد بينا آياته ، وصرفناها ولونًا فيها فنون القول وأنواعه : ليتذكر الناس ربهم ، وليتعظوا ويعملوا بعرجبه ، ولكن أكثر الناس أبوا إلا الكفر والعناد .

٥١ - وَقُوْ شِقْنَا لَبَعْشَا فِي كُلِّ فَرْيَةٍ تْلْبِيرًا .

لو أراد الله لأرس نبيا إلى كل قرية من قرى الجزيرة العربية وغيرها ، ولكنه - سبحانه وتعالى - أراد أن تكون الرسالة الخاتمة رسالة واحدة ، ونبيها نبياً واحدًا ؛ تفضيلا له وتكريما ، وفى صحيح البخارى، يقول النبى ﷺ: «أعطيت ممسًا لم يقطهن نبى قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورا ، وأحلّت لى الغنائم ، وأعطيت الشفاعة ، وأرسل كل نبى إلى قومه خاصة وبعثت إلى الفاس عامة 2000.

وفي الصحيحين: « يعثت إلى الأحمر والأسود » ١٥٠].

وهذه الرسالة تحمل في مقوماتها عوامل صالاحها وخلودها ويقائها إلى يوم الدين.

قال تعالى : وَمَا أَرْسَأْتُكُ إِلَّا كَأَفَّةً لُلنَّاسِ مَشِيرًا وَنَلِيرًا ... (سبأ : ٢٨).

وقال سبحانه : إِنَّا نَحْنُ نَزُّكَ ٱللَّكْرَ وَإِنَّا لَكُمْ لَحَنْفِظُونَ . (الحجر: ٩).

ومن حفظ الله لرسالته ، حفظ القرآن ، وحفظ الحديث النبوى الشريف ، وإرسال الهداة والمصلحين ، وحث المسلمين على الاجتهاد والاستنباط ، وتسخير العقول والأفكار لتستنبط ما يوائم مصالح الناس ، وما يبحث فيهم الحيوية والأمال والتقدم .

٢ ٥ - فَلَا تُطعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِ نَهُم بِهِ حِهَادًا كَبِيرًا .

قلا تطع الكافرين فيما يريدونه منك من أمور باطلة فاسدة ، وجاهدهم بالقرآن الكريم ، جهادًا كبيرًا شافًا ، لإبطال شبهاتهم وأراجيفهم ، وقد كان القرآن الكريم أقوى من تسفير الجيوش ، فقد ناقش باطلهم ، وعاب عليهم تقليد الآباء والأجداد ، وعبادة الحجارة والأوثان ، وزائل كبرياءهم ، وبحل عليم من كل باب ، ولفت أنظارهم إلى الكرن وحالقه ، وقص عليهم أخبار السابقين ، وتحدث عن القيامة والحساب والجزاء ، والجنة والنان والميزان والمسراط ، كأنما وضع أمامهم أهوال القيامة : حتى نفذ إلى افتدتهم ، فقاوموا سلطانه وحاولوا مقاوته بالتصفيق والمسراخ . وَقَالَ ٱللَّذِينَ كَفُرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ إَهْمُلدًا ٱلْقُرْمًانِ

وفى معنى الآية قوله تعالى : يَلَأَيُّهَا الَّذِيُّ جَلْهِدِ ٱلْكُفَّارُ وَالْمُنْفِقِينَ وَأَغْلَطُ عَلَهِمْ وَمَأْوَسُهُمْ جَهُتُمُ وَبِسُنَ ﴿ الْمُعِيدُ . (الديه: ٧٧) .

٥٣ - وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هِمْلَمَا عَلْبُ لُوَاتٌ وَهَمْلَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ يَنْتَهُمَا بَرْزَخَا وَحِجْرًا مُحْجُورًا.

تعرض الآية مظهرًا من مظاهر القدرة الإلهية ، فالله القدير خلط البحرين ومزجهما ، مع ما بينهما من التنافر والتضاد ، أحدهما حلو ساتغ شرابه ، والثانى مالح شديد الملوحة ، وجعل بينهما حاجزًا من قدرة الله، لا يختلطان ولا يمتزجان ؛ حتى لا يفسد أحدهما خصائص الآخر ، قال تعالى : مَرَجَّ ٱلْيَّحْرُيْنَ بِلْتَهَا اللهِ يَتَهُمَّا أَبُرُحٌ لا يُغْمِّانِ ، فَبُاعً عَالاً و يُرَكُّمَا كُمُلُبَاوْ . (الرحمن: ١٩ - ٣٦).

وقال تعالى: أَمْن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَازًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرِيْنِ حَاجِزًا أَعِلَكُ، هُمَّ ٱللَّهِ بَالْ أَكْفَرُهُمْ لَا يَعْلُمُونَ . (النمل: ٦٠) .

وومن الفطرة التي فطرها الله تعالى أن مجارى الأنهار غالبًا أعلى من سطح البحر ، ومن ثم فالنهر العذب هو الذي يصبّ في النهر العذب هو الذي يصبّ في البحر العدد المدن المائح ، ولا يقع المكس إلا شذوذا ، ويهذا التقدير الدقيق ، لا يطغى البحر الوهر أضغم وأغزر – على النهر الذي منه الحياة للناس والأنعام والنبات ، ولا يكون هذا التقدير مصادفة عابرة ، وهو يطرد هذا الاطراد ، إنما يتم بإرادة الشائل الذي أنشأ هذا الكون لغاية تحققها نواميسه في دقة

ويقول صاحب كتاب (الطم يدعو إلى الإيمان): يبعد القمر عنا مسافة مانتين وأربعين ألفًا من الأميال ، ويذكرنا الددّ الذي يحدث مرتين تذكيرًا لطيفًا بوجود القمر ، والمدّ الذي يحدث بالمحيط قد يرتفع إلى ستين قدما في بعض الأماكن ، بل إن قشرة الأرض تنحني مرتين نحو الخارج مسافة عدة بوصات ، بسبب جانبية القمر ، ويبدو لنا كل شيء منتظمًا لدرجة أننا لا ندرك القوة الهائلة التي ترفع مساحة المحيط كلها عدة أقدام ، وتنحني قشرة الأرض التي تبدو لنا صلبة للغاية ...

ولو اقترب القمر منا أكثر مما هو عليه لغرقت القشرة الأرضية ، وتعذرت الحياة على وجه الأرض.

ولكن اليد التى تدبُر هذا الكون ، مرجت البحرين ، وجعلت بينهما برزهًا وحاجرًا من طبيعتهما ، ومن طبيعة هذا الكون المتناسق ، الذي تجرى مقاديره بيد الصائع المدبر الحكيم ، هذا الجرى المقدّر المنسق المرسوم .

ومن ماء السماء، وماء البحر والنهر، إلى ماء النطقة التي تنشأ منها الحياة البشرية المياشرة.

٤ ٥ - وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِن ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ, نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا .

وهذا أيضًا لون من ألوان القدرة، حيث خلق الله من النطفة المهينة حين يختلط ماء الرجل بماء العراق
ويتم الإهصاب ، حيث يتحول الماء المهين إلى نطقة مخصّية تعلق في جدار الرُّحم وتنشبت به ، وتسبع في
دماء من دماء الأم ، وتتحول الملقة إلى قطعة لحم قدر ما يمضغ تسمى المضغة ، ثم تتحول للمضغة إلى
عظام ، أو هيكل عظمى هو أساس تكوين الإنسان ، ثم يكسى هذا المهيكل العظمى باللحم ، ثم يتحول خلقا
آخر متكامل المفلقة والتقاسيم ، مستكمل أسباب الوجود والحياة ، فيه العينان والأنفان والليان والرجلان
وسائر الأجهزة : كالجهاز العصبيى ، والجهاز اللمفاوى ، والجهاز التناسلى ، والجهاز الهضمى ، فضلا عن
مشروع متكامل ، لإنسان مستكمل الجمال والأطراف والخلقة ، كالنعر والأنف والأسنان والفم واللهاة ،
والبلموم والمرىء والبطن والفحذ والساق ، والقدم وسائر الأجزاء ، التى تتمم إنسانية الإنسان ، وتجمل منه
مخلوقاً كامل الأعصاب والإرادة والاختيار والمقل والتصرف ، وهو سيد المخلوقات ، قال تعالى : إنّا خَلْقَنا
الإسسَان مِن نُفَقَةً أَمْشًاء وَلَنْهَا مُعِيمًا بَصِيرًا ه إنّا هَنَهَنَاهُ آسَبُونَ وَلِهًا شَاكِرًا وَإِنّا كُفُوزًا . (الإنسان : ٢٠ ٣) .
الإسسَن مُ نُفَقَةً أَمْشًاء وَلَنْهًا هُ مُعِيمًا بَصِيرًا هُ الْقَمَانِ المُناوِقات ، قال تعالى : إنّا خَلْقَنا
الإسسَن مِن نُفَقَةً أَمْشًاء وَلَنَاء فَيَعَالَاهُ صَوِعًا بَصِيرًا ه إنّا هَنَهَنَاء ٱلسَّبِيلُ إِمْا شَاكِرًا وَإِنَّا كُفُوزًا . (الإنسان : ٢٠ ٣) .
"الإسسَن مِنْ نُفْقَةً أَمْشًاء وَلَنْهًا وَلَنْهِا فَيَتَنَاء السَّبِيلُ إِمْا شَاكِرًا وَإِنَّا كُفُوزًا . (الإنسان : ٢٠ ٣) .

وقال سبحانه: وَلَقَدْ كُرُمَّا بَنِيَ عَادَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِي ٱلْبَرَّ وَٱلْبَحْرِ وَوَزَقْتَلْهُم مُنَ ٱلطَّلِينَاتِ وَفَصَّلْنَهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مُمَّنْ خَلَقَنا تَفْضِيلاً . (الإسراء ٠٠) . وقال عن شأنه : وَٱللَّهُ أَغْرَجَكُم مَّنْ بُطُونِ أَمْهَائِكُمْ لَا تَطْلَمُونَ فَيْنَا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعُ وَٱلْأَبْصَارُ وَٱلْأَقْصَانَةَ .. (الدَّحل: ۷۸).

وقال تعالى : أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ, عَيْنَيْنِ ، وَلِسَانًا وَشَفَيْنِ ، وَهَدَيْنَا أُلْتَجْدَيْنِ . (البلد: ٨ - ١٠) .

وقال تعالى: يَنْآلُهُمَا ٱلْإِنسَانُ مَا غُرُكَ بِرَلَكَ ٱلْكَرِيمِ وَ ٱلَّذِي خَلَفَكَ فَسَوْطَكَ فَعَذَلَكَ وفِيٓ أَى صُورَةٍ مَّا شَاءً (الانفطار: ٢ - ٨) .

وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَلِيرًا .

أى: خلق الله الإنسان من الماء، قال تعالى: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلُ شَيْءٍ حَيِّ ... (الأنبياء : ٢٠). فالماء يدوى الزرع ، والإنسان يتفذى به ، ثم تكون النطفة التي هي أصل الإنسان ، أو أن الإنسان مخلوق من ماء المنيّ، حيث خلقه الله بشرًا سويًا ، وجعل منه الذكر والأنثى ، فالذكر ينسب إليه الإنسان ، فيقال : فلان ابن فلان، نسبة إلى أبيه ، والأنثى تكون سببًا في المصاهرة والزواج ، وأصهار الزرج هم أقارب زوجته ،

قال الشاعر :

يتوهن أيناء الرجال الأباعد

بنسونا بنسو أبنياتنا وينساتنا

وقال تعالى : أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن يُتْرَكُ مُدَى ، أَلَمْ يَكُ لَفُلْفَةٌ مِن مَنِيَّ يُمْنَىٰ ، فُمَّ كَانَ عَلَقَةٌ فَخَلَقَ فَسَرُّى ا وَلَا لَهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى ال فَيَعَلَى مِنْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى الللِّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَل

قال النيسابورى : ومن دلائل القدرة ، أحوال خلقة الإنسان ، والماء إما ماء العنصر ، كقوله: وَجَعَلْنَا مِنَ آلْمَاءَ كُلُّ شَيْع حَيَّ ... (الأنبياء : ٣٠) . أو النطفة .

ومعنى: فَعَجَعَلُمْ نَسَبًا وَمِهُوا . أنه قسم البشر قسمين: ذوى نسب، وذوات صهر، والأول: الذكور الذين ينسب إليهم الإنسان، والثناني: الإناث اللاتي يصاهر بهن، ونحوه قوله تعالى: فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلرَّوْجَيْنِ ٱلذُّكرُ وَٱلْأَفْعَ. (الفهامة: ٢٩). والأصهار: أهل بيت المرأة، كما قال الخليل بن أحمد").

ملحق بتفسير الأية

 ١ – قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم أربعين يومًا علقة ، ثم أربعين يومًا مضفة ، ثم ينفخ فيه الروح ، ويكتب أجله ورزقه ، وشقى أو سعيد» (١١) ٢ - إذا لم يكن النسب تابئا شرعًا لم تثبت حرمة المصاهرة ، وعليه قال الجمهور: إذا لم يكن نسب شرعًا ، فلا صهر شرعًا ، فلا صهر شرعًا ، فلا يحرم من الحلال ، لا يحرم من الحلال ، لا يحرم من الحلال ، لا يحرم من الحرام ، لأن الله امتن بالنسب والصهر على عباده ، ورفع قدرهما ، وعلق الأحكام في الحل والحرمة عليها ، فلا يلحق الباطل بهما ولا يساويهما ، وقال الحنفية : تحرم البنت من الزنا ، أو الأخت أو بنت الابن من الزنا ، بسبب التولد من ماء الرجل .

* * *

المفردات،

الظهير والمظاهر ، المعاون ، فهو يعاون الشيطان على ربَّه ، أي : على رسوله بالعداوة .

وسبح بعمده، نزهه وصفه بصفات الكمال.

ك فلا تحتاج معه إلى غيره.

خسب يسرا: الخبير بالشيء: العليم بظاهره وباطنه ، ويكل ما يتصل به .

وهى منازل الكواكب السيارة السبعة ، وهى المريخ : وله الحمل والعقرب ، والزهرة : ولها الثور والميزان ، وعُطارد : وله الجوزاء والسنبلة ، والقمر : وله السرطان ، والشمس : ولها

الأسد ، والمشترى : وله القوس والحوت ، ورْحل : وله الجدى والدلو ، قال الشاعر : فتزاهرت لعطارك الأقمار

زحل شرّى مرّيخه من شمسة

والبروج في الأصل: القصور العالية ، وأطلقت عليها على سبيل التشبيه ، فهي للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها.

السيبيراج، الشمس.

تمهيده

تحدثت الآيات السابقة عن عظيم نعم الله تعالى في خلق الظل والليل والنهار والنوم واليقظة ، وفي خلق الرياح والأمطار والبحار والأنهار ، وإنزال القرآن وإرسال الرسل ، ومن قدرته خلط البحار بالأنهار ، مع حاجز بينهما من قدرته سبحانه ، وخلق الإنسان من النطفة ، ومع هذه القدرة العالية ، والنعم العديدة ، ينصرف الكافرون إلى عبادة الأصنام، التي لا تنفع من عبدها ولا تضرّ من لم يعبدها، ومن ثم تطلب من الرسول الأمين أن يتوكل على الله ، فهو سبحانه العليم الخبير القدير ، وهو الذي خلق الكون في ستة أيام ، ورفم السماء وجعل فيها الأفلاك والبروج والشمس والقمر ، وهو سبحانه خالق الليل والنهار .

التفسيره

ه ٥ - وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَتَفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا .

مع هذه الأدلة المتظاهرة على قدرة الله تعالى ، فإن الكفار يعبدون من دون الله الأصنام والأوثان ، والأبقار والأحجار ، التي لا تنفعهم إذا عبدوها ، ولا تضرهم إذا لم يعبدوها .

لقد كفروا نعمة الله عليهم ، واتجهوا بعبادتهم إلى أصنام لا تملك لهم نفعا ، ولا تملك لهم ضرًا ، ولا تملك لنفسها شيئا.

قال تعالى : يَنَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَو ٱجْتَمَعُواْ لُّهُ, وَإِنْ يَسْلُتُهُمُ ٱللَّذِيَابُ شَيُّنَا لا يَسْتَنقلُوهُ مَنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ . (الحج: ٧٧) .

والكافر بعيادته للأحجار يعاون الشيطان، ويساعده على معصية الرحمن.

قال مجاهد: يظاهر الشيطان على معصية الله ويعينه.

وَ كَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا.

أى: إن الكافرين يعاونون المشركين ، ويكونون أولياء لهم على معاداة رسول الله والمؤمنين ، قال المعالى والمؤمنين ، قال المعالى : ٢٠٠١ . وقد يكون المعنى : وكان الكافر على ربه هيئا ذليلاً ، لا قدر له ولا وزن له عنده ، من قول العرب : ظهرت به ، أى : جعلته ظهرك ولم تلتفت إليه ، ومنه قوله تعالى: وأَنْصَفْتُهُو وُوَرَاحَكُمْ ظِهْرِكَ المعدد : ١٩٠٧ . أى : هيئا .

قال ابن عباس: نزلت الآية في أبي الحكم بن هشام، الذي سماه رسول الله ﷺ: أبا جهل بن هشام. ٥٦ - وَمَا أَرْسُلُتُكُ إِلَّا سُهُمُّرًا وَلَهُورًا .

أى: لقد أرسلناك بشيرًا للمؤمنين بالجنة والثواب والنعيم المقهم ، ونذيرًا للكافرين بالعناب الشديد وسوء المصير .

٧٥ - قُلْ مَا أَسْتَلُكُمُ عَلَيْهِ مِنْ أَحْرِ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَعْجِدَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً.

أى: لا أسألكم أجزًا ولا مالا على تبليغ الرسالة ، وقصارى أن أرشد حائزا ، أو أهدى ضالا ، أو أخذ بيد مسترشد ، يريد أن يعرف طريقه وسبب هدايته ، كأنّه يقول : لا أسألكم مالاً ولا أجزًا ، وإنما أسألكم الإيمان بالله وطاعته ، وأجرى على الله .

٥٨ - وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَنَّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَّىٰ بِهِ بِلَّمُوبِ عِبَادِهِ عَبِيرًا .

أى: اعتمد على الله الحي الدائم الحياة ، الباقي الذي لا يدركه فناه ولا موت ، استوثق بحبله واعتمد عليه ، والتوكل هو الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب ، وهذا التوكل نعم العون للعبد على بلوخ هدفه .

قال تمالى : وَمَا لَنَا أَلَا نَتَرَكُلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَمَنَا شُبُلَنَا وَلَنصْبِرَنْ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْبَتَوْكُلِ الْمُتَوَكُّلُونَ . (يوامهم : ١٧) .

قال ابن كثير:

كن متوكلاً على الله الحم الذى لا يموت أبدًا ، الدلتم الباقى السرمدى ، الأبدى الحى القيوم ، رب كل شىء ومليكه ، اجعله ذخرك وملجأك ، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظهرك ، كما قال تعالى : وَاللّهُ يُقْعِمْكُ مِنْ آلنّامي . . (المائدة: ١٧).

وُسَبِّحْ بحَمْدِهِ ...

أى: اقرن بين حمده وتسييحه ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول : «سيحانك اللهم رينا ويحمدك» 🗂 أى : أخلص له العبادة والتوكل . ا هـ .

وهي معنى الآية قوله تعالى : إِذَا جَاءَ نَعْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ و وَرَّايَتَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَلْوَاجًا و فَسَيَّحْ بِحُمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْرُهُ إِنَّهُ كَانَ كُولَهَا. (النصر: ١ - ٣).

وقوله سبحانه : لَآغُبُنْهُ وَتُوكُّلُ عَلَيْهِ ... (هود: ١٢٣).

وقوله تعالى : قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَانُ ءَاهَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ... (الملك : ٢٩).

ومعنى وَسُبِّعْ بِعَمْدِي : بزَدَ الله تعالى ، عما يصفه به هؤلاء الكفار ، من الشركاء والأولاد ، فهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا أحد .

وَكَفَىٰ بِهِ بِلْنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا .

أي: حسبك أن الله مطلع على أعمال العباد ، وهو عليهم رقيب وشهيد ، وسوف يجازيهم على أعمالهم، فهو خبير بأحوالهم ، لا يحتاج إلى غيره ، وهو قادر على مجازاة المذنبين ، وفي هذا وعيد شديد وتهديد لكل مذنب بأن الله يراه ، ويعلم أعماله ، وسيجازيه عليها .

٩٥ - آلَّذِي حَلَقَ ٱلسَّمَلُوَ ال وَٱلْأَرْضَ وَمَا يَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامِ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْفَرْشِ ٱلرَّحْمَانُ فَسَتَلْ بِهِ حَسِرًا .

هذه الآية كالتعليل لما قبلها ، فقد أمر الله تعالى بالتوكل عليه سبحانه وتسبيحه وتحميده ، وذكر إحاطة علمه بكل شيء ، ثم ذكر في هذه الآية جانبا من قدرته التي لا حدود لها ، فقال : ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسُّمُـوُ اتِ وَ اللَّهُ وَمَنْ كَاللَّهُ مُواتِ وَاللَّهُ وَمْ وَاللَّهُ وَمَا يَنْهُمُ فِي سِبِّهُ إِلَّامٍ ...

فهو سبحانه الذي أبدع الكرن على غير مثال سابق ، وإذا أراد أمرًا قال له كن فيكون ، لكنّه أراد أن يعلمنا الصبر ، ومراعاة سنن الفطرة وسنن الكون ، فخلق الكون في سنة أيام ، وهذه الأيام ليست كأيام الدنيا ، حيث لم يكن في ذلك الوقت شمس أو قمر أو ليل أو نهار ، بل المواد : في ست مراحل ، والبوم أحيانًا يطلق على مدة طويلة مثل : يوم ذي قار ، ويوم بعاث ، ويوم وقعة عمورية ، ويوم البسوس .

وفي القرآن الكريم : وَإِنْ يَوْمًا عِندَ رَبُّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمًّا تَعَدُّونَ . (المج : ٤٧) .

وقال عز شأنه : فِي يُوْم كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . (المعارج: ٤).

نقد كان الكون كرة ملتهبة ، كما تشير نظرية السديم ، ثم قذفت الكرة ، وانفصلت السماء وارتفعت ، وانفصلت الأرض وصارت كالبساط المفروش ، وكان بينهما الهواء والفضاء ، وتم ذلك في مراحل طويلة متباعدة ، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن السماء والأرض كانتا ملتصقتين ، ففققهما الله ، حيث رفع السماء ويسط الأرض ، وسخر السحاب والهواء ، ويعد بلايين السنين ، أمكن أن تكون الأرض صالحة للحهاة عليها، حيث أمطرت السماء ، وأنبتت الأرض ، وجرى بينهما الهواء والفضاء . واستعد الكون لوجود خليفة في الأرض ، لاستعمارها وزراعتها واستثمار غيراتها .

قال تعالى : أَوَلَمْ يَرَ ٱللَّهِينَ كَفُرُوٓا أَنَّ ٱلسَّمَاوَ اسْ وَٱلْأَرْضَ كَانَا رَقَّا فَشَقَتُهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلُّ هُيْءٍ حُيُّ أَفَلاَ يُقِينُونَ . (الأنبياء : ٣٠) .

قال المفسوين: الربق ضد الفتق ، أي: كانت السعاء صماء لا تمطر ، والأرض ربقاء لا تنبت ، ففتق الله السماء بالمطر، وفتق الأرض بالنبات ، وأجرى بينهما الفضاء والهواء ، والخلق والوجود . ويفيد العلم الحديث أن عمر الكون يقرب من ستة بلايين سنة ، قبل أن يخلق فيه الإنسان ، وأن عمر الكون ١٣ بليون سنة إلى الآن .

فلعل المراد بخلق الكون في ستة أيام ، أن الله خلق الكون في مدد ومراحل متتابعة تقارب ستة. بلايين سنة ، حيث كان الكون ملتهبًا ، ثم هدأت السماوات والأرض ، في فترات ومراحل ، هي ست مراحل أو ستة أيام ، وقد تكور ذلك في آيات القرآن الكريم ، ومرّ تفسير ذلك في شرح الآية «٣٠» من سورة الأنبياء وما بعدها .

ثُمُّ السُّنوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ...

أى: استولى على ملك الكرن مع الاستعلاء والسيطرة ، استواء يليق بعظمته كما يقول السلف ، أو استولى وملك وسيطر كما يقول الخلف.

وهو سبحانه يدبر الأمر، ويقضى بالحق وهو خير الفاصلين ، ولفظ: نُمَّ . لا يدل على الترتيب الزمني، إنما يدل على بعد الرتبة .. وتبة الاستواء والاستملاء .

ٱلرَّحْمَانُ فَسْئَلُ بِهِ خَبِيرًا .

أى: مع الخلق والقدرة سعة للرحمة والعطف، والخبرة المطلقة، التي لا يخفى عليها شيء، فإذا سألت الله فإنما تسأل خبيرا لا يففى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. وقيل : المعنى: السأل عن الله وصفاته وكماله خبيرًا، من رسول أو عالم ، ثم اتبعه واقتد به ، فلا أحد أعلم بالله من الله ، ولا أحد أعلم بالله وكماله من رسوله محمد ﷺ.

وقيل: المعنى: فاسأل عنه علماء أهل الكتاب، فلديهم الخبرة عن صفاته وكمالاته.

. ٣ - وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَانِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَانُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نَفُورًا .

إذا طلب من هؤلاء المشركين طاعة الله وحده ، والسجود له دون سواه ، والخضوع لغضله ورحمته ، شهو سبحانه الله الرحمان الرحيم : أنكروا ذلك وتطاولوا ، وقالوا : ما نعرف الرحمان إلا رحمان اليمامة ، يعنون : مسيلمة الكذلب .

أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورُا .

أنطيعك ونسجد لما تأمرنا بالسجود له دون سواه ، وزادهم ذلك نفورًا من طاعة الرحمان ، والامتثال الأمره ، والامتثال الأمره ، والامتثال الأمره ، والامتثال المؤمنون فقد اندادوا بالتكنيب رجسًا وكفرًا ، أما المؤمنون فقد اندادوا بأيات القرآن هداية وإيمانًا ، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى : وَإِذَا مَا أَنْوِلْتُ سُورًةً فَيَنْهُم مِّن يَقُولُ إِنَّكُمْ أَلْتَهُم مِّن فَقُولُهُم مِّن يَقُولُ إِنَّكُمْ أَلْتُلْبِينَ فَي فَلُوبِهِم مُن هَلَّا اللّهِينَ فَي فَلُوبِهم مُن هَلُولُولُ . (التربة ، ١٧٤) . ١٧٥).

وقد اتفق العلماء على أن هذه السجدة التى فى الغرقان ، يشرع السجود عندها لقارئها ومستعمها ، وهذا شأن المؤمنين ، روى الضحاك : أن رسول الله ﷺ وأصحابه سجدوا ، فلما رأهم المشركون يسجدون ؛ تباعدوا فى ناحية المسجد مستهزئين ، فهذا هو المراد من قوله تعالى : وَزَافَكُمْ أُنُّورًا . أى : فزادهم سجود المؤمنين نفورًا .

وجاء في تفسير القرطبي : أن سنيان الثوري كان يقول في هذه الآية : إلهي زادني لك خضوعًا ، ما زاد أعداءك نفرزًا .

والاستفهام في هذه الآية استفهام إنكار وتطاول وتجاهل، وهو قريب معا ورد في سورة الشعراء: قَالَ فِرْعُونُ وَهَا رَبُّ ٱلْخَلُوسُ هَ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَدُ اتْ وَٱلْأَرْضِ وَهَا يَسْهُمَّا إِنْ كُتُمُ مُولِيسَ . (الشعراء : ٢٧ . ٢٤).

٦١ – تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنْبِيرًا .

يمجد الله تعالى نفسه ويذكر أنه أهل للحمد والشكر، فقد كثرت بركاته وخيراته وآلاؤه، ومن ذلك أنه

جِيل في السماء نجويًا كياراً عدما المتقدمون نحو ألف ، ورصدتها الآلات الحديثة أكثر من مائتي ألف ألف ، كما جِعل سيحانه في السماء سراجًا هي الشمس التي تضيء الكون ، وجعل القمر ثورًا ينير الأرض إذا طلع .

والبروج جمع برج ، وهو فى اللغة : القصور المائية الشامخة ، ويدل لذلك قوله تحالى : أَيْتَمَّا تَكُولُواْ يُدُوكُمُّ الْمَوْتُ وَلَوْ كُشُمُ فِي بُرُوجٍ مُّشَيِّدَةٍ ... (النساء : ٧٨) . والمراد بها هفا : المنازل الخاصة بالكواكب السيارة ، ومداراتها الفلكية الهائلة وعددها اثنا عشر منزلا ، هى : الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقوب ، والقوس ، والجدى ، والدلو ، والحوت . وسميت بالبروج الأنها بالنسبة لهذه الكواكب كالمنازل لساكنيها .

جاء في ظلال القرآن :

والبروج – على الأرجح – منازل الكواكب السيارة ، ومداراتها الفلكية الهائلة ، والضخامة منا تقابل في الحس ذلك الاستخفاف في قول المشركين : وُمَا ٱلرَّحْمَانُ ؟

فهذا شيء من خلقه ضخم هائل ، عظيم في الحس وفي الحقيقة ، وفي هذه البررج تنزل الشمس ، ويسميها «سراجًا» ، لما تبعث به من ضوم إلى أرضنا وغيرها ، وفيها القمر المتير الذي يبعث بنوره الهادئ اللطيف .

٣٢ - وَهُوَ ٱللَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لَّمَنْ أَرَادَ أَن يَدَّكُرَ أَوْ أَرَادَ فَكُورًا .

من دلائل قدرة الله تعالى أنه كون الكون ، وسفر الشمس والقمر بحساب ونظام محكم ، يودى إلى تتابع الليل والنهار ، ومجىء أحدهما بعد الآخر ، خلفا له وتابعًا ، حتى يتأمل الإنسان فى هذه القدرة العالبة ، التى جعلت الليل لباسًا ، والنوم سباتا ، والنهار نشورًا ، ومن فضل الله وسعة رحمته أن من قاته عمل بالليل ، ثم أراد أن يتداركه بالنهار قُبل منه ، ومن فاته خير بالنهار ثم أراد أن يتداركه بالليل قَبل منه .

روى مسلم فى صحيحه : أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله عز وجل بيسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل» (**)

وض الحسن: من فاته عمل من التذكر والشكر بالنهار ، كان له في الليل مُستَعتَب ، ومن فاته بالليل كان له في النهار مُستَعتَب .

ودوى أن عمر – رضى الله عنه – أطال صلاة الضحى، فقيل له: صنعت اليوم شيئا لم تكن تصنعه، فقال: إنه بقى على من وردى شىء، فأحببت أن أقضيه، وتلا هذه الآية: وَهُوَ ٱللَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهُارَ خِلْقَةً لُمَنْ أَوْاذَ أَن يُذَكِّرُ أَوْ أَرَادُ شُكُورًا.

﴿ وَعِيادُ ٱلرَّحْمَىٰ ٱلَّذِيرَ يَمْشُونَ عَلَىٰ لاَّرْضِ هَوْنُـ اوْلِوَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَدْهِلُون قَالُواْ سَلَمًا الله وَالَّذِينَ يَبِيتُوك لِرَبِّه مُسُجَّدًا وَقِينَمًا الله وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمْ آنِ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا اللهِ انَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِقُواْ وَلَمْ يَقْثُرُواْ وَكَانَ بَيْنِ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۞ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونِ كُمَّ ٱللَّهِ إِلَهُا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّذِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقّ وَلاَمْ تُؤُكُ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَشَامًا ٣٠٠ يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْمَكَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَكَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا اللهِ إِلَّا مَن مَّابَ وَءَامَرَ وَعَمِلَ عَكَمَلًا صَلِحًا فَأُوْلَتِهِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّعَاتِهِمْ حَسَنَدتُّ وَكَانَ ٱللَّهُ عَنْفُولَ رَّحِيمًا ٣٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَانَّهُ, نَوُتُ إِنَى اللَّهِ مَتَ ابَا ١٠٥ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُواْ بِاللَّغُومَرُ واحرامًا ٣ وَٱلَّذِينِ إِذَاذُكِيُّرُواْ إِعَايَنتِ رَبِّهِ مْ لَرَيْخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمَّا وَعُمْيَانًا ٣ وَٱلَّذِينَ يَقُولُوكِ رَبِّنَا هَبْ لِنَامِنْ أَزْوَلِجِنَا وَذُرِّيِّلِنِنَا قُرَّةَ أَعْيُبِ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُنَّقِين إِمَامًا ﴿ أُوْلَتِيكَ يُجْمَزُوكَ ٱلْفُرْفَةَ يِماصَ رُواْ وَتُلَقَّوْنَ فِيهَا يَحِيَّةً وَسَلَامًا الله خَلِيدِينَ فِيهِ أَحَسُنَتْ مُسْتَقَدًّا وَمُقَامًا اللهِ قُلْ مَايَعْبَوُّا بِكُورَفِي لَوْلَا دُعَا وُكُمُّ فَقَدْكَذَ بِتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ١٠٥

المف دات ،

الـــــهــــون، الرفق واللين ، والمراد : أنهم يمشون في سكينة ووقار ، ولا يضربون بأقدامهم أشرًا ويطرًا .

البجاهاون: السفهاء.

سيراسب ، هلاكا لازما ، قال الأعشى :

حـــزيلا فــــانه لا يبـــالى

إن يعاقب يكن غراما وإن يعط

الإسم مجاورة الحدّ في النفقة بالنظر لنظرائه في المال.

المستمسير، التضييق والشع.

قسيسوامسياه وسطأ وعدلا.

لايسدعسون؛ لا يشركون.

الأشميمام، الإثم ، والمراد : جزاؤه .

مسهمانا: ذليلا مستحقرا.

لا يشهدون الزود؛ لا يقيمون الشهادة الكاذبة ، والمراد: أنهم لا يساعدون أهل الباطل على بأطلهم .

الساسة و: ما ينبغي أن يلغي ويطرح مما لا خير فيه .

كسسرامسسا؛ مكرمين أنفسهم عن الخوض فيه .

المسخمسرور؛ السقوط على غير نظام وترتيب.

قسرة السعبيسة ؛ الفرح والسرور.

الإمسسسسم ، يستعمل للمفرد والجمع ، والمراد : الثاني ، أي : أئمة يقتدى بهم في إقامة مراسم الدين .

المفرطة على بناء عال مرتفع ، ويراد بها : الدرجات الرفيعة .

سايمبابكم؛ لا يعتد يكم.

دعساؤكسم، عبادتكم.

السناء الازما يحيق بكم حتى يكبكم في النار.

تمهيد :

مكارم الأخلاق هدف رئيسي من أهداف الرسالة المعمدية ، حتى قال رسول الله ﷺ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٣٠).

وهذه الأخلاق الكريمة عنى بها القرآن الكريم ، وتحدث عنها خصوصًا في أماكن ثلاثة : أولا في الربع الثاني من سورة الإسراء ، حيث ذكرستة وعشرين أدبا من آداب الإسلام ، هي جماع ما ورد في التوراة، وتبدأ بقوله تعالى : وَقَعَلَىٰ رُبُكُ أَلاَ تُعْبُدُواْ إِلاَّ إِنَّاهُ رِبَالْوَ لِلنَّمِلِ أَخْسُنَا ... (الإسراء: ٢٣). وهنا في آخر سورة الفرقان ، نكر عباد الرحمان فوصفهم بتسع صفات ، ونكر أنهم يجزون الدرجات العلى في الجنة ، جزاء صبرهم وتمسكهم بأخلاق الإسلام ، وفي سورة لقمان نجد وصايا لقمان لابنه ، تكمل صورة طيبة للتربية الإسلامية ، وعنايتها بالنشء حتى يكونوا صورة للمسلم الصغير ، ولفتيان الإسلام وفتياته .

إن عناية الإسلام بالمخبر والقلب ، والضمير والفؤاد ، جعلته يتغوق في صياغة الإنسان القاضل ، وفي هذه الصفحة الأخيرة من سورة الغوقان ، نجد النموذج الفاضل في صفات عباد الرحمان .

التفسيره

٩٣ - وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَانِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَلْهِلُونَ قَالُواْ سَلَمُهَا.

تتصدر هذه الآية صفات عباد الرحمان ، وقد ذكر فخر الدين الرازي أنها تسع صفات في هذه الآيات. و قال القرطي :

وصف تعالى عباد الرحمان بإحدى عشرة صفة حميدة ، من التحلّى والتخلّى ، وهى : التواضع والحلم، والتهجد والخوف ، وترك الإسراف والإقتار ، والنزاهة عن الشرك ، والبعد عن القتل والزنا ، والتوبة وتجنب الكنب ، والعفو عن المسىء ، وقبول المواعظ ، والابتهال إلى الله ، ثم بين جزاءهم الكريم وهو نيل الغرفة التي هي الدرجة الرفيعة ، وهي أعلى منازل الجنة وأنضلها ، كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا .

ومعنى الآية الكريمة:

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَانِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ...

أي : هم يسيرون فوق الأرض سيرًا هيئًا في رفق وتؤدة ، وفي غير تجبر أو تكبر ، كما قال تعالى : وُالْهِلْ في مُشْهِكُ وَأَغْشُعُنْ مِن صَوْلِكُ ... (لقمان: ١٩) .

وقال تعالى . وَلَا تَمْشِ فِي آلَأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَحْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبُلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً . (الإسراء: ٣٧) .

إن الإيمان إذا استقر في القلب ، نتج عنه سلوك حسن ، وهيئة مىالحة تذكر الناس بالله تعالى في وقارهم وسكينتهم ، وليس المراد هنا أن يمشى المرّمن ذليلا متمسكنا ضعيفا متمارضا ، فالقرآن حث على العزة والكرامة ، قال تعالى ، وَلَقَدْ كُرِّسًا بَيْحَ ءَادَمُ . . . (لإسراء : ٧٠) .

وقال تعالى : وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ... (المنافقون : ٨) .

ورُرى عن عمر أنه رأى شابكا يمشى رويدًا ، فقال : مالك ، أأنت مريشى ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، فعلاه بالدرّة ، وأمره أن يصفى بقوة .

إن مشية المسلم فيها السكينة والوقار ، وهي بعيدة عن الذلة والمسكنة ، ويعيدة أيضًا عن التكبر والتبختر.

وفي المحديم ، عن أبي مريرة : أن رسول الله ﷺ قال : وإذا أتيم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وعليكم السكينة ، فما أدركتم منها فصلُوا ، وما فاتكم فأتمراء .٣٧.

فالسير إلى المدلاة ينبغى أن يكون سيرًا عاديًا ، يلتزم صاحبه الوقار والهدوء ، ولا يركض ولا يُسرع إسراعًا قريبًا من الجرى .

ولا يجوز أن يتطلول الإنسان متبخترًا متكبرًا . فقد روى أن عمر – رضى الله عنه – رأى غلامًا يتبختر فى مشيته فقال : إن البخترة مشية تُكره إلا فى سبيل الله ، وقد مدح الله أقواما فقال : وَحِبَادُ ٱلرَّحْمَانِ ٱللَّهِينَ يُمُشُونُ عَلَى ٱلْأَرْضِ وَفَرْنًا ... فاقصد فى مشيتك ، وعمومًا المراد هنا : السير الوسط المعتدل ، مع تجنب التبختر والنكبر ، وتجنب للمسكنة والضعف .

وقد كان ﷺ إذا مشى أسرع فى مشيته ، كأنما يتحدر من مكان مرتفع ، وكأنما الأرض تطوى له ، وكان عمر إذا مشى أسرع فى مشيته ، فتلك سمة المؤمن ، فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضميف .

وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَلْهِلُونَ قَالُواْ سَلَلْمًا .

إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيىء ، لم يقابلوهم بمثله ، بل يعفون ويصفحون ، ولا يقولون إلا خيرًا ، وقد كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلمًا .

كما قال تعالى : وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغُو أَعْرَضُواْ عَنْهُ ... (القصيص : ٥٥).

ومعنى : قَالُواْ سَلْمًا . قالوا : سدادًا أو ردُوا معروفًا ، وهو سلام للمتاركة والمفارقة ، كما قال إبراهيم لأبيه : سَلَنمُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغَيْرُ لُكَ زَنِيّ إِلَّمْ كَانَ إِي صَبِّكِ . (مريم : ٤٧) .

٩٤ - وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبُّهُمْ سُجُّنَّا وَلِيُسْمًا.

أى: هم فى نهارهم مستقيمون لا يردّون على السفهاء ، وفى ليلهم خاشعون مشغولون بقيام الليل ، والسجود لله والامتثال لأمره ، وقد حد القرآن على صلاة الليل ، والتهجد بالأسحار ، قال تعالى : كَانُواْ قَلِيلًا مُنَّ الْبَلِي مَا يَهْجَعُونٌ ، وبَالْاَسْحَارِ هُمْ يُسْتَغِفُوكُ . (الذاريات : ١٥ ، ١٨) . وقال عز شأنه ' تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَن ٱلْمُضَاجِع يَدَّعُونَ رَبُّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ... (السجدة : ١٦).

وقال تعالى : أَمُنْ هُوَ قَلْنِتُ ءَانَاءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذُرُ ٱلْآخِرِةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبّه ... (الزمر ٩).

وقال ابن عباس: من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء: فقد بات لله ساجدًا وقائمًا.

ه ٢ - وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا ٱصْرِفَ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ عَرَامًا.

تصف الآية وجل المنقين ، فهم يتمثلون جهنم أمامهم ، تتلمظ غيظا على من عصى الله تعالى ، فيسألون الله أن يصرف عنهم عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا ، أى : لزامًا مستمرًا بلا موت ، «وهذا دعاء ورجاء ، فكل نحيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون النار عافية ، والخرام هو الشيء الملازم الدائم .

قال الحسن : كل شيء يصيب ابن أدم ويزول عنه فليس بغرام ، وإنما الغرام اللازم ما دامت السماوات والأرض» (^^)

٦٦ - إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا .

أى: إن جهنم بنست مستقرا لمن استقر بها ، ويئست مقاما لمن أقام بها .

قال صاحب الظلال:

وهل أسوأ من جهنم مكانًا يستقر فيه الإنسان ويقيم ، وأين الاستقرار ، وهي النار؟ وأين المقام ، وهو التقلب على اللظي ليل نهار ؟.

٣٧ - وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَالِكَ قَوَامًا .

من صفات عباد الرحمان ، الاعتدال في النفقة والتوسط فيها ، فالإسلام قد جاء بنظمه في العبادات والمعاملات ، ومن هذه النظم : إخلاص الوجه لله ، والتوسط في العبادة وفي النفقة ، لقد حظى الإسلام بنظام اقتصادي متوازن ، فيه محاسن الرأسمالية والاشتراكية ، وليس فيه المساوئ التي فيهما ، فالمال مال الله ، والعيد مستخلف عن الله في إدارته ، والإنسان موظف في ماله ، عليه إخراج الزكاة والمعدقة والتكافل الاجتماعي وصلة الرحم ، ومساعدة المحتاجين ، قال تعالى . وَاللَّذِينُ أَيْنَ أَمْوَ الْهِمْ حَقَّ مُعْلُومٌ و للسّائِلِ

كما حرم الإسلام الشح والبخل ، قال تعالى : وَمَن يُوقَ شُحُّ نَفْسِهِ فَأُولَلَبْكَ هُمُ ٱلْمُقْلِحُونَ . (الحدر: ٩) .

وتوعد الكانزين ومانهى الزكاة بالسعير والعذاب، قال تعالى: وَٱلَّذِينَ يَكْثِرُونَ ٱللُّهُبَ وَٱلْفِشَّةَ وَلَا يُعَقِّرُنَهَا. في سَيِل ٱللَّهِ فِيَشْرُهُم بِعَدَابُ إِلَيْم. (التربة: ٢٤).

والخلاصة:

أن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، وأن من صفة عباد الرحمان التوسط في النفقة ، والبعد عن البخل وعن الإسراف ، فالإسراف والهخل كلاهما مفسدة للحياة والمال ، والجماعات والأمم .

قال تعالى : وَلَا تَبُلُوا تَبْلِيرًا ، وِأَنْ ٱلْمُنْلُونِ كَانْوَا إِخْوَانَ ٱلشَّيْطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَ نُ لِرَبِّهِ كَفُورًا . (الإسراء : ٢٧ . ٢٧) . والبخل فيه إمساك للمال عن الإنفاق في الوجوة المشروعة .

قال تعالى : وَمَن يَبْحَلُ فَإِنَّمَا يَبْحَلُ عَن نَّفْسِهِ وَٱللَّهُ ٱلْفَتِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفَقَرْآءُ ... (محمد : ٣٨) .

أما التوسط والاعتدال في النفقة فهر سمة العقلاء ، الذين فقهوا رسالة المال ، وجعلوه وسيلة لإصلاح أنفسهم وأقاريهم رمجتمعهم ، وأسهدوا بتصرفهم الأفراد والجماعات .

قال تعالى : وَلَا تَجْعَلُ يَدَكُ مَقُلُولَةً إِلَىٰ عُقِكَ وَلَا تَبْسُطُهَا كُلُّ ٱلْبُسْطِ فَتَقُعَدَ مَلُومًا مُحْسُورًا . (الإسراء : ٢٩). جاء في تفسير النيسابورى :

وصف القرآن عباد الرحمان بالتوسط في الإنفاق ، والقتر والإقتار ، والتضييق نقيض الإسراف ، وكان أصحاب محمد ﷺ لا يأكلون طعاما للتنعم واللَّدة ، ولا يُلبسون ثيابا للجمال والزينة ، ولكن ما يسد جرعتهم ، ويستر عورتهم ويكنهم من الحرّ والقرّ .

عن عمر : كفي شرها ألا يشتهي رجل شيئا إلا اشتراه فأكله . ا هـ .

وْكَانَ بَيْنَ ذَالِكَ قَوَامًا .

أَوَّامًا . أي : وسطا بين الإسراف والبخل ، وقوام الرجل : قامته ، وحسن طوله وهيئته .

وجاء في تفسير ابن كثير طائفة من الأحاديث تمدح التوسط في النفقة والاعتدال والقصد ، مثل:

قال الحافظ أبو بكر البزار . عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ : هما أحسن القصد في الغني ، وما أحسن القصد في النفر ، وما أحسن القصد في العبادة» . ثم قال : لا نحرفه يروي إلا من حديث حذيفة رضي الله عنه. وقال إياس بن معاوية : ما جاوزت به أمر الله تعالى فهر سرف ، وقال غيره : السرف : النفقة في معصبة الله عز وجل .

٩٨ – وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَيْهَا وَاحْرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفُسَ ٱلَّذِي حُرَّمَ ٱللّهُ إِلّا بِٱلْحَقَّ وَلَا يَزُنُونَ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ يَلُقَ أَلْفًا .

من صفة عباد الرحمان أنهم أخاصوا عقيدتهم لله تمالى ، فعيدوه حق العبادة ، ولم يشركوا معه إلها أخر في عبادتهم ، أى : لم يعيدوا صنمًا ولا وثنًا ولا مالاً ولا مُلكًا ، ولا مظهرًا ولا هوى ، بل أخامسوا العبادة لله وحده ، وهم لا يقتلون إلا يالحق ، أى : قصاصًا أو معاقبة ، وفى الحديث : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : ذنًا بعد إحصان ، والنفس بالنفس ، ومن بدل دينة فاقتلوه» (١٠٠٠).

إن الإسلام شجع على الأمن والأمان ، وحارب العدوان وقتل الآخرين بدون وجه حق ، فالإنسان بنيان الله ، ملعون من هدم بنيان الله .

وُلَا يَزْلُونَ .

فقد شجع الإسلام الزواج وأمر بالعفة والاستقامة ، وحرم الله الزنا ، وحرم النظر إلى العرأة الأجنبية بشهوة وحارب الشّعار بين الذكران والإناث ، ونمْي العفة والاستقامة والبعد عن الزنا واللواط والسحاق .

وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ يَلُقَ أَثَامًا :

من يقترف الشرك أو القتل أو الزنا ، يجد عقوبة عادلة في جهنم .

قال عبد الله بن عمر: أَثَامًا . واد في جهنم .

وقال عكرمة : يَلْقَ أَلَامًا . نكالا ، كنا نُحنُث أنه واد في جهنم ، وقد ذُكر لنا أن لقمان كان يقُول لابنه: يا بني ، إياك والزنا ، فإن أوله مخافة ، وآخره ندامة .

٩ ٣ - يُفتَسْعَفُ لَهُ ٱلْعَلَابُ يَوْمُ ٱلْقِيَسْمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا .

يكرر عليه العذاب في جهنم غُدوًا وعشيًا ، مع المهانة والمذلة والهوان النفسى ، والخلود الأبدى .

قال تعالى: آلثَارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُواْ عَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدٌ ٱلْعَذَابِ. (غافر: ٤٦).

· ٧ - إِلَّا مَن تَابَ وَعَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُو لَآئِكَ يُهَدَّلُ ٱللَّهُ سَيَّتَابِهِمْ حَسَسَت وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا .

أى . من يرتكب هذه الموبقات من الشرك والقتل والزنا ، فإنه يدخل جهنم ، ويضاعف له العذاب والمهانة والمذلة ، لكن من تاب إلى الله توية نصوحًا ، وأمن بالله ورسوله ، وعمل الأعمال الصالحة ، فإن الله تعالى يقبل تويتهم ، ويبدل سجلات سيئاتهم حسنات بحد تويتهم، لأن الله واسع المغفوة، رحيم بعباده، يصفح عنهم ويغفر ذنويهم .

وقيل: إن المراد بتديل السيئات إلى حسنات: أن العبد بعد القوية تتبدل أعماله من القبيع إلى المسن، فتسجل له المسنات بدلاً من السيئات.

قال سعيد بن جمير : أبدلهم الله بعبادة الأوقان عبادة الرحمان ، وأبدلهم بقتال المسلمين قتال المشركين، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات.

وقال الحسن البصرى: أبدايم الله بالعمل السيئ العمل الصنالح ، وأبدايم بالشرك إخلاصا ، وأبدلهم بالفجور إحصانا ، وبالكفر إسلاما .

وياب التوية دائمًا مفتوح بدخل منه كل من استيقظ ضميره ، وأراد العودة والعاب ، لا يصدّ عنه قاصد، ولا يفلق في وجه لاجئ أيًا كان ، وأيا مًا ارتك من الأثام .

وقد ورد فى القرآن الكريم حث على التوية النصوح ، وبيان فضل الله فى قبول التوية ، وتكفير السيئات ، فالله تعالى من أسمائه المسنى : غافر وغفًار وغفور ، وغافر : اسم فاعل ، يدل على المغفرة ، وغفًار وغفور: صيغة مبالغة ، تدل على كثرة المغفرة .

قال تعالى : غَافِرِ ٱلذَّنْبُ وَقَابِلِ ٱلْقُوبِ شَلَيْدِ ٱلْفِقَاتِ ذِى ٱلْطُوْلِ لَا إِلَّنَهَ إِلَّهُ هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَعِيرُ . (غانو. ٣). وقال عز شأنه : وَإِنِّي الْفَقَارُ كُونَ اللِّهِ وَعَامَرَ وَعَمارً مَشِلْحُ أَمُّ الْمُقَدَّدِي . لما : ٨٧).

وقال تعالى : تَسْرُكُ ٱللَّهِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلَّ شَيْعٍ قَلِيرٌ ۚ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمُؤْتَ وَٱلْحَيْوَةَ لِيَبُلُوكُم ٱلِيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ ٱلْقَرِيرُ ٱلْفَقُورُ . (الملك ٢٠١٠) .

التوية في الإسلام بابها مفتوح ، وهي وسيلة عملية للاستقامة ، حين تصدق النفس ، وتتغير الأعمال، ويتحول النفس ، وتتغير الأعمال، ويتحول الإنسان من الهوى والمعصية إلى الإيمان الصادق والاستقامة والطاعة، فتقتح له أبواب السماء، ويغرح به الحق تعالى ، إن الله يحب التوابين ، والثائب حبيب الرحمان ، حيث ثاب إلى الله ، وهو أعظم مأمول ، فأنهم به من تاثب ، وأنعم بالله من رب كريم .

٧١ - وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَإِنَّهُ, يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَمَالًا.

أى: من رجع عن عمل الذنوب ، واستقام على عمل الأعمال الصالحة ، فقد حظى بالقبول والتربة ، والرجوع إلى الله رجوعًا صحيحًا مقبولاً ، ويا له من عمل عظيم ، حتى رأينا الخبر هو نفس المبتدأ ، تفخيمًا للموضوع وتعظيمًا ، أى: من تاب وعمل صالحًا ، فقد تاب إلى إله كريم ، تربة نصوحًا حرية بالقبول ، وفي هذا النفخيم ورد الحديث الشريف : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما جاجر إليه» "".

روى مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب أدني أهل الجنة منزلة فيها . ١ / ١٧٧ .

عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «إنى لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار، وآخر أهل الجنة دهولاً إلى الجنة ، يؤتى برجل فيقول: نخوا عنه كبار دنويه وسلوه عن صغارها ، قال: فيقال له : عملت يوم كذا ، كذا وكذا ، وعملت يوم كذا ، كذا وكذا ، فيقول : نعم . لا يستطيع أن ينكر من ذلك شبئًا ، فيقال: فإن لك بكل سيئة حسنة ، فيقول : يارب ، عملت أشياء لا أراها هناء قال : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت فراحة (").

٧٧ - وَٱللَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّهْ ِ مَرُّواْ كِرَامًا .

من صفات عباد الرحمان أنهم لا يشهدون شهادة الزور والكذب ، ففيها تضليل العدالة ، وتضييع الحقوق .

وفى الصحيحين عن أبى بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبتكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثا، قلنا: بلى يا رسول الله . قال: «الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكنا فجلس ، فقال: «ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور». فما زال يكررها حتى قلنا: لهنه سكت"".

وقيل: معنى: لاَ يَشْهُلُونُ ٱلْأُورُ ... لا يحضرون مجالس الخمر ، أو اللغو والغناء ، أو مجالس السوء والخنا .

وأرى أنه يمكن الجمع بين الرأيين ، بأن من صفات عباد الرحمان : عدم شهادة الزور ، وعدم الجلوس في أماكن الربية ، أو شرب الفمر ، أو ارتكاب المحمية .

وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللُّغُو مَرُّواْ كِرَامًا .

إذا مرَّرا عرضا على مجالس اللغو واللهو ، أعرضوا عنها حفاظا على أنفسهم وأسماعهم وأبصارهم ، وانصرفوا كراما على أنفسهم وعلى ربهم . وقديب من هذه الآية قوله تعالى: وَإِذَا شِيغُوا اللَّغُو أَغَرْضُوا عَنْهُ وَقَالُواْ أَنَّا أَغَمَّلُكُمْ أَغَمَّلُكُمْ سَلَكُمْ مَسَلَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ تَبْتِي أَنْفُوا اللَّهُوَ أَغَرْضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ أَنَّا أَغَمَّلُكُمْ أَغَمَّلُكُمْ سَلَكُمْ عَلَيْكُمْ لاَ تَبْتِي أَنْفُوا اللَّهُونَ أَغْرُضُواْ اللَّهُونُ أَغْرُضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ أَنَّا أَغْمَلُكُمْ مَسَلَمٌ عَلَيْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ لاَ يَعْلَى إِنْ اللَّهِ عَلَيْهُمْ لاَ يَعْلَى اللَّهُ عَلَيْهُمْ لاَ يَعْلَى اللَّهُ اللّ

إن المؤمن له من أمر دينه وريّه ، ما يشغله ويصرفه عن حضور مجالس اللغو واللهو، التي تذبح فيها الفضية : والمؤمن يصون لسانه وسمعه وفؤاده من التلوث بالباطل واللّغو ، قال تعالى : إذّ الشَّمْرُ وَٱلْهُوَاءُ كُلُّ أَوْلَئِكُ كَانَ عُنْهُ مُشُولًا * (الإسراء ٣٠) .

٧٧ - وَٱللَّهِينَ إِذَا ذُكُّرُواْ بِعَايَلتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْهَانًا .

إذا ذكرهم مذكر بكتاب الله وآياته ، استجابوا وتفتحت قلويهم لسماع الحق ، وعيونهم للنظر والتأمل. والهدى

وفي الآية تعريض بالمشركين والضالين ، لأنهم أصروا على الباطل ، وقاوموا الحق والقرآن ، فإذا سمعوا الحق أعرضوا عنه ، وإذا ذكرهم مذكر بأيات الله صموا أذانهم ، وأغلقوا عيونهم ، وأوقفوا تفكيرهم ، وقاوموا كل سبيل للهداية والاستجابة للحق ، وقريب من ذلك قول نوح عليه السلام : وَإِنِّي كُلُمّا دَعُولُهُمْ لِتَشْقِرُ لُهُمْ جَعَلُوزًا أَصَلِيمُهُمْ فِي عَاذَاتِهِمْ وَأَسْتَقَطُواْ لِيَابُهُمْ وَأَصْرُواْ وَآسَتَكُرُواْ أَسْتِكُمْواْ رَا سَجِكُمُواْ . (دي : ٧)

قال ابن عباس : إذا وعظوا بالقرآن لم يكونوا صمًا وعميانًا ، بل كانوا خائفين خاشعين . ا هـ .

أى: أهل للتذكر والتدبر والتفهم ، فالله أنار بصيرتهم و,شرح صدورهم للحق والإسلام ، وهم يعيدون عن التعالى والإعراض ، بل هم يفتحون عقولهم وقلويهم وسمعهم ويصرهم لآيات الله

\$ ٧ - وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا هَبُّ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّينَظِنَا قُرَّةَ أَعْيُنِ وَٱجْتَعْلَنَا لِلْمُعْقِينَ إِمَامًا .

أى: هم مع إيمانهم ومسلاحهم وحسن أخلاقهم ، يرغبون فى نقل الهداية إلى الآخرين ، وإلى أقرب الناس إليهم من الأزواج والذرية ، فهم يدعون الله ، أن يكون أبناؤهم ويناتهم وأحفادهم ، على طاعة لله ومرضاته ، حتى يفرحوا بهم ، وتقرّ عيونهم باستقامتهم ، وحسن عبادتهم .

قال عبدالرحمن بن أسلم: يعنى: يسألين الله تمالى ، لأزواجهم ونرياتهم ، أن يهديهم للإسلام ، فقد كانوا بشاهدون المنافقين والكافرين والمشركين ، يفرُون من الإسلام والإيمان ، حيث كانوا في جاهلية جهلام ، لا يرون دينًا أفضل من عبادة الأوثان ، ثم أرسل الله رسوله وأنزل عليه وحيه وهدايته ، فأخلص المسلمون في دعائهم لريهم أن يتم سعادتهم ، بإسلام أقاريهم واستقامتهم .

و آجَعَلْنَا لِلمُتَّقِينَ إِمَامًا .

أى: اجعلنا قدوة يقتدى بهم في الخير، وإجعلنا قدوة حسنة لأزواجنا وأبنائنا وأحفادنا، وذلك أسعد

جاء في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا مات ابن أدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح بدعو له (^{rm}).

عن محمد بن كعب: ليس شيء أقرّ لعين المؤمن ، من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله .

وعن ابن عباس : هو الوك إذا رآه يكتب الفقه . وقيل : سألوا أن يلحق الله عز وجل يهم أولادهم ، وأزواجهم فى الجنة ، ليتم لهم سرورهم ⁽⁷⁷⁾ .

٥٧ - أَوْلَلْتِكَ يُجُزُونَ ٱلْفُرْفَةَ بِمَا ضَبَرُواْ وَيُلَقُّونَ فِيهَا تَحِيَّةُ وَسَلَمًا.

للنفس ، وأدوم للأجر ، حيث يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفم .

هؤلاء المتصفون بهذه الصفات ، يستحقون جزاءهم في الجنة ، أو في الغرفات في أعلى الجنة ، جزاء صبرهم على الطاعات ، وعن الشهوات ، أو على أذى الكفار ، وهذة الفقر وغير ذلك ، وهؤلاء يلقون في الجنة التحية والتكريم والسلام والأمان ، قال تعالى ؛ تُنكِن ٱلنِّينُ ٱلقَوْا رَبُّهُمْ لَهُمْ غُرْفٌ مِّن فُولِهَهَا غُرِفٌ مَّنِيِّةً مَعْرِى مِن كَحْمَا أَوْلُ فَيْدُ ٱللَّهُ لَهُ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمِعَادُ . (الزحر - ٧٠).

وقال سبحانه: وَهُمْ فِي ٱلْفُرُفَلْتِ ءَامِنُونَ . (سبا: ٢٧) .

وقال سبحانه: وَٱلْمَالَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلّ بَابٍ و سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبْرُكُمْ فِيعَمَ عُشَى ٱلذَّادِ . (الرعد: ٣٤ - ٢٤).

٧٦ - خَلِلدِينَ فِيهَا حَسُنَتُ مُسْتَقُوا وَمُقَامًا .

هم خالدون في الجنة خلودًا أبديًا سرمديًا ، لا يزولون ولا يتحولون عنها ، فما أحسن الجنة ، وما أطيب هواءها ، وأعذب ماءها ، وأنعم أهلها ، وأجبل القرار بها ، وأطيب المقام فيها .

ونلحظ هذا المقارنة بين الذار والجنة ، ففى الحديث عن الذار ، يقول المتقون : رُبَّنَا آصُرِفْ عُنَّا عَلَمُ بَ جَهَنَّمْ إِنَّ عَلَمْ إِنَّ كَلَمْ عَرِائُهُا سَمَاءَتُ مُسْتَعَرًّا وَمُقَامًا .

وفي الحديث عن الجنة ، يقول القرآن :

خَلِلدِينَ فِيهَا حَسُنَتُ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا .

فالنار أسوأ مقام وقرار، والجنة أحسن مقام وقرار،

٧٧ - قُلُ مَا يَعْبُوا بكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَا زُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًّا.

تشير الآية إلى هوإن البشرية كلها على الله ، لولا طاعتها وعبادتها ، فهناك أكوان وعوالم من السماء والأرض ، والبحار والأفلاك ، والأبراج والشموس والأقصار ، وصدق الله العظيم : لَخَلُقُ ٱلسَّمَاوُ تَ وَٱلْأَرْضُ أَكُرُ مِنْ خُلُقِ آثْنَاسِ ... (غافر . 70) . فالبشرية كلها صفحة في كتاب الكون البديم ، والله غنى عنها وعن عبادتها ، فإذا عرف المؤمنون ربهم وعبدوه ، فقد أدركوا طريقهم ، وأرضوا ربهم ، وساروا في المسار المسحيح للمخلوقات : 60) . وإذا كذب الكافرون وأعرضوا ، فما أجدوهم باستحقاق العذاب .

وفى مثل هذه المعانى يقول القرآن الكريم : يَنْآيُهَا آلثَاسُ أَشُمُ ٱلْفُقُوآءُ إِلَى آلَاهِ وَاللَّهُ هُوَ ٱلْفَيُّ ٱلْحَبِيدُ . (فاطر: ١٥). ويقول سبحانه : وَإِنْ تَعَوِّلُواْ يُسْتَهِيلُ قُوْمًا خَيْرَكُمْ ثُمُ لِكَ يَكُونُواْ أَنْطَلُكُم . (محمد: ٢٨) .

* * *

خاتمة السورة

سورة الفرقان في جانب منها إيناس للرسول ﷺ ، وفي جانب آخر مناقشة للمشركين ، واستعراض حججهم ومناقشتها ، وفي ختام السورة ، بيان لعظمة الخالق ، وإبداع الخلق ، وأن الإنسان حين يتكبر ويتجبر ، أو يكفر ويكذّب ، أو يتطاول على خالقه : فقد لبس حلة أكبر من قدره ، وتعاظم فوق مقدرته ، فناسب ذلك أن يكون ختام السورة حاملاً لهذه المعانى : لا يبالي بكم ربى ولا يكترث بكم إذا لم تعبدوه ، فإنه إنما خلق الخلق لعبادته وتوحيده ، فقد كُنْبَعُمُ . أيها الكافرون بكتابي ورسولي ، فسوف يكون تكذيبكم مقتضيًا لعنابكم في الدنيا والأخرة ، مستلزمًا هزيمتكم يوم بدر ، وعذابكم في جهنم يرم القيامة .

* * *

تم تفسير سورة الشرقان ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لتهتدى لولا أن هدانا الله وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين



أهداف سورة الشعراء

سورة الشعراء مكية ، وآياتها ٣٢٧ ، نزلت بعد سورة الواقعة ، وسميت بهذا الاسم لذكر الشعراء فيها ، في قوله تعالى : وَٱلشَّعْرَآءُ يُبِعُهُمُ ٱلْفَارُونُ . (الشعراء ٤٣٤) .

موضوع السورة

موضوع سورة الشعراء هر موضوع السور المكية جميعا ، وهو تثبيت العقيدة وتلغيص عناصيها الأساسية ، ويتمثل ذلك في دعوة السورة إلى توحيد الله : فَلَا نَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَيْهَا ءَاحْرَ فَتَكُونَ . مِنْ ٱلْمُعَذِّبِينَ . (الشعراء : ٢٩٧) .

وبينان قدرة الله الفائقة ، ونحمه السابغة على لسان إبراهيم الخليل خين يقول : آثلبي عَلَيْني فَهُوَ يَهُدِينِ وَالَّذِي هُرُ يُعْلِمِنْنِي وَيَسْقِبنِ ه وَإِذَا مُرِطْتَ فَهُوَ يَشْقِينِ و وَالَّذِي يُمِينِّنِي ثُمُّ يُعْضِينِ و وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يُغْفِرُ فِي عَطِيتَنِي يَوْمُ النَّذِينِ . (الشعراء ٨٠ – ٨٨).

ثم تستطرد السورة إلى وعيد المكذبين بعذاب الدنيا أن بعذاب الآخرة . حيث تقول : فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَّالِيهِمْ أَنْبَسَوُّا مَا كَالُواْ بِهِ يَسْتَهَارِ وَكَنْ . (الشعراء: ٣) .

وتقول:

وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَى مُنقَلَبٍ يَنقَلِلُونَ . (الشعراء : ٢٢٧).

نلك إلى تسلية الرسول ﷺ وتعزيته عن تكنيب المشركين له وللقرآن : لَعَلَّكُ بُمْخِعَ نَفْسَكُ أَوَّ يُكُونُواْ مُؤْسِينَ (الشعراء: ٣).

وإلى طمأنة تلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما يلقون من عنت المشركين ، وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذرا في سبيلها من الطالمين ، كما ثبت من قبلهم من المؤمنين .

القصص في سورة الشعراء

القصم غالب على سورة الشعراء ، يشغل معظم السورة ، فمجموع آياتها ٢٢٧ آية ، منها ١٨٠ آية تحتوى على قصص هادف يمس شغاف القلوب ، ويبين رعاية الله للأنبياء والمرسلين ، ومن هذا القصص:

نصة مؤسب

ذَكَرُتُ قَصَةً موسى وقرعونَ في الآيات: (١٠٠ – ١٨٠) . .

وفيها سبعة مشاهد : أولها : مشهد النداء والبعثة والوحى والمتاجاة بين موسى وريه . وثانيها : م مشهد مواجهة موسى لفرعون وملثه : وتأييد مؤسى بآيتى العصا واليد البيضاء . وثالثها : مشهد التآمر وجمع السحرة وحشد الناس للمباراة الكبرى : ورايعها : مشهد إيمان السحرة وتهديد فرعون ووعيده . وخامسها : مشهد إيحاء الله لموسى أن يسرى بعباده ليلا . وسادسها : مشهد إرسال تحرعون في المدائن حاشرين يجمعون الجنود لملاحقة بني إسرائيل : وسابعها : مبثهد المواجهة أمام البحر ، ونهاية القصة .

قصة إبراهيم د.

تستغرق قصة إبراهيم الآيات : (٦٩ – ١٠٤) ، والطقة التي تعرض هنا من قصة إبراهيم – عليه السلام – هي حلقة الرسالة إلى قرمه ، وحواره معهم حول العقيدة ، وإنكار الآلهة المدعاة ، والانجاه بالعبادة إلى الله ، ويبان صفات الله وفضله وعظيم نعمائه ، فهو الذي يخلق ويطعم ويسقى ، ويشقى ويحيى ويميت ، ويغفر الذنب ، ويحاسب الناس ، ويكافئ المؤمنين ، ويعاقب الفاوين .

وفي أعقاب قصة إبراهيم مشهد كامل من مشاهد القيامة ، يتنكر فيه العباد للألهة ، ويندمون على الشرك الذي انتهى يهم إلى ما هم فيه ، كأنهم قد صاروا فعلا في موقف الحساب والجزاء ، وهنا عبرة القصة للمشركين .

ومن ثم يترسم فى الحديث عن مقومات عقيدة التوحيد ، وفساد عقيدة الشرك ، ومصير المشركين فى يوم الدين ، لأن التركيز متجه إليه ، وتختصر السورة ما عدا ذلك مما يفصل فى سور أخرى .

قصةنوح،

تستغرق قمنة نرح – عليه السلام – الآيات : (٩٠٥ – ١٩٢٧) ونلحظ أن القصص فى سورة الشعراء لا يتبع التسلسل التاريخى فقد عرضت قصنة موسى ، ثم قصة إبراهيم ، ثم قصة نوح ، ولو أراد أن يتبع التسلسل التاريخى لعرض قصة نوح أولاً ، ثم قصة إبراهيم ثانيًا ، ثم قصة موسى ثالثًا .

لكنه في هذه السورة كان يذكر الأحدث ، ثم يرجع القهقري من قصة إبراهيم إلى قصة نوح ، لأن الخط التاريخي ليس هو المقصود هذا ، بل المقصود هو العبرة من نهاية الشرك والتكذيب .

وقصة نوح ومن قبلها قصة موسى وقصة إبراهيم قد عرضت في سور شتى سابقة .

لكن الجانب الذي يعرضه من القصة يأتي مناسبا لسياق السورة ، وللعظة والعبرة المقصودة منها.

وتعرض قصة نرح فى الغالب فى سلسلة مع قصص عاد وثمود وقوم لوط وأهل مدين – كما تشاهد فى هذه السررة – وأظهر ما فى الحلقة المعروضة فى سورة الشعراء منا هو دعوة نوح قومه إلى تقوى الله، وإعلانه أنه لا يطلب منهم أجرا على اللهدى ، وإباؤه أن يطرد المؤمنين الفقراء الذين يستنكف منهم الكبراء – وهذا ما كان يواجهه رسول الله ﷺ فى مكة سواء بسواء – ثم دعارُه لربه أن يفتح بينه وبين قومه واستجابة الله له بإغراق المكذبين وإنجاء المؤمنين .

قصة هود :

تستغرق قصة نبى الله هود الآيات : (١٢٣ - ١٤٠).

وقبيلة عاد – وهم قوم هود – كانوا يسكنون الأحقاف ، وهي جبال رملية قرب حضرموت من ناحية البعد . اليمن ، وقد جاءوا بعد قوم نوح ، وكانوا ممن زاغت قلويهم بعد فترة الطوفان الذي طهر وجه الأرضي من العصاة . العصاة .

واتخذت عاد المساكن المرتفعة والمصانح المشيدة ، ويلفت شأوا بعيدا من الحضارة الصناعية ، وزادتها القرة بطرا وقسوة : فكفرت بنعم الله ، وتطاولت وتجبرت ونسيت الخالق الرزاق ، وكذبوا نبى الله هود فأهلكهم الله ودمر مصانعهم ودورهم ، وصب عليهم العذاب من فوقهم ومن تحتهم ، وتركهم عبرة لكل طاغية : إذَّ في ذَلِكَ ثَيِّةً وَمَا كَانَ أَكُورُهُم مُؤْمِينَ . (الشعراء : ١٧٩).

. قصة شمود _ا

تستغرق قصة ثمود الآيات : (١٤١ – ١٥٩) .

وقد دعاهم نبى الله صالح إلى عبادة الله ، وذكرهم بما هم فيه من نعمة ، وكانوا يسكنون بالحجر بين الشام والمجاز ، وقد مر النبى ﷺ بدورهم المدمرة مع صحابته فى غزوة تبوك ؛ فاستحث راحلته وحنى ظهره وجلًا وخشوعا لله وقال للمسلمين : «لا تمروا على قرى القوم الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم مشققون ، خشية أن يصيبكم ما أصابهمه .

لقد كانت ثمود في نعمة فكغروا بنعمة الله عليهم ، وذكرهم صالح بقدرة الله ، فطلبوا منه معجزة: فأعطاه الله الناقة ، على شرط أن يكن الماء الذي يستقون منه يومًا للناقة ويومًا لهم ، وحذرهم صالح أن ينالها الناقة بسوء على الإطلاق ، وإلا أخذهم عذاب يوم عظيم . ولكنهم استمروا في عنادهم وظلمهم ، فنحروا الناقة ، وكذبوا صالحا ، وأحسوا بالندم بعد فوات الأوان ، فأخذهم عذاب الله العادل : إِنَّ فِي ذَ ٰ لِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّوْمِينَ ﴿ وَإِنَّ رَبِّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيرُ ٱلرَّحِيمُ . (الشعراء: ١٥٥ ، ١٥٥) .

قصة لوط ،

تستغرق قصة لوط الآيات : (١٦٠ - ١٧٥).

وقد كان قوم لرط يسكنون عدة قرى فى ولدى الأردن ، واشتهر بينهم الشذوذ الجنسى بإنبان الذكور وترك النساء ، وهو انحراف شنيع فى الفطرة ، فقد برأ الله الذكر والأنتى وفطر كلا منهما على الميل إلى صاحبه لتحقيق حكمته ومشيئته فى امتداد الحياة عن طريق النسل الذى يتم باجتماع الذكر والأنثى ، فكان هذا الميل طرفا من الناموس الكونى العام .

ولكن قوم لوط خرجوا على القطرة ، واستباحوا الفاحشة ، وهدورا لوما بالطرد والنفى : فخسف الله قراهم وغطاها الماء ، ومنها قرية سدوم ، ويُطنُ أنها ثارية تحت البحر الميت في الأردن .

أصحاب الأبكة ،

تستغرق قصة أصحاب الأيكة الآيات : (١٧٦ – ١٩١) .

والأيكة: الشجر الكثيف الملتف ، وهم أهل مدين ، ونبيهم شعيب عليه السلام ، وكان شأنهم تطفيف الكيل والميزان ، وقد أمرهم رسولهم بالعدل والقسط وحسن المعاملة ، فكذبوا نبيهم : فأخذهم عذاب يوم عظيم في يوم حار خانق يكتم الأنفاس ويثقل الصدور ، ثم تراءت لهم سحاية فاستظلوا بها ، فوجدوا لها بردًا ثم إذا هي الصاعقة المجلجلة المدوية ، تفزعهم وتدموهم تدميرًا وكان ذلك يوم الظلة ، فالظلة كانت سمة اليوم المعلوم .

فَكَدُّبُوهُ فَأَخَلَهُمْ عَلَابُ يَوْمَ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَلَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ . (الشعراء ١٨٩) .

فى أعقاب القصص

الآيات الأخيرة من سورة الشعراء تعقيب على قصص المرسلين فيها ، وتأكيد على بعض أهداف الرسالة السماوية ، فقد ذكر الله في هذا القصص : قصة الرسل والرسالات ، وقصة التكذيب والإعراض ، وقصة التحدى والعقاب ، وتمثلت هذه المعاني في قصة موسى مع فرعون ، وقصة إبراهيم مع أبيه وقومه، وقصة شعيب مع وقصة شعيب مع أممحاب الأيكة ، فلما انتهى القصص عاد السياق إلى موضوع السورة ، وهو العقيدة والإيمان بالله ورسله والبوم الآغر ، وقد جاء التعقيب الأخير في السورة يتحدث عن القرآن فيؤكد أنه تنزيل من رب العالمين .

ويشير إلى أن علماء بنى إسرائيل يعرفون خبر هذا الرسول وما معه من القرآن : لأنه مذكور في كتب الأولين ، إنما المشركون يعاندون الدلائل الظاهرة ، ويزعمون أنه سحر أو شعر ، ولو أن أعجميا لا يتكلم العربية نزل عليه هذا القرآن فتلاه عليهم بلفتهم ما كانوا به مؤمنين ، لأن العناد هو الذي يقعد بهم عن الإيمان ، لا ضعف الدليل ، وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن على محمد الله كما تتنزل بالأخبار على الكهان، وما هو كذلك بشعر ، فإن له منهجا ثابتا ، والشعراء يهيمون في كل واد وفق الانفعالات والأهواء . إنما هو القرآن المنزل من عند الله تذكيرًا للمشركين قبل أن يأخذهم الله بالعناب ، وقبل أن تأتيهم أنهاء ما كانوا به يستهرئون : وَسَهَلُمُ اللَّهِ مُثْلَبًا أَنَّ مُشْقَلَتٍ عَلَى (الشعراء : ٢٧٢) .

وقد استغرق هذا التعقيب الأخير على القصيص الآيات من ١٩٢ إلى ٢٢٧ ، وختم هذا التعقيب بهذا التهديد المخيف الذي يلخص موضوع السورة.

تلك السورة التي اشتمات على تصوير عنان المشركين ومكابرتهم ، واستهتارهم بالوعيد ، واستعجالهم بالعذاب ، كما اشتملت على مضارع المكذبين على مدار الرسالات والقرون .

﴿ طَسَدَ ۞ نِلْكَ مَا يَنتُ الْكِنْبِ النَّهِينِ ۞ لَعَلَكَ بَدْخُ تَفْسَكَ الَّا يَكُونُوا مُوْمِدِينَ ۞ إِن تَشَا نُنزَلْ عَلَيْهِم مِنَ السَّمَاءَ عَايَهُ فَظَلَتَ اعْدَنْهُ هُمْ لَمَا خَضِيهِنَ ۞ وَعَا يَأْلِيهِم مِن دَكْرِ عِنَ الْرَحْمَنِ عُمُدَثْ إِلَاكَا ثُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۞ فَقَذَكَذَبُوا فَسَيَا أَتِهِمْ أَنْبَكُواْ مَا كَانُواْ بِعِديسَتْهُ وَوَنَ ۞ اَوْلِمَ رَوْا إِلَى الْأَرْضِ كُمَ أَنْبَلْنَا فِهَا مِن كُلِ فَتْ كَرِيمٍ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَقُو وَمَا كَانَ الْكُرُهُمُ مُوْمِئِينَ ۞ وَإِنَّ رَوْا إِلَى الْأَرْضِ كُمَ أَنْبَلْنَا فِهَا مِن كُلِ فَتْ كَرِيمٍ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَقُومُ مَا كَانَ الْكُرُهُمُ مُؤْمِئِينَ ۞ وَإِنَّ رَوْا إِلَى اللَّهُ وَالْمَارِينَ الْرَحْمِ ۞ فَقَدْ لَكُنْ مُنْ عَلَيْهِ وَالْعَلَاكُونَا وَالْمَا

المفردات :

أست مناك، لعل هذا للاستفهام الذي يراد به الإنكار ، وقال العسكري: إنها للنهي .

ها عنه الله عنه المناع المناع المناع عنه المناع الله عنه الله المناع (بكسر الباء) وهو عرق مستبطن فقار الرقبة ، وذلك يكرن من المبالغة في الذبح .

ذكر: موعظة .

أنصب اء؛ المراد بالأنباء: ما سجل بهم من العذاب.

زوج اصنف،

كـــريـــم، الكريم من كل شيء: المرضى المحمود منه.

التطسير :

۱ - طسم.

هذه الأحرف المقطعة في فواتح السور، للعلماء فيها رأيان:

الأول: آنها مما استأثر الله تعالى بعلمه ، ولا يعرف معداها أحد سواه .

الثاني : أن لها معنى ، وتعددت الآراء في تحديد هذا المعنى ، فعنهم من قال : هي أسماء للسورة ، وقيل: من إشارة إلى أسداء الله أو صفاته ، وقيل : هي حروف للتحدّي والإعجاز ، وبيان أن القرآن مكون من حروف عربية تنطقون بها ، وقد عجزتم عن الإتيان بمثله ، فدلَ ذلك على أنه ليس من صنع بشر ، وإنما تنزيل من حكيم حميد .

٢ - بِلْكَ ءَايَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُين .

أي: المذكور في هذه السورة ، أو في القرآن كلُّه ، آيات القرآن الواضحة البيِّنة ، المبينة للناس الحلال والحرام ، والحدود والأحكام ، ومنامج للتربية والاستقامة ، وأسباب سعادة الدارين .

قال تعالى : وَكَذَا لِكَ أَوْحَيَّا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمَّرِنَا ... (الشورى: ٥٢).

٣ - لَعَلُّكَ يَمْحِعُ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ .

كان الرسول ﷺ يتألم لانصراف قومه عن هداية الإسلام ، وهو يعلم مصير المكذبين من الهلاك ، وفو يعلم مصير المكذبين من الهلاك ، وفزيل العذاب بهم ، وكان القرآن يسرى عنه ، ويحدد له دوره في الرسالة ، وهو البلاغ والإنذار ، وهنا يقول له : لعلك قاتل نفسك أو مهلكها ، حزنا على عدم إيمانهم ، فلا تحزن عليهم ، كما قال تعالى : فَلا تُلْهُبُ فُسُوات ... (ناطر: ٨) .

وكما قال سبحانه : فَلَعَلُّكَ يَنْجِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى عَالْسِهِمْ إِن لُّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا . (الكهف: ٦) .

وقال سبحانه . فَلَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُلَكِّرٌ و لُسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيَّطِرٍ . (الغاشية : ٢٢ ، ٢٢) .

إِن نُشَأُ نَثَرٌ لُ عَلَيْهِم مِّن ٱلسُّمَآءِ ءَايَةُ فَظَلَّتْ أَغْتَنَقُهُمْ لَهَا خَلضِعِينَ .

لو نشاء لأنزلنا عليهم معجزة أو آية ، تضطرهم إلى الإيمان القهرى ، لكنا لا نفعل ذلك ؛ لأننا لا نريد من الناس إلا الإيمان الاختيارى ، الذى يحتكم إلى العقل والإرادة والاختيار ، وتلك حكمة الله وإرادته ، فقد خلق الكون ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، ودعا الناس إلى الإيمان ، وسرح للناس مظاهر القدرة الإلهية ، وبين المناس أسباب الهداية ، وفضائل الإيمان وآدابه ، وثواب السير على الصراط المستقيم ، وبينن أسباب المعدادة الدنيوية والأخروية ، وترك للإنسان المتيار الطريق الذى يريده ، عن حرية وطواعية ، قال تعالى : المعدادة الدنيوية والأخروية ، وترك للإنسان المتيار الطريق الذى يريده ، عن حرية وطواعية ، قال تعالى :

وقال سبحانه : وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ٱفَانَتَ تُكُوِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِينَ . (يونس: ٩٩) . وقال سبحانه : وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٌ وَاحِلَةً ... (مود. ١١٨) .

لقد علم الله أزلا أن هذه هي الرسالة الخاتمة ، وأن هذا القرآن هو آخر الكتب السماوية ، فاشتدل على الوان الطوم الوان من الإعجاز : الإعجاز في أسلويه ويبيانه ، والفاظه ونظامه ، الإعجاز فيما اشتمل عليه من ألوان الطوم والفنون ، التي لم يكن يعلمها أحد وقت نزول القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي ، الإعجاز في إخباره عن أمور مستقبلية ، مثل هزيمة الفرس أمام الروم ، ومثل تطور العلوم تطورًا عظيماً ، ومع تقدم الطوم فإنها لم تصحدادم بأي حقيقة علمية جاء بها القرآن ، بل إن تقدم الطوم أكد صدق القرآن وإعجازه ، فقد تحدث المرآن عن بده الطيقة ، وعن خلق السماء والأرض والبحار والأنهار ، وعن حركة الأرض والشمس والقمر، وعن تطور العلق البخدين في بعلن أمه ، وعن فقد الجسم للإحساس عند احتراق الجلد ، وعن خلق الله من كل وعن تطور خلق الجنين في بعلن أمه ، وعن فقد الجسم للإحساس عند احتراق الجلد ، وعن خلق الله من كل زوجين الفنين ذكر وأنثى ، ليتم التوالد وإعمار الحياة ، بتناسل الإنسان والحيوان والنبات ، وتحدث القرآن زوجين الفنين دو كل مذه الأمور وغيرها أيدها عن نهاية الحياة وقيام القيامة ، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات ، وكل مذه الأمور وغيرها أيدها تقدم العلوم في حد ذاته توثيقًا لمدق القرآن وإعجازه ، قال تعالى : سُنْريهِم وَلِيتنا في الآفافو وَلِيّ أَلْمُونُ من ... (مصلت : ١٧) .

٥ - وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَانِ مُحْدَثْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ .

القرآن كتاب الله ، وهو كتاب البشرية الأخير ، يحمل أسباب الهداية والإيمان والتقدم ، ويعطى لكل إنسان ما يريده ، إذا فتح قلبه وعقله لتلاوته ، لكن هوّلاء المشركين أعرضوا عن القرآن ، وتكرر إعراضهم كلما تلى عليهم ، مع أن فيه سبب سعادتهم .

وفى هذا المعنى قال تعالى: يَلْحَسُرةُ عَلَى ٱلْجَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رُسُولِم إِلَّا كَانُواْ بِويَسْتَهْزِءُونَ . (يس: ٣٠).

وقال تعالى: قُمَّ أُوسَلْنَا رُسُلْنَا ثَوْا كُلُّ مَا جَاءَ أَمَّةُ رُسُولَهَا كَلَّبُوهُ فَأَبَّمُنَا يَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَهُمْ أَخَادِيثَ لَلِمْدًا لَقُوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ . (المؤمنون: ٤٤) .

٣ - فَقَدْ كَلَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَنَّوًّا مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِ ءُونَ .

لقد كذب كفار مكة الرسالة والرسول والكتاب المبين ، مع نزوله صباح مساء ، واشتصاله على أسباب الهداية ، لكنهم كذبوا به فاستحقوا العذاب الذي سينزل بهم، ونلمح تدرج مراحل الكفر، فقد بدءوا بالإعراض ، ثم التكذيب ، ثم الاستهزاء ، والإعراض إنكار في صمت ، والتكذيب تصريح بالإنكار ، والاستهزاء تجريح للدعوة ، وتهكم بالرسالة والرسول ، فأجاب القرآن بأنه : فَسَيَّاتِهِمْ أَلْبَاثِكُمْ الْمُ الْأَوْ إِلِمْ يُسْتَهُوْ وَكَنْ . أي . سيأتيهم لا مصالة مصداق ما كانوا به يستهرتهن ، ويصيرون هم أحاديث للناس يتحدثون بها ويتناقلون أنبامها ، وفي التعبير عن وقوع العذاب بهم بإتيان أنبائه وأخباره تهويل من شأن هذا العذاب ، وتحقيق لنزوله .

قال النيسابورى : فَسَيَأْتِيهِمُ أَنْبَتُواْ مَا كِالُواْ بِهِ يُسْتَهْزُ وُلاَ . وعيد لهم بعداب بدر ، أو يوم القيامة . وقال ادر كثير :

فقد كذيرا يما جاءهم من الحق ، فسيعلمون نبأ هذا التكثيب بعد حين .

وجاء في المنتخب في تفسير القرآن الكريم :

فقد كتب هؤلاء بالحق الذي جئتهم به ، وسخروا منه ، فاصبر عليهم ، فسيرون عاقبة استهزائهم القاصمة ، له ..

٧ - أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنْسَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ.

لقد طلبرا معجزات وآيات مادية ، كي يستدلوا بها على صدق محمد ﷺ ، فلفت القرآن أنظارهم إلى خلق الله في هذا الكون ، كيف أرسل الرياح وأنزل المعلر ، فسقي به الأرض ، فأنبتت صنوفًا من النباتات ، والواتًا من الزبرع ، منها نبات يفترق فيه الذكر عن الأنثى ، ومنها نبات يتجاور فيه ويجتمع فيه أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث ، في عود واحد . أَوْلَمْ يَرْزُ أ .. ؟ والأمر لا يحتاج لأكثر من الرؤية والنظر ، إلى هذه الأرض ، كيف يحييها الله بعد موتها ، بإنبات صنوف النبات وأنواعه ، وكيف جعل هذا النبات أزواجًا ، تذكّا وأنثى ، لضمان استمرار الهضرة وتتابع الأرزاق .

قال تعالى : وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنٍ ... (الناريان : ٤٩).

وقال عز شأته : سُبْحَلنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا . . . (يس : ٣٦) .

والقرآن هنا كعادته يأخذ طريقه إلى القلوب والأفقدة ، كى تقامل وتفكر فى خلق الله ، وبهذا يوقظ الحساب الحساب المناهد ، ويبهذا يوقظ الحس الشاهد ، وينبّه الفكر الفافل ، ويبصر القلوب العمياء ، كما قال : وَكَأَيْنَ مَنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَلُوّ التِ وَٱلْأَوْضِ يَعُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ، (يوسف : ١٠٥) . يُمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ، (يوسف : ١٠٥) .

ونلاحظ أن: كُمْ، تدل على الكثرة ، أي : كثيرًا ما أنبتنا في الأرض من الزروع والثمار ، وكُلُّ زُوْجٍ ، إشارة إلى خلق كل نوع من أنواع النبات ، وفيه تنبيه على كمال القدرة ، ونهاية الجود والرحمة . وفى معنى هذه الآية وردت آبات كتيرة ، تدل على قضل الله على عباده فى خلق الكون ، وتسخير السماء والأرض ، وإنبات النبات ، قال تعالى : أَقَلْمَ يَنظُرُواْ إِلَى آلسَّمَاءَ فَرْفَهُمْ كَعْنَ بَيْتَهَا وَزُيِّتَهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ • وَالْأَرْضَ مَدَذَتُهَا وَأَلْفَيَا فِيهَا رَوْ اَسِي وَالْبَتَا فِيهَا مِن كُلِّ زُوجٍ يَهِجٍ ، تَعْمِرةَ وَدِكُونَ لِكُلُّ عَبْهِ مَنْسِبٍ ، وَتَوْلَنَا مِنَ آلسَّمَاءً مَا مُنْسِرَكَ قَائَبَتَا بِهِ جَنْدِ وَحَبُ ٱلْحَصِيدِ ، وَالشَّحْلَ بَامِقْتَ لَهَا طَلْمُ تَعْمِيدً ، وَزَقَا لَلْجَادِ وَاَحْتِنَا بِهِ بَلْدَةً مُتِنَا كَذَلِكَ الْعُورُ عُ مُن يَن ١٤ - ١١).

فالكون حافل بأدلة التوحيد والقدرة والعناية الإلهية ، قال الشاعر :

تأمل في نباك الأرض وانظر إلى آثار ما صنع الممليك

عيون من لجين شاخصات بأبصارهي الدهب السبيك

على قضب الزيرجد شاهدات بأن البله ليس لـ شريك

ووصف النبات بأنه كريم ، أي : نافع مفيد .

قال المفسرون : الكريم نعت لكل ما يُرضى ويحمد فى بابه ، ومنه : وجه كريم ، إذا وضى فى حسته وجماله ، وكتاب كريم ، مرض فى مبانيه ومعانيه ، ونبات كريم ، مرض فيما يتعلق به من المنافع ، من زروع وثمار وحيوان .

وفى سورة عبس يقول الله تعالى : قَلْيَنظُرِ الْإِنسَنْنُ إِلَىٰ طَقامِهِ هَ أَنَّا صَبَيْنَا الْمَاءَ صَبَّا ه تُمُ مُقَقَّقًا آلَّارُّ شَنَّةً ا فَالْسَبْنَا فِيهَا حَبًّا ء وَعِبَّا وَلَفشًا ه وَرَيُّتُونًا وَلَخَلاَ ه وَخَدَاثِقَ غَلُا ه وَفَلكِهَةً وَأَبَّا ه مُثَلَّقًا لَكُمْ وَلاَلْصَلْمِكُمُ " (ميس: ۲۵ – ۲۷) .

٨ - إِنَّ فِي ذَا لِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ .

أى: فيما ذكر لدليل على قدرة الخالق ، الذي خلق الكرن وأبدع الخلق ، ورفع السماء وبسط الأرض ، وأرسل المطر ، وأنبت أنواعًا وأزواجًا كريمة مثمرة نافعة مبهجة ، ومع هذه الأدلة لم يؤمن أكثر الناس ، بل كنبوا بالله وبرسوله ، وآثروا العمى على الهدى والتى على الرشد .

قال تعالى : وَمَا أَكْثُرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ . (يوسف : ١٠٣).

وقال تعالى : وَإِنْ تُعلِمُ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتْبِغُونَ إِلَّا ٱلظُّنْ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْوُصُونَ . (الانعام: ١٩٦) .

٩ ~ وَإِنَّ رَبُّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ.

تأكيد على فضل الله ، فهو سبحانه ألْفَرِيلُ . أي : العنيع الغالب القوى المتين ، وهو أيضًا ٱلرَّحِيمُ . التواب الغفار .

قال العفسرون: آلتويُو. في نقعته وانتصاره ممن خالف أمره وعبد غيره. آلرُجيمُ . بمن تاب إليه وأناب ، وقد تكريت الآيتان ٨ ، ٩ في ثمانية مواضع من سورة الشعراء : هنا ، ثم عقب قصة موسى ، ثم إبراهيم ، ثم نوح ، ثم هود ، ثم صالح ، ثم لوط ، ثم شعيب .

* * *

المقردات

كسسسسلا؛ كلمة رُجر وردع، والمراد: اتق الله، وانزجر عن خوفك منهم.

بأيات أماء المراد هذا: معجزاتنا.

وأثنامن الضالين ، الجاهلين ، أو قبل أن ينعم الله على بالنبوة والرسالة .

فضررت منكم، خرجت من بينكم إلى مدين.

تمهید،

تعرض سورة الشعراء طائفة من أخبار السابقين ، فهي سورة مكية عنيت بأخبار الأمم السابقة ، تسلية للرسول الأمين وتحذيرا لأهل مكة ، أن يصيبهم مثل ما أصاب هذه الأمم ، وقد ذكرت قصة موسى في مواضع عديدة ، لكنها في معظمها إشارات سريعة للعظة والعبرة ، وفي سنة مواضع في القرآن الكريم ، ذكرت قصة موسى بشيء من الإسهاب والتفصيل ، مثل سورة طه ، وسورة القصص ، وسورة الأعراف ، وسورة الشعراء ، وقد استغرقت قصة موسى في هذه السورة (سورة الشعراء) الآيات من ١٠ – ٦٨ ، أي : قرابة ٥٨ آية .

التفسيره

، ١ - وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰۤ أَنِ آثْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلطَّلْمِينَ .

تبدأ هذا قصة موسى من مرحلة الرسالة ، وقد بدأت من جانب الطور الأيمن ، وموسى في طريقه من أرض مدين إلى مصر ، حيث شاهد نارًا ، فطلب من أهله أن ينتظروا في مكانهم ، حتى يذهب إلى النار ليأخذ منها قبسًا يستدفئ به ، ولعله أن يجد هذاك من يرشده إلى الطريق السليم إلى مصر ، وهذاك فاجأه الوحى والرسالة ، وكلف بتبليغ الرسالة إلى القوم الظالمين ، وهم فرعون وقومه حيث ألُّهوا فرعون ، وظلموا بني إسرائيل ، والقصة بمشاهدها المتعددة ، فيها إيناس للرسول الأمين محمد ﷺ ، وتحذير لأهل مكة ، من أن بصبيهم الله بهلاك مماثل لهلاك فرعون وقومه ، وتخليد لذكرى أنبياء الله ورسله ، ودعوة إلى الإيمان والاتعاظ والاعتبار.

جاء في المنتخب في تفسير القرآن الكريم:

واذكريا محمد لقومك قصة موسى حين ناداه ريك: يا موسى انهب رسولاً إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وظلموا بني إسرائيل بالاستعباد، وذبح الأولاد.

١١ - لَوْمَ فَرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ .

هذا يحدد القوم الظالمين ويذكر اسمهم ، ثم يعجب من عتوهم وظلمهم واستبدادهم ، أي : أنت قوم فرعون ، وحثهم على تقوى الله ومراقبته وامتثال أمره ، وفرعون وقومه يعرفهم موسى ، ويعرف مقدار ظلمهم ، لذلك قال :

٩ ، ١ ، ٩ ٩ - قَالَ رَبِّ إِنَّ أَخَافُ أَن يُكَذَّبُونِ ﴿ وَيَعْبِيقُ صَدُّرى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلُ إِلَىٰ هَلُونَ ﴿ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنبُ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ .

وموسى هذا يظهر أمام ربَّه تعالى مخاوفه وضعفه ، ويطلب منه المعونة والمؤازرة ، بأن يجعل هارون معه رسولاً ، وهي شفاعة من أفضل أنواع الشفاعة .

قال المفسرون: لم يكن موسى معترضًا على أداء الرسالة ، وإنما احتاط للمهمة فقال:

رَبُّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَنْ يُكُلِّبُونِ. فهم طفاة متمردون ، وفي لساني حبسة ، فأخاف أن يضيق صدري بتكذيبهم ، وأن يضطرب لساني في موقف المجادلة والمحاجة ، فأعجز عن شرح الرسالة على الوجه المبين.

وكان هارون أفضح بيانا ، وأهدأ أعصابا ، فطلب من الله أن يشدُ أزره بأخيب ، فإذا أخفق موسى أو قَتَل ، أتم هارون الدعوة ، واستمر في تبليخ الرسالة .

وكان موسى قد قتل قبطيا ، ثم خرج من مصر خانفا ، فاشتكى إلى الله خوفه من أن يُقتل قيصاصًا قبل تبليغه الرسالة .

وفريب من هذه الآيات ما ورد فى سورة طه : قَالَ رَبُّ آهَرَ عَلَى صَدْدِى ﴿ وَيَسَرُ لِى أَمْرِى ﴿ وَآخَلُلُ عُقْدَةً مَنْ لَسَالِى ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِى ﴾ وَآجَمَلُ لَى وَإِيرًا مِّنْ أَعْلِى ﴿ هَدُونَ أَنِي ﴾ وَأَذْرِى ﴾ وَأَذْ كَيْرًا ﴾ وَلَذْكُوكَ كَيْرًا ﴿ إِلَّكَ كُمتَ بَنَا يَعِيرًا ﴾ قَالَ قَدْ أُولِيتَ مُؤْلِكَ يُلْفُونَسَى ﴿ . (ط. ٢٠ - ٣٠) .

١٥ ، ١٦ ، ١٧ - قال كَالا قاذْمَا بِتَايِنِيتا إِنَّا مَعَكُم مُسْتَعِمُونَ . قَالِيَا فِرْعُونَ فَقُولاً إِنَّا رَسُولُ رَبُّ الْمُعْلَمِينَ .
 أَنْ أُرْسِلْمَ مَثَنَا نِهِيْ إِلْسُرَّ عِبْلُ.

أى: قال له الله تعالى: كُلاً. لا تخف من تكذيهم ، ولا تخف من ضيق صدرك ، ولا تخف من حبسة أسانك ، وقد استجبت إلى طلبك ، وأعطيتك سؤلك ، وأوحيت إلى هارون أن يرافقك في رسالتك ، فأذهبا بآياتنا ، وهي المعجزات كالعصا واليد ، أو آيات التوراة ، ثم بين له الله أسباب الرعاية والعلقة والعفظ حين قال : إنّا مُعَكِّم مُسْتُومُونَ . فهي معية عناية وحفظ ورعاية ، والله سميع لكل شيء ، لكنه هنا معهم يؤازهم بععيته ، ومن كان الله معه ، كان معه كل شيء ، ومن ققد الله فقد كلَّ شيء ، وكما قال سبحانه : إلني مُعَكِّمًا أَسْمُهُ وَأَرْكِي . (له. ٢٠٤) .

لقد ذهب الخرف والخشية من قلب موسى ، وآنسه الله بمعيته ، ومعونته ورعايته ، واستماع الحق له ، استماع رعاية ومعاونة ، ثم حدد الله له المنهج والقول ، فقال :

فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبُّ ٱلْعَلَمِينَ .

بدون هيبة ولا تردد ولا خوف ، نحن مرسلان برسالة واحدة ، هي دعوتك إلى الإيمان بالله تعالى رب العالمين ، رمآلَّمْنُلُوسُ، جمع عالم ، أي : عالم الإنس والجن والطير ، والأكوان والسماء والأرض والمخلوقات.

أَنْ أَرُ سِلْ مَعَمَّا بَنِيَّ إِسْرَآعِيلَ .

أى: أطلقهم من إسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك ، وكان بنو إسرائيل أُهلُ دين ، هو دين التوحيد من أيام إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام ، لكن هذا الدين كان قد بهت في نفوسهم ، وفسدت عقائدهم ، فأرسل الله إليهم موسى لينقذهم من ظلم فرعون ، ويعيد تربيتهم على دين التوحيد .

١٨ - قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ .

لقد انتهى مشهد إرسال موسى وهارون إلى فرعون ، وطوى القرآن ما بين المشهدين اكتفاء بغهم . الإنسان لما بين المشهدين ، وعرض هنا مشهدة آخر ، هو مشهد الحجج التى تذرع بها فرعون أمام رسالة موسى ، أى : عندما ذهب موسى إلى فرعون رسولا ، ودعاه إلى الإيمان بالله تعالى ، جحد فرعون الرسالة، وأخذ ينذرع بالحجج التى تمنعه من الإيمان .

فقال فرعون لموسى : أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُوكً سِنِينَ .

أي: أنت ربيبي ، ربيتك في بيتى حين كنت صغيرًا ، ومكثت عددًا من سنى عمرك بيننا ، منسويًا إلينا ، تدخل بيننا ، وتنعم بنعمتنا ، وكان الأمل أن تعترف لى بالفضل ، لكنك جئت تقول لى : إنك رسول ، وأن مهمتك استخلاص بنى إسرائيل من عذابى .

١٩ - وَفَعَلْتَ فَعُلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ .

أى: قتلت القبطى وكان من شيمتى وأتباعى ، ويذلك جحدت نعمتى ، وكفرت بجميلى عليك ، أن كنت كافرا لم تملن عن رسالتك ولا عن الوحى الذى أوحى إليك ، وموسى لم يكن بومًا ما من الكافرين بالله ، ولكنه كان يخفى آمره ، تقية من بطش فرعون وقومه .

٠ ٧ ، ٧ ٧ – قَالَ فَعَلْتُهُمْ إِذًا وَأَنَّا مِنَ ٱلصَّنَالِينَ ﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رُثِى خُكُمًا وَجَعَلْنِى مِنَ آلمُوسَلِينَ .

ظنٌ فرعون أنه ألقم موسى أحجارًا ، وأنه ألزمه الحجة وقهره ، لكن الله فجر الحكمة على لسان موسى ، فقدُّ حجة فرعون ، لقد اعترف بأنه ارتكب هذا الخطأ لا عن عمد وإصرار ، ولكن عن خطأ حيث طعن القبطيّ في خاصرته طعنة للتأديب ، فكانت قاضية على حياته ، أي : كان موسى فتى غريرا يجهل تقدير الموقف ، ويندفع في معاقبة المسىء بدون تبصر ، أما الآن فقد تغير الموقف ، وأتاه الله الرسالة والحكمة ، وأذهب عنه الضلالة والتهور. فالمراد بالضلال في قوله · فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَّا بِمَنْ ٱلْمَثَالَّينَ . الجهل بالشيء ، والذهاب عن معرفة حقيقته ، أي . لا أجيد تقدير الموقف ، أن كان ذلك قبل مجيء الرسالة والهداية .

فَهَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ...

أى: توقعت منكم الشرّ ، وخشيت منكم على نفسى ، فخرجت هاريا من وجوهكم إلى أرض مدين ، فأعطانى الله المكمة والعلم النافع ، وأكرمنى بالرسالة واصطفانى بالنبوة والرحى .

٢٧ - وَتِلْكَ نِعْمَدٌ تُمُنُّهَا عَلَىٌّ أَنْ عَبَّدتٌ بَنِيٓ إِسْرَ ۚ عِيلَ .

أى: أتمتن على بتربيتى فى بيتك ، والسبب فيه هو استعباد بنى إسرائيل ، وقتل الذكور واستحياء الإناث الخدمة ، فألقت بى أمى فى اليم خشية القتل ، فالتقطني أهلك ، وتربيت فى بيتك ، ولولا الظلم والقهر منك ومن حاشيتك ، لتربيت مع أسرتى وإخوتى وأمن وبين أهلى ، أى . أتمتن على بحرماني من تربيتي وسط أهلى وأسرتى وقومى ، وما تسبب فى ذلك إلا عدوانك ، حيث ألقيت فى البحر ، وحملت إلى بيتك ، وتربيت بعيدًا عن أهلى ، بسبب ظلمك .

* * *

﴿ قَالَ فِرْغَوْنُ وَمَارَبُّ ٱلْعَنْلَمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا يَنَهُمَّ أَإِن كُثُم تُموقِينِ نَ ۞ قَالَ لِمَنْحَوَلَهُۥ أَلا تَسْفِعُونَ ۞قَالَ رَبُّ كُمُّرُوَبُ عَابَآ بِكُمُ ٱلْأَوْلِينَ ۞قَال إِنَّ رَسُولُكُمُّ ٱلَّذِي ٱلْسِلَ إِلْيَكُولُمَجْنُونٌ ۞ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَّ أَإِن كُثُمُمْ مَعْقِلُونَ۞﴾

تفسيره

٣٣ – قَالَ لَا عَزْ ثُرُ مُن اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَّا اللَّهُولِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

وهذا استفهام إنكار وتجبر ، حيث قال فرعون مستفهما من موسى الذي قال هو وأخوه : إِنَّا رُسُولُ رُبَّ آقَدُلُهِينَ .

قَالَ فِرْعُونُ وُمَا رَبُّ ٱلْمُلْلَمِينَ. هذا الذي جثت رسولاً من قبله ، وهو سؤال استنكار من فرعين ، أن يكون هناك إله آخر سواه ، بدليل ما حكاه القرآن عنه في آية آخري : وَقَالَ فِرْعُونُ يُثَالَّيُهَا ٱلْمَالُّ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَيْهِ غَرِى ... (القصص ٢٨).

٢٤ - قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا يَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِينَ .

أى: قال موسى لغرعون ومن معه ، إن رب العالمين هو خالق السماوات والأرض ، وما بينهما من الغضاء والهواء ، فملكه واسع لا حدود له ، أى : إن ملكك يا فرعون محدود بهذه البلدة ، أو القطر الذي تدعى الوهيتك لأمله ، على فرض صحة دعواك ، لكن رب العالمين يمتد ملكه إلى الأكوان كلها ، والعوالم كلها ، فهو يملك الأكوان ويملك ولمكك وأرضك .

إن كُنتُم مُوقِنِينَ .

إن كانت لكم قلوب موقنة ، وأبصار نافذة ، لتيقنتم بهذا الإله الحق.

٢٥ - قَالَ لِمَنْ حَوْلَاتُهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ .

أى: قال فرعون لمن حوله : ألا تعجبون من قول هذا في زعمه أن لكم إلهًا غيرى ، وهَي آية أخرى قال القرآن : فَأَسْتَحْفَ قَرْمُهُ فَأَطْأَعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قُوْمًا فُسِقِينَ ، (الزخرف ٤٠) .

٢٦ – قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَالِكُمُ ٱلْأَوْلِينَ .

لقد أضاف موسى زيادات مستمرة ، فى تعريف الإله الحق ، وبيان نعمائه وآلائه ، فهو الرب الحق الخالق للناس ، ولمن كان قبلهم من الآباه والأجداد ، وفرعون يفتخر بأنه ورث الملك والألوهية عن آبائه ، لكن موسى هنا يتكلم فى مسراحة ورضوح ، إن الملك الحقيقى لله وحده .

٢٧ – قَالَ إِنْ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِي ٓ أَرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ .

أى: أراد فرعون أن يشرَّش على موسى ، فادعى أنه إنسان مسلوب العقل ،لا ينبغى أن نستمع إلى مهاتراته ، وإدعائه أن له ربًّا غير فرعون .

٧٨ - قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَقْرِبِ وَمَا يَنْتَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ .

استمر موسى يعدد مجال القدرة الإلهية ، فالله سبحانه هو الذي يأتي بالشمس والقمر والكواكب ، حيث يجعلها تُشرق من جهة المشرق ، وتغرب من جهة المغرب ، والله تمالى رب المشرق والمغرب وما بينهما ، إن استخدمتم عقولكم وقلويكم ووجدائكم ، أدركتم عظمته وجلاله ، وقد خص المشرق والمغرب ، لوضوح الأدلة على ملك الله تعالى وحده لهما ، ظم يدُّع أحد أنه يملك طلوع الشمس أو غروبها ، بدليل قول إبراهيم عليه السلام : فإنَّ الله يَتَّالَى بِالنَّمْس مِنَ الْفَشْرِقِ فَأْتَ بِهَا مِنْ الْمَعْرِب فَيْتَ الْأَلِي كُفِّر ... (البقرة - ٢٥٨٥). وهكذا تتوالى أدلة موسى على وجود الله تعالى على النحو التالى:

١ - فهو رب السماوات والأرض .

٢ - وهو رب الناس ورب آبائهم الأولين.

٣ – وهو رب المشرق والمغرب .

أي: أنه الخالق الأوحد ، والمالك العظيم ، والمكوّن لهذا الكون ، والمصرّف لشئونه ، فمن ادعي المحرّف المثونة ، فمن ادعي الأحداد الأحداد الأحداد الأحداد الأحداد الأحداد المتلقدام الأولدة ، لم يجد فرعون مناصًا ، من التهديد باستشّمام اللوّة ، فهو يملك السجون ، ويقدر على إنخال موسى بدلخلها ، على نحو ما نرى في الآيات التالية :

* * *

﴿ قَالَ لَهِنِ اَتَّقَدْتَ إِلَنَهَا غَيْرِي لَأَجْمَلَنَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ۞ قَالَ اَوْلُوَجِمْ تَكَ بِشَيْءِ عِيْمِينِ ۞ قَالَ فَأْتِ بِمِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّدِيقِينَ ۞ قَالَ الْمَلَا صَلَهُ وَإِنَّهُ فَإِذَا هِي مُثْمِينٌ ۞ يُرِيدُ أَنَ وَنَعْ بَدَهُ وَإِذَا هِي بَيْضَا أَوْلِينَظِرِينَ ۞ قَالَ اِلْمَلَا حَوْلَهُ إِنَّ هَانَا لَسَوْحٌ عَلِيدٌ ۞ يُرِيدُ أَنَ يُخْرِحَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْمِهِ فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوٓ الْرَجِهُ وَأَخَاهُ وَلَيَعَتْ فِي اللهُ الْمَرْوِنَ ۞ فَالْوَا أَرْجِهُ وَأَخَاهُ وَلَيَعَتْ فِي اللهَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللهُ اللّهُ اللّ

التفسير،

٢٩ - قَالَ لَكِنِ ٱلنَّحَدُّتَ إِلَيْهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنْكَ مِنَ ٱلْمَسْجُولِينَ .

ضناق فرعون ذرعا بأدلة موسى على وجود الله ، فقد أخذ موسى عليه كل سبيل ، فلجأ فرعون إلى التهديد والوعيد ، بأن موسى إذا جعل لنفسه إلهًا غير فرعون ، فسيدخله فى عداد المسجونين ، وكان فرعون جبارًا فى سجنه ، حيث يلقى بالمسجون فى سحيق من الأرض ، لا يسمع ولا يرى فيه شيئا ، ولا يخرج من السجن إلا بعد أن يعوت .

٣٠ - قَالَ أَوَلُوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ.

أي : أتفعل ذلك ، حتى لو قدمت لك أدلة وإضحة بينة ، تدل على صدق رسالتي ونبوتي .

٣١ - قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّلِيقِينَ .

أي: قدَّم هذا الدليل إن كنت صادقًا في دعوى الرسالة ، أو صادقًا في أن عندك دليلاً مبينًا واضحًا .

٣٢ - فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِنَّ .

ألقى موسى عصاه ، فتحولت إلى ثعبان كبير له طاقة هائلة ، ومنظر مرعب مخيف ، لقد دبتُ الحياة في العصا بقدرة الله تعالى ، معجزة لموسى عليه السلام .

٣٣ - وَنَزَعَ يُدَهُ, فَإِذَا هِيَ يَيْضَآءُ لِلسَّاطِرِينَ .

وأخرج موسى يده ، فإذا هي بيضاء بياضًا ناصعًا ، تتلألأ كقطعة من القس .

قال ابن عباس : أخرج موسى يده من جبيه ، فإذا هي بيضاء تلمع للناظرين ، لها شعاع كشعاع الشمس ، يكان يغشى الأيصار ، ويسدّ الأفق .

وأمام هذه الحجج الواضحة ، والمعجزات التي تدل على صدق موسى ، في أنه رسول مؤيد من الله رب العالمين ، كابر فرعون ، ومع اعترافه بهذه القدرة الشارقة ، لجأ إلى المكابرة والعناد ، لكن الرهبة التي أصابته ، جعلته يلجأ إلى قومه ، طالبًا مشورتهم ، شأن الجبارين المتكبرين ، في الرخاء يدُّعون الألوهية ، كما قال فرعون : مَا طَلِعْتُ لَكُم مِنْ إِلَّكُ فَيْرِى . . . (القصص: ٢٨) ، وفي الشدة يتظاهرون بطلب المشورة ، عندما أحس ، بأن الأرض تتزلزل من تحته .

٣٤ - قَالَ لِلْمَالِ حَوْلُهُ إِنَّ هَلَدًا لَسَلْحِرٌ عَلِيمٌ .

أى: قال فرعون لأشراف دولته ، وحاشيته المحيطة به : إن ما جاء به موسى ليس معجزة كما يدّعى ، بل هو سعر من ساحر وافر العلم والمقدرة والإحاطة بالسحر .

٣٥ - يُرِيدُ أَن يُحْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ .

أى . إن موسى يريد أن يكثر أتباعه وأعوانه ومريدوه ، فتنقلب الأمور إليه ، ويكون هو الحاكم المتصرف في البلاد ، ويخرج الأمراه والحاشية والسلطان من الملك ، ليستولى هو عليه .

جاء في تفسير أبي السعود :

بهره سلطان المعجزة ، وحيّره حتى حلَّه من ذروة ادعاء الربويية ، إلى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه ، والامتثال لأمرهم ، أو إلى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم ، بعدما كان مستقلا بالرأى والتدبير ، وأظهر استشعار الخوف ، من استيلاته على ملكه ، ونسبّه إلى إخراجهم من الأرض لتنفيرهم منه . ٣٦ ، ٣٧ - فَالْوَا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَآلِعَتْ فِي ٱلْمُقالِنِ خَلشِرِينَ * يَأْتُولُهُ بِكُلُّ سَحّارِ عَلِيمٍ.

أى : أشار الملأ والحاشية على فرعون بأن يمهل موسى وأخاه ، فقد كان يفكر في قتله ، فقيل له · • أمهل اتخاذ القرار في ذلك وأرجته .

يقال: أرجأت هذا الأمر وأرجيته ، إذا أخُرته ، ومنه أخذ لفظ المرجئة ، لتلك الفرقة التي توخر العمل ، وتقول: لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، واقترحت عليه أن يرسل جنوبه وأتباعه وخرطته في مدائن مملكته ، يحشرون السحرة عند فرعين ، ليختار منهم من يشاء ، ليقدموا عملاً مبهرًا يؤدى إلى انتصار فرعون وحاشيته ، على موسى ومعجزاته .

قَالَ ابْن كثير : وكان هذا من تسخير الله تعالى ، ليجتمع الناس فى صعيد واحد ، وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس فى النهار جهرة . ا هـ .

* * *

﴿ فَجَعِعَ السَّحَرَةُ لِعِيقَنتِ بَوَمِ عَلُومِ ۞ وَقِيلِ لِلنَّاسِ هَلَ أَنَّمُ مُّحَتَمِعُونَ ۞ اَلَمَا اللَّهِ السَّحَرَةُ إِن الْمَعْرَانِ ۞ فَلَمَا اللَّهَ السَّحَرَةُ إِن الْمَعْرَانِ ۞ فَلَمَا اللَّهَ السَّحَرَةُ إِن الْمَعْرَانِ ۞ فَلَمَا اللَّهُ اللَّهُ مُوسَى اَلْقُوا مَا اَنتُم مُلَقُونَ ۞ فَالْقَلِينَ ۞ فَالْفَوْا مَا النَّمُ مُلْقُونَ ۞ فَالْقَوْا مَا النَّمُ مُلْقُونَ ۞ فَالْقَوْا مَا النَّمُ مُلْقُونَ ۞ فَالْقَوْا مِن عَصاهُ فَالْقَوْا مِن اللَّهُ وَعِلَى اللَّهُ وَالْمَا اللَّهُ وَعَلَيْ اللَّهُ وَالْمَا اللَّهُ وَعَلَيْنَ اللَّهُ وَالْمَالِينَ ۞ فَالْوَا عَامَنَا وَمِنْ المَعْمَى اللَّهُ وَعِلَى اللَّهُ وَعِلَى اللَّهُ وَالْمَالِقُونَ ۞ فَالْمُو مُن اللَّهُ وَالْمَالِقُونَ ۞ فَالْمَا عَلَى اللَّهُ وَعِلَى اللَّهُ وَعِلَى اللَّهُ وَعِلَى اللَّهُ وَعَلَيْنَ اللَّهُ وَالْمَالِكُونَ ۞ فَالْمُو مُن اللَّهُ وَالْمَالِكُونَ ۞ فَالْمَالُونَ وَاللَّهُ وَالْمَالِكُونَ ۞ فَالْمَالُولُونَ وَاللَّهُ وَعِلَى اللَّهُ وَالْمَالِمُ اللَّهُ وَالْمَالِمُ اللَّهُ وَالْمَالِمُ اللَّهُ وَالْمَالِمُ اللَّهُ وَالْمِلْكُونَ ﴾ وَالْمُلْمَالُولُ اللَّهُ وَالْمَالُولُ اللَّهُ وَالْمَالِمُ اللَّهُ وَالْمَالِمُ اللَّهُ وَالْمَالَعُ اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَالْمَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمَالِمُ اللَّهُ الْمَالِمُ اللَّهُ وَالْمَالُولُ اللَّهُ وَالْمَالُولُ اللَّهُ وَالْمَالُولُ اللَّهُ وَالْمَالُولُ اللَّهُ وَالْمُولُولُ اللَّهُ وَالْمَالُولُ اللَّهُ وَالْمَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُلْعُلُولُ اللَّهُ وَالْمَالِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الْمُنْ الْمُؤْلِقُ الْمُنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْلِمُ اللْمُعْمِلُ اللْمُعْلِمُ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ وَالْمُلْمُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُولُ الْمُؤْمِلُ اللْمُؤْمِلُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُ اللَّهُ الْمُلْمُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُولُ الْمُؤْمِلُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُ اللْمُؤْمِلُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُ اللْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُ اللْمُؤْمِلُ اللْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُ الْ

المطردات:

المهيشات؛ ما وقت به ، أي : حدد من مكان وزمان ، ومنه : مواقيت الإحرام .

يوم مصلوم؛ هو يوم الزينة الذي حدده موسى في قوله : مُؤَعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلْوَيَةَ وَأَنْ يُحْشَرُ ٱلْكَاسُ صُمَّى . (ط. ٥٩.). عَوْةَ هُرِمُونَ، قولَة الذي يمتنع بها من الضيع .

تا قاء تبتلع بسرعة.

ي أف كون ، يقلبونه عن وجهه وحقيقته بكيدهم وسحرهم .

من خيلاف، يقطع الأيادي اليمني، والأرجل اليسري.

لاشـــيـــر، لا ضرر علينا فيما ذكرت.

مشقلبون، راجعون.

تمهيد،

هذا منظر المبارزة بين موسى والسحرة ، فقد اجتمعوا يوم العيد ضمعوة ، وكان السحرة جمعا غفيرًا قيل . كان عددهم ٢٠,٠٠ النفي عشر الغًا ، قال ابن إسحاق : وكان أمرهم راجعًا إلى أربعة منهم ، وهم رؤساؤهم ، وهم : سابور ، وعاذور ، وحطحط ، ومصنًى . وألقى السحرة حبالهم وعصيهم ، وجاءوا بسحر عظيم أرهب الناس ، واستولى على مشاعرهم ، ثم ألقى موسى عصاه فايتلعت حبال السحرة ، فايقن السحرة أن هذا ليس سحرا ، وإنما هو معجزة وتأييد من الله لرسوله ، فخروا ساجدين لله مؤمنين به ، فقهددهم فرعون بالعذاب والفقل ، فما زادهم ذلك الوعيد إلا إصرارًا على الإيمان ، وتمسكًا به ليكونوا قدوة لقومهم .

التفسير :

٣٨ - فَجُمِعُ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَلْتِ يَوْمٍ مُعْلُومٍ.

اجتمع السحرة وكانوا فقة كبيرة مثقفة، من أبرع الناس في السحر وأصنعهم ، وأشدهم تخييلا، جاءوا من أقاليم مصر الطيا ، وأراد موسى أن تقع المبارزة يوم عيد لهم ، ليكون ذلك أمام حشد عظيم ، ولتظهر الحجة أمام الجموع التغيرة ، وهذا كله من لطف الله تعالى في إظهار أمر موسى .

٣٩ ، ٤ - وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْمُ مُّجْمَعُونَ ، لَعَلَّنَا نَتْبِعُ ٱلسَّحْرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْفَطْلِينِ .

طلب فرعون من الناس التجمع والتجمهر ، بأساليب الدعاية والدعوة ، وإثارة النعرة والعصبية ، فالاجتماع مؤازرة للسحرة وانتماء لهم ، لا ألمحق في حد ذاته ، أي : وقال قائلهم : إنا نرجو أن يتغلب السحرة، فنستمر على دينهم ، ولا نتبع دين موسى ، ولعل مهارشة النوادى الرياضية ، والاتجاهات الفكرية والدينية والعامانية ، مما يشغل الجماهير ويمتص اهتماماتها ، أمر مرغوب محبوب لدى القيادات السياسية في الماضى والحاضر .

٤١ - قالمًا جَاءَ ٱلسُّحْرَةَ قَالُوا لِيْرِعُونَ أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَا نَحْنُ ٱلْفَدْلِيمِنَ * قَالَ نَعْمَ وَإِنْكُمْ إِذَا لَمِنَ الْفَدْلِيمِنَ * قَالَ نَعْمَ وَإِنْكُمْ إِذَا لَمِنَ اللَّهُولِينَ.

أى: عندما جاء السحرة إلى مجلس فرعون ، وحوله وزراؤه وحاشيته ، سألوا: هل يصرف لنا أجر من المال أو الجاه ، إذا انتصرنا على موشى ؟

قال فرعون : نعم ، لكم أجر وجزاء ماذى ، وفوق ذلك أقريكم من حاشيتى ، وأجعلكم من أتباعى ومن المقربين منّى

٣٤ ، ٤٤ - قَالَ لَهُم مُوسَىٰ أَلْقُواْ مَا أَنْهُم مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْاْ جَالَهُمْ وَعِصِيْهُمْ وَقَالُواْ بعِزْةِ فِرْعُونَ إِنَّا لَنصْنُ ٱلْفَالِيُونَ .

استشار السحرة موسى وفوّهَاو له الخيار ، وقالوا : يا موسى، إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى، قال : بل ألقوا .

أذن لهم موسى بالقاء سحرهم وعصيهم وإعمالهم ، فألقوا حيالهم وكانوا قد رهنوها بالزنبق ، فلما أرسلت الشمس أشعتها ، هيئي للناس أن الحيال تتحرك وتتمرّج ، وأرهب الناس بهذا العمل الفائق ، والسحر العظهم العبدع ، حتى خشى موسى أن يخسر الجولة ، وحتى فرح فرعون وحاشيته ، وظنوا أنهم اقتربوا من حافة النصر .

وَقَالُواْ بِعِزْةٍ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْفَالِمُونَ .

أى: قال السحرة: بجاه فرعون وعظمته وجبروته وسطوته ، سنغلب موسى وننتصر عليه .

وقد قال تعالى: أَلِفًا حِبَالُهُمْ وَعِمِيْهُمْ يُعَمِّلُ إِلَّهِ مِن سِخْرِهِمْ أَلَهَا تَسْمَىٰ هَ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ه فَلْنَا لَا تَخَفَ إِنْكَ أَلِنَ ٱلْأَعْلَىٰ . (4- 17 - 14) .

وقال سبحانه : فَلَمَّا أَلْقُواْ سَحُرُواْ أَعْيُنَ آلنَّاسِ وَٱسْتَوْهُمُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ. (الأعراف: ١١٦).

ه \$ - فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِي تُلْقَفُ مَا يَأَلِكُونَ .

بعد هذا العمل العظيم الذي قدّمه السحرة ، ألقى موسى عصاه فانقلبت حية كبيرة ، تبتلع كل ما ألقاه ألسحرة وما زيُّغوا وصفه ، ثم تعود كما كانت ، فيأخذها موسى ، ويشاهد الجميع هذه المعجزة . ٤٦ ، ٤٧ - فَأَلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَلجِلِينَ * قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرُبِّ ٱلْعَلَمِينَ .

أى: خرّ السحرة ساجدين لله ، فقد بذلوا أجلٌ عمل وأعظمه ، ثم شاهدوا عمل موسى ، وأدركوا أنه معجزة لا طاقة للبشر بعملها ، وأنّ موسى رسول من عند لله ، فقالوا : وَاثمًّا برّبُّ ٱلْفَلْكِينَ .

٤٨ – رَبٌّ مُوسَىٰ وَهَنرُونَ .

الإله الواحد الذي أرسل موسى وهارون ، آمنا به ، أي : وكفرنا بأن فرعون إله ، لقد كانوا منذ قليل يطلبون الأجر من فرعون ، فلما شاهدوا المعجزة الحقة ، والعصا التي ابتلعت حيالهم ، أيقنوا أن موسى رسول من عند الله ، ولو كان ساحرًا لوجدوا حيالهم وعصيهم ، لكنهم وجدوا شيئا فوق طاقة البشر.

إذا جاء موسى وألقي العصا السحر والساحر

ولما آمن السحرة ، وهم كهمة هرعون ، والمثقفون والمؤثرون على العامة ، أسقط في يد فرعون ، وتحير في أمره ، فلجأ إلى التهديد والوعيد .

٩ -- قال ءامشمُ لَهُ, قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكُمْ إِنْهُ, لَكَبِيرُكُمُ اللَّهِى عَلْمَكُمُ السَّحْرَ فَلْسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَلْقَطُعُنَّ أَلِمَيْكُمْ
 وَأَرْجُلْكُم مَنْ جِلْفَ وَلَأَصَلَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ .

قال فرعون : كيف تومنون بموسى من قبل أن أذن لكم بذلك ؟

وما علم أن الإيمان له سلطانه على القلوب ، وأن «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمان يقلبها كيف يشاء» ("".

ثم بدأ فرعون يتهم السحرة بالخيانة فقال: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسَّحْرَ ...

لقد قصُرِتم في السحر ، وتواطأتم مع موسى ليظهر أمره ، وهذا تضليل لأهل مصر ، حتى لا يعتقدوا أنُّ أيصان السحرة عن عقيدة واقتناع ، ثم تهددهم وتوعدهم بالعذاب والنكال :

فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَ قَطَّعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَنْفِ وَلَأَصَلَّبْنَكُمْ أَجْمَعِينَ .

أى: سأعاقبكم بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ، حتى لا يكون لأحدكم نصف كامل ، ثم أفتلكم وأصلبكم ، وليس فى الإهلاك أشد من ذلك ، وفى آية أخرى حكى القرآن قول فرعون : وَلاَ صَلْبَتُكُمْ فِي جُلُوعٍ آلضُّل وَلَتَعْلَمُنْ أَلِّنَا أَشَدْ عَذَانًا وَأَنْفَى . (ه. : ٧) .

. ٥ - قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبُّنَا مُنْقَلِبُونَ .

أجاب السحرة فرعون في شجاعة وثبات وإيمان ، مؤثرين الآخرة على الدنيا ، مستهينين بالعذاب والقتل والصلب.

قَالُواْ لَا ضَيْرَ ...

أي: لا ضرر علينا في ذلك ، ولا نبالي بوعيدك ، فكل حي ميت لا محالة .

ومن لم يبت بالسيف مات بغيرة تعددت الأسباب والموت واحد

ونحو ذلك قول على بن أبى طالب: لا أيالي أوقع على الموت أو وقعت على الموت.

قما أجل الإيمان بالله ، والرغبة فيما عنده ، إن هذا الإيمان يهوِّن الحياة وكلِّ مصائبها ، ما دام ذلك في مرضاة الله .

إِنَّآ إِلَىٰ رَانَنَا مُنقَلِبُونَ .

أى : إنا راجعون إلى الله فسيوفينا جزاءنا ، ونسعد بثواب ربنا .

١ ٥ - إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَلَيْكَ أَن كُنَّا أُولَ ٱلْمُوامِينَ .

إذا راغبون في ثواب الله ، ودأمل أن يتقبل الله تويتنا ، ويغفر نذوينا السابقة في تأليه فرعون ، وفي أعمال السحر ، والآن وقد دخل الإيمان قلوينا ، فإننا نسارع في إعلانه ، إظهارًا للحق ، وبراءة من الهاملل والكفر ، لتكون أول من آمن بالله ، وناصر موسى وهارون ، لعل ذلك يرضى ربنا فيغفر لنا ما سبق من ذفوينا . ﴿ وَالْوَحِنَا إِلَى مُوسَىٰ أَنَ أَسْرِ يعِمَادِى ٓ إِنَّكُمْ مُّتَمَعُونَ ۞ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْدُ فِي الْمَلَ آبِنِ خُيْرِينَ ۞ وَكُوْرُومَهَا مِكْرِيمِ ۞ كَنْلِكُ وَأَوْرُتُنهَا بَخِي الْسَرَّوِيلَ ۞ فَأَخَرُحُنهُم مِن جَنْبُوعِيُونَ ۞ وَكُوْرُومَهَامِ كُرِيمِ ۞ كَنْلِكُ وَأَوْرُتُنهَا بَخِي الْسَرَّوِيلَ ۞ فَأَنْبُعُوهُم مُشْرِوبِ ۞ كَنْلِكُ وَأَوْرُتُنهَا بَخِي الْسَرَّوِيلَ ۞ فَأَنْبُعُوهُم مُشْرِوبِ ۞ فَلَمَا مُرَبِّي إِلَى مُوسَىٰ أَنْ الْمُحْرَفِي وَ هَا الْمَحْدُونُ ۞ فَلَ كَلَّ إِلَى مُوسَىٰ أَنْ الْمُحْرِينِ ۞ فَلَمَا مَنْ الْمُحْرَفِينَ ۞ وَأَجْمَنا مُوسَىٰ وَمَن مَعُهُ وَالْمَعْلِينِ ۞ فَأَوْمَنَا مُنَا الْمُحْرِينِ ۞ وَأَخْفَنا أَمُّ الْأَحْرِينَ ۞ وَأَخْفَنا أَنْ الْمُحْرَفِينَ ۞ وَأَخْفَنا الْمُحْرِينَ ۞ وَإِنْ فَنَافَمَ الْمُحْرِينَ ۞ وَأَنْ فَنَافَا الْمُحْرِينَ ۞ وَإِنْ فَنَافَا الْمُحْرِينَ ۞ وَإِنْ فَيْ الْمَالِكُونَ أَلْمُولِينَ ۞ وَإِنْ وَيَنْ اللّهُ وَلَمُ اللّهُ وَلَمْ اللّهُ وَالْعَلِينَ ۞ وَإِنْ وَيْنَا الْأَنْ فِي وَلِكَ لَا يَتَمُ وَمَا كَانَا أَكُثُوهُم مُوْمِينِ نَ ۞ وَإِنْ وَيَكَ الْمُولِينَ ۞ وَإِنْ وَيَنْ الْمُولِينَ ۞ وَإِنْ وَيَنْ الْمُؤْمِنُ وَالْمَعْلِينَ ۞ وَإِنْ فَيْ الْمُولِينَ ۞ وَإِنْ الْمُؤْمِنَ وَالْمَعْلِينَ ۞ وَإِنْ فَالْمُولِينَ أَنْ الْمُولِينَ ۞ وَلَمُولِينَ ۞ وَإِنْ الْمُؤْمِنُ وَلَا لَا مُرْتُمُ مُ مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنْ وَيْنَا وَلَا لَكُونُ الْمُؤْمِلُونَ وَالْمُولِينَ ۞ وَإِنْ وَيْنَا الْمُؤْمِلُونَ الْمُعْلِينَ ۞ وَإِنْ فَيْمَالِهُ وَالْمُولِينَ ۞ وَإِنْ فَيْنَا وَالْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُ وَالْمُولِينَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُولِينَا الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ أَلْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَا الْمُلْمُوالْمُولِيْمُولِيَا الْمُؤْمِلُولُونَا الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَا الْم

المفردات :

اســــر ، سرّ لبلاً .

مستسيسعسون، يتبعكم فرعون وجنوده.

شسسرذمسسة؛ طائفة قليلة من الناس.

غسائسطسون؛ فاعلون ما يغيظنا ويغضبنا.

حسسسافرون، من دأبنا الحذر، واستعمال الحزم في الأمور.

كسستسمور ، أموال كنزوها وخزنوها في باطن الأرض .

ومنشام كريم، وقصور عالية ودور فخمة.

أورئستساء ملكناها لهم تمليك الميراث.

مشرقيبة الخلين في وقت الشروق.

تراءى الجمعان، تقاربا، بحيث رأى كل منهما الآخر.

اسمسدركون، سيدركوننا ويلحقون بنا.

النشق انشق .

الصفيرة ، الحزء المنفرق منه .

المصطحدودة الجبل.

أزاستسنساء قرينا

دــــه، مناك.

الإسسيسة العظة وعبرة توجب الإيمان بموسى .

تمهید : في (خروج بني إسرائيل من مصر)

طالت مدة مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر، يشرح لهم الدّين ، ويقدّم الأدلة والبراهين ، وفرعون ومؤه يكابرون ويعاندون ، فأنزل عليه تسع آيات إلى فرعون وقومه ، منها : الجراد ، والقمل ، والضغادع ، والدم ، وغير ذلك ، ثم أمر الله موسى أن يخرج ليلا ببنى إسرائيل ، فى ليلة مقمرة ، واستعار بنو إسرائيل من القبط حليا كثيرا ، قائلين إن لنا فى هذه الليلة عيدًا ، ولما التجه موسى مع قومه ، هاريا من فرعون وظلمه، جمع فرعون جنورًا كثيرة ، وعبأهم نفسيًا ، فذكر أن موسى مع قومه شرنمة قليلة ، يخالفون أمرنا ، فينبغى أن نصاريهم ، وأن ننتصر عليهم ، وسار فرعون وجنوده فى وقت شروق للشمس ، حتى يدركوا موسى وقومه ، فيقائلهم ويعاقبوهم ، وأرشد الله موسى ، فضرب البحر بعصاه ، فانطق ولنقسم قسمين كبيرين ، وصار كل قسم مثل الجبل ، ثم سار موسى مع قومه فى طريق يابس ، ونجوا إلى الشاطىء الأخر ، وأغرق الله فرعون وقومه .

التفسير،

٥٢ - وَأُوْ حَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِينَ إِنْكُم مُتَّبَعُونَ .

جاء بنو إسرائيل إلى مصر أيام يوسف عليه السلام ، وأقاموا بها ٤٣٠ سنة ، ثم أوحى الله إلى موسى أن يسير بهم لهلا جهة البحر ، وأخبره أن فرعون وقومه سيتبعونهم ، وسيخرجون في آثارهم .

٥٣ - فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَنْشِرِينَ .

كان عدد بنى إسرائيل ستمانة ألف ماش من الرجال ، ما عدا الأولاد ، وخبزوا فطيرًا في عيد القصح وخرجوا به ، وساروا ليلا ، وأخبر فرعون بذلك ، فأرسل في مدائن مصر رجالاً من حرسه ، ليجمعوا الجند ، ثم يتبعوا بنى إسرائيل فيردُوهم إلى مصر ، ويعذبوهم أشد التعذيب على ما فطوا ، وحاول فرعون تعيثة الجندد تعيثة معذوية ، فقال لهم :

ع ٥ - إِنَّ هَلَوُلاءِ لَشِرُ ذِمَةٌ قَلِيلُونَ .

إن بني إسرائيل فئة قليلة فيسهل اقتفاؤهم ، وإرجاعهم وكبح جماحهم .

ه ه - وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَالِثُونَ .

إنهم يفعلون ما يغيظنا من إثارة الشعب، وأخذ أموال القبط، وقد خرجوا على ديننا، واتبعوا دينا آخر.

٣٥ - وَإِنَّا لَجْمِيعٌ خَالِرُونَ .

إن فرعون ورجاله جميعا ، قوم آخذون في الحذر ، وإعداد العدة والسلاح لإبادة بني إسرائيل .

٧٥ ، ٨٥ – فَأَخْرَجْنَنْهُم مِّن جَشَّلتِ وَغُيُونٍ * وَكُنُوزِ وَمَقَام كَريم .

أخرجنا فرعون وقومه من النعيم إلى الجحيم ، وتركوا المنازل العائية ، والبساتين والأنهار ، والأموال والملك والجاه.

٩ ٥ - كَذَالِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيَّ إِسْرَآءِيلَ.

أي: كان الأمرحقا كما قلنا ، وكذلك كان إخراجنا كما وصفنا ، وورثنا بني إسرائيل مثل ثلك الثروات ، وتحولوا من العبودية إلى الحرية والاستقلال، والترف والنعيم فهي وراثة ننوع ما كانوا فيه من جنات وعيون، قال تعالى: وَأُورُكُنَا ٱلْقَوْمُ ٱللِّينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشْلُرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَعْلَمِهَا ٱلْتي بَلْرَكْنَا فِيهَا ... (الأعراف. ١٣٧). ولم يعرف أن بني إسرائيل عادوا إلى مصر ، لكنهم ورثوا مثل ما كان لفرعون وملته .

وقال سبحانه · وَنُرِيدُ أَن نُّمُنْ عَلَى ٱلَّذِينَ آستُصْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ونجْعَلَهُمْ أَلِيثَةٌ وَلَجْعَلَهُمْ ٱلْوَارِيْنَ . (القصص ٥٠).

٣٠ -- فَأَتْبُعُو هُم مُّشْرِقِينَ .

أي : وصلوا إليهم عند شروق الشمس على خليج السويس .

٦ ٩ - فَلَمَّا تُوْ آءًا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَلْبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ .

فلما اقترب الفريقان من بعضهما ، وممار كل فريق يرى الفريق الآخر ، اشتد الخوف ببني إسرائيل ، وقالوا: إن فرعون وجنوده بالحقوبنا ونخشى أن نتعرض للإيذاء أو القتل على يد فرعون وجنوده.

٩٢ - قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهُادِينٍ .

أى: قال موسى لقومه: كلاً ، لن يدركنا فرعون ، ولن نهلك غرفًا في البحر ، ولن نهلك قتلا على يد فرعون ، فقد وعدنى الله بالنجاة والهداية ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، ومن وجد الله وجد كل شيء ، ومن فقد الله فقد كل شيء ، بهذا اليقين والثقة في النصر قال موسى : كُلاً إِنْ مُعِيَّ رُبِّي سَهَهْبين .

ولم يكن يعلم حتى هذه اللحظة ، ما هي وسيلة النجاة .

٣٣ – فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ ٱصْرِب بَعْصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقِ كَالطُّوْدِ ٱلْعَظِيمِ.

أى: ألهم الله موسى وأمره أن يضرب البحر بعصاء ، وكانت قدرة الله وآيته ، قانفلق البحر ، وتشققت به طرق بابسة ، ممالحة للمشى ، وعلى الجوانب مياه قائمة كالجبال ، ويسر الله لهم اثنى عشر طريقا في البحر ، بعدد أسباط بنى إسرائيل ، لكل سبط منهم طريق .

قال تعالى : فَآصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَلَفُ دُرَكًا وَلَا تَحْشَىٰ . (طه: ٧٧) .

٤ ٣ – وَأَزْلُفْنَا ثُمِّ ٱلْآخَرِينَ .

أى: قرينا من البحر هنالك الأخرين ، وهم فرعون وجنوده فتبعوهم .

هــ و أَلْنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مُقَاَّمَ أَجْمَعِينَ .

أى: أنجينا موسى ومن معه من المؤمنين ، فلم يغرق منهم أحد ، وكان هذا معجزة لموسى ، وآية ظاهرة على رسالته .

٣٩ - ثُمُّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ .

أغرق الله فرعون وجنوده أجمعين ، فلم يبق منهم أحدًا ، وحاول فرعون إظهار الإيمان بإله بنى إسرائيل فى اللحظة الأغيرة ، فأغلق الله فى وجهه هذه التوية ، التى جاءت بعد ظهور شبح الموت .

قال تعالى: وَجُنُوزُنَا بِنِيَّ إِسْرَآءِمِلْ ٱلْبَعْرَ فَالْتَعَهُمْ لِمُرْعُونُ وَجُنُودُهُ, بَعْيَا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَوْزَكُمُ ٱلْفُرَقُ قَالَ عَاسَتَ أَلَّهُ لَا إِلَيْهِ إِلَّهُ إِلَّهُ اللّهِيَّ عِلَيْهُ إِلَيْنَ عِيلُوا إِسْرَاعِيلُ وَأَلْمَا مِنْ الْفُسِيلِينَ. فَالْوَمْ مُنْجُلِكُ بِنَدَلِكَ لِتَكُونُ لِمُنْ خَلِقُكَ مَايَةً وَإِنْ تَكِيرًا مَنَ ٱلْكُاسِ عَنْ عَالِيْنَ لَعَلِمُولَ. (يونس ١٩٠ – ٩٠). وقال تعالى : فَلَمَّا زَنُهُۥ أَنَّ هَنَّوْلاً عَقَوْمُ شُخْوِمُونَ هَ فَأَشْرِ بِجِنَادِى لَيَلاَ إِنْكُمْ مُتَّبَعُونَ ، وَأَثْوَلِمْ آلْبَحْرَ رَهُوَا إِنَّهُمْ جُنَدْ مُغْزَقُونَ ، حَمَّ تَرَكُواْ مِن جَنَّسْتِ وَخُيُونِ ، وَزُورُوعُ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، وَنَشَقَعَ كَانُواْ فِيهَا فَلَكِهِينَ ، كَذَالِكَ وَأَوْرَثُنَفَهَا قَوْمًا عاضِينَ ، فَمَا يَكُتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُسْطَينَ . (الدخان : ٢٧ – ٢٧).

٧٧ - إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّوامِنِينَ .

إن فيما ذكر من قصة موسى ، ونجاته مع المؤمنين به ، وغرق فرعون وجنوده ، آية واضحة ، ودليلاً ظاهرًا على قدرة الله تعالى ، حيث نجًى المؤمنين ، وأهلك الطغاة المعتدين .

وهذه الآية من شأنها أن تأخذ بيد الناس إلى الإيمان ، لكن أكثر الناس من القبط لم يؤمنوا ، بعد أن شاهدوا ما شاهدوا ، أو أكثر بني إسرائيل لم يستقر الإيمان في قلوبهم ، بدليل أنهم شاهدوا قومًا يعكفون على أصنام لهم ، فقالوا : يا موسى لجعل لنا إلها كما لهم آلهة .

٨٨ – وَإِنَّ رَبُّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ .

وإن الله سبحانه وتعالى لهو المنتقم من أعدائه ، والرحيم اللطيف بأوليائه ، كما أهلك فرعون وغيره من العتاة الظالمين ، وكما نجى موسى وغيره من المرسلين .

قصة إبراهيم عليه السلام

﴿ وَاَتَلَ عَلَيْهِمْ نَهَا إِبْرَهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لَأَبِيهِ وَقُوْمِهِ عَالَعَبُدُونَ ۞ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُ لَمَا عَنَكِيْنِ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُولَا ذَيْعُونَ ۞ أَوْمَنَعُونَكُمْ أَوْمَشُرُونَ ۞ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَقْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَءَ يَتُمْ مَاكُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَشَهُ وَءَابَا وَصُحُمُ الْأَفَدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمَ عَدُولِّ إِلَارَبَ الْعَلَمِينَ ۞ اللّذِي خَلَقَنَى فَهُو بَهُدِينِ ۞وَالْذِي هُويُظُعِمُنَى وَشَفِينِ۞ وَإِنْ الْمَرْضَةُ فَهُورَ شَعْدُ فَهُورَ شَعْدِينٍ ۞ وَالّذِي كُيمِيتُنِي فَهُو اللّذِينِ ۞ وَالّذِي يُعِيتُنِي يُومَ اللّذِينِ ۞ وَالّذِي عَلَيْتَى يُومَ اللّذِينِ ۞ وَالّذِي عَلَيْتَى يُومَ اللّذِينِ ۞ ﴾

تمهيد:

تأتى قصة إبراهيم الطليل تسرية لرسول الله ﷺ، وتخليدًا لذكرى أبى الأنبياء ، وإرشادًا إلى سلوكه الممتاز ، فى نبذ الأصنام ، وبيان أنها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ، ولا تستحق العبادة ، وأن من يستحق العبادة هو الله وحده ، الخالق الزازق المحيى العميت ، الباعث ، الحسيب الرقيب ، الذى هو على كل شيء قدير،

٧٠ ، ٧٠ - وَٱتَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَّأَ إِبْرَاهِيمَ وَإِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ .

أى: اتل على قومك المشركين قصة إبراهيم الخليل ، فقد كانوا يفتخرون بأنهم على دين إبراهيم ، فبين لهم إخلاص إبراهيم ، وتجرده وشجاعته ، حين سأل أباه وقومه ، عن عبادتهم والهتهم التي يعبدونها.

٧١ - قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَنْكِفِينَ .

قال قوم إبراهيم له: نعبد هذه الأصنام ، ونظل مقيمين على عبادتها في الليل والنهار

٧٧ ، ٧٧ - قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ، أَوْ يَنفُعُونَكُمْ أَوْ يَطْرُونَ .

هل تسمع الأصنام عبادتكم ودعاءكم ، هل تملك أن تجلب لكم نفعا ، أو تدفع عنكم ضرًا ؟ إذن ما الفائدة من عبادة ما لا يسمع ولا يعقل ، ولا يجيب ولا ينفع ولا يضر.

٧٤ - قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَالِكَ يَفْعَلُونَ .

لم يجدوا حجة ولا دليلاً على استحقاق الأصنام للعبادة ، غير حجة التقليد الأعمى ، واتباع الآباء والأجداد .

قال تعالى . أُوَلُو كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيَّنَا وَلَا يَهْتَدُونَ . (البقرة ١٧٠٠)

٥٧ ، ٧٧ - قَالَ أَفْرَ عِيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُلُونَ وَأَنتُمْ وَءَابَا وُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ وَفَاللَّهُمْ عَدُرٍّ لِّي إِلَّا رَبُّ ٱلْعَلْمِينَ.

جهر إبراهيم بالحق بدون مجاملة أو خجل أو موارية ، فقال لهم في صراحة : إن هذه الأصنام التي تعبدونها ، وقد عبدها آبازكم السابقون ، أنا لا أعترف بألوهيتها ، وأجاهر بعداوتها ، فهي لا تسمع ولا تجيب ، ولا تنفع ولا تضر، وأنا لا أعبد إلا الله تعالى ، خالق الكون كله ، ورب الخلائق أجمعين .

وهو قريب من قول هود عليه السلام : إِنِّيَّ أَشْهِدُ اللَّهُ وَالشَّهُوْاْ أَنِّى بَرِعَةٌ مِّمًّا تُشْرِكُونَ و مِن دُونِهِ فَكِيلُونِي جَمِيعًا لَمَّ لاَ تَعَلَّرُونِهِ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّى رَرَبُكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاجِذُ بِاَصِيتَهَا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتِقِيمٍ . (مود: ٥٠ – ٥٠).

ثم ذكر إبراهيم صفات الرب الذي يعبده ويتبتل إليه ويعترف بأفضاله فقال:

٧٨ – ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينٍ .

إنه الشالق الذى وهبنى حياتى ووجودى ، وعقلى وفكرى ، وهياً لى طرق الهداية ، وأودح فيُّ العقل والفكر والاختيار .

كما قال تعالى : ٱللَّهِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱللَّهِي قَدَّرَ فَهَدَّىٰ . (الأعلى ٢٠ - ٣).

فهو سبحانه الخالق الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ، والذي أودعه أسباب الهداية والمعرفة .

قال تعالى : هَلْ أَنَّى عَلَى ٱلْإِسَدَنِ حِنَّ مِّنَ ٱلنَّهُو لَمْ يَكُن هَيْنًا مَذْكُورًا ، إِنَّا عَلَقْنَا ٱلْإِسَدَنَ مِن نَفَقَهُ أَمْشَاحٍ يُتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ مَعِيمًا مُعِيرًا ، وإنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِنَّا هَاكِرًا وَإِنَّا كَغُورًا . (الإنسان : ١ – ٣).

٧٩ – وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ .

وهو سبحانه سائق السحاب ، ومنزل المطر ، ومحيى الأرض بعد موتها ، ومقدر الأرزاق في الأرض ، ومرسى الجبال لتحتفظ بالمياه في رءوسها ، قال تعالى : قُلْيَنظُرِ الْإِلسَّنُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ، أَنَا صَبَيَّنا أَلْمَاءَ صَبًّا ، لُمُّ شَقَفَنَا ٱلْأَرْضَ شَقًا ه فَالْسَبْنَا فِيهَا خَبَّا ء وَعِبْنَا وَقَعْنَهَا ه وَزَيْتُونَا وَيَخَلأَ ه وَخَدَالِقَ غُلْبًا ه وَفَلكِهِةَ وَأَبَّا - مُعْدُفَا لَكُمْ. وَلاَنْضَكُمْ . (عيس : ٢٤ – ٢٧).

وقد أضاف إبراهيم النعم إلى الله في أدب وتجرد ، وتحبب إلى الله ، فنسب إليه كلُّ خير ، ونسب المرض إلى نفسه ، فقال :

ه ٨ - وَإِذَا مَرضَتُ فَهُوَ يَشْفِينِ .

وإذا طرأً على مرض ، فهو سيحانه الذي ينعم على بالشفاء منه .

وقريب من ذلك قول فتى موسى . وَمَا أَنسَنِيهُ إِلاَّ ٱلشَّيْطَانُ . . (الكيف : ١٣) ، وكما قالت الجن · وَأَنَّا لا نُفْرَى ٓ أَشَرُّ أُرِية بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمُّ أَرَافَ بِهِمْ رَبُّهُمُ رَفْشًا . (لاجن: ١٠) .

٨١ - وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمُّ يُخْيِينِ .

فهر الإله القادر الذي يهب الحياة للأحياء ، والذي يميتنى عند نهاية عمرى وانتهاء أجلى ، ثم يحييني يرم القيامة للبعث والحساب والجزاء ، وكل ذلك لا تقدر عليه أمىنامكم .

٨٢ – وَٱلَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓتَتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ِ.

إن الله سبحانه يتصف بكل كمال ، ويتنزه عن كل نقص ، فهو الخالق الرازق ، وهو المحيى المعيت، وهو صاحب الفضل والعطف والرحمة ، فأنا آمل وأطمع أن يغفر لي ننوبي ، ويصفح عن خطيئتي يوم القيامة ، والله تعالى يعصم الأنبياء والمرسلين من اقتراف الننوب والمعاصى ، لكنه ريما اقترف خلاف الأولى ، أو ارتكب بعض المخالفات أو الصغائر ، فسماها خطيثة ، مضما لنفسه ، ورغبة في استنزال رحمات ربه ، وتعليما للمخاطبين وإرشادًا لهم ، وتحبيبًا لله تعالى إلى خلقه ، فهو غافر الذنب وقابل التوب ، وهو الرحمان الرحيم .

جاء في صحيح مسلم عن عائشة ، قلت : يا رسول الله ، ابن جُدّعان كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذلك نافعه ؟ قال : «لا ينفعه ، إنه لم يقل يوما: ربّ اغفر لي خطينتي يوم الدين» (٣٠٠.

ويوم الدين هو يوم الجزاء حيث يجازي العباد بأعمالهم.

دعساء

﴿ رَبِّ هَبْ لِي خُصْكُمَا وَٱلْحِقْنِي بِالصَّنَاحِينَ ۞ وَٱجْعَلَ فِي لِسَانَ صِدْقِ فِي ٱلْأَخِرِينَ ۞ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّهِيمِ ۞ وَاَغْفِرْ لِإَنْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالَانَ۞ وَلَاغْمُرِنِي بَقِمْ يُبْعِثُونَ۞ يَوْمَلاَ يَنْفَعُ مَالُّ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَقَ الشَّيْقَلْبِ سَلِيمِ۞ ﴾

المفردات:

الـــحــكـــم؛ هو العلم بالخير والعمل به.

أوهقتى بالصالحين ، وفقتى للأعدال التي توصل إلى الانتظام في زمرة الكاملين ، المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها .

تســـــان ســــدق : ذكرا جميلا بين الناس ، بتوفيقي إلى الطريق السليم ، حتى يقتدي بى الناس من بعدى ، ومن كلام المكتماء : «قد مات قرم وهم في الناس أحياء» .

ومن كلام المكماء : هقد مات قوم وهم في الناس نحياء» . من ورثة جنة القميم ، ممن يدخلون الجنة ، ويتمتعون بنعيمها ، كما يتمدء الوارث بميراثه .

الصفيان.

المقطب السماميم ، البعيد عن الكبائر والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة .

تمهيد ،

هذا دعاء من إبراهيم ، وفيه نكر الله ، وتفويض الأمور إليه ، وفي الحديث : «من شفله نكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» .

التفسيره

٨٣ - رَبُّ هَبْ لِي خُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّالِحِينَ .

يارب وفقني وألهمني الحكمة ، والصدق في القول ، والصواب في العمل .

وَ أَلْحِقْنِي بِٱلصَّـٰلِحِينَ .

وفقتني للأعمال المبالحة لأدخل في زمرة الصالحين من عبادك، فدرجة الصلاح درجة سامية ، هي أن يكون العبد طائعا لله ، كأنه قدر الله وتوفيقه ، وقد وصف الله بعض الأنبياء بالصلاح فقال : وَبَهُّ مُنَّ الصَّلَّحِينُ (العبدان: ٢٩). وفى التشهد «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» ومن أدعية الملائكة الاستغفار للمؤمنين . والدعاء لهم بالمغفرة ودخول الجنة ، والوقاية من الثار .

وروى أن النبي ﷺ قال في دعائه: «اللهم أحينا مسلمين، وأمتنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مبلكون».

٨٤ - وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ .

أى: لجعل لى ذكرًا حسنا ، وحبًّا في قلوب الخلق ، حتى أكون قدوة حسنة لمن بعدى ، وقد أجاب الله دعاءه كما قال سبحانه : وُتَرِّكُا عَلَيْهِ فِي ٱلْاَ عَرِينَ مَسْلَمٌ عَلَىْ إِبْرُ عِيمَ هَ كُلَّ لِلْكُ نُجُّ يَ ٱلْمُحْسِينَ.

(المباقات: ۱۰۸ – ۱۱۰)

٨٥ - وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَلَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيم .

أي: اجعلني ممن يدخلون الجنة ، ويتمتعون بنعيمها ، كما يتمتع الوارث بالميراث .

قال تعالى : وَبِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي أُورِكُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . (الزخرف: ٧٧) .

٨٦ - وَآغْفِرْ لِأَبِي إِلَّهُ كَانَ مِنَ ٱلصَّالِّينَ .

أي: سامح أبي واغفر ذنويه ، واستر عيويه ، لأنه ضل عن الحق وعبد الأصنام .

قال تعالى : وَمَا كَانَ ٱسْتِخْفَارُ إِبْرَاهِمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مُوْعِدَةٍ وَعَدَمَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيْنَ لَهُۥ أَنَّهُۥ عَدُو ۖ لَلْهِ بَيْرًا مِنهُ إِنْ إِبْرَاهِمَ أَذَاهُ خَلِيمٌ . (الديد : ١١٤) .

٨٧ - وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعُمُونَ .

أى: لا تفضحنى بعتاب على ما فرطت ، أو بنقص منزلتى فى الأخرة ، وأجرنى من الخزى والهوان ، يوم القيامة ، يوم يبعث الخلائق أولهم وأخرهم ، وفى هذا المعنى ورد من الأدعية فى القرآن الكريم : رُبَّناً إِنْكُ مَن تُلاَعِلْ آلْكَارُ قَفَدُ أَخْرَتِهُمْ وَكَا لِلطَّلْغِينَ مِنْ أَنْصَادٍ . (ال عمران : ۱۹۷) .

٨٨ ، ٨٩ - يَرْمَ لَا يَعْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ .

فى يوم القهامة لا ينفع الإنسان ماله وإن كقر ، ولا ابنه ، وإنما ينفعه الإيمان بالله وباليوم الآخر ، والإهلاص لله ، والبعد عن النفاق والرياء والشرك . قلا ينقع في يوم القيامة منصب ولا جاه ، ولا مظهر ولا وجاهة ، ولا أيّ قهمة من القهم التي يحرص عليها المراءون ، إنما القيمة العليا في ذلك اليوم ، لإخلاص القلب لله ، والبعد به عن الشهوات والانحرافات، والمراد بالقلب السليم الخالى من شوائب النفاق والشرك ، والربياء وحب المظاهر . قال تعالى : في قُلُوبِهِم مُرَّصُّ فُوَادَهُمُ اللَّهُ مُرَّصًا وَلَهُمُ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَكُانُوا يُكَالُونُ . (البدية - ١٠) .

ونلمح في الآيات السابقة توفيق إبراهيم ، وتجرده مخلصا الله ، وذكره لآلاء الله ، ودعاءه لله دعاءً رخيًا نديًا ، ينبض بالإخلاص حيث دعا الله أن يرزقه سعادة الدنها وسعادة الأخرة .

أخرج أحمد، والترمذي، وابن ماجة، عن ثوبان قال: لما نزلت: وَٱللَّهِنَ يَكُنِرُونَ ٱللَّهُبَ وَٱلْفِعْلَة ... (النوية: ٣٤)،

قال بعض أصحاب رسول الله 藝؛ لو علمنا أي المال خير اتخذناه ، فقال رسول الله 藝 : «أفضله: لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه ٣٧٠.

﴿ وَأَزْلِفَتِ الْمُنَّقِينَ ﴿ وَيُرِيَتِ الْمُحْمِمُ لِلْغَاوِينَ ﴿ وَقِيلَ لَمُمْ أَبْنَ مَا كُنْتُ وَعَمُدُونَ ﴿ وَمُثُولُ لِلْيِسَ مِن دُونِ اللّهِ هَلَ يَصُمُونَ مُ اَقْرَيْنَ صِمُونَ ﴿ فَاكْتَدِكُمُ الْهَاهُمَ وَأَغَاوُنَ ﴿ وَمُثُولُ لِلْيِسَ الْجَمْعُونَ ۞ قَالُوا وَهُمْ فِهَا يَغْفَصِمُونَ ۞ فَاللّهِ لِلْكَنَّ الْغِي صَلَالِ مُّينِ ۞ إِنَّ فَي مَلِي مِنِ "الْمُلْكِينَ ۞ وَمَا أَضَلَنَا إِلَّا الْمُجْوِمُونَ ۞ فَعَالْنَا مِن شَنْفِعِينَ ۞ وَكُنَ مَنْ وَمِينَ فَلُو أَنَّ لَنَا كُذَهُ فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهُ وَمَاكَانَ الْمُرْهُمُ مُوْمِنِينَ ۞ وَنَى مُؤَلِّ لَكِنَا مُؤْمِنُونَ ۞ وَلَنَّ مَالْمَالُونَ مَنْ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ وَمُلْكَانًا مُعْمُومُ مُوْمِنِينَ ۞ وَلَنَ

المفردات :

أرُاسطت، قريت.

برزت، جعلت بارزة لهم بحيث يرون أهوالها.

الفاوين، الضالين عن طريق الحق.

هكيكيوا: ألقوا على وجوههم مرة بعد أخرى ، من قولهم : كبُّه على وجهه ، أى : ألقاه . وختصمون، يخاصمون من معهم من الأصنام والشياطين . تسويكم: نجعلكم مساوين له في استحقاق العبادة.

الصديق: الصادق في ودُّه .

الحميم؛ هو الذي يهمه ما أهمُّك.

السكسرة؛ الرجعة.

تمهید :

في هذه الآيات وصف ليوم القيامة حيث ينعم المتقون بالجنة ، ويعاقب المجرمون بالذار ، واقتصر في وصف الجنة على آية واحدة ، ثم أسهب في وصف جهنم رأهلها ، واختصامهم وحسرتهم في جهنم، وتعنيهم العودة إلى الدنها ليكونوا من المؤمنين .

التفسيره

٩٠ - وَأَرْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ .

وقد قريت في يوم القيامة الجنة لمن اتقى الله تعالى وخاف عقابه ، كما قال تعالى : وَأَرْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُقِينَ كُثِيَّ بَعِيلٍ . (ن : ٣١) .

٩١ – وَبُرَّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ .

أظهرت الجحيم للضالين عن الحق ، المتمىرفين عنه إلى الغى والضالال ، بحيث يشاهدونها ويدركون أموالها ، ويتيقنون بالتذاب فيها .

قال تعالى . وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّواْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا . (الكهف ٥٣).

٩٢ ، ٩٣ ~ رَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ، مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتصِرُونَ .

أى: سُئل أهل النفار سؤال تقريع وقوييخ ، لا سؤال استفهام . وقيل لهم: أين الأصنفام ، والآلهة المدعاة التى عبدتعوها من دون الله ؟ هل ينصرونكم اليوم وينقذونكم من النفار ، بل هل ينتصرون لأنفسهم هم حين يلقون في النفار ، أنذلاء تحرقهم الفار ؟ كما قال تعالى - وَقُوفُهَا آثَاسُ وَٱلْوِجُكَرَةُ ... (التحريم : ٢) .

٩٤ ، ٩٥ - فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْفَاوُرِنَ مِ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ .

أى: تكرر إلقاء العصاة في جهنم ، في صورة زرية منكرة ، تحس بها من هذا اللفظ المبير : فُكُيُكُووْ . فِيهَا … أَى: الْقوا فيها جموعا فوق بعضها ، أو القوا في النار على وجوههم ، من كبُّه : إذا دفعه في النار على وجهه ، قال تمالى : يُوْمُ يُسْجُونَ فِي آثار عَلَىٰ وُجُوهِهمْ ذُولُواْ مَسْ سَقَرَ . (انقير ٤٨) . ونلحظ أن الآلهة المدعاة تلقى أولاً ، ثم يلقى بالغاوين ، لينقطع رجاؤهم وتشتد حسرتهم ، حين بشاهدون الآلهة تدفع فى جهنم دفعًا وتدعً دعا ، ثم يلقى فى جهنم جميع جنود إبليس ، وأتباعه الذين ألماعوه وعملوا فى خدمته ، والجميع من جنود إبليس ، فهو تعميم شامل بعد تخصيص .

٩ ٩ - قَائُواْ وَهُمُ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ .

أي . قال الغاوون وهم يخاصمون من معهم في جهنم ، من الأصنام والشياطين والآلهة المدعاة .

٩٨ ، ٩٧ - قَاللَّهِ إِن كُنَّا تَفِي ضَلَنْلِ مُّسِنِ و إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبَّ ٱلْمَثْلَمِينَ .

والله ما كنا إلا في ضلال واضح ، حين تركنا عبادة الله وحده ، وعبدنا معه أصنامًا لا تضرّ ولا تنفع ، ولا تشفع ولا تنقذ .

والآيات تصوّر أهل النار ، في مشهد هي مُشاهد ، كأنه واقع منظور ، حيث تلقى الأصنام والآلهة المدعاة في النارأمام عبادها ، وحيث يتبرأ العباد من الوهيتها ، ويندمون أشد الندم ، ولكن بعد فوات الأوان .

٩٩ - وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ .

لم يخرجنا عن طاعة الله إلى طاعة الشياطين والأصنام ، إلا الرؤساء والقادة والكبراء ، الذين أغرونا بالكفر بالله واتباع غيره ، فهم مجرمون معتدون علينا ، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى : وَقَالُواْ وَيُنَّا إِنَّ أَطْفَ اسَادَتُنَا وَكُبْرَآعَانَ فَأَصْلُونَا السَّبِيلَا ، وَبُنَّا ءَاتِهِمْ ضِغَفْيُن مِنْ الْمُغُابِ وَالْفَقُهُمْ أَنْفَا كِبِيزًا . (الأحذاب: ١٧٠ ـ ١٨)

. ١٠١، ١٠١ - فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ . وَلَا صَلِيقٍ حَمِيمٍ.

فليس لنا اليوم شافع يشفع لنا ، فينقذنا من العثاب ، ولا صديق مخلص ، يسعى لرحمتنا وإنقاذنا مما نحن فيه ، وتلاخظ أن الشافعين جاءت بالجمع ، لكثرة الشافعين فى ذلك اليوم من المؤمنين ، أما الصديق الحميم فجاءت مفردة ، للدلالة على ندرة الصديق ، خصوصا فى وقت الضيق .

والخلاصة:

أن الأمر قد بلغ بهم من شدة الهول ، مبلغًا عظيمًا ، فهم فى القار خالدون مخلدون ، وهم يتأسفون على حالهم ، ويندمون على عبادة غير الله ، ثم يظهرون الحسرة واللهفة على عدم وجود شفيح يشفع لهم ليخلصهم مما هم فيه ، أو حثى مجرد صديق يتوجع لألمهم ، ويشاطرهم أحزائهم .

١٠٢ ~ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كُرَّةً فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ.

أى ليت لنا كرة ورجعة إلى الدنيا ، لنتدارك ما فاتنا ، ونعمل صالحًا ، ونؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسك واليوم الأخر ، حتى إذا مننا لا ينالنا ذلك العذاب ، والقرآن هنا يصور مواقف القيامة ، كأنها حاصلة مشاهدة أمام العين ، ليتدارك الإنسان نفسه قبل ضياع عمره .

قال تعالى : وَأَفَفُواْ مِن مَّا وَوَقَسُكُم مِّن قَبَل أِن يَأْتِيَ أَحَدُكُمُ ٱلْمُؤْتُ فَيَقُولُ وَبَّ لُوْلَاَ أَخْرَتُنِي إِنِّي أَجَل قَوِيبٍ فَأَصَّدُقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّلِيجِينَ وَلَن يُؤخِّرَ اللَّهُ فَصًا إِذَا جَنَّاءً جَنَّهِا وَٱللَّهُ عَبِيرٌ بِمَا تَهْمَلُونَ . (السنافقون : ١٠ . ١٠).

٩٠٣ - إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّونينينَ.

أى: فيما ذكر من قصة إبراهيم الخليل ، وجداله مع قومه ، وإلزامهم الحجة ، وفي عرض مواقف الحشر والحساب والجزاء ، لأية وعظة وعبرة لمن كان له قلب ، أن ألقى السمع وهو شهيد .

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُوامِنِينَ .

وما كان أكثر قوم إبراهيم بمؤمنين بالله ورسوله .

١٠٤ - وَإِنَّ رَبُّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ .

إن الله تعالى الفوى القادر ، له العزة جميعا ، والقلبة والأمر كله لله ، وهو مع ذلك رحيم بعباده يقبل قوية التأنبين ، ويعفو عن المذنبين ، ورحمته وسعت كل شيء ، وهو الرحمان الرحيم .

ويتكرر هذا التعقيب عقب قصة نوح مع قومه ، وهود مع عاد ، وصالح مع ثمود ، ولوط مع قومه ، كما جاه تعقيبا على آية وقعت للمكذبين .

وخلاصة هذا التعقيب :

فى هلاك الظالمين فى الدنيا ، وعذابهم فى الأخرة ، عظة وأية ، وقد كان سبب هلاكهم عدم إيمان أكثرهم ، وفى هذا التعقيب تسلية للرسول الأمين ، وتبصرة للمؤمنين بأن الله هو الغالب العزيز ، وهو الرحيم بعباده حيث خلقهم ويزقهم ، وأرسل لهم الرسل ، ثم بين لهم عاقبة أمرهم فى الأخرة ، ليتبصروا ويعتبروا. ﴿ كَذَبَتَ قَوْمُ نُحِ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَمُمْ أَخُوهُمْ نُوجُ أَلَا نَفُونَ ۞ إِنِي لَكُمْ رَسُولًا أَمِينُ ۞ فَاتَقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ ﴿ قَالْوَا أَنْوَمُنُ لَكَ وَأَخَبَكَ الْأَرْدُولُونَ ۞ قَالَ وَمَاعِلْمِي عِلَا كَاثُواْ يَعْمَلُونَ ۞ إِنْ حِسَائِهُمْ إِلَا عَلَى رَبِي لَوْشَعُوونَ ۞ وَمَا أَنْ إِطَادِي الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنْ أَنَّا لِالنَّيْرِ مُّنِينٌ ۞ قَالُوا لَمِن لَمْ تَنْدَي يَنْفُحُ لَتَكُونَنَ مِن الْمُوْمِينَ ۞ وَمَا أَنْ إِطَادِي الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانُولُ النَيْرِ مُّنِينٌ هِ وَاللّهُ مَنْ مَا مُنْ مَنْ مُنْ وَمِنْ مَنْ مَنْ وَمِنْ مَنْ مَنْ مَنْ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَا فَعَنْ مُومَنَ مَعْمُونِ الْفُلُو اللّهُ اللّهِ اللّهِ مُونِ هَا مُمْ أَغْرَفَنَا بَعَدُ الْبَاقِينَ ۞ إِنْ فِذَالِكَ لَا يَذُو وَمَاكَ الْمَالِمُ اللّهُ وَمِينَ ۞ وَيَسْتَعَمُّونَ اللّهُ وَمِينَ ۞ وَالْمَالِينَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَعْرَفَنَا عَدُالًا فِينَ ۞ إِنْ فِذَالِكَ لَا يَذُومُ وَمَاكَاتَ أَكْثُومُهُمُ مُنْ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنْ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَالْمَالِينَ أَمُونُ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَالْمَالِمُ اللّهُ وَمُنْ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَالْمَالِمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَهُ وَاللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَمُنْ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَاللّهُ وَمَا كُونَا لَمُؤْمِنِينَ ۞ وَاللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَمِنْ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَاللّهُ وَالْمُونَ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنْ مَنْ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَالْمَالِمُونَ اللّهُ وَالْمُ اللّهُ وَمِنْ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَالْمَالِمُونَ اللّهُ وَمِنْ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَالْمَالِمُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَالْمُؤْمِينَ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللْمُلْعِينَ اللْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنَا اللّهُ وَاللّهُ مُلْلُمُ اللّهُ اللْمُؤْمِنَا اللّهُ اللْعَلْمُ اللّهُ اللّهُ اللْعَلْمُ اللّهُ اللْعَلْمُ اللّهُ الْعَلْمُ اللّهُ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِلِهُ اللْمُؤْمِلُونَ اللْعُلْمُ اللْعَلْمُ اللْعُلْمُ اللْعُلِمُ اللْعُلْمُ اللْعُلْمُ اللْعُولُولُ اللْعَلْمُ اللْعُلْمُ اللْعُلْمُؤْمِلُولُولُولُولُولِلْمُ

المقردات :

أخـــوهــــم، أخوة نسب ، كما يقال : يا أخا العرب ، ويا أخا تميم ، يريدون : يا من هو واحد منهم .

قال الحماسي :

في النائبات على ما قال برهانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

الأردُل . الأردُل . واحدهم : أردُل .

والسرذالسة الخسة والدناءة ، وقد استردلوهم التضاع نسبهم ، وقله حظوظهم من الدنيا .

من المرجومين : من المقتولين رميا بالحجارة .

فسافستسح ؛ احكم ، من الفتاحة بمعنى الحكومة ، أي : احكم بيني وبينهم حكمًا .

نسج نسي ، من شؤم عملهم .

السيفيناك؛ يطلق على الواحد والجمم.

المشحون ؛ المملوء بالناس والحيوان .

السيساقسيسن، من قومه.

الأيسسسمة ، عبرة شاعت وتواترت .

تمهيد،

هذه قصة نوح عليه السلام ، وهو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض ، بعد أن عبدت الأصنام والأنداد ، فنهاهم عن ذلك ، وحدُّرهم من وبال عقاب ربهم ، ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين ، فكذبه قومه فدعا عليهم : فأغرقهم الله عقابًا لهم ، ونجى الله نوجاً ومن معه من المؤمنين .

التفسير،

٥ ، ١ ، ٩ ، - كَلُّبُتْ قَوْمُ لُوحِ ٱلْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمُ لُوحٌ أَلَا تَتْقُونَ .

تأتى قصة نرح في سلسلة عدد من العرسلين ، دعوا أقوامهم إلى توحيد الله ، والتمسك بالفضائل . ولكن أقوامهم كذبوهم فاستحقوا عقاب الله تعالى .

ونلحظ هنا أن قوم نوح كذبوا نوحًا وحده ، لكن لما كانت دعوة الرسل واحدة ، كان تكذيب رسول منهم تكذيبًا لهم أجمعين .

والمعتى :

كذبت قوم نوح رسالات السماء ، حين قال لهم أخوهم نوح : ألا تتقون الله وتراقبونه ، وتؤمنون به سبحانه .

ونلحظ أن نوحًا نشأ بينهم ، وهم يعرفون حسبه ونسبه وأمانته ، وكل ذلك يكون داعيًا إلى تصديقه، لكن المكذبين يرون أن الرسالة امتياز ، فيجحون ويكذبون ، حتى لا يتفضل الرسول على قومه ، ولا يتميز عليهم ، وهو لون من ألوان الحقد ، كما قال تعالى على لسان قوم نوح : مَا هَذَانًا إِلّا بَحْرٌ مُثْلِكُمُ مُرِيدُ أَن يَتَفَعْلَ

١٠٨،١٠٧ - إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ٥ فَٱلتَّفُواْ ٱللَّهُ وَأَطِيعُونِ .

إنس رسول من عند الله أرسلني إليكم ، وإنى أمين على وحى السماء ، لا أغير فهه ولا أبدل ، وإنما أنطق بالحق والصدق .

فَٱلْقُواْ ٱللَّهُ وَأَطِيعُونِ .

أى . راقبرا الله واتقوم وآمنوا به ، وأطيعوني فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته ، والتصديق برسله وكتبه ، والإيمان بالبعث والجزاء والجنة والنار . ٩ . ٩ - وَمَّا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ .

أى: لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة أجزًا ، ولا مالاً ولا جعلاً ، لأن أجرى وجزائى عند الله ، فأنا أقرم بتبليغ رسالة الدين خالصة لوجه الله تعالى .

وقد كان الكهان ورجال الدين يستغلون الدين فى جمع المال ، بل والاحتيال بطرق عديدة ، لجمع الأموال من الناس ، لذلك صدرح الرسل فى رسالاتهم بأن أجرهم على الله ، فهم أمناء على دعوة الله ، وهم يبلغونها ابتغام مرضاة الله .

قال تعالى: ٱلَّذِينَ يُبَلِّقُونَ رِصَلَلْتِ ٱللَّهِ وَيَخْشُونُهُ وَلَا يَخْشُونَ أَحْدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكُفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِينًا . (الأحزاب: ٣٩) .

١١ -- فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ .

كرر الأمر بتقوى الله ، لأنها رأس الفضائل ، وقدمها على طاعته ، لأن من خاف الله وراقبه ، يرجى خيره وبرّه وطاعته لرسول الله . وتكرير التقوى هنا لترسخ فى أذهانهم ، وتلين قلوبهم ، ونظير هذا قول الأب لابنه : الق الله فى عقوقى وقد ربيتك صغيرًا ، اتق الله فى عقوقى وقد علمتك كبيرًا .

١١١ - قَالُواْ أَنْوْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرّْفَلُونَ .

أتباع الرسل عادة يكونون من الفقراء والبسطاء ، لأنهم يؤمنون بالحق ، ويصدقون بوجى السماء ، بدون نظر إلى ربح أو خسارة ، أما المترفون فتشغلهم اللذات والمحرمات واتباع الهوى ، والإسراف على النفس ، عن الإيمان بالرسل ، قال تعالى : وكُذَّ اللّهُ مَا أَرْسُلُنَا مِن قَبْلِكُ فِي قُرْيَةٍ مِّن نَّلِيرٍ إِلَّا قَالَ مُحْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا النفس ، عن الإيمان بالرسل ، قال تعالى : وكُذَّ اللّهُ مَا أَرْسُلُنَا مِن قَبْلِكُ فِي قُرْيَةٍ مِّن نَّلِيرٍ إِلَّا قَالَ مُحْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا عَلَى اللّهِ عَلَيْ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللّهِ عَلَيْهِ مِنْ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ مِنْ اللّهِ عَلَيْهِ مَا اللّهُ عَلَيْهِ وَلَهُ عَلَيْهِ مِنْ اللّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ مَا اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ اللّهِ عَلَيْهِ مِنْ اللّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ إِلّهُ قَالَ مُعْرَفُوهَا إِنّا وَجَدْنَا عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْهِ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْكُ عَلَى اللّهَ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلِيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْك

ومعنى الآية :

أنصدق برسالتك يا نوح ، ونحن نرى أتباعك من الفقراء والبسطاء ، وأصحاب الحرف المتدنية ؟ فكيف نجلس – ونحن الأغنياء والشرفاء – مع الفقراء الذين لا حسب لهم ولا نسب ؟ فهم من الأرائل الذين انحط نسبهم وقل قدرهم . وما علموا أن الله كرّم الإنسان بعقله ، وميزه به على جميع المخلوقات ، فمن فكر وآمن بالله ورسله ، فقد حاز الشرف والأجر ، أما الكافر فهو متعرض لغضب الله والخزى والهوان ، قال تمالى : رَبّاً إِنْكُ مَن تُدْخِل آثارَ قَقَدُ أَخْزِيَّهُ, رَمَّ لِلْظُلْلِمِنْ مِنْ أَنْصَارٍ . (ل عمران : ١٩٢).

١١٢ - قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

كأنَّ الكفار ادعوا أن هؤلاء الفقراء والبسطاء قد اتبعوا نوحًا لينالوا شرفا في الدنيا ، ومنزلة أعلى من منزلتهم ، فأخيرهم نوح أنه رسول من عند الله ، فمن آمن به وجب عليه أن يضمه إلى قائمة المؤمنين ، وأن يقبل ظراهرهم ، وليس عليه أن ينقب عن بواطنهم ، لأن المطّلع على الضمائر هو الله تعالى ، والله تعالى لا ينظر إلى صور الناس ولا إلى أموالهم ، وإنما ينظر إلى قلويهم وأعمالهم ، «فالطق جميمًا عباد الله، يدركون ثوابه بالعمل الصالح ، ويتفاضلون عنده بالتقوى» . وفي القرآن الكريم . يَثَلِّهُمَّ ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُنْكُمُ مُن كُورُ أَنْهَى وَعَتَالُهُ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِرٌ ، (الحجرات : ١٢) .

١١٣ - إِنَّ حِسَائِهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ .

ما حسابهم وجزاؤهم إلا على الله المطّلع على السرائر والضمائر ، ولو كنتم من أهل الشعور والإدراك لعلمتم ذلك .

٤ ٩ ٩ - وَمَا أَنَّا بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

كأنهم شرطوا على نوح ، أن يطرد هؤلاء الفقراء من مجلسه ، حتى يؤمنوا به ، كما ذكر ذلك أبوحيان في «البحر المحيطه ، ويدل على ذلك ما حكاه القرآن الكريم على لسان نوح عليه السلام : وَمَاّ أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ وَامْتُواْ إِنْهُم مُلْقُواْ رَبِّهِمْ وَلَكِيْنَ أَرْسَكُمْ قَوْمًا لَعَجْهُلُونَ ، وَيَنْقَرْمِ مَنْ يَصُرُفِي مِنْ اللَّهِانِ طَرَدُهُمْ أَفَلُوَ لَلْكُورُونَ . (هود. ٢٩ ، ٢٥).

وقد حاول رؤساء قريش مثل ذلك مع النبي ﷺ ، فأذذل الله عليه قوله تعالى : وَلاَ تَطُرُو ٱلَّابِينَ يَلْتُونَ رَبُهُم بِالْفَدَوْةِ وَٱلْصَيْقِ يُوبِدُونَ وَجَهَهُ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شِيءٌ فَتَطُرَ عَلَمْ مِنَ ٱلطَّلَامِينَ . (الأنماء : ٥٢) .

١١٥ - إِنْ أَنَا إِلَّا نَلِيرٌ مُّبِينٌ .

ما أنا إلا رسول من عند الله ، أدعو إلى توحيد الله ، وأندر الكافرين بالعذاب ، فمن أطاعني دخل في زمرة المؤمنين ، سواء أكان شريفًا أم وضيحًا ، جليلاً أم حقيرًا . ١٩٧ - قَالُواْ أَيْنِ لَّمْ تَنتَهِ يَلْنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ .

طال مكن نوح فى قومه يدعوهم إلى توحيد الله ، ويناقشهم بالحجة والبرهان والأدلة العقلية ، ولما أفحمهم لجأوا إلى التهديد بالقوة فقالوا : لثن لم تنته يا نوح عن دعوتك لنا إلى الإيمان برسالتك ، وعن تحقيرك للأصنام التى نعيدها ، لنرجمنك بالحجارة حتى تموت ، ولما هددوه بالقتل لجأ إلى الله يبثه أحد الله ، ويشكر إليه تكنيب قومه ، ويطلب منه النصر والمعونة .

١١٧ ، ١١٨ – قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّهُونِ هِ فَاقْشَعْ يَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَشْعًا وَنَجِّني وَمَن مُعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

أى: قال نوح لربه شاكيًا متضرعًا مستغيثًا به: إن قومى كذبوا رسالتى وأعرضوا عنى ، وإزدادوا عتوًا وتصديمًا على الكفر، وقد ورد هذا المعنى بالتفصيل فى سورة نسوح وغيرها ، مثل قدوله تعالى: قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعُوْتُ قُوْمِى لَيُلاَ وَنَهَازًا وَ فَلَمْ يَوْفُهُمْ فُعَاتِيَ إِلَّا فِرَارًا وَ وَإِنِّى كُلُمَا دَعُرْتُهُمْ لِشَغُورُ لَهُمْ جَعَلْزاً أَمْسَمِّهُمْ فِي عَلْمَا فِيهُ وَاسْتَعْفُواْ فِيلَهُمْ وَأَصْبُواْ وَاسْتَكَثَّرُواْ أَسْتِكُنْواْ (رنوح : ٥ - ٧) .

فَٱقْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتُحًا ...

أقض بيننا بحكمك العادل ، الذي ينصر الحق ، ويخذل الباطل ، وينجى المؤمنين ، ويهلك الكافرين .

وَلَجِّنِي وَمَن مُّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

أي: أنقذني ومن آمن بي من مكرهم وكيدهم وعدوانهم.

١٩٩ - فَأَلْخِيْنَاهُ وَمَن مُعَمُر فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ...

كان الله قد أوحى إلى نوح أن يصنع سفينة لينجو بها مع قومه المؤمنين من الطوفان الذي يصبب الكافرين ، وكان الكفار يسخرون من نوح ومن عمله ، حيث يصنع سفينة في منطقة يابسة ليس بها ماء ، والسفينة لا تجرئ على البيس .

قال تعالى: وَيَصْنَعُ ٱلْقُلْكَ وَكُلُّهَا مَرُ عَلَيْهِ مَلَا مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ ... (مود: ٢٨).

وفي الوقت المعين، أمطرت السماء، وفجر الله عيون الأرض، وتلاقت المياه واستد الطوفان، وأغرق الله الكافرين، ونجي المرمنين، في الْفُلُكِ أَلْمُحُونِ. أي: المعتلئ عن أخره، قال تعالى: فَلَنَّعَا رَبُّارُ أَنِّي مُقُلُّوبٌ الْآتَفَهِيرْ وَ فَقَتَحَنَّا أَبُوْ لِهِ ٱلسَّمَاءِ بِهَاءِ مُنْهَمِيرٍ وَ وَلَحَرُّنَا الْأَرْضَ غَيُونَا قَالَتَهَى الْفَنَاءُ عَلَى أَلْمِرْ وَ وَحَمَلُسُهُ عَلَىٰ ذَاتَ الْوَرْحِ وَقُسُو وَ تَحْوِي بِأَغْيِّنَا جَزَاءٌ لَّمَن كَانَ كُفِرُ وَ لَقَدَّتُرَكِّسَهَا ءَايَّةً فَهَلْ مِن مُذْكِرٍ وَ فَكَيْفَ كَانَ عَلَيْهِي وَلَهُرٍ . (القدر ١٠٠- ١٥)

١٧٠ - ثُمُّ أَغْرُ أَنَّا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ .

بعد نجاة نوح في السفينة ، ومعه من كل زوجين اثنين ، يسّر الله له مقومات الحياة ، ونجاه بسلام وأمان من الطوفان هو والمؤمنين ، ثم أغرق الله الباقين من قومه على الكفر ، أو الباقين خارج السفينة لكثرهم .

١٢١ - إِنَّ فِي ذَ 'لِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّوْمِنِينَ .

إن فيما تقدم من هلاك الكافرين ونجاة المؤمنين ، لعظة عظيمة وعبرة لمن تدبر وتفكر ، وما كان أكثر قوم نوح بمؤمنين ، ولذلك استحقوا الهلاك وعقوبة السماء ، وفى هذا تهديد لأهل مكة : أن أفيقوا وتفههوا ، وآمنوا حتى لا يصيبكم ما أصاب المكذبين من الأمم قبلكم .

١٢٢ - وَإِنَّ رَبُّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ.

فهو سبحانه الرب الكريم صاحب العزة والجبروت ، فلا يقهر ولا يذل ، وهو الغالب على ما يريده ، القادر على استثمال أعداء دينه ، وهو على كل شيء قدير ، وهو سبحانه الرحيم بخلقه ، فلا يعاجلهم بالعقوبة ، بل يمهلهم أحقابًا ودهورًا ، ويقبل توبة التانبين ، ويغفر للمستغفرين .

قصة عادقوم هودعليه السلام

﴿ كَنَّبَتْ عَادُ اَلْمُرْسِلِينَ ۞ إِذَ قَالَ أَمْمَ أَخُوهُمْ هُودُ أَلَا نَتَعُونَ ۞ إِنَّ لَكُوْ رَسُولُ أَمِينٌ ۞ فَانَقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِلِنَ أَجْرِي إِلَّا عَلَيْرَبِ الْعَلَمِينَ ۞ وَمَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِلِنَ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَلَمِينَ ۞ وَلَمَا أَسْتُلُكُمْ عَلَيْهُ مِنْ الْجَرِينَ إِلَّا عَلَيْ الْمَعْمُ وَيَقُولُ اللّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَاتَّعُوا اللّهَ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمِ ۞ وَلِمَا مَنْ كُمْ عَلَيْكُمْ عَذَابَ مِنْ عَظِيمِ ۞ وَلَمَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمُواللّهُ وَمُولُونِ ۞ وَمَا كَانَ أَكُورُهُمُ وَفُومِينَ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَالْتُحْوَا لَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْهُ وَاللّهُ وَالْهُ وَاللّهُ وَ

المفردات:

عصصاد اسم أبى القبيلة الأكبر، ويُعبرُ عن القبيلة إذا كانت عظيمة باسم الأب ، أو ببنى فلان أو أل فلان .

المصري ع ، «بالفتع والكس» المكان المرتفع ، ويقال : كم ربع أرضك ؟ أي : ارتفاعها .

ت م ي د ون ، تتخذون العبث ، وتفعلون ما لا فائدة فيه .

مصيدة ، وحصونا منيعة .

و عانكم تخلون .

الأخذ بالعنف.

البحب بار، المتسلط العاتي بلا رأفة ولا شفقة.

أملكم ، سدَّر لكم .

المسومسط ، كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد .

خلق الأوليين ، عادتهم التي كانوا يدينون بها ، ونحن مقتدون بهم .

وما نحن بمعدين ، على ما نحن عليه .

فسكستيسوه: بالعذاب.

فأهلك تناهم؛ بسيب التكذيب في الدنيا ، بريح صرصر.

تقهيده

بعد هلاك قوم نوح بالطوفان ، جاء بعدهم عاد ، وكانوا يسكنون في جنوب الجزيرة العربية قرب حضرموت ، بالأحقاف : وهي جبال الرمل بين سلطنة عمان واليمن ، وقد ظهرت حقريات في سلطنة عمان حضرموت ، بالأحقاف : وهي تنجح وجود قرية عظيمة البنيان والمصانع ، يرجع أنها قرية عاد ، التي أهلكها الله بالربح العاتية ، وفي سورة الأعراف يقول الله تمالي على لسان هود نبى الله إلى عاد ؛ وَآذَكُورُا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلُفَاءً مِنْ بَقَد قُومُ مُ مِح وَرُادَكُمْ فِي ٱلْعَلْقِ سَاسُول عنه . والله على الله الله بالربح العالم على الله الله بالربح الله إلى عاد ؛ وَآذَكُورُا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلُفَاءً مِنْ بَعْد قُومُ مُ مِح وَرُادَكُمْ فِي ٱلْعَلْقِ سَسْلَةً ... (الأعراف : ١٩٥).

التفسيره

۱۲۳ ، ۱۲۴ ، ۱۲۵ ، ۱۲۵ – کَلُبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ 。 إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ ٱلاَ تَتَقُونَ ، إِنّى لَكُمْ رَسُولٌ أبينَ ، فَاتَقُواْ ٱللّهَ وَأَطِيعُونِ .

كنبت عاد رسول الله إليهم ، حين قال لهم أخوهم مود : ألا تققون الله وتراقبونه وتخافون بأسه ، فقد أهلك قوم نوح حين كنهوا .

إِنَّى لَكُمْ رَسُولٌ أَهِنَّ . ناصح مخلص في تبليغ الرسالة ، فاتقوا الله واستجيبوا لدعوته ، وأطيعوني فيما آمركم به .

ومن هذه المقدمة نلحظ اتحاد الرسالات فى الدعوة إلى توحيد الله ، فكل رسول كان يأتى ليبلغ هذه الدعوة ، ويمضى فى طريقه ، ويحاول أن يشرح لهم الرسالة التى يحملها ، ومضمون ما تقوم عليه من الإيمان بالله وسلائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

١ ٢٧٠ - وَمَا أَشْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبُّ ٱلْعَلَمِينَ .

لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة أجرًا ولا مالاً ، فأجرى وجزائى أرجوه من ربى ، الله رب العالمين .

١٢٨ - أَتَبْتُونَ بِكُلُّ رِبِعِ ءَايَةً تَعْبُقُونَ .

أتبنون بناية بكل مكان مرتفع من الأرض ، مثل أبراج الحمام التي تبني للهو والعبث ، وكل مكان مرتفع بثين بيني للهو والعبث ، وكل مكان

قال ابن كثير:

الربع : المكان المرتفع ، كانوا يبنون عند الطرق المشهورة بنيانًا محكمًا هائلًا باهرًا ، لمجرد اللهو واللعب وإظهار القوة ، واهذا أنكر عليهم نبيهم عليه السلام ذلك ، لأنه تضييع للزمان ، وإتعاب للأبدان ، واشتفال بما لا يجدى في الدنيا ولا في الأخرة .

١٢٩ - وَتَتَخِلُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ .

تتخذون قصورًا مشيدة محكمة ، أو سدودًا للمياه .

قال مجاهد: المصانع: البروج المشيدة، والبنيان المطد، وفي رواية عنه: بروج الحمام.

وقال قتادة : هي مأخذ الماء .

والمعنى على العموم هو:

وتتخذون سدودًا لحبس المياه ، أو حصونا منيعة وقصورًا مشيدة ، مؤملين الخلود في الدنيا ، كأنكم لا تعرفون الموت ، ولا تحسُّون بسكان القبورَ .

والمقصود من نَمُهم : اهتمامهم بدنياهم ، دون العمل لأخراهم ، فلو عملوا لهما جميعًا ، لما عيب عليهم ما صنعوه لدنياهم ، في غير سرف ولا مثيلة .

١٣٠ - وَإِذَا بَطَعْمُ مَطَعْمُ مَطَعْمُ جَبَّارِينَ .

وإذا عاقبتم سواكم أسرفتُم في البغي عليهم ، جبارين غاشمين ، دون رأفة أو رحمة .

قال الفخر الرازى :

ومطهم بثلاثة أمور:

٧ - اتشاذ الأبنية العالية، وهو يدل على السرف وحب العلو.

٢ - اتفاذ المصانع - القصور المشيدة والحصون - وهو يدل على حب البقاء والخلود

٣ - الجبارية: وهي تدل على حب التغرب بالعلو، وكل ذلك يشير إلي أن جب الدنيا قد استولى عليهم ، يحيث
 استغرق افيه حتى خرجوا عن حب العبودية ، وحاموا حول ادعاء الربويية ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة.

١٣١ - فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ .

خافوا الله ، واتركوا هذه الأعمال ، وأطيعوا أمرى .

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٣ - وَٱلْقُواْ ٱلَّذِيّ أَمَدُّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ وَأَمَدُّكُم بِأَنْفُهُم وَبَيِنَ ه وَجَسَّتُ وَغُيُونٍ .

خافوا الله الذى أنعم عليكم بنعم تطمونها وتشاهدونها ، من أنواع النعماء والآلاء ، أمدكم بالإبل والبقر والغنم ، وأمدكم بالبنين لتكثروا ، وليعاونوكم فى حفظ أنعامكم وتنميتها ، وليحملوا عنكم بعض أعبائكم ، وأمدكم ببساتين مثمرات ، وعيون بالماء جاريات .

ونلاحظ أن نبى الله هود قد تدرج معهم فى ذكر عيويهم وتكبرهم وتجبرهم، ثم تلطف معهم فى ذكر أنمم الله عليهم ، حيث أجملها ثم فصُّلها مستشهدًا بعلمهم ، ويذلك أيقظهم من غفلتهم ، ونبههم إلى شكر ربهم خشية نزول الغذاب بهم .

١٣٥ – إِنَّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَلَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ.

أى: إنى أخاف عليكم - إن لم تؤمنوا بالله وتطيعوا أمره - عذاب يوم القيامة ، الذي يشيب من هوله اللوليد . أن أخاف عليكم عذاب الله في الدنيا ، وهو عذاب عظيم ، حيث ينزل بكم العذاب ، فيصيبكم الغذاء ، حيث كانوا في نعم وقدوة وقدرة ، واستكبار وعتى ، قال تعالى : فَأَمّا عَاثَ فَآسَتُكُرُوا فِي الْأَرْضِ بِعَبْرِ الْمَقْ وَقَالُوا مَنْ اللهِ عَلَيْهُمْ قُولَ أَخَدُ مِنْهُمْ قُولُةً وَكَالُوا مَنْ لِنَامُ عَلَيْكُمْ وَمَدَد ، واستكبار وعتى ، قال تعالى : فَأَمّا عَانَ لِنَامَ عَلَيْكُمْ وَرَا لَمُقَلَّ عَلَيْهُمْ قُولُةً وَكَالُوا مَنْ لِنَامُ اللَّهِ عَلَيْهُمْ اللهِ قُولُ وَكَالُوا مِنْكَلِينًا يَجْحَدُونُ . (مصلت: ١٥٠) .

وهكذا نجد نبى الله هوذا يقدم لهم النصح والموعظة الحسنة ، ويربشدهم إلى أنعم الله عليهم ، ويحترهم من عقوبته ، اكتهم أمسرًوا أذائهم عن نصيحته .

١٣٦ - قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَاعِظِينَ .

أى: يستوى عندنا تذكيرك لنا وعدمه ، فلا نبالي بما تقول ، ولا نرعوى عما نحن عليه .

قال أبو حيان : جعلوا قوله وعظًا ، على سبيل الاستخفاف وعدم المبالاة بما خوُفهم به ، إذ لم يعتقدوا صحة ما جاء به ، وأنه كانب فيما ادّعاه .

١٣٧ – إِنْ هَـٰـٰلَنَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ .

ما نحن عليه هو دين الآباء والأجداد ، أو هو سنة الدهر : أرحام تدفع ، وقبور تبلع ، وما يهلكنا إلا

الدهر، وإن يكرن هناك بحث ولا جزاء ، وهكذا استكثر أهل مكة البعث والحشر، كما قال تعالى : وَكُانُواْ يُقُولُونَ إِنْذَا مِثْنَا رُكُنًا تُرِانًا وَعِقْدُمًا أَيْنًا لَهُنِيَّهُ وَلَى نَ أَوَ عَالَيَا ثَالِيًا أَلِينًا لِين

١٣٨ - وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّبِينَ .

فلا بعث ولا حساب ولا جزاء، أو لن ينزل بنا عذاب في الدنيا، وكذلك في الآخرة،

١٣٩ - فَكَدَّبُوهُ فَأَهْلَكُننهُمْ إِنَّ فِي ذَا لِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّوْمِنِينَ.

هذه خاتمة القوم في هذه القصة جاءت في كلمتين:

فَكَدُّبُوهُ فَأَهْلَكُنَّنَّهُمْ.

كذبوا رسولهم ، ولم يستمعوا إلى نصحه المتكرر ، وبيانه المستغيض ، وتعديد أنعم الله عليهم . وتحديد أنعم الله عليهم . وتحديره أنعم الله عليهم . وتحديره أن الله أرسل هود. عليه السلام فأهلكهم الله ، حيث لم يفن عنهم طول أجسامهم ، ولا تشييد بيوتهم ومصانعهم ، ولا تجبرهم وبطشهم ، فأين قوة المخلوق من قوة الخالق ، وقد بينت سور القرآن الكريم أن الله أرسل عليهم ريحًا عائية ، وأنهم حاولوا دفن أجسامهم في الرمال ، وإبقاء رءوسهم في الهواء ، فكانت الريح تقصف رءوسهم، وتتركهم كانخذة التي قطع رأسها ، وترك الجنر خرابًا لا فمر فيه ولا فائدة ، وقد طمرتهم الرياح ، وعفت على أثارهم وتمت إبادتهم عن آخرهم ، ليكونوا عظة وعبرة لسوء خاتمة المكذّبين ، وما كان أكثر هولاء المهلكين

وفى سورة الحاقة وخسع القرآن هذه المعانى بقوله تعالى : وَأَمَّا عَانُّ فَأَهْلِكُواْ بِرِيحِ صَرْصَرِ عَاتِيَةٍ سَخْرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعٌ لِيَالِر وَفَمَشِيَّةُ آيَّامٍ حُسُومًا فَيَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَلْهُمُ أَعْجَازُ نَحْلٍ عَاوِيَةٍ ه فَهَلْ تُرَىٰ لَهُم شُوْكَافِيّةٍ . (الحاقة ١٠ – ٨) .

١٤٠ - وَإِنَّ رَبُّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ .

إن الله هو القادر المنتقم من المكنبين الجاحدين ، الرحيم بالتائبين النادمين .

، قصة ثمود قوم نبي الله صالح

﴿ كَذَبَتْ مُمُودُ الْمُرْسِلِينَ ﴿ إِذَ قَالَ لَمُمْ آخُوهُمْ صَلِيحٌ أَلَا نَنْقُونَ ﴿ إِنِّ لَكُمْ رَسُولُ آمِينَ ﴾ وَقَالَمَا المَّنَا لَحُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَحْرَ إِنَّ أَخِي إِلَا عَلَى رَبِ الْعَلَمِينَ ﴾ وَقَاتَمُوا اللّهُ وَالْمِينَ فَ وَتَخْرُونَ فِي مَا هَمُهُ نَا عَامِينَ ﴾ وَتَخْرِينَ فَي وَتَخْرِينَ فَي وَتَخْرِينَ فَي اللّهُ عَلَيْهُ الْمَعْمَ الْمَدَّى وَعُمُونِ ﴿ وَفَخْرِينَ اللّهُ عَلَيْهُ الْمُعْمَ الْمَدَّى وَعُمُونِ ﴾ وَلَا تُعْلِيعُوا أَمْنَ اللّهُ مَا اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ

المفردات ،

المطمليج، أول ما يطلع من التمر، ويعده يسمى خلالاً، ثم بلحا، ثم بسرا، ثم رطبا، ثم تمرا.

الهضيم، النضيج الرَّخص، اللين اللطيف.

السنسحت : النجر والبرى .

هارهين، بطرين، من الغره: وهو شدة الغرح، أو حانقين، من الغراهة: وهي النشاط، فإن الحانق يعمل بنشاط وطيب قلب، وقرئ: «فرهين» أي: بطرين، وهو أيلغ.

السخريسن الذين سُحروا حتى ذهبت عقولهم .

الشِّسري، وبالكس، النَّمبيب والحظ.

فعضروها، رموها بسهم ثم قتلوها.

2 4440

يتجاور القصص فى القرآن الكريم ، وعادة تأتى قصة ثمود مع قصة عاد ، فقد كانوا عربًا يسكنون أطراف الجزيرة العربية ، تسكن عاد فى الجنوب بين اليمن وسلطة عمان ، وتسكن ثمود مدينة الحجر ، التي بين وادى القرى والشام ، أى على طريق العدينة ، ومساكنهم معروفة مشهورة ، وتعرف اليوم بمدائن صالح، وكان ألهل قريش فى رحلة الصيف يمرون عليها وهم ذاهبون إلى الشام ، ومر رسول الله ﷺ بهم حين أراد غزو الشام ، وقال لأصحابه : «لا تمروا على قرى القوم الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم مشفقون أن يصبيكم ما أصابهم» (١٠٠٠).

وكانت ثمود بعد عاد ، وقبل إبراهيم الخليل عليه السلام ، والقصة ذكرت في عدد من سور القرآن الكريم ، وقد كانت هناك معجزة ظاهرة لثمود ، هي ناقة صالح ، تسقيهم لبنا في يوم ، وتشرب الماء في يوم ، ولكنهم كذبوا وقتلوا الناقة ، واستحقوا العذاب ، فأهلكهم الله العزيز القادر على المكذبين ، الرحيم بالمؤمنين .

التفسير ،

١٤١، ١٤٢، ١٤٢، ١٤٣ ، ١٤٤٠ ع ١٠٥ – كَلْبَتْ لَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ وإذْ قَالَ لَهُمْ أَنْعُوهُمْ صَلَاحُ أَلاَ تَتَقُونَ ۗ إِنَّى لَكُمْ رَسُولًا أُمِينً مَاتَّقُوا ٱللَّهُ وَأَطِيفُونِ وَمَنَا أَسْتُلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَخْرِى إِلَّا عَلَىٰ رَبُّ ٱلْصَلْمِينَ .

كذبت ثمود رسل الله أجمعين ، حين كذبت نبى الله صالحاً ، حين قال لهم صالح : ألا تتقون الله ، ونبذ عبادة الأصنام ، وطاعة وتخافون عقابه ، إنى لكم رسول أمين ، ناصع لكم ، أدعوكم إلى توحيد الله ، ونبذ عبادة الأصنام ، وطاعة الله ورسوله ، فاتقوا الله وأطيعونى فيما أدعوكم إليه ، ولا أطلب منكم على تبليغ الرسالة أجرًا ولا مالاً ، فجزائى وأجرى عند الله الخالق الرازق رب العالمين ، وخالق الأكران ، وهو إله عالم السماء وعالم الأرض، وعالم الغرير ، وعالم الأرض، وعالم الغرير ، وعالم العرب ، وعالم الأرض،

وهذه الآيات بمضمونها تكررت في قصمص الأنبياء السابقين واللاحقين ، لأن القرآن بهذا يؤكد وحدة الرسالات في الدعوة إلى توحيد الله ، ثم تميز كل رسالة بمعالجة خصائص مجتمعاتها .

١٤٧ ، ١٤٧ ، ١٤٧ - ١٤٩ – أَثَوْرُكُونَ فِي مَا هَدَهُنَا ءَامِينِنَ ه فِي جَنَّدَتِ وَعُمُونِ ه وَزُرُوعٍ وَلَخَلِ طَلَّمُهَا هَضِيهُ و وَنَسْخِونَ مِنْ آلْوَجَال بُيُونًا فَدْرِهِنَ .

أتظنون أن تتركوا في أنمم الله تتمتعون بها ، حال كونكم آمنين من بطشه وعقابه ، وقد حاول أن ينمس تلويهم وأفئدتهم ، وأن يذكرهم بالنعم التي بين أيديهم ، من جنات ويساتين ، وعيون المياه الجارية، والزروع النضرة والنخيل المثمر ، ذى الرطب الهضيم ، اللين اللطيف سهل الهضم ، وتنحتون من الجبال ببوتا حانقين بطرين فى نحتها وبنائها ، مع البطر والأشر والقرح والتطاول ، أتظنون أن تتمتعوا بكل ذلك من ألوان النعم ، وأنتم كافرون بأنهم الله المتعددة ، التى ذكرت بعضها تذكيرًا لكم ، وتنبيهًا لأفئدتكم ؟!

١٥ - اَلَّاتُقُواْ ٱللَّهُ وَأَطِيعُونِ .

فراقبوا الله وأقبلوا على طاعته ، وطاعة رسوله ، فهذه الطاعة هي التي تجمّلكم بالشكر ، وتجعلكم فيمن أحرز النعمة وقام بشكرها ، فاستحق التمكين في الأرض ، والزيادة والسعادة في الدنيا والأخرة .

١٥١، ١٥٢ - وَلَا تُطِيعُواْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ وِ ٱللَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ .

أي: لا تتهما أمر السادة والقادة ، الذين يسرفون على أنفسهم في اتباع الهوى والترف ، ويتطلقون إلى الإنساد وارتكاب المويقات ، ولا يصيخون السمع إلى الهداة والمصلحين .

وقريب من ذلك قوله تعالى : وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهُوا يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ . (النمل : ٤٨).

ونلحظ هذا أن القرآن قال: ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِعُونَ .

لبيان أن فسادهم خالص ، ليس معه شيء من المبالاح ، على عكس حال بعض المفسدين ، المخلوطة أعمالهم يبعض الصلاح .

١٥٣ - قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ.

أى: لست إلا رجلا غلب السحر على عقله ، فأصبح يهذى بكلام المجانين ٢٨٠ .

١٥٤ - مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مَّفْلُنَا فَأْتِ بِعَايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ .

أي: لست إلا رجلاً مثلنا ، تأكل الطعام وتشرب الداء مثلنا ، فكيف تعيزت علينا بالرسالة ، فإن كنت صادفًا ، فأت بمجة تدل على صدقك .

وهكذا نجد أن البشرية فى تاريخها الطويل كذبت رسالة الرسل ، لأنهم بشر مثلهم ، وفى عهد النبي ﷺ استكثر كفار مكة عليه الوحى ، لأنه يعانى مثلهم ، فلماذا لا يعطيه الله أموالا كثيرة ، أو بساتين يتعيش من دخلها ، وما علموا أنها إرادة الله فى أن يكون الرسول بشرًا كسائر الناس ، يعيش مثلهم ، يعيش مثلهم ، متى يكون قدوة عملية لهم .

وقد حكى القرآن كلام أهل مكة للنس محمد ﷺ فقال : وَقَالُواْ مَالَ هَلِذَا ٱلدُّسُولَ بَأَكُلُ ٱلطُّعَامَ وَيَمْشي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلاَ أَنزلَ إِلَيْهِ مَلَكُ فَيَكُونَ مَعَهُ, نَلِيرًا . أَوْ يُلْقَيَّ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تكونُ لَهُ, جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلطَّيْلِهُونَ إِن تَتْبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مُسْحُورًا . (الفرقان: ٨.٧).

والخلاصة : أنهم كذبوا نبيهم صالحًا ، واقترحوا عليه أن يأتي بمعجزة تدل على صدقه .

٥ ٥ ١ - قَالَ هَلْنِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْم مَّعْلُوم .

أي: هذه معجزة ماثلة أمامكم ، وهي ناقة تخرج من بين جبلين ، وكان لهم نهير صغير ، فاشترط نبي الله صالح أن يتركوا لها ماء النهر كله في يوم ، تشرب ماء النهر في الصباح ، ثم يطبون منها لبنا يكفيهم جميعًا في آخر النهار ، وفي اليوم التالي تترك لهم ماء النهر ولا تشرب منه .

قال تعالى: إنَّا مُرْسِلُواْ ٱلثَّاقَة فَتُنَّهُ لُهُمْ فَأَرْتَقَيْهُمْ وَآصْطَيرْ ، وَنَيَّتُهُمْ أَنَّ ٱلْمَاءَ قَسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شرب مُحْتَطَيرٌ ، فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَفَرَ . فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنْلُر . إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيم ٱلْمُحْتَظِر . وَلَقَدْ يَسُّونَا ٱلْقُرْءَانَ لِللَّاكُرِ فَهَلْ مِن مُّذَّكِرٍ . (القمر: ٢٧ - ٢٧).

ومع وضوح هذه الآية ، ودلالتها على صدق نبى الله صالح ، فإن الكفر معدنه جحود وكنود ، فقد قتلوا الناقة وعنوا عن أمر ربهم واستحقوا عقاب السماء، قال تعالى: وَمَا مَنْعَنَّا أَن تُرْسِلُ بَالْأَيْلَتِ إِلَّا أَن كُدُّبَ بِهَا ٱلْأُوَّلُونَ وَءَالَيْنَا لَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ ٱلْآيَكَتِ إِلَّا تَحْويفًا . (الإسراء : ٥٩) .

١٥٢ - وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوِّءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْم عَظِيمٍ .

لا تؤذوا هذه الناقة بضرب أو عقر ، فإنكم إن فعلتم ذلك أرسل الله عليكم عذابًا عظيمًا مهلكًا ، وسمَّى العذاب عذاب يوم عظيم ، تسمية لليوم باسم ما وقع فيه ، وهو العذاب العظيم .

١٥٧ - فَعَقَرُ وهَا فَأَصْبَحُواْ لَلْدُمِينَ

اعتدوا على الناقة ، وانطلق شقى من الأشقياء -- هو قدار بن سالف - فعقرها ، والقوم راضون عن عمله ، لم يمنعوه ولم يأخذوا على يديه ، فاعتبروا مشاركين في هذا العمل ، وقد ظهرت بوادر العذاب وعلاماته ، فأصبحوا نادمين خوفًا من حلول العذاب بهم ، لا توبة من ذنبهم ، أو تابوا عند معاينتهم العذاب ، حيث لا ينفع المتاب. ١٥٨ - فَأَخَلَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُؤْمِنِينَ .

أرسل الله عليهم صاعقة فأهلكتهم ، كما قال سيحانه : وَأَمَّا ثُمُودُ فَهَدَيْسَلُهُمْ فَاسَتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهَلَىٰ فَأَخَذُتُهُمْ صَلِعَةَ الْعَلَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كُلُوا يُكُسبُونَ مِ وَنَحِيًّا ٱللَّذِينَ وَاشَدُا (كَالُوا يَتُكُسبُونَ مَ وَنَحِيًّا ٱللَّذِينَ وَاشَدُا (كَالُوا يَشُونَ) . (فصلت : ١٨ . ١٨).

وقال سيحانه : كَانْبَتْ تَعُوفُ بِطَغُوسُهَا و إِذِ آلَبَتَثُ أَشْقَتْهَا و فَعَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ فَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقَيْنَهَا و فَعَلَيْهِ وَ فَعَفُرُ هَا فَتَمْمَ عَلَيْهِمْ رَّهُم بِلَنْهِمِهُ فَسُرَّعْهَا ء وَلَا يَعَافُ عَقْبَنْهَا . (الشدس : ١١ – ١٥) .

لقد عتوا ريغوا وطغوا وعقروا الناقة عتوًا وكبرا ، فجاءهم العذاب المهين ، والهلاك العدمّر ليكون الجزاء من جنس العمل .

إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً ... في ما ذكر من قصة ثمود من هلاك الكافرين ونجاة المؤمنين .

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُؤْمِينَ . حيث آمن القليل وكفر الكلير ، فنجى الله المؤمنين ، وأهلك الكافرين .

١٥٩ - وَإِنَّ رَبُّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ.

وإن الله هو الغالب القادر ، الفعال لما يريد ، وهو الرحيم بالمؤمنين ، وقابل التوب من التائبين .

جاء في تفسير القرطبي ما يأتي :

يقال: إنه ما آمن به من تلك الأمم إلا ألفان وثمانمائة رجل وامرأة ، وقيل : كانوا أربعة آلاف.

وقال كعب : كان قوم صالح اثنى عشر ألف قبيل ، كل قبيل نحو اثنى عشر ألفا ، سوى النساء والذرية، ولقد كان قوم عاد مثلهم ست مرات ™.

قصة لوط عليه السلام

المطردات :

اخــــوهـــــم، أى : فى البلد والسكنى ، لا فى الدّين ولا فى النسب ، لأنه ابن أخى إبراهيم ، وهما من أرض بادل .

السنكسران و احدهم: ذكر ، ضد الأنثى من كل حيوان .

عسيسيادون، متعدُّون الحدود التي رسمها العقل والبشرع.

من المخرجين ؛ ممن نخرجهم من أرضنا ، وننفيهم من قريتنا .

صن الشالهين ، المبغضين لفطكم ، والقلى: البغض الشديد ، كأنه يقلى الفؤاد ، يقال: قليته ، أقليه ، قلى وقلاء .

الشفايسريسن ، الباقين ، من غبر بالمكان ، غبوزًا : أقام به ، وقد يستعمل الغبور بمعنى المضى والذهاب ،

فهو في الشرء وبضده .

دمـــرنـــا: الدمور والدمار والتدمير: الإهلاك.

تمهيد،

هذه قصة لوط مع قومه ، ونبى الله لوط رحل من العراق إلى الشام مع عثه إبراهيم الخليل ، واسمه لوط بن هاران بن آزر ، وقد بعثه الله إلى أمة عظيمة ، تسكن من قطاع الأردن سدوم وأعمالها ، التى أهلكها الله ، وهي عمورة وثلاث مدن أخرى ، وجعل مكانها بلاد الغور المتاخمة لجبال بيت المقدس ، فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له ، وأن يطيعوا رسولهم ، وأن يجتنبوا الفواحش والمثلية الجنسية ، وهي استغناء الرحال بالرحال ، والنساء بالنساء .

التفسيره

، ١٩١، ١٩١، ١٩٢، ١٩٢، ١٩٣٠ – ١٩٤، ٩٦٠ – كَذْبَتْ قَوْمُ لُوطَ ٱلْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَعُوهُمْ لُوطَ أَلَا تَقُونَ ، إِنِّى لَكُمْ زَسُولُ أَمِينٌ ، فَاتَّهُمْ ٱللَّذِي وَأَعْلِمُونِ ، وَمَا أَسَلَكُمْ عَلَيْ مِنْ أَخِرِ إِنْ أَجْرِي إلاَّ عَلَيْ رَبِّ ٱلْصَلْمِينَ .

تأتى هذه الآبات مماثلة لما سبق فى قصمص موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح عليهم السلام ، ذلك أن رسالة الأنبياء واحدة فى جوهرها وأساسها ، وهى الدعوة إلى توحيد الله ، وإلى التحلّى بمكارم الأخلاق ، والتخلّى عن الرذائل ، مع الإيمان بالبعث والحساب والجزاء ، وفى هذه الآبات نجد أن قوم لوط كذبوا جميع المرسلين ، حين كذبوا نبيهم ، وأن نبيهم لوط دعاهم إلى تقوى الله وطاعته ، والخوف من عقابه ، ويين لهم أنه رسول من عند الله تعالى ، أمين على وحى السماه ، فعليهم مراقبة الله ، وطاعة رسوله، وهو لا يطلب منهم آجرًا ، إنما أجره على الله رب العالمين .

٥ ٢ ١ -- أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَلْلَمِينَ .

أتفعلون هذا المنكر وتلك الفاحشة ، التي لم يسبقكم إلى مثلها أحد من العالمين ، وهي جماع الرجل للرجل ، واستغناء الرجال بالرجال ، كأنّه لا توجد نساء أمامكم .

ونلحظ أن الفطرة السليمة تقتضى تعاون الذكر والأنثى ، من أجل استمرار الحياة ويقائها ، قال تعالى : وَبِن كُلُ شَيْءٍ خُلْفُنَا زُوْجِيْنِ لَمُلَكُمْ لَلُكُرُونَ . (الناريات : ٤٩) . فالنبات أزواج ، والحيوان أزواج ، والإنسان أزواج ، والسحاب الممطر يتم تلقيح السالب فيه بالموجب ، والتكامل في هذا الكون قائم على التعاون والتنوع ، والتناسق بين أجزائه ، قال تعالى - ثَارِكُ ٱللّذِي جَمُّلُ فِي ٱلسَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَمَّلُ فِيهَا سِرَ جَا أَوْدَا مُنْهَا مُنْ أَوْدَا أَنْ يَذَكُمُ أَوْ أَوْا مُشْرًا وَ وَهَا آلْدِنَ وَالْقَهَا مُنْ مَلَّا أَوْدَا أَنْ يَذْكُمُ أَوْ أَوَا مُشْرًا وَلَا قَانِ مَا مَا . (الذقان : ٢٩٤ / ٢٠).

و الخلاصة : أن الزواج هو الرسيلة العملية لإشباع الفطرة ، واستمرار الحياة ، ورعاية النشء والذرية ، وأن حماع للرحل للرحل منكر مرفوض .

١٩٦٠ - وَتَلَدُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَا حِكُم بَلْ أَنْهُمْ قَوْمٌ عَادُونَ .

وتتركين الاستمتاع بالزوجات الحلال ، وتتركين الجماع في مكان الحرث ، إلى الجماع في الدُّبر ، وهذا عدوان منهم ومخالفة للفطرة السليمة ، واعتداء على ما أمر به العقل والشرع .

قال الزمخشري:

مِّنَّ أَزُوْ حِكُم: تبيين لما خلق الله ، أو للتبعيض ، ويراد بما خلق . العضو المباح منها ، فكأنهم كانوا يقطون مثل ذلك بنساتهم .

وقال الشيخ أحمد المراغي ، في تفسير المراغي :

أأنتم دون الناس جميمًا ، تفعلون هذه الفعلة الشنعاء ، تغشون الذكور وتتركون النساء ، اللاتي وعلهن الله حلالكم ، تستمتعون بهن ، ويستمتعن بكم .

١٩٧ - قَالُواْ لَئِن لَمْ تَنتَهِ يَشْلُوطُ لَتَكُونَنْ مِنَ ٱلْمُخْرَحِينَ.

لم يكن لوط من أهل سدوم ، بل رحل من أرض بابل بالعراق مع عمه إبراهيم ، ثم أقام هى سدوم ، وأرسله الله رسولاً إلى أهلها ، فهددوه بالطرد من القرية ، وربما باحتباس أمواله ، شأن الخلامة المعتدين إذا غضبوا على شخص صادروا أمواله ، وكانوا بهذا يريدون إسكات فمه ، فلا يبشر برسالته ، وإسكات إنكاره وتشنيعه على ارتكابهم الفاحشة ، والاعتداء على الأخرين ، وقد وضع القرآن الكريم بعض أقامهم فقال : إنْكُمُ قَالُونُ ٱلرِّبَالُ وَتَقَطُعُونَ ٱلسِّيلُ وَتَأْتُونَ فِي نَافِيكُمُ ٱلْفَكِرُ ... (المنكبوت ، ٢٩) . فهم قوم مردوا على الأثام والحدوان ، والسلب والنهب ، وارتكاب الفاحشة بصورة لم تخطر ببال أحد من سبقهم .

١٩٨ - قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ .

أى: إنى من المبغضين لأعمالكم ، لا يهمني وعيدكم ولا تهديدكم ، بل أجاهركم ببغض هذا السلوك الذى تسلكونه ، من قطع الطريق ، والاستيلاء على أموال السائرين ، والمجاهرة بالأفعال الشاذة ، وإتيان المنكر في الجمرع المحتشدة ، بدرن حياء أو خجل .

أحس لوط بقطرته أنهم معتدون ، مستحقون لعقوبة السماء ، فسأل الله أن ينقذه منهم ، وأن يخرجه من بينهم .

• ١٧١ . ١٧١ - أَنْجُيِّنْـ وَأَهْلُهُ: أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْفَلْسِرِينَ .

استجاب الله دعاءه ، وأمرة الله أن يسير مع المؤمنين به ليلاً ، مهاجرًا هو والمؤمنين من هذه القرية، ولا يلتفت منهم أحد حتى لا يرى العقوبة التى ستنزل بهم ، لكن زرجته المسنة المنافقة ستكون مع الكافرين، وستهك معهم . قال تعالى : قَالُوا يَسْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبَّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِيطْعِ مَن آلْلُو وَلَا يَلْتَعِنَّ مِنكُمْ أَحَدُّ إِلَّا آمْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيشُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مُؤْجِدُهُمُ آلصَّنَحُ ٱلنَّسَ آلصَّيْحُ بُقِرِيبٍ وَلَلْمًا عَلَيْهَا حِجَازَةً مِّن سِجِّلِل مُتطَوِّدٍ هِ مَّسُومًةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ آلظُّلِجِينَ بَجِيدٍ . (مود: ٨١ – ٨٣).

١٧٢ - ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ.

أهلكنا هم عقوبة على أفعالهم بالخسف والحصب، أى: خسف الله بهم الأرض ، وأرسل عليهم الحجارة . قال مقاتل : خسف الله بقوم لوط ، وأرسل الحجارة على من كان خارجًا من القرية .

١٧٣ - وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مُّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُعَلَرِينَ .

قال قتادة : أمطرنا على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكتهم .

وقال وهب بن منبه: أنزل الله عليهم الكبريت والنار، أي: فجر الله فيها البراكين النارية.

والخلاصة: أن عقابهم كان زلزالاً شديدًا، جعل بالانهم عاليها سافلها ، وكان مصحوبا بكبريت ونار وحجارة من السماء، فأحرقت قراهم ، كما قال تعالى: فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلُهَا وَأَشْطُرُنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مَن سِجِّيلٍ مُشْهُودٍ . (هود: ٨٢) .

قال في ظلال القرآن:

قيل : هسفت قراهم وغطاها الماء ، ومنها قرية سدوم ، ويظن أنها ثاوية تحت البحر العيت في الأردن . وبعض علماء طبقات الأرض ، يؤكدون أن البحر الميت ، يغمر مدنا كانت آهلة بالسكان ، وقد كشف بعض رجال الآثار بقايا حصن بجوار البحر ، ويجوار المذبح الذي كانت تقدم عليه القرابين .

١٧٤ ، ١٧٥ - إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْتُرُهُم مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبُّكَ لَهُوَ ٱلْمَوِيلُ ٱلرَّحِيمُ .

فى هلاك الكافرين ، ونجاة لوط ومن معه من المؤمنين ، آية ملموسة ، ويدليل على أن الجزاء الحق من جنس العمل .

وجاء فى تفسير للمراغى لصاحبه الأستاذ أحمد مصطفى المراغى ، خاتمة تؤيد أن هذه القصة تاريخية ، ويؤكد ذلك بما كتبه الباحثون فقال: كتبت مجلة السياسة الأسبوعية فصلاً قالت فيه : روت الكتب المنزلة : أن الله أهلك مدينتي سدوم وعمورة ، وثلاث مدن أخرى بجوارهما ، بأن أمطر عليهم ناز) وكبريتا

قصة شعيب عليه السلام مع قومه

﴿ كَذَبَ أَصْحُبُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿ وَمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ أِنْ أَجْرِي إِلَّا كُمُ مُرَسُولُ أَمِنُ ﴿ كَذَبَ أَصْحُبُ لَيْكَوْ لِلهِ مَكُونُوا مِنَ أَلْمُحْسِرِينَ ﴿ وَنِوْلًا بِالْفِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿ اللهِ مَنْ الْمَالِينَ اللهُ وَلِينَ الْمُسْتَقِيمِ ﴿ وَلَا تَبْحُسُوا النَّاسَ الْمُسْتَقِيمِ ﴿ وَلَا تَبْحُسُوا النَّاسَ الشَّيَةِ مُورَ وَلا تَنْفُوا اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَا تَبْعُونُ اللَّهُ وَلا تَنْفُوا اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَا اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَا اللَّهِ عَلَيْهُ وَالْمَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللْمُعْمُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعْ

المفردات ،

الأسكسسة ، غيضة ككيرة الشجر قرب مدين ، بعث الله إلى أُهلها شعيبا ، كما بعثه إلى أهل مدين ، وكان نسب شعيب في أهل مدين ، ولم يكن من أصماب الأيكة نسبًا .

من المخسرين ، المطفقين الآخدين من الناس أكثر مما لهم.

التسبطاس؛ الميزان.

المستقيم ، العدل .

ولاتسعستسوا، ولا تفسدوا.

الهبالسنة : «بكسر الجيم والباء وتشديد اللام ، ويضمهما وتشديد اللام» ، الخِلقة والطبيعة .

الأولسيسن، الناس من قبلكم.

كسيفينا: وإ ١٠٠ها : كسفة ، كقطعة (وزنا ومعني).

المطالعة : السحابة التي أطلتهم ، ثم التهبت عليهم نارًا .

الأيــــــة ؛ لعبرة وعلامة دالة على صدق الرسول ﷺ .

تمهيد،

هذه هي القصة السابعة في هذه السورة ، التي وردت باختصار نسبي لتسلية الرسول ﷺ ، وتشهيعه على تحمل أذى المشركين ، وتدريبه على الصبر ، وبيان عاقبة المكابين ، حتى يرتدع كفار مكة ، بما أصاب المكتبين من قرم فرعون حين كنبوا موسى ، وقوم إبراهيم وقوم نوح ، وعاد قوم هود ، وثمود قوم صالح . وقوم لوط ، وأخيراً أصحاب الأيكة قوم شعيب ، وقد كانوا أصحاب غيضة وشجر وثمر ، وكانوا يطففون الكيل والمعيزان ، ويفسدون في الأرض ، ويبدو أنهم كانوا في طريق القوافل بين الجزيرة العربية وفلسطين، وهذه القوافل في حاجة إلى التعامل معهم ، لكنهم كانوا يعطون القليل ، ويطففون الكيل ، ويفسدون في الأرض، فنصحهم شعيب بالاستقامة ، ووفاء الكيل وإعطاء الحق ، ودعاهم إلى توحيد الله ، فكذوا بالله ، وجدوا نبوة شعيب ، وقد استمر شعيب في نصحهم وتوضيح شبهتهم ، وشرح رسالته إليهم ، حتى ألزمهم الحجة.

وفى قصة شعيب فى سورة هود نجد تفصيلا وتوضيحا لما قدمه هذا الرسول إلى قومه ، حتى قال ﷺ · . بيأتى شعيب يوم القيامة خطيبًا للأنبياء» .

التفسير:

١٧٩ ، ١٧٧ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٩ - كَلْبَ أَصْحَلْبُ الْيُكَةِ الْفُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ لِمُعَلِّبُ أَلَا تَشُونَ . إِنِّى لَكُمْ رَسُولُ أَمِينَ . فَاتَقُمُ اللَّذِ وَأَطِيفُونِ . وَمَا أَسْتُلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَخِرَ إِنْ أَجْرَى إلاَّ عَلَىٰ رَبِّ ٱلْصَلَّمِينَ .

أكثر المفسرين على أن أصحاب الأيكة ، هم قوم لهم أشجار وزروع بجوار مدين ، وأن أصحاب الأيكة هم ضاحية من ضواحي مدين .

قال ابن كثير: أصحاب الأيكة: هم أصحاب مدين على الصحيح.

ويرى بعض المفسرين أن شعيبًا كان من أهل مدين ، وقد أُرسل رسولاً إلى أهل مدين ، وأُرسل أيضًا إلى أصحاب الأبكة ، ولم يكن أخاهم فى النسب ، فهما جهتان ، وقد دعاهم شعيب إلى الإيمان بالله تعالى ، ومراقبته وتقواه وطاعته ، وأخبرهم أنه رسول لهم من عند الله ، وهو لا يطلب منهم أُجرًا على تبليغ الرسالة ، وإنما أجره وجزاؤه على الله رب العالمين ، لكنهم كذبوه ولم يؤمنوا به . ١٨١ ، ١٨٢ - أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُحْسِرِينَ * وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ.

أرسل كل رسول إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر، واختص كل رسول بمعالجة عيوب المجتمع ، فقد حارب لوط المثلية الجنسية ، وهنا يحارب شعيب تطفيف الكيل والميزان ، وكان القوم معروفين بتطفيف الكيل والميزان ، والاستيلاء قسراً وغصبا على ما يزيد عن حقهم ، وإعطاء الناس أقل من حقهم ، ويشترون بثمن بخس ، ويبيعون بثمن مرتفع ، ويبدو أنهم كانوا في ممر قوافل التجارة ، فكانوا يتحكمون فيها ، وقد أمرهم رسولهم بالعدل والقسط في هذا كله ، وفي هذا المعنى وردت أيات كثيرة ، تحث على العدل والوفاء وأداء الأمانة ، وعدم تطفيف الكيل والميزان ، قال تعالى: وَيُلْ الْمُعْلَقْيِنَ هَ الْأَيْنَ الْمُأْلُوا عَلَى اللَّاس يَسْتُولُونَ ء وَإِذَا كَالُوهُمْ أَنْ مُرْزَكُمْ مُنْ يُحْسِرُونَ . (المنطقين : ١ – ٢)

وقد وردت قصة شعيب مع قومه في الآيات ٨٥ – ٩٦ من سورة الأعراف ، وفي الآيات ٨٤ – ٨٥ من سورة هود ، وفيها نجد هزلاء الناس متكبرين متجبرين ، مفسدين في الأرض ، مطفقين للكيل والميزان ، رافضين لهداية السماء ، وفي نهاية القصة نجى الله شعيبا والذين آمنوا معه ، وأهلك المكذبين هلاكًا مدمرًا ، فأصبحها أفرًا بعد عين .

١٨٣ - وَلاَ تَبْحَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْفَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ .

ولا تنقصوا الناس من حقوقهم ، سواء أكانت مادية أم معنوية ، كالحفاظ على الكرامة والعرض .

قَالَ الْرازَى: وهذا عام في كل حق يثبت لأحد ألّا يُهضم ، وفي كل ملك آلا يُغصب مالكه ، ولا يُتصرف فيه إلا بإزنه تصرفا شرعيا .

وَلَا تَعْنَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ .

لا تبالغوا في الإفساد في الأرض ، بقطع الطريق والقتل والسلب وإهلاك الزرع ، وغير ذلك من أنواع الفساد التي كانوا يفعلونها .

١٨٤ - وَٱللَّهُوا ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ .

راقبوا الله الذي خلقكم ، وخلق الأجيال الكثيرة قبلكم من عهد آدم ، وقد أهلك الضالين ، وأعز المؤمنين ، فراقبوه وابتعدوا عن طاعة الشيطان ، فهو الذي أغرى الضالين ، وتسبب في هلاكهم .

قال تعالى . وَلَقَدْ أَضَلُ مِنكُمْ جِبلاً كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ . (يس ١٢).

١٨٥ ، ١٨٦ - قَالُواْ إِنْمَا أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحُّرِينَ ، وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مُّثْلُنَا وَإِن نُظْتُكَ لَمِنَ ٱلْكَلْبِينَ .

قدّم إليهم شعيب دعوته إلى توحيد الله ، ونهاهم عن الرئائل ، ثم بيّن لهم قدرة الإله الخالق ، رغبة في استمالتهم وتحريك الإيمان في قلوبهم ، فكان جوابهم متضمنا ما يأتي :

٩ - اتهامه بالسحر والجنون ، وهذا يبعد الثقة فيما يقول .

٢ - هو بشر مثلهم ، فلماذا يتفضل عليهم بالنبوة ؟

٣ - تأكيد كذبه في دعوى النبوة ، أو تهديدهم بالعذاب.

١٨٧ - فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مَنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُتتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ .

أى : إن كنت صادقًا فى دعوى الرسالة ، أو فى وعيدك لنا بالعذاب ، فأنزل علينا قطعًا من السحاب فيها نوازل العذاب ، وهذا شبيه بقول كفار مكة للنبى ﷺ : وَقَالُواْ أَن تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ مَِبَّوعًا . (الإسراء: ١٠)

إلى أن قالوا: أوْ تُشقِطُ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَئِكَةِ قَبِلاً . (الإسراء: ٩٧) .

وقوله تعالى : رَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمُّ إِنْ كَانَ هَنْلَا هُوَ ٱلْحَقَّ هِنْ صِلِئَةَ فَأَنْظِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةٌ مِّنَ ٱلسَّمَّاءِ ... (الانفال: ٣٧). قال القرطبي :

فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ ...

أى: جانبًا من السماء وقطعة منها فننظر إليها ، كما قال : وَإِنْ يُرَوَّا كِسُفًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ سَلَقِفًا يَقُولُوا سَحَابٌ مُرحُّونً ، (العلور : ٤٤).

وقيل: أرادوا: أنزل علينا العذاب، وهو مبالغة في التكذيب.

قَالَ أَبُو عِبِيدَةَ : الكِيشَف : جِمع كسفة ، مثل : سِدر وسدرة . وقرأ السلمى وحفص (كِسُفّ) جِمع كسنة أيضًا ، وهي القطعة والجانب ، تقديره : كسرة وكِسر .

قال الجوهرى: الكسفة : القطعة من الشيء؛ يقال : أعطني كسفة من ثويك، والجمع : كِسُفُ وكِسُف، ويقال : الكِسْف والكسفة واحد⁽¹⁰⁾.

١٨٨ - قَالَ رُبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ .

الله هو المحاسب والمجازى والمطلع على أعمالكم ، فإن كنتم تستحقون العذاب فسينزله بكم ، في الله على المحاسب المحاسبة الموادية والمحاسبة المحقب لإرادته، أما أنا فما على إلا البلاغ، وليس بيدى نزول المخاسبة على المخاسب

١٨٩ - فَكَذَّبُوهُ فَأَخَلَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلطُّلَّةِ إِلَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ.

أي: كذبوا شعيبا، نيمت الله عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم ، فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم، فخرجوا منها هريا إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس — وهى الظلّة — فرجدوا لها برداً ولذة، فنادى بعضهم بعضا ، حتى إذا اجتمعوا تحتها أسقط الله عليهم ناراً فأهلكتهم جميعا ⁰⁹.

إِنَّهُ, كَانَ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ.

إن هذا العداب شديد الهول، عظيم الوقم ، أدَّى إلى الهلاك والإفناء .

• ١٩ - إِنَّ فِي ذَا لِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّوْمِنِينَ .

أى: في هذه القصة عبرة وعظة, وكذلك فيما سبقها من قصص موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط، عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وما كان أكثر قريش مؤمنين، أو ما كان أكثر قوم شعيب مؤمنين .

وقد نقل القرطبي في تفسيره أنه لم يؤمن من قوم شعيب سوى تسعمائة نفر، والله أعلم بصحة ذلك.

١٩١ – وَإِنَّ رَبُّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ .

وإن ربك - يا محمد - لهو العزيز القادر على الانتقام من الكافرين . ٱلرُّحِيمُ . بعباده المؤمنين .

خاتمة

تحدث القرآن عن قوم شعيب في سورة الأعراف ، فذكر أنهم هددوا شعيبا ومن آمن معه ؛ فعاقبهم الله بالرجفة ، قال تعالى : فَأَخَدْتُهُمُ الرَّجُفُةُ فَأَصْبَحُواْ فِي ذَارِهِمْ جَلْهِينَ . (الأعراف ٩١٠) .

وفي سورة هود استهزءوا بنبي الله شعيب فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم.

قال تمالى : وَلَمَّا جَاءَ أَمُرُّنَا نَجِّنًا شَيْنًا شَيْنًا وَٱلَّذِينَ ءَانتُواْ مَعَهُ, بِرَحْمَةٍ ثنّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلمَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ. _ في فِعَرْهِمْ جَنْفِينَ . (هود: 14).

وها هذا قالوا : فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ...

فَأَخَذُهُمْ عَذَابُ يُومُ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُم كَانَ عَلَابَ يَوْمَ عَظِيمٍ . (الشعراء: ١٨٩) .

ونلاحظ أن العذاب يمرُ بمراحل متعددة ، فترتجف الأرض تحت أقدامهم، ويصبح بهم الملك صيحة تهلكهم، أو ينزل عليهم ناراً من الظلة تهلكهم، فهى ألوان من العذاب تنزل بهم ، وتنتهى بهلاكهم عقابا عادلا من الله تعالى على تكذيبهم .

القرآن الكريم

﴿ وَإِنّهُ النّازِيلُ رَبِ العَالَمِينَ ۞ مَنَلَ عِهِ الْرَّي الْآيِينَ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُندِينَ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونُ مِنَ الْمُندِينَ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونُ مِنَ الْمُندِينَ إِلَّى فَقَرَاهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا مِيمُوْمِينِ ﴾ وَقَرَاهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا مِيمُوْمِينِ ﴾ وَقَرَاهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا مِيمُوْمِينِ ﴾ وَقَرَاهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا مِيمُوْمِينِ ﴾ وَكَانِكَ سَلَكُننَهُ فِي قُلُوبِ اللَّهْمِينِ ۞ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَى يَرُوا الْعَلَابَ اللَّهُ لِيمَ مَنْ اللَّهُ فَي اللَّهُ عَلَيْهِم وَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَا كَانُوا مِيمُومِينَ ۞ فَيَعْلَقُوا هَلَ مَنْ مُنْ اللَّهُ عَلَيْهِم اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِم مَا كَانُوا مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِم مَا كَانُوا مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِم مَا كَانُوا مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِم مَا كَانُوا مِنْ اللَّهُ عَلَيْهُم مِنْ اللَّهُ عَلَيْهُم مَا كَانُوا مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَمَا اللَّهُ عَلَيْهُم مَن اللَّهُمُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُم مَن اللَّهُ عَلَيْهُم عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُم اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُعْلِيلُولُونَ اللَّهُ الْمُؤْلُولُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُعْلِيلُولُولُولُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ الْمُولُولُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُعْلِيلُولُ اللَّهُ الْمُعْلِيلُولُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعَلِّمُ اللَّهُ الْمُل

المفردات :

الدوح الأمين : جبريل عليه السلام ، ووصف بالأمين ، لأنه أمين وحيه تعالى وموصله إلى من شاء من عباده . عـلس شلبك : على روحك ، لأن الروح هـي المدركة المكلفة دون الحسد . البيزيين والحجماء زيرة وكسحف ومنفحة أ

أ_____ة، الدليل والبرهان والعلامة.

الأعبج ميس، وإحدهم: أعجمي، وهو من لا يقدر على التكلم بالعربية.

سليك نياد، أدخلناه (أي: التكذيب) في قلوب المحرمين ، من كفار مكة .

منطرون، موخرون لنؤمن ، والجواب: لا .

أهـــرأيت، أخبرني.

إن متمناهم سنين، أبقينا على حياتهم يأكلون ويشربون وينكحون.

ماكانوا يوعدون، من العذاب.

مستسدرون؛ رسل ينذرون أملها عاقبة الكفر والشرك.

ذكرى: عظة وعبرة لغيرهم.

وما ينبغي لهم ، وما يتيس ولا يتسنى لهم .

وما يستطيعون، وما يقدرون على ذلك.

المستروالسون، لممنوعون بالشهب بعد أن كانوا ممكنين .

تمهيده

بدأن سورة الشعراء بمقدمة عن الرسول ﷺ ، وحرصه على هداية قومه ، مع إعراضهم عن سعاع القرآن الكريم ، وتكذيبهم للرسول الأمين ، ثم سافت السورة سبع قصص ، لسبعة من رسل الله الكرام ، دعوا أقوامهم إلى توحيد الله ، وأنذروهم بطشه وشدة عذابه ، لكن الكافرين لم يؤمنوا فاستحقوا العذاب ، أى : وكذلك أمل مكة ، أملٌ لأن ينالهم عذاب الله ، بسبب تكذيبهم لرسوله محمد ﷺ ، وفي نهاية القصص عود إلى الحديث عن القرآن الكريم ، فهو وحي السماه ، نزل به جبريل الأمين ، على فؤاد النبي محمد ﷺ ، ليكون من الرسل المنذرين لقومهم ، وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين ، وتحدثت عنه التوراة والإنجيل ، ويشر به موسى وعيسى ، ولو نزل القرآن على رجل أعجمى ، نقرأه عليهم بلغتهم ، ما آمنوا مع هذه المعجزة البينة ، لأن التكذيب قد استقو في قلويهم ، كما استقر في قلوب المجرمين المكذبين قبلهم .

التفسيره

١٩٧ ، ١٩٣ ، ١٩٣ ، ١٩٥ - وَإِنْهُ, قَنْزِيلُ رَبُّ ٱلْعَلَلْمِينَ هَ نَوْلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلَّذِّمِينُ ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ فِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلَوْمِينَ ﴿ بِلِسَالِ عَرَبِينًا مُنِينَ .

إن القرآن الكريم نزل من عند الله تعالى ، وليس فيه سحر ولا كهانة ولا اختراع بشر ، وقد نزل به جبريل وهو الروح الأمين ، فهو أمين على وحى السماء ، فقد نزل بكتب الله على رسله ، قال تعالى : مُطَّاعٍ رُمُّ أُمِينٍ ، (التكرير: ٢١) . أي : إنه مطاع في ملائكة السماء ، وهو أيضًا أمين على وحى الله .

عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنادِرِينَ .

تنزل بالوحى على روحك وقلبك ، لتستوعبه وتحفظه وتفهمه ، ثم تنذر به الآخرين .

وخصرً القلب ، لأنه محل النظر من الله ، ولأن القلب هو الذي يدير الجسم ، فإذا نشط في العبادة نشطت الأعضاء .

قال الشاعر :

تشبطت فيي البحيبادة الأعضاء

وإذا حلست الهداية فللبا

ويقول الآخر:

حد فيهاذا بقيدة العينان

وإذا كان القلب أعيى عن الرشـ

وروى البخارى ، ومسلم : أن رسول الله ﷺ قال : «ألا وإن فى الجسد مضعفة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ، ألا وهى القلبيء ٣٠٠.

وقال تعالى : إِنَّ فِي ذَالِكَ لَلِكُوكَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ... (ق: ٢٧).

وقال تعالى : فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَيْصَارُ وَلَلْكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ . (الحج ٤٦).

فالنبي ﷺ قد استوعب القرآن بقلبه ، وحفظه وفهمه ، ويلُّغه إلى أمته وإلى الناس .

قال تعالى : يَسْتَأَيُّهَا أَنْهِيُّ إِنَّا أَرْسَلْسُلُكُ شَلْهِمَا وَمُبَشِّرًا وَلَايِرًا ﴿ وَوَاعِيَا إِلَى آلَكِهِ بِإِذْيِهِ وَسِرَاجًا خُيوا ﴿ (الأحزاب: ٥٥ ، ٤٦) . بِلِسَالَ عَرَبِيَّ مُهِينَ .

فقد نزل القرآن بلغة العرب ، وإضحاً مبيئاً ميسرًا ، وفي هذا دعوة للعرب أن يستوعبوه ويفهموه، ويؤمنوا به ويعملوا به ، ويبشروا به عباد الله . قال تعالى : وَكَلَّا لِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرِيًّا لِتُعارِّ أَمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُعارِّ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَبُّ فيه ... (الخورى: ٧) .

وقال تعالى : وَإِنَّهُ, لَلْإِكْرٌ لُّكَ وَلِقُوْمِكَ وَسَوَّفَ تُسْتَلُونَ . (الزحرف: ٤٤) .

وفي هذه الآيات تحدث القرآن عن مُنزل الكتاب ، وهو رب العالمين ، وعن الذي نزل به وهو جبريل الأمين ، وعن المُنزَل عليه وهو قلب محمد ﷺ ، وعن المبعوث إليهم وهم العرب المنذرون ، وعن اللسان الذي نزل به القرآن ، وهو اللسان الحربي المبين ، وعن أدلة صدقه ، وهي بشارة القرراة والإنجيل به .

١٩٦ - وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوْلِينَ .

أى : إن كتب الأمم السابقة بشرت بالقرآن ، وبالرسول محمد ﷺ .

قال تعالى : ٱلرَّسُولُ ٱلنَّبِيُّ ٱلْأُمَّىٰ ٱلَّذِي يَجِلُونَهُ مَكُتُوبًا عِنلَهُمْ فِي ٱلثُّورَنَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ . (الأعراف: ١٥٧).

وقال تعالى : وَإِذْ قَالَ عِسَى آبَنَ مَرْهَمَ يُلَنِي إِسْرَآعِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدَقًا لَمَا يَيْنَ يَدَىَ مِنَ ٱلْقُورَكَةِ ومُبَشِّرُ ﴾ برسُول ِغَانِي مِنْ يَعْدِي ٱسْفَة رَّاضَمُهُ قَلُمًا جَامَعُهُم بِٱلْبَيْسَةِ فَالُواْ طَلْهُ ، ﴿ فَيْسُ . (الصف ١٠) .

١٩٧ - أَوَلَمْ يَكُن لُّهُمْ ءَايَةً ١٩٠ أَن يَعْلَمَهُ, عُلَمَنَّوًّا بَنِي إِسْرَآءِيلَ.

أجهل أهل مكة وغفلوا ولم يكن لهم علامة على صدق القرآن ، وصدق محمد ﷺ أن علماء بنى إسرائيل بشرت بهذا النبى ، فقد كانوا يستفتحون به على الذين كلروا ، وقد بشر بالنبى ﷺ العدول من بنى إسرائيل، مثل عبدالله بن سلام وسلمان الفارسى ، وغيرهما ممن كان له علم يكتب أهل الكتاب أسلم أو لم يسلم .

قال القرطبى : إنما صارت شهادة آمل الكتاب حجة على المشركين ، لأنهم كانوا يرجعون فى أشياء من أمور للدين إلى آمل الكتاب ، لأنهم مظنون بهم علمًا .

جاء فى «البحر المحيط» عن ابن عباس: أن أهل مكة بعثوا إلى أحبار يثرب يسألونهم عن النبى ﷺ فقالوا: هذا أوانه ، وذكروا نعته ، وهذا يدل دلالة واضحة على نبوته ﷺ ، لأن تطابق الكتب الإلهية ، على إيراد نعته ووصفه يدل قطعا على نبوته . ١٩٨ ، ١٩٩ - وَلَوْ نَزُّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْض ٱلْأَعْجَمِينَ ، فَقَرَأَهُ, عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بهِ مُؤْمِنِينَ .

أى: لى نزل هذا القرآن على رجل أعجمى ، لا ينطق العربية ولا يستطيع نظمها ، ثم أنزلنا عليه القرآن ، وقرأه عليهم بلغتهم ، مع وجود الحجة الظاهرة على أنه من عند الله ما آمنوا ؛ لأن التكذيب غالب عليهم ، فسواه أنزلنا الكتاب على النبى محمد الذي يعرفون صدقه ، والذي بشرت به التوراة والإنجيل ، أو أنزلناه فرضًا على رجل أعجمى ، يتأكدون بالدليل أنه ليس من تأليفه ما أمنوا ؛ لأن الجحود في جبلتهم ، كما قال تعالى : فَإِنْهُمْ لا يُكَلَّبُونُكُ وَلَكُونً الطَّلْلِينَ بِقَائِتَ اللَّهِ يُحْخَلُونَ . (الأنماء: ٣٦).

أى: هوُن على نفسك يا محمد، فأنت لم تقصر فى عرض الدعوة، ولا فى بيان القرآن، إنما كغار مكة هم الذين طبعوا على العناد والإعراض عن الحق. قال تعالى، وَلَوْ قَتَحَّا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ فَقَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَهُ لَقَالُوْ إِنْمًا سُكِّرَتُ أَيْصَارُكًا بِلَوْنُ لَوْمٌ مُّسْتُورُونَ . (الحجر: 15 . ه1).

٣٠٠، ٢٠٢، ٢٠٢، ٢٠٠ – ٢٠٣٠ كَذَالِكَ سَلَكَنْـهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُعْوِمِينَ ۥ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرُوٱ ٱلْعَلَابَ ٱلْأَلِيمَ، فَيَأْتِيهُم يَفْتُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، فَيَقُولُوا هَلَ لَمُحْنَّ مُنظَّرُونَ .

تشير هذه الآيات ، إلى تمكن التكذيب في قلوب الكافرين من أهل مكة ، وفي قلوب من سبقوهم من المشركين ، فلا تأس عليهم يا محمد ؛ لأن الجحود والعناد ثابت في جبلتهم ، وفي قلوب من سبقوهم من المشركين ، وقريب من ذلك قوله تعالى : وَأُوحِيَ إِلَىٰ تُوحِ أَثَارُ لَنْ يُؤْمِنُ مِنْ قُوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ مَامَنَ فَلَا تَبْسِل بِمَا كَالُوا أَنْ يَشْعُرُونَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ مَامَنَ فَلَا تَبْسِل بِمَا كَالُوا أَنْ يَشْعُرُونَ . (هود : ٣٤) .

قال في ظلال القرآن :

والتعبير يرسم صورة حية لملازمة التكنيب لهم ، فيقول : إنه على هذه الهيئة ، هيئة عدم الإيمان ، والتكنيب بالقرآن ، على هذه الهيئة نظمناه فى قلويهم وأجريناه ، فهو لا يجرى فيها إلا مكنبًا به ، ويظل على ميئته هذه فى قلويهم ، حَتَّى يُرَزُأ ألْمَلْابُ ٱلْأَلِيمَ .

فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْغُرُونَ .

وقد بقى بعضهم فعلاً على هذا الوضع ، حتى فارق هذه الأرض بالقتل أو الموت ، ومن ثم إلى العذاب الأليم (*')

وخلاصة المعنى:

لقر تمكن التكذيب في قلوب أهل مكة ، كما تمكن في قلوب الأمم التي كنبت أنبياءها ، كقوم نوح ومن بعدهم ، فكيفما فعل بهم، وعلى أي وجه دبر أمرهم، فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من جحود وإنكار، لاَ يُؤْمِنُونَ بَهِ حُثَى يُرْزُ أَ أَتَعْلُوبُ ٱلْأَلِيمَ . لا يصدقون بالقرآن ، بل يستمرون على ما هم عليه ، حتى يعاينوا العذاب.

قال تعالى · وَلَوْ نَوْلُنَا عَلَيْكَ كِتُنَّا فِي قِرْطَاسِ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلْذِينَ كَفُوتًا إِنْ هَلَمَّا إِلَّا سِخْمَ شَينً (الأنعام ×)

فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ .

ينزل بهم العذاب فجأة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . قبل ذلك بمجيئه حتى يفجأهم .

فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ .

فيقولون على وجه التحسر والأسف، والتمنى للإمهال، هل نؤخر إلى حين؟ وهل يؤجل هلاكنا حتى نؤمن ونتراؤها ما فاتنا؟

وقريب من ذلك قولمه تعالمى : وَلَيْسَتِ ٱلثَوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيَّاتِ حُثِّى ۚ إِذَا حَضَرَ أَخَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنَّى تُبتُ ٱلنَّذَنَ وَلاَ ٱللَّذِينَ يَمْوُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَقِلِكَ أَعْتَدَنَا لَهُمْ عَلَابًا إِلَيْنَا . (النساء . ١٨).

وقولە تىمالى : وَأَفَهُواْ مِن مَّا رَزَقَتَكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي أَحَدَّتُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لُولَآ أَخْرَتَنِيٓ وَلِيَّ أَجَلٍ قَوِيمِ. فَأَصَّدُقُ وَأَكُن مِّنَ الصَّلَوْجِينَ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ فَضًا إِنَّا جَاءًا جَالِهُ وَاللَّهُ عَيِيرٌ

٤ • ٢ - أَفَهَدُ إِنا يَسْتَعْجِلُونَ .

كان أهل مكة في غنى ومكانة ووجاهة ، وكانت لهم تجارة رابحة تتحرك إلى الشام صيفا وإلى اليمن شتاءً ، وكان الأمل أن تتحرك النعمة من بطونهم إلى عقولهم حتى يفكروا ويتأملوا ، لكنهم أبطرتهم النعمة ، وسيطر عليهم الأشر والبطر ، واستخفوا بهدايات السماء ، وكان النبي ﷺ إذا حُوفهم عقوبة الله ، قالوا له على سبيل الاستهزاء : متى ينزل بنا هذا العذاب ؟

وقد سبق في سورة الشعراء قول قوم شعيب: فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مُنَ ٱلسَّمَآءِ إِنْ كُسَّ مِنَ ٱلصَّنْدِقِينَ . (الشعراء: ۱۸۵۷) كما حكى القرآن عن كفار مكة أنهم تعجاوا خزول العذاب: وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمُّ إِنْ كَانَ هَمْلَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَعْفِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَّ ٱلسَّمَاءِ أَو آتُيْنَا بَعْدَابِ إَلَيْمِ . (الأنفال: ٣٧).

٥ . ٧ . ٧ . ٧ . ٧ - أَفَرَءَيْتَ إِن مَتَعَنَاهُمْ سِنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُم مَا كَانُواْ يُوعَدُونَ ، مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّمُونَ.

أى: أخبرنى أيها العاقل عن هزلاء الكفار، لو استجبنا إلى مطالبهم وتركناهم فى الدنيا سنين عددًا، يأكلون ويشربون وينسلون ويتمتعون ، ثم نزل بهم العذاب ، هل ينفعهم أو يغنى عنهم ما كانوا فيه من متاع الدنيا ؟ .

إن ذلك لن يغنى عنهم شبئًا في دفع العذاب أو تخفيفه ، وإنما هم خالدون في النار أبد الآبدين.

والمُخلاصة: إن طول التمتع ليس بدافع شيئًا من عذاب الله ، إذا حلُّ بهم ، وكأنهم لم يُمتعوا بنعيم قط.

كما قال تعالى: كَأَنُّهُمْ يَوْمُ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُتُواْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْضُحَنْهَا . (النازعات: ٤٦) .

وقال سيمانه : يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَا يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُوْحَوِّحِهِ مِنَ ٱلْفَذَابِ أَن يُعَمَّرُ وَٱللَّهُ بَعِيسٍ مِنَّا يُعْمَلُونَ . (البقرة : ٩٦) .

وقال تعالى : وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ ۚ إِذَا تَرَدَّئَّ . (الليل: ١١).

قال الإمام ابن كثير: وفى الحديث الصحيح: «يوتى بالكافر فيغمس فى النار غمسة ، ثم يقال له : هل رأيت خيرًا قط؟ هل رأيت نعيمًا قط؟ فيقول : لا والله يا رب . ويؤتى بأشد الناس بؤسًا كان فى الدنيا ، فيصبغ فى الجنة صبغة ، ثم يقال له : هل رأيت بؤسًا قط؟ فيقول : لا والله يا رب» ٧٠ .

ولهذا كأن عمر بن الخطاب يتمثل بهذا البيت :

كأنك لم تؤثر من الدهر ليلة إذا أنت أدركت الذي كنت بطلب

ودوى القرطبى ، عن الزهرى : أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ، ثم قرأ : أَفَرَّعُهُمَّ إِنْ مُتَّعَنَّهُمْ سِبِينَ ءُثُمُ جَاعَهُم مًا كَانُواْ يُوعَدُونَ و مَا أَغْنَى عَنَّهُم مًّا كَانُواْ يُعْتُونَ . ثم يبكى ويقول :

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليسلك نوه والسردي لك لازمُ فلا أنت في الأبقاظ بقطالُ حازمُ ولا أنت في السُّروام ناج فسالمُ تُسرُّ سِها يغْنى ونغْرحُ بالمُتى كما شُرَّ باللَّذاتِ في النوم حالمُ ويشعى إلى ما موف تكرةً غبَّةُ كذلك في الدنيا تعين البهادة، ورُوى عن ميمون بن مهران أنه لقى الحسن - رضى الله عنه - فى الطواف ، وكان يتمنى لقاءه ، فقال له : عظنى ، فلم يزد على تلاوة هذه الآيات : أَفَرَعَبْتَ إِنْ مُتَّعَنَّاهُمْ سِنِنَ ه ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَالُوا يُوعَدُونَ ه مَّآ أَفْتُمْ عَتَهُم مَّا كَالُوا يُعِيَّمُونَ . فقال ميمون : لقد وعظت فأيلفت .

٢٠٨ ، ٢٠٩ - وَمَا أَهْلَكُنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنادِرُونَ * ذِكْرَىٰ ١١١ وَمَا كُنَّا ظَلْلِمِينَ .

شاءت حكمة الله تعالى ألا يهلك قرية من قرى الظالمين الذين كذبوا أنبياءهم ، والذين نكر سبعة منهم في هذه السورة ، إلا بعد أن يرسل إليهم الرسل يدعونهم إلى التوحيد ، وينمسحونهم بطاعة الله، وينذرونهم عذاب الله إذا خالفوا ، وذلك تذكرة لهم وتنبيهًا وإرشادًا ، وليس من شأنه تعالى أن يظلم الناس، أو يهلكهم قبل أن يُعذر إليهم ، وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم مثل : وُلاَ يُظْلِمُ رُلْكَ أَحَمًا . (الكهف: ٤٩).

وقوله تعالى : وَمَا كُنَّا مُعَلِّينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً . (الإسراء: ١٥) .

وقوله سبحانه : وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقَرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَتْ لِينَ أَمْهَا رَسُولاً بَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايْشِنَا وَمَا كُنَا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاّ وَالْمُلْهَا طَلِلْهُونَ . (القصص : 49).

٠ ٢١ ، ٢١١ ، ٢١٢ - وَمَا تَنزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّياطِينَ ، وَمَا يَشْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ، إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُونُونَ.

أفاد القرآن فيما سبق أنه من عند الله رب العالمين ، وقد نزل به الروح الأمين ، وكانت العرب تدعى أن لمحمد ﷺ تابعًا من الجن يخبره بالقرآن ، وهذا ردّ عليهم مبينا ضلال هذه الفكرة ، فقال :

وَمَا تَنزَّلُتْ بِهِ ٱلشَّيْاطِينُ ، وَمَا يَنْبُغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ .

فالشياطين لم تنزل بهذا القرآن ، لأن طبيعة الشياطين شريرة عابثة ، تدعل إلى الشر ، وتحرّف على الإلم ، وهذا القرآن هداية ونور ، ودعوة إلى الإيمان ، ومكارم الأخلاق .

قال ابن كثير:

ذكر تعالى أنه يمتنع ذلك عليهم من ثلاثة أوجه:

أحدها : أنه ما ينبغي لهم ، لأن سجاياهم الفساد وإضلال العباد ، وهذا فيه نور وهدى ويرهان عظيم .

الثاني : أنه لو لنبغى لهم لما استطاعوا ذلك ، وهذا من حفظ الله لكتابه ، وتأييده لشرعه فهو أعلم حيث يجمل رسالته . الثالث : أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته ، لما وصلوا إلى ذلك ، لأنهم بمعزل عن استماع القرآن ، لأن السماء ملنت حرسًا شديدًا وشهبًا ، فلم يخلص أحد من الشياطين لاستماع حرف واحد منه ، لئلا يشتبه الأمر . ا هـ .

إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُ ولُونَ .

أى . حفظ الله السماء من الشياطين ، حيث كانوا يصفّون بعضهم فوق بعض ، وآخر جنّى يتسمع كلام الملائكة ، مثل : قضى الليلة بموت فلان ، أو بسعادة فلان ، ثم ينزل فيخبر بها الكهان ، ثم يكنب الكاهن معها مائة كذبة ، فلما أرسل الله محمدًا ﷺ شدرت الحراسة على السماء ، فمن حاول استماع أخبار السماء أصابه شهاب فقتله أو خبله ، وقد ورد هذا المعنى في سورة الجن ، قال تمالى : وَأَنَّا كُنَّا لَقَعُدُ بِنَهَا مَقَعِدٍ لِلسَّمْعِ لِلسَّمْعِ السَّمَعِ اللَّهُمْ عَلَيْل مَنْهَا ، وقد ورد هذا المعنى في سورة الجن ، قال تمالى : وَأَنَّا كُنَّا لَقَعُدُ بِنَهَا مَقَعِدٍ لِلسَّمْعِ اللَّهُمْ عَلَيْل مَنْهَا ، وقد ورد هذا المعنى في سورة الجن ، قال تمالى : وَأَنَّا كُنَّا لَقَعُدُ بِنَهَا مَقْعِدٍ لِلسَّمْعِ المَنْهُ .

وقال عن شأنه : إِنَّا زَيِّنَا ٱلسُّمَاءَ ٱلشُّيَّا بِرِيَّةِ ٱلْكُوَّاكِبِ ، وَحِفْظًا مَن كُلُّ شِيَّطُنْ مَادِدٍ ، لاَ يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَالِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقَلَّقُونَ مِن كُلُّ جَالِبِ ، وَحُورًا وَلَهُمْ عَلَابٌ وَاصِبٌ ، إِلَّا مَنْ مَعْلِفَ ٱلْمَطْفَقَةَ فَأَنْبَعَهُ, شِهَابٌ فَاقَبُ . (الصافات: ١ - ١٠).

قال النيسابوري :

إِنَّهُمْ عَنِ آلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ .

وذلك بواسطة رجم الشهب ، لما أخير عنه الصادق ، والمعجزات يتساند بعضها ببعض ، ولو فرض أنهم غير مرجومين بالشهب ، فالعقل يدل على أن الاهتمام بشأن الصديق أقوى منه بشأن العدوّ ، وكان محمد ﷺ يلمن الشياطين ، ويأمر الناس بلعنهم ، فلو كان الغيب بإلقاء الشياطين ، لكان الكفار أولى بأن يحصل لهم ذلك . ا هـ .

دعائم التوحيد

﴿ فَلَانَهُ عُمَا اللَّهِ إِلَهُا هَ اَخَرَفَتَكُوكَ مِنَ الْمُعَلَّبِينَ ۞ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِكِ ۞ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمِنِ النَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِينِ ﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّ بَرِيَّ ءُّمِنَا نَعْمَلُونَ۞ وَقَوَكُلْ عَلَى الْعَرِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرِيْكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبُكَ فِي السِّنْجِدِينَ۞ إِنَّهُ هُوَ السِّمِيعُ الْعَلِيدُ ۞ ﴾

المفردات ،

عش ... وقتك، العشيرة: القبيلة، والجمع: عشيرات وعشائر، والمراد بها: قريش، وقيل: عبد مناف. . حيث المناف. . حيث الدوائحة عبد مناف. .

حسيسن تسقدوه وإلى الصلاة ، أو حيثما كنت .

وتقليك في الساجدين ؛ المراد بالساجدين : المصلُّين ، أي : ويرى تصرفك وتغيرك من حال – كالجلوس – إلى حال – كالقيام – بين المصلين إذا أمعتهم .

التفسير ،

٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٣١٩ – فَلَا تَدُعُ مَعَ ٱللهِ إِلَيْهَا عَاحْزَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَلَّمِينَ هِ وَأَنلِيرُ عَشِيرَ لَكَ ٱلْأَلْوَرِمِينَ وَٱخْفِصْلُ جَنَاحَكَ لِمِن ٱلْبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِينِ هَ فِإِنْ عَصَوْلَا فَقَلْ إِلَى مِرْرَةً مُمَّا تَعْمَلُونَ .

أى: أخلص العبادة لله وحده، وتوجّه إليه بعبادتك وصلاتك ودعائك: فإنه سبحانه أغنيا الأغنياء عن الأغنياء عن الشهر ا عن الشرك، ومن عمل عملا يريد به الناس، لم يلق عليه الثواب يوم القيامة، والخطاب فى هذه الآية للرسول الإدالمواد أمته، فهو من باب خطاب الأمة فى شخص زعيمها ورئيسها، أو الخطاب لكل من يتأتى منه الخطاب سواء أكان رسولا أم مرسلا إليه .

و تحقيق المراد هنا :

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَ لَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ .

أرسل الله محمداً ﷺ بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، فوظيفته البلاغ وإعلام الناس بالرسالة ، يَنْأَيُهَا ٱلرُّسُولُ يُلغُمَّا أُنولَ إِلَيْكَ مِن رَّبُكُ رَانٍ لَمْ تَشَعُلُ فَمَا يَلْفُ رَسَالُتُهُ ... (المائدة: ١٧).

وفى هذه الآية يكلفه الله تعالى أن يبلغ أسرته القريبة النسب منه : فهم أولى بأن يخصهم بدعوته، وأن يدعوهم إلى توحيد الله تعالى ، وأن يرشدهم إلى عدالة السماء : فالخلق كلهم عباد الله، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح، وقد وردت أحاديث صحيحة متعددة تفيد أن النبي ﷺ دعا عشيرته دعوة للعام والخاص ، وأعلن هذه الدعوة لكل العشيرة ، وخصص أقرب الناس إليه، حتى لا يتكل أى إنسان على الحسب أو قرابة النسب ، بل عليه أن يقوم بالواجب نحو ريه ودينه ، وذلك بالإخلاص والعمل الصالح .

ردى البخارى ، ومسلم وغيرهما ، عن أبى هريرة قال: لما نزلت هذه الآية : دعا رسول الله ﷺ قُرِيشًا وعمٌ وحص ، فقال: «يا معشر قريش ، أنقذوا أنفسكم من النار ، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعا، يا معشر بنى كعب بن لرى ، أنقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعا ، يا معشر بنى قصى ، أنقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، يا معشر بنى عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً ، يا معشر بنى عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، يا فاطمة بنت محمد ، أنقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لك ضراً ولا نفعاً، ألا إن لكم رحماً وسأبلُها ، يريد : أصلكم في الدنيا ، ولا أغنى عنكم من الله شيئًا الله .

إن هذا هو الإسلام في نصاعته ووضوحه، ونفي الوساطة بين الله وعباده ، حتى عن رسوله الكريم، وقريب من ذلك قصة نوح مع ابنه حين غرق مع الكافرين ، وحاول نوح الشفاعة له، فبين الله أنه لا قرابة ولا نسب بالنسبة للعدالة الإلهية ، التي تكافئ الصالح وتحاقب الطالح .

وقد وعد إبراهيم آباه أن يستغفر له، فلما تبين له أنه عدر لله تبرأ منه ، وكذلك زرجة نوح وزوجة لوط ، خانتا الأمانة، فقيل لهما : لدخلا النار مع الدلغلين ، وزوجة فرعون آمنت بالله، وأخلصت له وتبرأت من فرعون وعمله، فجعلها الله مثلاً أعلى للمؤمنين .

هذه أمثلة توضح عدالة السماء، التي جعلت الجزاء من جنس العمل .

مُّنْ عَمِلَ صَلْلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـْمِ لَّلْعَبِيدِ . (فصلت: ٤٦) .

وَ ٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَن ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

أن جانبك، وارفق بأتباعك الذين آمنوا بك وصدقوك، فذلك أطيب لقلوبهم، وأدعى إلى قبول الدعوة، واستمرار تأثيرها، وكذلك كان ﷺ، سهلا مألفا محببا متعه الله بمكارم الأخلاق، حيث قال له الله ` تمالي، وَإِنْكُ لَمُلِيَّ خُلِقِهم، (الفلم: ٤).

وقال تعالى : فَهِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِمِتَ أَنْهُمْ وَلَوْ كُمْتَ لَهُا عَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لِآنَفَظُواْ مِنْ حَوْلِكَ فَآغَفَ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَاسُاوِرُهُمْ فِي الْأَحْرِ . (ال عمران ١٩٠١).

وقال ﷺ: «إن أحبكم إلى وأقربكم منى منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ، الموطنون أكنافًا الذين بألفون ويؤلفون» (**).

وسئلت عائشة رضى الله عنها ، عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن (٠٠٠) .

أي: كان تطبيقًا عمليًا لأداب القرآن الكريم ، وسلوكه وأخلاقه ، فهو صاحب الصفح الجميل والعفو الجميل ، والحلم الجميل ﷺ .

فَإِنْ عَصُولًا فَقُلْ إِنِّي بَرِيَّةً مَّمَّا تَعْمَلُونَ .

أى: إن عصاك أحد ممن أنذرتهم من العشيرة فلا ضير عليك ، وقد أديت ما أمرت به ، وما عليك إثم مما يعملون ، وقل لهم : إنى برىء منكم ، ومن عبادتكم الأصنام والأوثان ، وإنكم ستجزون بجرمكم يوم الجزاء.

يَوْمُ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . (الشعراء: ٨٩ ، ٨٨) .

٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ – وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْقَرِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٱلَّذِي يَرَطْكَ حِينَ تُقُومُ . وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّلْحِلِينَ .

تأتى هذه الآيات إبناسًا وقريًا للرسول ﷺ، فقامره أن يفوض أمره إلى الله ، مقوكلاً عليه بعد الأهذ بالأسباب، فهو العلى القدير. وهو العزيز الغالب، الرحيم بعباده المؤمنين، وهو سبحانه يراك - يا محمد -حين تقوم من الليل ، متنفلاً أو مصلياً ملتزماً بدعوة القرآن لك إلى التهجد ، حيث قال تعالى · وَمِنْ ٱلْبُلِ فَهَهَا، بِهِ نَافِلَةً لُكُ . . (الإسراء ١٩٧).

وَتَقَلُّبُكَ فِي ٱلسَّلْجِدِينَ .

انتقالك من القيام إلى الركوح إلى السجود ، أن عنايتك بالصحابة وتفقد أحوالهم ، وتنظيم صفوفهم في الصلاة ، إلى غير ذلك مما هم في حاجة إليه من إرشاد وتعليم . وعبر عن المصلين بالساجدين : لأن العبد أقرب ما يكون من ربَّه وهو ساجد ، فهذا التعبير من بالس التشريف والتكريم لهم .

و ٢٢ - إِنَّهُ وَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ .

إنه سبحانه سميع لجميع العباد بجميع اللغات ، عليم بكل ما يحدث في هذا الكون ، عليم بأفعال عباده وحركاتهم وسكناتهم ، قال تعالى : وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنِ وَمَا تَظُواْ مِنْهُ مِن قُرَّةَانِ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُمَّا عَلَيْكُمْ شُهُونًا إِذْ تَقِيضُونَ فِيهِ ... (يونس: ٢١) .

وقصارى ذلك ، أنه هو القادر على نفعكم وضركم ، فهو الذي يجب أن تتوكلوا عليه ، وهو الذي يكفيكم ما أهمكم .

الشياطين والكهان

﴿ هَلْ أَنْيِثُكُمْ عَلَامَن تَنَزَّلُ الشَّيَطِينُ ۞ تَنَلُّعَلَى كُلِّ أَفَاكٍ أَيْمِ ۞ يُلقُونَ السَّمْعَ وَأَحَثَرُهُمْ كَنَذِقُوتَ ۞ وَالشَّعَرَّةُ يَنِّيعُهُمُ الْعَنَاوُنِ ۞ أَلْمَرْزَأَنَّهُمْ فِكُلِّ وَادِ يَهِبمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَيفَعَلُونَ ۞ إِلَّا اللَّيْنَ مَامْنُوا وَعَيلُوا الصَّلِحَتِ وَذَكُرُواْ اللَّهُ كَثِيرًا وَأَنتَصَرُواْ بِنَابَهْ دِمَا ظُلِمُواً وَسَيْعَادُ الَّذِينَ طَلَمُواْ أَنَّ مُنقَلَبٍ بَعَلِمُونَ ۞ ﴾

المفردات:

المستحم أخدكم

المساك، كثير الإفك والكذب.

أنسيسم، كثير الذنوب والفجور.

يلقون السمع؛ يصغون أشد الإصغاء إلى الشياطين، فيتلقون منهم ما يتلقون مما أكثره الكذب.

السقساوون ، الضالون الماثلون عن السنن القويم.

الـــــــوادى؛ الشُّعب، والمراد: الذهاب في مذاهب كثيرة، من مدح الشيء، وهجاته، وذمه، إلى غير ذلك. يسهسيمسون، يسيرون سير البهائم حائرين، الإيهندون إلى شيء.

المستبقيات المرجع .

مهيده

كانت الكهان منزلة عالية في الجاهلية ، ولهم سجع وتنبؤ بأخبار المستقبل ، ولما أرسل الله محمدًا قي و شاهدوا القرآن ويلاغته وسحره وأسره ، استبعدوا أن يكون هذا القرآن من كلام بشر ، فادعوا أن الشياطين تتنزل على محمد فتلقى عليه هذا الكلام ، كما تلقى على الكهان ، وهنا يوضح القرآن أن الشياطين مردة ، منهجهم الإغراء بالشر ، والنزول على الكهان الكنابين ، فكلاهما من فصيلة واحدة ، أما القرآن فمنهجه الدعوة إلى الحق والعدل والإيمان ، ومحمد هي معروف أنه صادق أمين .

التفسيره

٢٢١ - هَلْ أَنَشُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنزُّلُ ٱلشَّيَاطِينُ .

أى: قل يا محمد لكفار مكة: هل أخبركم على من تتنزل الشياطين؟ وهذا ردُّ عليهم حين ادعوا أن الذى يأتى محمدًا بالقرآن تابع من الجن .

٢٢٢ - تَنَزُّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَاكِ أَلِيمٍ.

أى: تنزل الشياطين على كل أَلْالُو. مبالغ في الكنب، متصف بالكنب الكثير، أَلِهم. فاجر مبالغ في الكذب والبهتان، لا على سيد ولد عدنان، أى: إن الشياطين إنما تنزل على فئة تحترف الكهانة، ومعرفةً الغيب من الفسقة الفجرة، أمثال: سطيح، وطليحة ، ومسيلمة، فلا تنزل الشياطين إلا على مثلهم.

أما القرآن فملائكة الله المقربون هي التي تنزلت به على محمد ، كما قال تعالى : وَإِلَّهُ, آلَنوَيلُ رَبُّ آلْمُثَلُمِينَ هَ نَوْلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَبِينُ هَ عَلَىٰ قُلِبُكُ لِتُكُونَ مِنْ ٱلْمُناوِينَ . (الشعراء ١٩٢ - ١٩٤).

وقد ورد في صحيح البخارى ، وصحيح مسلم وغيرهما : أن الشياطين من الجن كانت ترمس بعضها فوق بعض ، حتى يستمع آخرهم إلى أخبار السماء ، فلما أرسل الله محمداً ﷺ شُدت الحراسة على السماء ، وكان الجنّى الأخير الكاهن ، فيخبر الكاهن وكان الجنّى الأخير إلى الكاهن ، فيخبر الكاهن بيا الناس ، ويكذب معها مائة كذبة ، فإذا قالوا له : إن أخبارك لم تتحقق . يقول الكاهن : ألم أخبركم بخبر كذا بوم كذا وقد تحقق ؟

٢٢٣ - يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَٱكْثُرُهُمْ كَلْلِبُونَ .

أى: إن الكهان الأفاكين يلقون سمعهم إلى الشياطين ، ويتلقون وحيهم إليهم ، وإلقاء السمع مجاز عن شدة الامتمام في الإسخاء ، إلى ما يلقي إليهم .. إلخ . وأكثر الكهان مفترون كاذبون ، يفترون على الشياطين ما لم يخبروهم به ، لأن الشيطان يخبر وليه بأمر واحد : فيكذب معه مانة كذبة ، فهذا فريق للكذب والافتراء ، وليس كذلك محمدﷺ .

وقيل: المراد من قوله تعالى: يُلْقُونَ السَّمْعَ ... هم الشياطين ، وكانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يتسمعون إلى الملأ الأعلى ، فيخطفون بعض ما يتكلمون به ، ثم يوحون به إلى أوليائهم ، وأحيانًا تظن الشياطين الأمر ظنا ، فتلقى به إلى أتباعها من الكهان ، وهو كذب في أكثره .

٤ ٢ ٢ - وَٱلشَّعَرَآءُ يَشِعُهُمُ ٱلْفَاوُرِنَ .

اتهم أهل مكة النهى بأنه شاعر، وأن المغرزان شعر بدليل وجود القافية فيه ، وقد نفى الغرآن الشعر عن الرسول ﷺ فقال : وَمَا عَلَمْمَنَهُ الشَّعْرَ وَمَا يَشَيِعِى لَهُمْ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُوّءَانُ مُّبِينٌ ه لِيُنلِرَ مَن كَانَ حَبًّا وَيَعِقَّ الْقُوْلُ عَلَى الْكَنْفِرِينَ . (يس: ٧٠ . ٧٠)

وقال عز شأنه : وَمَا هُوَ بِقُولُ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُولِينُونَ * وَلَا بِقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَلَكُوونَ * تَوَعِلْ شَنْ وَبُ ٱلْفَلْفِينَ. (الماتة : ٤١ - ٣٤)

لقد كان محمد ﷺ مثلاً أعلى في مكارم أهلاقه ، فهو الصادق الأمين ، وهو الداعي إلى الله وإلى الإيمان به ، والتزام طاعته واجتناب نواهيه ، أما الشعراء فكانوا في جوانب كثيرة أصحاب أغراض وأطماع ، وتشبيب بالنساء ، وتكسُّب بالشعر ، فيمدحون ثم يذمون ، فإن أعطو مالا مدحوا ، وإن لم يعطوا قدحوا .

قال المفسرون :

رُوى عن عبدالله بن عباس : أن هذه الآيات نزلت في شعراء المشركين : عبدالله بن الزَّيعري ، وهبيرة ابن وهب المخزومي ، ومسافع بن عبد مناف ، وأبي عزة الجمحي ، وأمية بن أبي الصلت .

قالوا: نحن نقول مثل قول محمد ، وكانوا يهجونه ، ويجتمع لهم الأعراب من قومهم ، يستمعون أشمارهم وأهاجيهم ، وهم الفاوون .

الإسلام والشصر

أراد الله توحيد لسان العرب ، تمهيدًا لنزول القرآن عربيًا مبينًا ، فكانت هناك أسواق للكلام الجيد ، والقصائد البليغة ، والخطب الرائعة ، والجيد من الشعر والنثر ، يعرض ذلك في أسوق عكامل ومجنة وذي المجاز ، وكان العرب قد تميزوا بالشعر وفن القول ، وريما كان البيت من الشعر يرفع القبيلة إن كان مدحًا ، أو يخفضها إن كان ت كا ، فلما نزل الكتاب الخاتم بلسان عربي مبين ، حاول القوم إلمماق التهم به ، فقالوا: كهانة ، وقالوا : شعر شاعر ، فرد القرآن هذه التهمة ، فشتان بين أهداف الشعراء ، وأهداف القرآن الكيم ، والشعر وسيلة أدبية عالية ، وهو قيثارة رنانة ، منه الحسن والقبيح ، فالقبيح ما كان للهجاء والتشجيع على الرذيلة والكفر والفسوق ، أو التشيب بالنساء ، أو هجاء المسالحين .

والحسن من الشعر ما كان مدحًا للحق ، ومنافحة عنه ، ودفاعًا عن الغضيلة ، فالشعر كلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح .

روى البخارى فى الأنب ، والطبرانى فى الأوسط ، عن عبد الله بن عمرو . وأبو يعلى ، عن عائشة – وهو حديث حسن – أن رسول الله ﷺ قال : «الشعر بمنزلة الكلام ، حسنه كحسن الكلام ، وفبيحه كقبيح الكلام » .

كما ورد هذا المعنى عن العلماء والأثمة والهداة :

فقال الإمام الشافعي: الشعر نوع من الكلام ، حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام .

وقال ابن عبد البر : ليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر ، أو تبثل به ، أو سمعه فرضيه إذا كان حكمة أو مبلحًا .

والخلاصة : إن من الشعر ما يجوز إنشاده ، ومنه ما يكره أو يحرم .

روى مسلم من حديث عمرو بن الشريد ، عن أبيه قال : ردفت رسول الله ﷺ يومًا فقال : همل معك من شعر أمية بن أبية أن ا شعر أمية بن أبي المسلت شيء ؟ قلت : نعم ، قال : هميه، فأنشدته بيتا ، فقال : هميه، ، ثم أنشدته بيتا ، فقال: هميه» ، حتى أنشدته مائة بيت (١٠٠).

وكان شعر أمية بن أبي الصلت مليئا بالحكمة ، والدعوة إلى الإيمان ، حتى قال ﷺ : «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم ع .

فالشعر الحسن ما كان حسن اللفظ، حسن المعنى ، يحث على الخير، أو يدافع عن الحق.

والشعر المكررة أو المحرم ما كان داعها إلى الفجور أو اللهو، أن العشق أو السوء ، أن الاستهانة بالقيم والخير ، وكان من شعر أمية بن أبي الصلت ، في الجاهلية قبل الإسلام :

مجِّدوا الله وهو للحمد أهل رينا في السماء أمسي كبيرا

وقال أيضًا :

بالخير صبحنا ريى ومسانا

الجيد لله ميسانا ومصيحتنا

وكان أمية بن أبى الصلت من المتنسكين الذين زهدوا فى الخمر وعبادة الأمسنام ، مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل ، وكان أمية بن أبى المسلت يعلم أن نبيا سيّعث قد أظل زمانه ، فكان يرجو أن يكون هم ذكان النبى ، فلما يعد محمد ﷺ امتنع عن الإسلام حقدًا وحسدًا ، ولما أحسّ أمية بن أبى الصلت باقتراب أحد، أنشذ قائلاً :

إن تخفر اللهم تغفر جباً وأي عبد لك لا ألماً

وقد ورد من الحديث الشريف ، ما يدّم الشعر ، مثل ما رواه مسلم ، عن أبي هريرة رضمي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ : الأن يمثلئ جوف أحدكم قيماً حتى يريه ""، خير من أن يمثلن شعرّله "".

ومن الأحاديث التي مدحت الشعر ، ما رواه أحمد ، وأبو داود ، عن ابن عباس : أن النبي ﷺ قال : ﴿إِنْ من الهيان سحرا ، وإن من الشعر حكمًا ٩٠٠ .

ويمكن التوفيق بين الحديثين ، بحمل الحديث الأول على الشعر المذموم المردود ، كالشعر الذي يدعو إلى الفجور والفسق وارتكاب المحرمات ، ومدح الهوى والباطل ، وأن نحمل الحديث الثانى على الشعر المحدوح ، الحسن المقبول ، الذي قصد به إظهار الحق ، والدعوة إلى الخير ، ومدح الفضائل والمثل العلها ، والدفاع عن الوطن والذود عنه ، وكل ما فيه تربية للنفوس وتهذيب للعقول (**).

عودٌ إلى التمسير

وَٱلشُّعَرَّآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُرِنَ .

قال الضحاك: تهاجى رجلان – أحدهما أنصارى ، والآخر مهاجرى – على عهد رسول الله ﷺ ، مع كل واحد غواة قومه وهم السفهاء : فنزلت ، وقاله ابن عباس ، وعنه : هم الرواة للشعر ، وروى عن على بن أبى طلمة : أنهم هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والإنس (٣٠) .

وأرى أن الآية عامة ، في كل الشعراء الذين يقولون الشعر المذموم .

قال الماوردي :

الشعر كلام العرب ، مستحب ومباح ومحظور ، فالمستحب : ما حذر من الدنيا ، ورغب في الأخرة ، وحث على مكارم الأخلاق . والمباح : ما سلم من فحش وكذب . والمحظور : ما كان كذبًا وفحشًا . وجعل الروباني منه ما فيه الهجور لمسلم ، سواء كان بصدق أن كذب .

وقال الشيخ أبو بكر الجزائرى:

وَٱلشُّعَوْآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْفَاوُرِنَ .

أى : أهل الغواية والضلال ، هم الذين يتبعون الشعراء ، فيروون لهم وينقلون عنهم ، ويصدقونهم فيما يقولون .

٧ ٢٥ - أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلَّ وَادٍ يَهِيمُونَ .

أي : إنهم ينطلقون في القول هائمين على وجوههم ، ماضين في قولهم ، فيمدحون ويذمون ، يهجون ويضفرون ، ويدّعون أنهم نملوا كذا وكذا وما فعلوا .

٢ ٢ ٧ - وَأَنْهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ .

فهم يرغّبُن فى الجود ، ويرغبون عنه ، وينفّرون من البخل ، ويتمسكون به ، ويقنحون الأعراض لأدنى الأسباب ، ويرتكبون الموبقات ، تلك حال الشعراء وحال أتباعهم من الغاوين ، وحال سلوكهم من قول ما لا يقعلون ، فهل قول محمد ﷺ من جنس ذلك الشعر ؟ وهل أخلاقه وأخلاق أتباعه توازى حال الشعراء وأتباعهم ؟.

إن محمدًا ﷺ مثل أعلى وقدوة حسنة ، وصحابته نماذج مضيئة . أُوْتَشِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَهِهُ سَلْهُمُ اللَّهُ وَهِهُ سَلَّهُمُ اللَّهُ فَهِهُ سَلَّهُمُ اللَّهُ وَهِهُ مَا اللَّهُ فَهُهُ مَا اللَّهُ فَهُمُ سَلَّهُمُ . . (الانتمام: ٩٠٠) .

فمن ادعى أن محمدًا شاعر ، فليقل لنا هل سلوك محمد سلوك شاعر ؟ وهل يقول ما لا يفعل ؟ وهل صحابته غاوون ضالون ؟ .

لقد وردت صفة محمد صلى التوراة والإنجيل والقرآن.

قال تعالى ، مُحَمَّدُ رُسُولُ اللهِ وَاللّهِيْ مَعَهُ أَشِلاءً عَلَى الكَفَّارِ رَحَمَّاءً يَبْتَهُمْ مَرْ سَهُمْ وَكُعُا سُجُعَّا، يَبْتَهُونَ فَاسَلُا مَنْ اللّهِ وَرِحْدُواْ لَا سِمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مَنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَالِكَ مَنْلُهُمْ فِي الشَّوْرَطَةِ وَمَنْلَهُمْ فِي الْإِصْرِيلِ كَوْرَعَ أَحْرَجَ شَطْعَهُمْ فَعَارَهُ قَاسَتْفَلَطْ فَاسْتَوَى عَلَىٰ مُوقِدِيقَهِبِ الرَّاعَ لِيعِيطَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللّهُ اللّهِينَ عَامَتُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحُلتِ مِنْهُم مُغْوِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا . (العدم: ٢٩) . ٧٧٧ – إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَنْتَ وَذَكُرُواْ ٱللَّهَ كَبِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنْ بَقَدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُنَا أَنْ مُنْقَلَبُ يَنْقَلُهِ نَ.

كان من الشعراء مؤمنون صادقون ، دافعوا عن الإسلام ، وعن رسول الله ﷺ واتصفوا بصفات أربع :

١٠ - الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

- عملوا أعمالاً صالحة كالجهاد والصلاة والصنفة ، وقول الشعر الذي يرسم المثل الأعلى ، ويعدح الإسلام
 ررسوله ، ويهجو الشرك وأمله .

٣ -- زِكْرِ الله ذكرًا كثيرًا وتمجيده وتحميده والثناء عليه .

٤ -- الانتصار للحق والدين والإسلام ، بعد هجاء المشركين ، ونيلهم من الإسلام وأهله .

فهذه الآية ردّت لشعراء المؤمنين اعتهارهم، وشجعتهم على المضى في طريق القول الجيد المفيد. وقد روى التاريخ لنا مآثر من شعر الخلفاء الراشدين، وفي تفسير القرطبي نماذج طبية من ذلك .

وَسَيَعْلَمُ ٱللَّذِينَ ظَلَمُواْ أَىُّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ .

وهذه الآبة وعيد عام لكل شاعر ظلم الحق والحقيقة ، أن لكل كفار مكة ، واختار بعض المفسرين أن الآبية وعيد لكل ظالم ، بأنه سيلقى جزاءه فى الدنيا والآخرة ، وسيطم أى مرجع يرجع إليه ، وأى مصير يصير إليه ،

فإن مرجعهم إلى العقاب وهو شر مرجع ، ومصيرهم إلى النار وهي أقبح مصير.

و هكذا تختم سورة الشعراء ، التى واست النبي ﷺ ، وذكرت قصمس سبع من الأمم السابقة ، أهلك المذاب منهم المكذبين ، ونجى الله المؤمنين ، ثم تختم في آخرها بهذه الفقرة تعديدًا للظالمين ، ووعيدًا للكافرين .

من كتب التفسير

١ - قال الطبرى:

في قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ .

هذا مثل ضريه الله لهم فى افتنانهم فى الوجوه التى ينتَثَرُّن فيها بغير حق ، فيمدحون بالباطل قرمًا، ويهجرن آخرين .

٢ - وقال أبو حيان في البحر المحيط:

أخير تعالى عن الشعراء بالأحوال التى تصالف حال النبوة ، إذ أمرهم كما ذكر من اتباع الغواة لهم ، وسلوكهم أفانين الكلام من مدح الشىء ورتمه ، ونسبة ما لا يقع منهم إليهم ، وهذا مخالف لحال النبوة فإنها طريقة واحدة لا يتبعها إلا الراشدون .

٣ - وجاء في تفسير ابن كثير:

قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وغير واحد . إن الآية الأخيرة في سورة الشعراء . إِلَّا آللِينَ عَاشُواً وَعَهُواْ ٱلْمُسْلِحُنْتَ وَفَكُواْ ٱللَّهُ كَثِيرًا ... استثناء من عموم قوله تعالى : وَٱلثَّمْرَاءَ بَيُجُهُمُ ٱلْعَاوُرِنَ . وهي تخص شعراء الإسلام كحسان بن ثابت ، وعبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وكل من سلك مسلكهم .

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لحسان: «اهجهم وجبريل معك» (**).

وقال الإمام أحمد ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، أنه قال للنبي ﷺ: أن الله عز وجا . قد أنزل في الشعراء ما أنزل ، فقال رسول الله ﷺ : وإن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل. أنه أهرجه الإمام أحمد في المسند .

£ - وجاء في تفسير الكشاف للزمخشري ما يأتي :

ذُكر أن الفرزدق أنشد أبياتًا عند سليمان بن عبد الملك ، وكان في ضمنها قوله النساء العذارى :

وبت أفض أغسلاق السخستسام

فيستسل كبأسهسل مُسرَّعات

فقال له سليمان: قد وجب عليك الحدّ. فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله قد دراً عنى الحد بقوله: ألَّمْ تُرَ أَنُّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يُهِمُونَ وَ وَأَنَّهُمْ يُعُولُونَ مَا لاَ يَغْمُلُونَ. فعفا عنه.

 - نقل القرطبي جانباً كبيرًا من شعر الذين آمنوا ، ومنه قصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير، وأبيات لحسان بن ثابت ، وهي أبيات ذكرها الإمام مسلم في صحيحه (١٠٠) ، وهي في السير أتم ، ومنها قوله لأس سفنان :

وعند البله في ذاك الجزاء لعرض محمد منكم وفاءً فشركما لخيركما الفيداء وسحسري لا تسكنة والسدّلاءً

هجوت محمداً فأجبتُ عنه وإن أبسى ووالسدة وعسرضى أتشته ولست له بحثف لمسانى صارع لا عيب فيه وقال كعب بن مالك:

وربُّها وَلَيُّ غُلِّينٌ مُعَالِثُ الْغَالَاثِ الْغَالَاثِ

جاءت سخينة كي تغالب ربّها

خلاصة ما اشتملت عليه سورة الشعراء

- ١ مقدمة في تسلية الرسول ﷺ عن إعراض قومه عن الدين ، وبيان أنهم ليسوا ببدع في الأمم ، فقد كذبت رسل سابقة فصيروا على ما كذبوا .
 - ٢ الاستدلال بخلق النَّبات وأطواره المختلفة ، على وجود الإله ووحدانيته .
- ٣ قصص الأنبياء مع أممهم ، لما فيه من العبرة لأولئك المكنبين ، وأوردت سورة الشعراء سبع قصص
 هي : قصة موسى مع فرعون ، وإبراهيم مع قومه ، ونوح مع قومه ، وعاد ورسولهم هود ، وثمود
 ورسولهم صالح ، ولوط مع قومه ، وأميزًا قصة شعيب مع أصحاب الأبكة .
 - ٤ إثبات أن القرآن وهي من رب العالمين ، لا كلام تنزلت به الشياطين .
 - ٥ بيان أن محمدًا ﷺ ليس بكاهن ولا شاعر.
 - " وعيد المكذبين بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

* * *

تم تفسير سورة الشعراء والحمد لله رب المالين



أهنداف سيورة الثميل

سورة النمل مكية ، وآياتها ٩٣ آية ، نزلت بعد سورة الشعراء .

وسميت بسورة النمل الاشتمالها على مناظرة النمل مع سليمان في قوله تعالى : حُثَّى إِذَا آلُواْ عَلَى وَاهِ آلشُطْ، قَالَتْ نُمُلَةً يَنْآلُهُمُ الْشَارُ الْمُعْلِمُ الْمَيْطِيمُ اللَّهِمُونَ وَجُودُهُ، وَهُمْ لاَ يَشْعُونُ . (النمل ١٨٠).

نظام السورة

هذه السورة مجاورة لسورة الشعراء وهي تمضى على نسقها في الأداء: مقدمة وتعقيب يتمثل فيهما موضوح السورة الذي تعالجه ، وقصص بين المقدمة والتعليب يعين على تصوير هذا الموضوع ، ويؤكده ، ويبرز فيه مواقف معينة للموازنة بين موقف المشركين في مكة ومواقف الغابرين قبلهم من شتى الأمم ، للعبرة والقدير في سنن الله وسنن الدعوات .

موضوع السورة

موضوع سررة النمل الرئيسى – كسائر السور المكية – هو العقيدة : الإيمان بالله ، وعبادته وهده ، والإيمان بالآخرة ، وما فهها من ثواب وعقاب ، والإيمان بالوحى ، وأن الغيب كله لله لا يعلمه سواه ، والإيمان بأن الله هو الخالق الرزاق واهب النعم ، وتوجيه القلب إلى شكر أنعم الله على البشر ، والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله ، وأن لا حول ولا قرة إلا بالله .

القصص في سورة النمل

يأتي القصص في سورة النمل لتثبيت أهداف السورة ، وتصوير عاقبة المكذبين ، وعاقبة المؤمنين .

تأتى خلقة من قصة موسى – عليه السلام – تلى مقدمة السورة . حلقة رؤيته للنار ، وذهابه إليها ،
وندائه من الملأ الأعلى ، وتكليفه بالرسالة إلى فرعون وملئه ، ثم يعجل السياق بخبر تكنيبهم بأيات الله
وهم على يقين من صدقها ، وعاقبة التكنيب مع اليقين . وَجُعَفُواْ بِهَا وَٱسْتَهَنَّهَاۤ أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا رَعُلُوا فَآنَظُ كُيْفَ

كُانَ عَنْهُمْ آلْمُفْسِائِنَ . (النمل : ١٤) .

واستغرقت هذه الحلقة من قصة موسى الآيات من ٧ -- ١٤.

قصة سليمان وبلقيس

استغرقت الآيات من ٩٠ – ٤٤ في الحديث عن داود وسليمان وبلقيس ويدأته بالإشارة إلى نعمة الله
على داود وسليمان ، ثم ذكرت قصة سليمان مع الذملة ، ومع الهدهد ، ومع ملكة سبأ وقومها وفيها تظهر
نعمة الله على داود وسليمان وقيامهما بشكر هذه النعمة ، وهي نعمة العلم والملك والنبوة مع تسخير الجن
والطير السليمان ، وفيها تظهر كذلك أصول العقيدة التي يدعو إليها كل رسول .

قصة بلقيس

تبدأ قصة بلقيس بتفقد سليمان للطير ويحثه عن الهدهد قلم يجده ، ثم جاء الهدهد بعد ذلك ، وكان هدهدًا عجبينًا صناحب إدراك وذكاء وإيمان ، ويراعة في عرض الأشبار ، فقد أخير سليمان أنه رأى ملكة ولها رعية كبيرة في بلاد سبأ ورآهم في نعمة وغنى ولكنهم يسجدون للشمس من دون الله ، فكتب له سليمان رسالة ليلليها إليهم وفيها : إللهُ مِن سُلَيَمَـّنَ وَإِنَّهُ بِسُم اللهِ الرَّحَمُّن الرَّحِمِ ء أَلا تَعْلُوا عَلَى وَالْوَيْنِ مُسْلِمِينَ . (انتمار ، ٣٠ ، ٣١).

فلما ألقاها على الملكة جمعت قومها لتستشيرهم فيها ، فذكروا لها أنهم أولو قوة ويأس شديد ، وفوضوا أمر ذلك إليها ، فذكرت لهم أن عاقبة الحرب إفساد الديار ، وأنها ترى مسالمة سليمان بإرسال هدية إليه ، فلما جاءته الهدية لم يقبلها ، وهددهم بأن يرسل إليهم جنودًا لا قبل لهم بها فلم تجد الملكة مفرًا من أن تذعن له وتسافر إلى مقر ملكه ، فجمع قومه وأخبرهم بأنه يريد أن يحصل على عرشها قبل حضورها ، هأخبره عفريت من الجن أنه يمكنه أن يأتهه به قبل أن يقوم من مجلسه ، وأخبره عالم من علماء قومه أنه يمكنه أن يأتهه به قبل مرور طرفة عين ، فشكر سليمان ربه أن جعل في ملكه مثل هذا الرجل المؤمن المتصل

وأمر سليمان قومه أن يغيروا شيئًا من شكل العرش ليختير ذكاءها ، فانتهت الملكة إلى جواب ذكى أريب : فَالَتُ كَأَنَّهُ هُوَّ … (النسل: ٤٢) .

فهى لا تنفى ولا تثبت وبات على فراسة ويديهة فى مواجهة المفاجأة الحجيبة ، ثم تعرضت بلقيس لعفاجأة أخرى ، فى قصر من البلور أفيمت أرضيته فوق الماء ، وظهر كأنه لجة فلما قبل لها: الدخلى الصرح، حسبت أنها ستخوض فى لجة الماء وكشفت عن ساقيها ، فلما تمت المفاجأة كشف لها سليمان عن سرها وقال : إنه صرح مملس من رجاج .

ووقفت الملكة متعجبة مندهشة أمام هذه العجائب التى تعجز البشر، وتدل على أن سليمان مسخرة له قوى أكبر من طاقة البشر ، فرجعت إلى الله وناجته معترفة بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره ، معلنة إسلامها مع سليمان – لا لسليمان – ولكن لله رب العالمين . قَالَتَ رُبِّ إِلِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مُعَ سُلِيَمْنَ لِلْهِ رَبِّ ٱلْعَلَمْهِينَ . (العدل: 3٤) .

قصنة صالح ولوط

وفي أعقاب قصة بلقيس نجد الآيات (٤٥ – ٥٣) تتحدث عن نبى الله صنائح ومكر قومه في حقه ، ونجد الآيات (٤٤ – ٥٩) تتحدث عن نبى الله لوط وارتكاب قومه لفاحشة اللواط بالرجال . ومحاولة لوط تقديم النصيحة لهم دون جدوى ، بل هددوه بالطرد والنفى فأنجاه الله وأمطر على قومه حجارة من السماء: فأملكتهم فبئس مطر الهالكين الخاطئين .

أدلة القرآن على وجود الله

في ختام سورة النمل تجد آيات قوية تتحدث عن قدرة الله ومظاهر العظمة والقدرة في هذا الوجود.

لقد استعرضت السورة في بدايتها حلقات من قصمص موسى وداود وسليمان وصالح ولوط استفرقت الآيات (٧ – ٩ ه).

أما الآيات الأخيرة في السورة من (٦٠ – ٩٣) فإنها تجول جولة هادفة في تلبيت العقيدة ، جولة في مشاهد الكون وأغوار النفس وأطواه الفيب ، وفي أشراط الساعة ، ومشاهد القيامة ، وأهوال الحشر ، التي يفزع لها من في السماوات والأرض إلا من شاء الله .

فى هذه الجولة الأهيرة يستعرض القرآن أمام الناس مشاهدات فى صفحة الكون وفى أطواء النفس لا يملكون تعليلها بغير التسليم بوجود الخالق الواحد المدير القدير .

ويقوالى عرض هذه المشاهدات في إيقاعات مؤثرة ، تأخذ عليهم أقطار النفس وأقطار المشاعر ، وهو يسألهم أسئلة متلاهقة : من خلق السمارات والأرض ؟ من أنزل من السماء ماء شأنبتنا به حدائق ذات بهجة؟ من جعل الأرض قرارًا ، وجعل خلالها أنهارًا ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجرًا ؟ من يجيب المضطر إذا دعاء ويكشف السوء ؟ من يجملكم خلفاء الأرض ؟ من يهديكم في ظلمات البر والبحر؟ من يرسل الرياح بشرًا بين يدى رحمته ؟ من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ من يرزقكم من السماء والأرض ؟ وفي كل مرة يقرعهم • أوله مع الله ؟ وهم لا يملكون أن يدعوا هذه الدعوى ، لا يملكون أن يقولوا : أن إلها مع الله يفعل من هذا كله شيئًا ، وهم مع هذا يعيدون أربابًا من دون الله ! وعقب هذه الإيقاعات القوية التى تقتحم القلوب – لأنها إيقاعات كونية تملاً صفحة الوجود من حولهم ، أن إيقاعات وجدانية يحسونها فى قلويهم – يستعرض تكنيبهم بالأخرة وتضبطهم فى أمرها ، ويعقب عليه بتوجيه قلويهم إلى مصارع الغابرين الذين كانوا مظلهم يكذبون ويتضبطون .

و يخلص من هذا إلى عرض مشهد الحشر وما فيه من هول ومن فزع ، ويرجع بهم في ومضة خاطفة إلى الأرض ، ثم يردهم إلى مشهد الحشو وكأنما يهز قلوبهم مرًّا ويرجها رجًا .

وتختم السورة بحمد الله الذي يستحق الحمد وحده ، وتكلهم إلى الله يريهم آياته ، ويطلع على أعمالهم ما ظهر منها وما بطن · وَقُلِ ٱلْحَمُّدُ لِلْهِ صُورِيكُمْ وَالِيْهِ فَعَرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِعَلْهِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ . (النس: ٩٣).

. . .

مِ اللَّهُ الرَّهُ عَلَا اللَّهُ الرَّهُ عَلَا اللَّهُ عَلَا اللَّهُ عَلَا اللَّهُ عَلَا اللَّهُ عَل

﴿ طَسَّ قِلْكَ اَيَتُ اَلْقُرُ اَنِ وَكِتَابٍ مِّينِ ۞ هُدَى وَشُرَى الْمُوَّمِينِ ۞ الَّذِينَ الَّذِينَ الْقِيمُونَ الصَّلَوْةَ وَيُوْتُونَ الزَّكُوةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ مُوقِقُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَا كُمْ أَعْمَى لَهُمْ مَهْمَ يَعْمَمُونَ ۞ أُولَتِكَ الَّذِينَ كُمُّ سُوَّةُ الْعَنَابِ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسُرُونَ ۞ وَإِنَّكَ لَنَاتَى الْقُرِّعَ الْصِيرِ لَلْتُنْ عَلِيمٍ عِلِيمٍ ۞

المفردات:

طـــــس ، حروف مقطعة للتنبيه ، مثل : ألا ، ويا التي للنداء ، وينطق بأسمائها فيقال : (طا - سين) .

مسيسيسن، موضح للأحكام والأخلاق والعظات.

يعم هون؛ يتحيرون ويترددون في أودية الضلال.

الأخسرون؛ أشد الناس خسرانا ، لتحرمانهم الثواب ، واستمرارهم في العذاب .

مسن لسدن: من عند.

صكيم : عظيم الحكمة ، والحكمة : إتقان الأمور.

التفسير،

١ - طَسْ لِلْكَ ءَايَلْتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِعَابٍ مُبِينٍ.

طش ...

اسمان لحرفين من حروف المعجم ، هما الطاء والسين ، وقد مضى الكلام بشأن مثلهما ، في أول سور البقرة، وآل عمران، ويونس، وهود، وغيرها . ومن كلام العلماء أنهما حرفان للتنبيه ، كالجرس الذي يقرع فيتنبه التلاميذ لدخول المدرسة ، وهذه الأحرف فاجأت العرب بأمر لم يألفوه فتنبهوا ، فلما تنبهوا قال القرآن الكريم :

تِلْكَ ءَايَسْتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِين .

أي: هذه الآيات المنزلة عليك يا محمد هي آيات القرآن المعجز في بيانه الساطع في برهانه.

وَكِتَابٍ مُّبِينٍ .

وآيات كتاب واضح مبين لمن تفكر فيه وتدبر ، أبان الله فيه الأحكام ، وهدى به الأنام .

وقد لاحظ العلماء المهتمون بالإحصاء ، أن كل سورة بدئت بمثل هذه الفواتح ، تغلب فيها الحروف التي بدئت بها ، على سائر الحروف التي تكونت منها كلمات السورة ، وبما أن محمدًا ﷺ أميَّ لا يقرأ ولا . يكتب ، فذلك شاهد على أن القرآن ليس من تأليفه ، كما زعم أعداء الحق ، بل هو من عند الله العزيز الحكيم.

٧ - هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ .

القرآن إنما تحصل مدايته وبشارته لمن حلُّ فى قلبه الإيمان ، فهو روح وهداية وبشارة بعز الدنيا وسعادة الأخرة ، لمن آمن بالله والْنزم بطاعته .

٣ - ٱللَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوْةَ وَيُؤْثُونَ ٱلرَّكُوةَ وَهُم بَٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوفِئُونَ .

وصف الله المؤمنين بهذه الصفات:

١ – إلماءة الصلاة: أي المحافظة عليها في أوقاتها ، كاملة الأركان ، في خشوع وخضوع ، وتدبر وتفكر،
 واستغراق في عظمة العلى القدير .

﴿ كَانْتُونُ أَلْزُكُواْ ۚ . بِرْدرتها كاملة ، متى بلغت النصاب ، وحال عليها الحول ، يرجون بها وجه الله ،
 وينفقونها فى مصارف الزكاة ، ويردونها مستوفاة شروطها ، كاملة متجردة من الرياء والتظاهر.

٣ – وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِئُونَ .

إنهم أمنوا بالأخرة وتيقنوا بها ، وهذا يزيدهم خشوعًا في صلاتهم ، وإخلاصًا في زكاتهم ، ويقيئًا بريهم ، وبالجزاء المادل يوم القيامة ، وقد أكد إيمانهم بالأخرة ، لأن هذا الإيمان وذلك اليقين هو مبعث كل نشاط حسن .

مسن التسراث

دخل جمع من الناس على عمر بن عبد العزيز ، فوجد بينهم شابًا نحيلاً ، فسأله الخليفة : ما الذي أحالك إلى هذا الذبول ، قال : يا أمير المرمنين ، أسقام وأمراض ، فقال الطيفة : بالله عليك إلا ما أصدقتني.

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ، ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مريرة ، وهان على أمرها ، واستوى عندى ذهبها وحجرها ، وكأنى أنظر إلى عرش ربّى بارزًا ، والناس يساقون إلى الجنة أو إلى النار ، فأظمأت لذلك نهاري ، وأسهرت لولى ، وقليل حقير ما أنا فهه ، بجنب ثواب الله وعقابه .

£ -- إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَٱلْآخِرَةِ زَيَّنَا لَهُمْ أَعْمَدْلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ .

إن هؤلاء الكقار الذين رفضوا الإيمان بالأخرة ، وقالها : إن هي إلا أرحام تدفع ، وقبور تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر ، هؤلاء الكفار سلبهم الله معونته وعونه وتوفيقه فصار الكفر والضلال حبيبا إليهم ، وضلً سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فحبب إليهم اتباع الهوى ، وزين لهم الضلال، فتراهم حيارى في غيهم يقرددون ، وثلاحظ أن العمى صفة البصر ، والغمّه صفة البصيرة ، فبصيرتهم في ظلام الضلال ، لا تدرك ما ينفعها ولا ما يضرها .

قال الرازي في التفسير الكبير:

والمراد من التزيين : هو أن يخلق في قلبه العلم يما فيها من المقافع واللذات ، ولا يخلق في قلبه العلم بما فيها من المضار والأفات .

ه – أَوْ لَكَتِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ شُوَّءُ ٱلْعَلَابِ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَحْسَرُونَ .

هؤلاء الكفار لهم سوء العذاب ، بالقتل والأسر في الدنيا ، وهم في الآخرة يدخلون جهنم ويعذبون فيها عذابًا أبديًا سرمديًا خالدًا مخلدًا ، فهم في أكبر خسارة حيث خسروا دنياهم وأخرتهم .

٣ - وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّذُنَّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ.

تأتى هذه الآية عتامًا لمقدمة السورة ، وتمهيدًا لما سيأتى بعدها من قصص ، فتخبر أن القرآن من عند الله ، ديمًا عند الله ، تلقاء محمد على عند الله ، وقد أكدت الآية أن القرآن من عند الله ، ديمًا لمن المند الله وقد أكدت الآية أن القرآن من عند الله ، ديمًا لمن المنترى بأن القرآن شعر أو كهانة أو أساطير الأوليين ، وقد صرحت آية أخرى بهذا التلقى حيث قال سبحانه : ثرّلَ بُو الرَّوعُ الْأَبِينُ ، عَلَىٰ قَلْبِكُ إِنْكُونُ مِنَ الْمُنتريينُ ، (الشعراء: ١٩٤، ١٩٤) . وهي الآية إشعار بغضال الله على نبيه ، فهو يتلقى هذا الوجى بواسطة جبريل من الحكيم العليم ، فالله حكيم أنزل القرآن منجمًا ومجزأ حسب الوقائم والحوادث ، وقد اشتمل القرآن على حكمة التشريع ، وآداب الحياة ، ونظام العيادات والمعاملات ، وبيان الفرائض والأحكام ، لذلك نُسب إلى الحكيم واسع الحكمة ، الذي لا يعمل عملاً إلا لحكمة إلهية عليا ، وهو سبحانه : يَعْلَمُ مَا يُنْنُ للمرة الميلية : ١٩٠٥).

وقال تعالى : وَعَلْمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَغَلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا . (النساء : ١١٣) . وقال سبحانه : وَقُل رُبِّ وَفِي عِلْمًا . (طه : ١٠٤). وخبر القرآن هو الصدق والحدل ، وشريعته هي الشريعة الوسط المعتدلة بلا تفريط ولا إفراط ، قال تعالى: وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبُّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ... (الأنعام ١١٥).

قصة موسى عليه السلام

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ ۚ إِنِّي ٓ انسَّتْ نَازَ سَنَاتِيكُم مِّنَهَا مِخْبَرِ أَوْ التِيكُم بشِهَابِ قَبَسِ لَعَكُمُ تَصْطَلُوكَ ٧ كُافَامًاجَآءَهَانُودِي أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنْ ٱللَّهُ رَبِّ ٱلْعَالِمِينَ يَلْمُوسَى إِنَّهُ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَرِيرُ ٱلْحَكِمُ ۞ وَأَلْقِ عَصَاكُ فَلَمَّا رَءَا هَا تَهَنَّزُ كَأَنَّهَا جَآنُ وَ لَي مُدْدِرًا وَلَمْ يُعَقِّبُّ يَنُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّى لاَ يَخَافُ لَدَى ٱلْمُرْسِلُونَ ۞ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُرَّ مَذَّلَ حُسَنًا بَعْدَ سُوَّءِ فَإِنِّ عَفُورٌ رَحِيمٌ اللهُ وَأَدْخِلْ يَدَكُ فِيجَينِكَ تَغُرُجُ يَضَاءَ مِنْ غَيْرِسُوَءٍ فِي يَسْعِ اليُتِ إِلَى فِرْعُونَ وَفَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَلِيقِينَ ﴿ إِنَّ فَإِمَّا جَاءَتُهُمْ ءَايَكُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَلَا سِحْرُكُ مُّيرِتُ اللهُ وَحَمَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُتُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوٌّ فَٱنظُ رَكِيفَ كَانَ عَلِقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٠٠٠

التلقى، لتلقُن وتعطى.

السست: أيصرت إبصارًا حصل لي به أنس.

بحضير؛ عن الطريق وحاله.

بشهاب، بشطة نار.

قصيس، قطعة من النار مقبوسة ، ومأخوذة من أصلها .

تصطلون، تستدفئون بها، قال الشاعر:

النار فاكهة الشتاء فين يرى

بورك ﴿ فَي النَّارِ ؛ جعلت البركة لمن في البقعة التي فيها النار

ومن حوثها: ولمن في الأماكن التي حولها.

أكل الغواكة شاتيا فليصطل

جــــان، حيَّة صغيرة سريعة الحركة .

والي مديراء التفت هاربًا .

ونم يعقب؛ لم يرجع على عقبه ، ولم يلتفت إلى ما وراءه . من قولهم : عقب المقاتل ، إذا كرُّ بعد الفرَّ .

من غير سوء : من غير برص ولا نحوه من الآفات .

أيسسسات ، معجزات دالة على صدقك .

مسهمسرة ، بيئة واضحة .

جحدوابها، كذبوا.

استيقنتها ، علمت علمًا يقينًا أنها من عند الله .

عصاصواه ترفعًا واستكبارًا.

التفسيره

٧ - إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا سَتَايِكُم مُّنْهَا بِخَبَرِ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لْعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ .

كان موسى عليه السلام قد خرج من مصر حين علم أن الصلاً من قومها يأتمرون به ليقتلوه ، فخرج إلى سيناء وانتهى فى رحلته إلى مدين ، حيث عمل أجيرًا عند شعيب فى مقابل تزويجه إحدى ابنتيه ، فلما قضى عشر سنين فى أرض مدين ، جنُّ للرجوع إلى مصر ، وسار بأهله ، فأدركها المخاض عند الطور ، فرضعت فى ليلة شاتية باردة ، وكان قد حاد عن الطريق لأمر شاءه الله تعالى .

وقد أصبح بحاجة إلى أمرين:

أحدهما : أن يجد من يرشده إلى الطريق الموصل إلى مصر.

النيهما: أن يوقد نارًا ليستدفئ هو وأهله.

قال تعالى : فَلَمَّا فَعَنَى مُوسَى الْأَجَلُ وَسَادَ بِأَهْلِهِ عَانَسَ مِن جَائِبِ الْطُّودِ نَارًا قَالَ يُطَّلِهِ أَمْكُنُو إِلَى عَانسَتُ ثَارًا لَعَنَى عَائِيكُم مُنْهَا يِخْبُر أَوْ جَذَرَ * مَنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطُلُونَ . (القصص ٢٠١) .

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنَّى عَانَشْتُ نَارًا ...

تأتى هذه الآية عقب قوله تعالى : وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّذُنْ حَكِيم عَلِيمٍ . (النمل: ٦) .

أي: الست بدعًا من الرسل ، ولست وحداث الذي تلقيت وحي السماء إلى الأرض ، فاذكر فضلاً مشابها، حين سار موسى من مدين إلى مصر ليلاً ، في طريق مظلم قرب الطور ، فأنس نازًا في ظلام الليل ، وكانت الذا، قد قد لعلاً لأمد در:

١ – إكرام الضيف .

٢ – هداية الساري باللبل .

ومن ذلك قول حاتم الطائي لغلامه :

- إن الليل ليل قرَّ، والريح يا غلام ربح صر، فإن جلبت ضيفا فأنت حرَّ.

أدرك موسى النار وقد فرح برؤيتها ، وقال لزوجته : إنى آنست نارًا قد سررت لرؤيتها ، فامكثوا في مكانكم ، وساذهب إلى هذه النار : سُكَاتِيكُم شُهُا بِحُرِّر أَوْ عَالِيكُم بِشِهَابٍ فِيْسَ فُلْكُمْ بِسُمُلُونَ .

لقد سررت برزية النار وتوقعت عندها الخير فامكلوا في مكانكم ، لأذهب إليها ، حتى آسأل عن الطريق العوصل إلى مصر ، وأحضر منها قبسًا (١٠٠ نستدفئ به في قرّ الصحراء ، ومضى موسى إلى النار ، التي أنسها ينشد خبرًا ، فإذا هو يتلقى النداء الأسمى .

٨ - فَلَمَّا جَاءَهَا لُودِيَ أَنَّ بُورِكَ مَن فِي أَلنَّار وَمَنْ حَوْلَهَا وَمُبْحَلْنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ.

تقدم موسى إلى النار فرأى عجبا ، شجرة خضراء ثقوقد منها النار ، لا تزداد الشجرة إلا اخضرارًا ، ولا تزداد النار إلا نورانية وارتفاعًا إلى السماء ، وتعجب موسى مما رأى ، وسمع نداء الحق سبحانة وتعالى :

أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ...

ومن في النار: الملائكة مستجيبة لأمر الله تعالى بإيقاد النار.

وَمَنْ حُوْلُهَا : كل من حولها من الأرض والناس ، ومنهم موسى عليه السلام .

والآية تسجُّل بركاتِ الله وعنايته ورحمته وهدايته ، ينزلها على ملائكته ورسوله موسى عليه السلام ، والله منزه عن الكم والكيف ، والطول والعرض ، لا يحدُّه مكان ولا يحويه زمان ، فهو سبحانه خالق الكون ، وخالق الزمان والمكان .

· وَسُبْحَلْنَ ٱللَّهِ رَبُّ ٱلْعَلْلَمِينَ .

تنزه الله الذي يفعل ما يشاء ، ولا يشبهه شيء من مخلوقاته ، وهو العلى العظيم ، الواحد الأحد الفرد. الممد ، المنزه عن مماثلة المحدثات . أخرج الإمام مسلم في صحيحه ، وابن ماجة في سننه ، والبيهقي ، عن أبي موسى الأشعري قال :

قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، حجابه النور لو كشفها لأحرقت سُبُحات (أنوار) وجهه كل شيء أدركه بصره " " . ثم قرأ أبو عبيدة : أَنَّ بُورِكُ مَن فِي آثارٍ وَمَنْ خُرِلَهَا وَسُبْحَنْ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْصَلْمِينَ .

٩ - يَاهُوسَنَيْ إِنَّهُ, أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ.

نادى الله موسى نداء الإله الخالق المهيمن ، فموسى رسول سيكلف بالرسالة ، وتسمو البشرية في شخصه ، لتتلقى خبر السماء من الله آلْوَزِيز . الغالب ، القوى القادر، المهيمن المقتدر، ذى الجلال والإكرام، الْحَكِم، فهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته ، وهو أحكم الحاكمين في تصرفاته وأفعاله ، جل جلاله ، ومن هذه الحكمة اختيار موسى ليكون رسولاً إلى أكبر الطفاة في الأرض ، في ذلك الحين ، ومن ثمّ جعل ربّه، يشده ويجهزه ويقويه .

١٠ - وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا نَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌ وَلَىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَفِّبْ ...

أمر الله موسى أن يلقى عصاه ، فإذا هى تتحول إلى حية شديدة الحركة ، فى سرعة وخفة مذهلة ، فلما رأهما موسى فى شكل مخيف مرعب رهيب ، جرى سريمًا بعيدًا عنها ، ولم يرجع إلى المكان الذى كان فيه ، حين ألقى عصاه ، فذاداه الله مطمئنا له بقوله :

يَلْمُوسَىٰ لَا تَحَفُّ إِنِّي لَا يَخَافُ لَذَيُّ ٱلْمُرْسَلُونَ .

يا موسى لا تخف من العصا ولا من الحية الكبيرة ، العظيمة الحركة ، فأنت رسول رب العالمين ، الرسل لا يخافون في حضرة ربهم ، وهم يتلقون التكليف .

الثعبان ، والجان

في الآية ١٠٧ من سورة الأعراف قال تعالى : فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِي ثُمِّبَانٌ مُّبِينٌ .

والثعبان حية كبيرة.

وهنا قال تعالى : وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقّب ...

والجأنُّ ضرب من الحيَّات أكثرها حركة ، وأسرعها اضطرابًا ، مع صغر في الحجم .

ويجمع بين الآيتين: بأن العصا تحولت إلى حية كبيرة من ناحية الحجم، وتحولت إلى صورة الجان من ناحية الحركة والاضطراب السريع ، ولهذا جاز التعبير عنها بالكلمتين في موضعين مختلفين: فهي فُهَانٌ، كبير ، في سرعة جَانٌ . خفة واضطرابا .

١ ١ - إِلَّا مَن ظَلَمَ لُمَّ بَدُلَ خُسْنَنَّا يَعْدَ شُوْءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

لكن من ظلم نفسه بارتكاب المعاصى ، ثم تاب إلى الله وعدُّل سلوكه ، وأقبل على الطاعات ويدل حسنا بعد سرء ، وعمل صالحنًا بعد عمل المعصية .

فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

يغفر نذبه ويرحم ضعفه ، ويقبل ثوبته ، فهو سبحانه خالق الخلق وهو أعلم بضعفهم ، ولهذا تكررت الدعوة إلى الثوبة ، ونذح الله أبوابه لقبولها ترفقاً بعباده ، وترحمًا بضعفهم .

قال تعالى: وَإِنَّىٰ لَغَفَّارٌ لَّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ . (مه: ٨٢).

وقال سبحانه وتعالى: قُلُ يُعِجَاهِيَ آلَٰذِينَ أَسْرَالُواْ عَلَىٰٓ اللَّهِيمِ لَا تَفْتَطُواْ مِن رُحْمَةِ آللهِ إِنَّ اللّهَ يَلْهُرُ ٱللُّمُوبَ جَمِيعًا لِلْهُ هُوْ ٱلْفَكُورُ ٱلرَّحِيمُ . (ازمو: ٥٠).

٧٧ - وَأَدْخِلْ يَمْكُ فِي جَيْبِك ٣٠٠ تَخْرُجُ يَبْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوَّةٍ فِي بِشِعِ ءَايَسَتِ إِلَيْ فَرغوْ نَا وَقَوْمِهِ إِنْهُمْ كَانُواْ قُوْمًا فَــُسَمَّنَ

هذه هي المعجزة الثانية في هذا المقام :

الأولى: إلقاء العصا تنقلب حية كبيرة.

الثانية : أن يدخل موسى يده فى فتحة القميص التى يدخل الرأس منها ، فتخرج بيضاء بياضًا ناصمًا، كفلقة القمر فى غير يرص ولا مرض .

فِي تِسْع ءَايَسْتِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ...

هـاتـان الآيتـان (العصـا واليد) ضمن تسع آيات أيدتك بها وهـى : سنوات الجدب ، ونقص الثمرات ، والطرفـان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَلسِقِينَ .

خارجين عن سنن الفطرة ، حيث كذبوا موسى ، وعتوا عن أمر ربهم .

١٣ - فَلَمَّا جَآءَتُهُمْ ءَايَنْتَنَا مُنْصِرَةً قَالُواْ هَلْذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ .

فلما تقدم موسى إلى فرعون وقومه ، ومعه معجزات ملموسة تيمسرها العين ، وتتيقن بها النفس ، ونضوا الإيمان بها ، وقالوا : هذا سحر ظاهر وليس معجزة .

١ ٤ - وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَتُمُهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَلْقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ.

كنب فرعون وقومه بالآيات مع وضوحها وظهورها ، ولم يكن تكذيبهم بسبب نقص الدليل ، فإنهم تيقنوا من صدق موسى وصدق رسالته ، ولكن الجحود والكنود والظلم والبغى والاستحلاء فى الأرض بغير الحق ، حملهم على التكذيب ، ظلمًا وترفّعًا عن الحق وعدم خضوع له ، فاستحقوا الهلاك والغرق .

فَانظُو كَيْفَ كَانَ عَلْقِبُهُ ٱلْمُفْسِدِينَ.

فتأمل بها كلُّ من عنده عقل أو فكر ، كيف كانت نهاية المفسدين إلى الغرق والهلاك ، وكأنَّ هذه الخاتمة موجهة إلى أهل مكة ، وكأنها تقول: لقد هلك من كذَّبوا مؤسى ، وأَغْرقوا في اليم ، وحُرموا من نعيم الدنيا وسعادة الآخرة ، وقد جاءكم محمد ومعه شريعة خاتمة الشرائع ، وكتاب مبين ، فإذا جحدتم وجب عليكم الهلاك والدمار ، فتأملوا كيف انتهى حال المكذبين لرسلهم ، قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم .

وهكذا تنتهى قصة موسى في لمجات ركّنت ، على نقاء موسى الكليم والفضل الإلهي عليه والمعجزات التي أيّده الله بها ، وفي إيجاز تكلمت عن سوء استقبال فرعين وقومه، رعن نهاية المفسدين وهلاكهم .

قصة داود وسليمان عليهما السلام

﴿ وَلَقَدْ مَالَيْنَا مَاوُدَ وَسُلَيْمَنَ عِلَمَا وَقَالَا الْمَسْدُ لِلْهِ الَّذِي فَضَلَنَا عَلَى كَثِيرِ فِن عِلَا وَالْمُؤْمِينَ ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَّ وَقَالَ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُونِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ وَالْفَصْلُ الْمُويِنُ ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَنَ جُنُودُهُ مِنَ الْحِيْ وَٱلْإِنِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ مُورَعُونَ ﴿ حَقِيرٍ وَآلَةُ الْعَلَى وَالِهُ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَّلَ يُتَأَيِّهُ النَّسِلُ الْحَفْلُ السَكِنَكُمُ مَن عَلَى مَن الْحِيْرِ وَمُعَلِيمَ اللَّهُ عَلَى وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُنْ الْمُؤْلِقُهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّلْمُ الللللَّهُ الللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ ا

المطردات

ورث سليمان ، قام مقام داود في النبوة والملك .

منطق الطير، فهم ما يريده كل طائر إذا صوّت.

حشـــــر، جمع

يسوز مسون ، يحبس أوَّلهم لَيلحق آخرهم ، فيكونون مجتمعين لا يتخلف منَّهم أحد .

واد السيميل؛ وإذ بأرض الشام.

لايحطمنكم، لا يكسرنكم ويهشمنكم .

أوزعستسس، ألهمني ويسر لي.

تمهيد :

تأتي قصة داود وسليمان بعد قصة موسى ، وقد امتن الله على داود بأن نصره على طالوت ، وأتاه الله الملك والحكمة ، وعلمه صنعة الدروع ولبوس الحرب ، وامتن الله على سليمان بأن علمه منطق الطير، وسخُر له الإنس والجن والطير والربح والشياطين المتمردين فأمكنه منهم ، وقد طلب سليمان من ربه أن يونقه إلى شكر نعمه عليه وعلى والديه ، وأن يمكنه من العمل الصالح ، وأن يدخله جنات النعيم .

التفسير:

٥١ - وَلَقَدْ وَاتِّينَا وَاوْرِدَ وَسُلْيُمَانَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَصَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

تأتى هذه القصة بعد ذكر فضل الله على رسوله محمد ﷺ، وفضله على رسوله موسى عليه السلام، وذكر جانب من قصته ، ثم ذكر جانب بسير عن داود عليه السلام ، وقد أتاه الله الرسالة والنجوة ، والملك والعلم والقضاء ، وألان له الحديد ، كما منحه الصوت الحسن ، وثلاوة الزبور ، حيث كانت الجبال والطير والكون تردد الزبور خلفه ، فقد آتاه الله علمًا نافعًا ، وألهمه الشكر والاعتراف بالفضل لله العلى الكبير ، كما من الله على سليمان بعلوم متعددة ، منها معرفة لفة الطير ، وفهم أحكام القضاء ، وتسخير الرياح والجن والشياطين لخدمته ، كما وفقه الله للشكر ، وفي الآية فضل العلم ، وإعلاء درجته على درجات الملك ، وقد أشاد القرآن الكريم بالعلم والطماء .

قال تعالى : يَرْقَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَائُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَسْتٍ ... (المجادلة : ١١) .

وقال سبحانه : قُلُ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... (الزمر: ٩).

وقال تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعَلَمَـٰ وَأُل ... (قاطر: ٢٨) .

وقد سعى موسى لتعلم العلم من الخضر وقال له : هَلْ أَتْبِعُكَ عَلَىَّ أَنْ تُعَلَّمُنِ مِمَّا عُلَمْتَ رُهُمَا . (الكهل : ٦٦). وَقَالَا الْحَمْدُ لِلْهِ اللَّهِ عَلَيْكَ عَلَىٰ كَبِيرٍ مِنْ جَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

أى: قال الأب والابن: الشكر لله تعالى الذي منحنا الملك والنبوة والطوم المتعددة ، وفضلنا بهذه المنح والعطايا ، على كلير من عباده المؤمنين ، الذين لم يؤتهم مثل ما آتانا .

١٩ - وَوَرِثَ مُلْقَمَنُ دَاوُردَ وَقَالَ يَثَلَّهُمَا آلناسُ عُلْمَنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلُّ هَيْءٍ إِنَّا هَلْمَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ
 ١٦ - وَوَرِثَ مُلْقَمَنُ دَاوُردَ وَقَالَ يَثَلَّهُمَا آلناسُ عُلْمَنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلُّ هَيْءٍ إِنَّا هَلْمَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَيْهَا اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْكُونَ اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِيْمِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى ال

ورث سليمان والده في ملكه وفي فضله ، وفي عطاه الله تعالى له ، وليس المراد ميراث المال ، لأن الأنبياء لا تورُّث مالا ، قال ﷺ : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقه» ٢٠٠ وقد رواه أبو بكر وعمر أمام جمع من الصحابة ولم ينكر عليهما أحد .

وأخرج أبو داود ، والترمذي ، عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورّقوا دينارًا ولا درهما ، ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافري" (١٩٠٠). وقد صرح الغران بأن الله أعطى داود الغضل ، أى : التغضل عليه بالنكمة والهداية والرسالة ، وحسن الصوت وترديد الجبال والطيور لعبادته وأناشيده ، وقد ورث سليمان جانبا من هذا الغضل ، واعترف بهذه النكمة ، فقال لأهل مملكته : يا أيها الناس قد تفضل الله علينا بأن علمنا منطق الطير ولفته ، فإذا صوت أدركنا ماذا يريد أن يقول .

وقال سليمان: لقد أعطانا الله من كل شيء يحتاج إليه أمثالي ، فأتاح لى النبوة والملك ، ومعرفة لغة الطير ، وغير ذلك من النّمم .

إِنَّ هَلَا لَهُوَ ٱلْفَصَّلُ ٱلْمُعِينُ .

إن هذا تفضل ونعمة بينة ظاهرة واضحة ، قال ذلك اعترافًا بأنعم الله عليه ، ولم يقله على سبيل الفخر ، كما قال رسل الله ﷺ فيما رواه أبو دارد، ومسلم، عن أبى هريرة : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا شخره ، أي : أقول هذا القول شكرا ، ولا أقوله فخرًا .

١٧ - وَحُشِرَ لِسُلَيْمُانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْحِنَّ وَٱلْإِنس وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ .

كان لسليمان جيس كبير ، في عاية النظام والترتيب ، يصطف الإنس ثم الجن ، وتصطف الطير فوق رءوسهم لحمايتهم من وهج الشمس ، ولكل فئة من الثلاث قائد أو وازع ينظمهم ، ويحبس أولهم حتى يحضر آهرهم .

ومعنى : يُوزَعُونَ . أي : يحبسون ويمنعون من المضى حتى يتالحقوا ويجتمعوا.

والإيزاع: الحث على الوزع، وهو الكفُّ والمنع.

ومنه قول عثمان رضي الله عنه : ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرأن .

وقول الشاعر :

فليس له من شَيْب فَوْنَيْه وَازعُ

ومن لم يزَعْهُ لبُّه وحياؤُه

لقد أعطى الله سليمان ملكًا لم يعطه لأحد من بعده ، مثل ملك الدين والربح والطير ، استجابة لدعائه : قَالَ رَبِّ آغَفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلكًا لَا يَشْبَعِي لِأَحَدِ مِّنْ يَعْدِي إِلْكَ أَلتَ ٱلْوَقَابُ و فَسَحْرُنَا لَهُ ٱلرَّبِحَ تَحْرِي بِأَمْرِهِ رَخَاءً حَيْثُ أَصَابٍ * وَٱلطَّيْلَعِينَ كُلِّ ثِنَّاءٍ وَقُوْاصِ وَ وَاحْرِينَ مَقْرُونَ فِي ٱلْأَصْفَادِ . (س : ٣٥ – ٢٨) .

وقال تعالى : وَمِنْ ٱلْحِنْ مَن يَعْمَلْ يُنْنَ يَعْيُهِ بِإِذْنِ زَمُّهِ وَمَن يَزِعْ نِيَهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُفِقَهُ مِنْ عَلَابِ ٱلشَّعِيرِ ، يَعْمَلُونَ لُمُ مَا يَشَاءُ مِن مُحَلوبِهِ وَمَصَائِقِ رَجِفَانِ كَٱلْتَجْوَابِ وَقُدُورِ وَالرِيَّاتِ ... (...ا ١٣٠١: ١٢) . كل هذا الملك ، والجيوس المتعددة الأنواع ، ومعرفة لغة الطير ، وتسخير الجن ، والتغوق في القضاء ، قابله داود بالشكر والعرفان .

قال تعالى : آغَمَلُواْ ءَالَ دَاوُردَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشُّكُورُ . (سبا: ١٣) .

وعندما رأى سليمان عرش بلقيس مستقرا عنده ، قال : هَـٰلَمَا مِن فَصْلُ رِنِّي لِيَّلُونِي ءَأَلْمُكُو أَمْ أَكْفُو وَمَن شَكَرَ فَالْمَا يَشْكُرُ لَنْفُسه وَمَن كَفَرَ فَالَّ رَبِّي غَنِيَّ كَرِيمٌ . (النمل : ٤٠) .

عسبرة بالأبسة

جاء في أحكام القرآن لابن العربي - تعليقًا على قول عثمان: ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن -:

قد جهل قوم المراد بهذا الكلام ، فظنوا أن المعنى فيه أن قدرة السلطان تردع الناس أكثر مما تردعهم حدود القرآن ، وهذا جهل بالله وحكمه وحكمته ، فإن الله تعالى ما وضع الحدود إلا مصلمة عامة كافة قائمة لقوام الخلق ، ولكن الطلمة خاسوا بها ، وقصُروا عنها ، وأشوا ما أتوا بغير نية منها ، ولم يقصدوا وجه الله في القضاء بها ، فلم يرتدع الخلق بها ، ولو حكموا بالعدل ، وأخلصوا النية ، لاستقامت الأمور ، وصلم الجمهور .

لقسة الطبير

يتسابق العلماء الآن في معرفة لغة الطير والحيوانات ، وقد علَّمها الله تعالى لسليمان ، وأشار القرآن إلى تنظيم أمة النحل وأمة النمل ، وإمثالهما من الأمم ، حيث قال تعالى : وَمَا مِن دَآيَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طُتْبِرِ يَظِيرُ بِجَنَّاحِيُّهِ إِلَّا أَمَمُ أَشَالُكُم مَّا فَرَضًا فِي ٱلْكِتَسِمِ مِن شَيْءٍ ... (الأنمام : ٣٠) .

وقد سبق القرآن الكشوف العلمية ، وأيدته المشاهدة ، فالنحل له ملكة تدبر أمره ، وتسوسه ، ويلغ من دقة إدراكه أنه يصنع بيوتا مسدسة الأضلاع لتجميع عسله فيها ، بمقاييس غاية في الدقة ، وبالجملة فدراسة مملكة النحل وأمته تحير الأفكار ، ومثلها النمل وجميع الكائنات الحية ، ومن أغرب المشاهدات تلك الطيور ، التي تقطع آلاف الأميال في موسم الشتاء طلبًا للدفء والرزق ، ثم تعرد أدراجها في مواسم معينة، إلى نفس العش الذي تركته ، فوق مبنى أو فوق شجرة ، ولا تخطئ طريقها ، وكل طائفة تسير خلف نذيرها ومرشدها ، وهي تطير على هدى إدراك دلطلي أقوى من (الرادار) ، لقد ألهمها الخالق سبحانه البحث عن ومرشدها ، وهي تطير في الفضاء والهواء ، بإلهام من الله العلي القدير ، وتجد أنواعًا من السمك ، تهاجر آلاف الأميال ، لتضع البيض ، ثم يفقس البيض ، ويتحول إلى سمك ، ويبدأ السمك رحلة الموردة من حيث جاءت أصوله ، فسبحان الذي ألهم هذه الكائنات ، أسرار وجودها ، وطريقة حياتها ؛ ونظام معيشتها ، بما يفيد أن

وراء هذا الكون البديع ، يدًا حانية تحفظ وجوده ، وتدعّم تماسكه ، وتقدّر أقواته ، وانظر إلى قوله تمالى: قَالَ فَعَن وَبُكُمَا يَنْمُوسَىٰ هَ قَالَ رُبَّنَا ٱللَّذِي أَطَيْقٍ كُلُّ شِيّعٍ خَلْقَدْ رُهُ مَدَىٰ . (هد: ١٥٠ / ٥)

وقال تعالى : وَجَعَلَ فِيهَا رَوْ'سِيَ مِن قَوْقِهَا وَيَسْرَكُ لِيهَا وَقَدْرَ فِيهَا أَقُوْنَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَامٍ مَوَاءً لَلسَّاقِلِينَ . (فصلت: ١٠).

قصة النملة

١٨ – حَتِيَّ إِذَا آتُواَ عَلَىٰ وَادِ آلْتَمْلِ قَالَتَ نَمَلَةُ يَنَآلَهُا آلَمُثَلُ آدَخُلُواْ مَسَاكِبَكُمْ لا يَحْطِفَتَكُمْ مُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ. وَهُمْ لاَ يَشْغُرُونَ .

سار سليمان في موكبه وجيرشه ، حتى اقترب من منطقة بها نمل كثير ، تسبى وادى النمل ، يقول
بعض المفسرين : إنها قرية في بلاد الشام ، ولهذه الأمة من النمل ملكة ترعى شئون النمل ، فأمرت النمل
أن يدخلوا مساكنهم ، حتى لا يتعرضوا للهلاك ، والدّمس والتحظيم والموت ، إذا مرّ عليهم سليمان وجنوده،
فتقتل النمل ، دون أن يشعر سليمان وجنوده بذلك ، وقد أدرك سليمان هذا الأمر ، حيث شاهد أمة من النمل،
تعرف بحسّها أن موكب سليمان قد اقترب ، فتأمر النمل أمرًا ، ثم تحدرهم من الهلاك إذا تأخروا ، والأية فيها
أمر ، وتحذير أو شهى ، واحتراس :

فالأمر: ٱذْخُلُواْ مُسَلَكِنَكُمْ.

والتحديد أو النهى: لَا يَحْطِمُنْكُمْ سُلَيْمَنْنُ وَجُنُودُهُر.

والإحتراس: وَهُمْ لَا يَشْغُرُونَ .

ثم كيف عرفت النملة أن هذا جيش سليمان ، وكيف كانت حازمة واضحة محدرة ، ذلك فضل الله ، الَّذِي َ أَغْطِي كُلُّ هُمِيَّةٍ خُلِقَهُ ثُمِّ هَدَى . (هـ : ٩٠) .

١٩ - لَفَيَسَمْ صَاحِكًا مِّنْ قَرْلِهَا وَقَالَ رَبُّ أَوْرَعْنِيَ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلْتِيَّ أَنْعَمْتُ عَلَى وَعَلَىٰ وَالِدَّىُّ وَأَنْ أَعْمَلُ صَـٰلِحَ تَرْصَنْهُ وَأَدْعِلْنِي بِرَّحْمَيْكُ فِي عِبَادِكَةَ الصَّـلِلِحِينَ

التيسم : مبدأ الضحك من غير صوت ، والضحك : انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور مع صوت خفى ، فإن كان فيه صوت يسمم من بعيد فهو القهقية .

ومعنى الآية :

فتيسم سليمانُ مسرورًا ضاحكًا راضيًا من كلام النملة ، ومن نعمة الله عليه في فهم كلامها ، ومن شدَّة حسمها ، وقيامها بواجبها ، وتوضيح مقاصدها لطائفة النمل ، واحتراسها .

حين قالت: يَنَآيُّهَا ٱلشَّمْلُ ٱذْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانٌ وَجُنُودُهُ, وَهُمْ لا يَطْعُرُونَ .

ولما رأى سليمان ذلك رضى وشمله السرور والرضاء وأخذ في دعاء الله قائلاً:

رَبُّ ٱوْرِغْيَىٓ أَنْ ٱشْكُرُ نِهْمَنَكَ آلِيَ ٱنْعَفْتَ عَلَى ّ وَعَلَىٰ وَالِدَّىٰ وَأَنْ أَغَمَلَ صَلِيحًا عَبِدِكَ ٱلصَّلِيْجِينَ

أى: قال: يارب تفضلت على بنعم كثيرة ، فالهمنى وسخّرنى ووفقنى أن أقوم بشكر نعمك ، والثناء عليك ، والاعتراف ك بالفضل والمنة ، جزاء ما أنعمت به على وعلى والدى ، وزدنى ترفيقاً ، حتى أعمل العمل المسالح الذى ترضماه وتقبله ، واجعلنى ممن تشمله رحمتك وفضلك ، حتى أكون فى جملة عبادك المسالحين ، الذين رضيت عنهم ورضوا عنك .

ومن هذه الآية ، نُدرك قيمة الصلاح وأنه غاية سامية يتطلع إليها الأنبياء والمرسلون ، حتى قال تعالى: وَلَيُّا مُنَّ أَلْهُ لِلحِنَ . (أل عمران: ٣٩). فالعبد الصالح قدر الله في الأرض ، تدعو له الملائكة ، ويتجاوب معه الكون ، ويصله السلام من ملايين المسلمين في كل صلاة ، ففي قراءة التشهد: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين).

وقد كان هذا الدعاء من سليمان من تواضع الكاملين ، فأبره رسول أعطاه الله الفضل ، وأمّه زوجة نبى وأم نبى ، وهو رسول أكرمه الله ، لكن الهدف الأصيل عنده هو الوصول إلى رضا الله ، والقيام بشكره ، والتوفيق لأن يعمل عملاً صالحاً مغلماً يرضاه الله ، وأن ينتظم في سلك العباد الصالحين ، فما أجلها من نعم ، وما أفضِلها من أدعية .

رَبُّ أَوْرِغِينَ أَنْ أَشْكُرُ يَعْمَلُكَ ٱللِّي أَلْعَلْتَ عَلَى ّ وَعَلَىٰ وَالِدَىٰ وَأَنْ أَغَمَّلَ صَالِحًا تَرْصَنَـٰهُ وَأَدْحِلْنِي بِرَحْمَعِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّلَيْلِجِينَ

قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام

المقردات

تفقد الطير: تعرف موجوده من مفقوده.

السهده سد، طائر معروف ، ويكنى بأبي الأخبار.

بسلطان مبين ، بحجة واضحة تبيّن عدره .

غير بعيد ؛ زمانًا غير مديد .

مسمها، هو سبأ بن يعرب بن قحطان أبو قبيلة باليمن .

تـــــا؛ خبر عظيم .

السعسرش؛ سرير الملك .

عن السبيل؛ عن سبيل الحق والصواب.

السسمهاء؛ المخبوء من كل شيء كالمطر وغيره من شئون الغيب.

التفسير،

٥ ٢ - وَتَفَقَّدُ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدُهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَالِينَ .

ملُّك الله سليمان الربيح والطير والجن ، أي: سخر له هذه المخلوقات، ومن شأن الملك الحاذق أن يتفقد رعيته ، ويتعرف على أحوالها ، ويقال : إن سليمان عليه السلام سار في جيشه ، وأثناء الرحلة احتاج إلى الماء ، وكان الهيمد يرشده إلى الأرض للتي بها ماء قريب ، والتي بها ماء بعيد ، فإذا أرشده الهدهد إلى . أرض قريبة الماء ، أمر الجن أن تعمل فيها لتستخرج الماء فيشرب الجيش والدواب ، ويستفيد سائر الناس ، ولما احتاج سليمان إلى الهدهد لم يجده ، فقال :

مَالِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ...

هل هو موجود ولكن ستره ساتر فلا أراه ، ثم عرف أنه غير موجود ؛ فقال : أَمُّ كَانَ مِنْ ٱلْفَالِمِينَ . وأم للإضراب ، والمعنى : بل هو من الفائدين .

قَالُ مجاهد : قيل لابن عباس : كيف تفقد الهدهد من الطير ؟ قال : نزل سليمان منزلاً ولم يدر ما بعد الماء ، وكان الهدهد مهتديا إليه ، فأراد أن يسأله . قال مجاهد : فقلت : كيف يهتدى الهدهد إلى الماء ، والمبنى يضبع له الحبالة فيصيده ؟ فقال ابن عباس : إذا جاء القدر عبى البصر .

ونحن نقول : إدراك الهدهد لمكان الماء ، هذه فراسة بحسب تكوين الله للهدهد ، أما وقوعه حبيسًا في الفخ فلأنه لا يعلم الغيب ، كالكلاب تدرك الزلازل بأسباب تحسُها داخليًا ، ولكنها لا تدرى أن الطعام الذى قدَّمه الصياد مسموم ليقتلها به ، ويالجملة فمناهج التكوين الإلهى لخليقته عجيبة ، فسبحان الذى أعظى كلَّ شيء خلقه قم هدى (١٠٠٠).

٢١ - لَأَعَذَّبُنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِنَّى بِسُلْطَدْنِ مُّبِينِ .

كان هدهذا ذكيًا بارعًا متفوقًا ، سفره الله لسليمان مع مجموعة خاصة من الطير ، وكان الهدهد صاحب النوية ، فلما تخلف عن الحضور ، وتأكد الملك من غيابه ، أقسم ليعذبنه عذابًا شديدًا ، مثل نتف ريشه ، أو ليقتلنه ، إلا إذا جاء بحجة واضحة تدل على أنه كان معنورًا في غيابه .

٧٧ - فَمُكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُعِطْ بِهِ وَحِثْتُكَ مِن سَبِا بِنَهَا يَقِين .

مكث الهدهد وقتًا قصيرًا ليس بالطويل ، وجاء متواضعًا أمام سليمان ، وقال :

أَخَطَتُ بِمَا لَمْ تُحِطُّ بِهِ ...

لقد اكتشف مملكة وملكة وقومًا يعبدون الشمس ، وذكر ذلك في إجمال ، ليفتح شهية الملك في الإحاطة بهذا الكشف الجديد ، الذي اهتدي إليه الهدهد.

وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ .

أتيتك من مدينة سبأ بخبر حقيقى مؤكد لا ريب فيه ، وسبأ فى الأصل اسم لسبأ بن يشجب بن يعرب اين قحطان ، ثم أطلق على حيّ من الناس سُمُوا باسم أبيهم سبأ ، وأطلق على المدينة التي يقيم فيها مؤلاء الناس ، فقيل : مدينة سبأ .

قال الزمخشرى في تفسير الكشاف:

ألهم الله الهدهد، فأخير سليمان بهذا الكلام ، على ما أوتى من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمّة ، والإحاطة بالمعلومات الكليرة ، ابتلاء له في علمه ، وتنبيها على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط بما لم يحط به ، لتتحاقر إليه نفسه ، ويتصاغر إليه علمه ، ويكون لطفًا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء ، وأعظم بها فتنة ، إ هـ .

٣٣ – إِنَّى وَجَدَتُ آمْرَأَةٌ تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلَّ شَيْءٍ وَلَهَا عُرْشٌ عَظِيمٌ .

اشتمل كلام الهدهد على صفات القوم وحالتهم الدنيوية ، وذكر منها ثلاثة أمور:

١ - أن ملكتهم امرأة، هي بلقيس بنت شراحيل، وكان أبوها من قبلها ملكًا جليل القدر واسع الملك،
 ولما مات لم يترك عقبًا من الذكور فتولت الملك ابنته.

٢ - إن المرأة قد أوتيت من كل شيء يفيد أمثالها ، من عظمة الملك واتساعه ، وعظمة الجيش ونظأمه،
 واتساع الذراء ، وكثرة الأسلحة وأدوات الحرب ، مما لا يوجد مثله إلا في الدول العظمي .

٣ - إن لها سريرًا عظيمًا تجلس عليه عند اجتماعها مع القادة والوزراء ، مرصمًا بالذهب والياقوت واللؤاؤ ، ومن أفضم العروش في زمانها .

٢٤ - وَجَدَّتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجَدُونَ لِلشَّهْ رِمِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطُانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسِّيلِ فَهُمْ
 لا يَهْتُدُونَ .

وجدت هذه الملكة وقومها يعيدون الشمس من دون الله ، ويسجدون لها سجود عبادة وتعظيم ، وقد زين لهم الشيطان قبيج أعمالهم ، فرأوه حسنًا ، وصدهم الشيطان عن الطريق الحق ، والسببل الواضع ، وهو عبادة الله تعالى ، فهم لا يهتدون إلى الهدى ، ولا يرضبون في الإيمان بالله . ٥٠ - ألا يَسْجُدُوا لِلهِ ٱللَّذِي يُخرِجُ ٱلْخَبِاءَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخفُونَ وَمَا تَعْلِنُونَ .

هلا سجول الله ، الإله المحق ، الذي سخر الشمس والقمر ، والا أن والذهار ، ورفع السداء وبسط الأرص . وأرسى الجبال ، وهو سبحانه يحفظ هذا الكون ، ويخرج المئبوه مثل المطر ه ن السماء ، والنسس نخفظي لهلاً وتظهر نهازاً ، والنجوم تختفي نهازاً وتظهر لهلاً ، وكذلك القمر ، وقل مثل ذلك في خلق الإنمان وولادة الجنين ، وإنبات النبات ، وظهور المعقبي من المعادن والبترول ، والكنوز التي لا تحصى أنواعها ، وهو سبحانه يعلم ما يخفيه هؤلاء الذين يعبدون الشمس وما يظهورنه ، وليس النشمس شيء من ذلك . فهي مسخرة لله تعالى ، فكيف ينصرفون عن عبادة الله إلى سيادة الشمس .

قال تعالى : وَمِنْ عَاشِيْهِ أَلْيَلُ وَٱلْقَهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلْهِ ٱلْلِيَ خَلَقَهُنَّ إِن كُتُمْمُ إِلَيَّا فَعَشْدُونَ . (نسلت : ٢٧) .

وقال عن شأنه : سَوَاءً مُسَكُم مِّنَ أَسَرَ ٱلْقُولَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَعَظَم بِٱلْيَلِ وَسَارب ۗ بِٱلْفَهَارِ . (ادرهد ١٠٠). ٢٧ – ٱللَّهُ لاَ اللَّهَ إِلاَّ هُوَ رَبِّ ٱلْقَرْض ٱلْفَظِيم .

الله جل جلاله لا معيود بحق إلا هو ، صاحب الملك العظيم في السماء والأرض ، والفضاء والهواء، والليل والنهار ، فهو المستحق للعبادة فعلاً ، وهو أمل لأن يُعيد لأنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل ، وهو المالك للكرن ، وقد وسع كرسيه السماوات والأرض ، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة كما ورد في السنة .

ويقف الإنسان مههورًا أمام هذا الهدهد الذكى الأربيب . الذى اهتدى إلى اكتشاف أمّة من البشر، و والتعريف بملكتها وشئونها الدنيوية والدينية ، لعله رئيس مجموعة الهداهد، وقد ذكر الهدهد أن الملكة قد أوتيت من كل شيء يحتاج إليه ملكها ، ويجعله ملكًا متفوقًا ، ووصف عرشها بأنه عظيم ، بالنسبة إلى عروش ملوك الدنيا .

ثم نلاحظ رقى الحاسة الدينية عند الهدهد ، واعتراضه على عبادة سبأ للشمس ، ورغبته في أن يعبدوا الله الخالق الرازق ، صاحب العرش العظيم ، الذي ليس في المخلوقات أعظم منه ، فكل عرش مهما عظم فهو دونه ، فكان الواجب إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة .

تعليق

فى قصة سليمان مع الهدهد دليل على مسئولية الحاكم عن ثفقد الرعية ، والمحافظة عليها ، ومحاولة الرقىّ بها ، فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمان حاله ، فكيف بعظائم الأمور ، رق ذكر القرطبي هذا المعنى ثم قال: ويرحم الله عمر بن الخطاب ، فإنه كان على سيرته ، قال : لو أن سخلة . على شاطيره الفرات أخذها الذئب ، ليُسأل عنها عمر .

و المُخلاصة: استنبط العلماء من الآيات السابقة ، استحباب تفقد الحاكم أحوال الرعية ، وكذلك تفقد الأصفاء والأقارب .

* * *

﴿ قَالَ سَنَظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَذِينَ ۞ آدَ هَبِ يَكِتَنِي هَسَدَا فَٱلْقِهَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانَظُرْ مَاذَا بَرْجِعُونَ ۞ قَالَتَ مَتَا ثُمَّ ٱلْمَلَوُّ إِنِيَ أَلْقِي إِنَّ كِنَكُمْ ي شَلَيْنَنَ وَلِنَّهُ رِبِسْجِ اللَّهِ الرَّحْسَنِ الرَّحِيدِ ۞ ٱلْاَتَمَالُوا عَلَى وَأَقُونِ مُسْلِعِينَ ۞ ﴾

المفردات

تولُّ عشهم، تنحُّ عنهم إلى مكان قريب نتوارى فيه ، ليكون ما يقولونه بمسمع منك .

فسائكالسره تأمل وفكن

سرجمون، يرجع بعضهم إلى بعض من القول ، ويدور بينهم بشأنه .

السمسلاء أشراف القوم عماصة الملك.

الا تعاوا على ، لا تتكبروا ، ولا تنقادوا للنفس والهوى .

مسلمين، منقادين خاضعين.

تمهيد:

تصف الآيات موقف سليمان من كلام الهدهد ، وتكليف الهدهد برسالة إلى بلقيس ملكة سبأ ، وترصد أخبارها ، ونقل هذه الأعبار إلى سليمان عليه السلام .

التفسير،

٧٧ - قَالَ سَنَعَظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَلْفِينَ .

أي: قال سليمان للهدهد: سننظر وسنختبر مقالك ، ونتعرف حقيقته بالامتحان ، أصادق أنت فيما تقول أم كانت فيه ، لتتخلص من الوعيد . ونلحظ أن سليمان لم يقل : أصدقت أم كذبت ، بل قال : أم كنت من الكاذبين ؛ لأن تلفيق الأخيار. المندَّقة ، واختيار الأسلوب الذي يستهوى السامع - من غير أن يكون للأخبار حقيقة تعبر عنها - لا يصدر إلا ممن من على الكذب ، وصار سجية له ، حتى لا يجد وسيلة للبعد عنه ، وهذا يغيد أنه كاذب على أثمَّ وجه، ، ومن كان كذلك لا يوثق به .

والخلاصة : سأرى هل أنت صادق ، أم سجيتك الكذب.

٢٨ - ٱذْهَب بَّكِتَلِي هَلْذَا فَأَلْقِهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنَّهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ .

كان سليمان قد أعدَّ كتابًا لهذه الملكة ، ثم أمر الهدهد أن يحمله إليها فحمله الهدهد ، وألقاه من كهة في قصرها تدخل منها الشمس ، فوقع على حجرها ، ثم المتفى الهدهد في مكان لا يشاهدونه فيه ، وانشفل بمراقبة أحوالهم ومناتشاتهم ومراجعاتهم .

٩ ٧ - قَالَتْ يَنَأَيُّهَا ٱلْمَلُوا إِلِّي ٱلْقِي إِلَى كِتَلْبٌ كَرِيمٌ.

يترك القرآن الكريم مساحة من القول ، يدركها السامع ويستنبطها .

أى: ذهب الهدهد فألقى الغطاب إلى العلكة ، فى نظام عجيب لم تشاهد أمثاله العلول ، فالرسول حامل الخطاب هدهد يتطامن ويتسائل إلى مخدع العلكة ، ويلقى إليها الخطاب ، ثم ينصرف فى أدب ، ليترك لها فرصة المحاورة مع أهل الحل والعقد من حاشيتها .

ومعنى الآية :

جمعت المرأة حاشيتها ، ولُغيرتهم بأن كتابًا كريمًا قد ألقي إليها ، وطلبت المشورة في هذا الخطب الذي نزل بها .

وفي الآية إيماء إلى الأمور الآتية:

١ - سرعة الهدهد في إيمنال الكتاب إليهم.

٢ - أنه أوتى قوة المعرفة فاستطاع أن يفهم بالسمم كلامهم.

٣ - أنها ترجمت ذلك الكتاب فوراً بواسطة مترجميها ، أو تعرّفت على محتواه إن كان باللغة التي تنطق بها .

٤ - أن من آداب رسل الملوك أن يتنحوا قليلاً عن المرسل إليهم بعد أداء الرسالة ، ليتشاور المرسل إليهم فيها.

٣١ ، ٣١ - إِنَّهُ, مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ, بسْم ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلرَّحِيمِ وَ أَلَّا تَعْلُوا عَلَى وَأَلُونِي مُسْلِحِينَ .

إن هذا الخطاب من سليمان رسول الله ، ويدايته : بشم آللهِ ٱلرَّحَمُّنِ ٱلرَّحِيم . بآمر الله الخالق الإله الهاحد ٱلرَّحَمُّنِ، كثير الرحمة . آلرَّحِمِ، الذي يتفضل برحمته على عباده ، أدعوكم ألا تتكبروا على دعوتي، وأن تدخلوا في ديني وهو الإسلام ، والخطاب على إيجازه خطاب بارح ، مشتمل على الأمور الآتية :

١ -- إثبات الألوهية والوحدانية لله ، وكونه رحمانًا رحيمًا .

٢ - نهيهم عن اتباع أهوائهم ، ووجوب اتهاعهم للحق .

٣ – أمرهم بالمجيء إليه منقادين خاضعين ، ويهذا يكون الخطاب قد جمع كل ما لابد منه في الدّين والدنيا. * ﴿ ﴿ * ﴿

﴿ قَالَتْ يَكَأَيُّهُ ٱلْمَلَوُّا أَفْتُونِي فِيَ آمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَثَرُّ حَنَّى تَشْهَدُونِ ۞ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوْةٍ وَأُولُوا بَأْسِ شَدِيدِوَا لَمُتَرَالِتِكِ فَانظري مَاذَاتَا مُرِينَ ۞ قَالَتْ إِنَّ الْمُمُلُوكَ إِذَا دَحَسُلُوا قَرْيَةً اَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعَرَّهَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ وَإِنِّى مُرْسِلَةً إِلَيْهِم بِهَدِيَةٍ فَنَا ظِرَقَ لِمَ يَعِمُ لَكُرُسِلُونَ ۞ ﴾

المفردات :

أف تواسى؛ أشيروا على بما عندكم من الرأى والتدبير فيما حدث.

قاطعة أمرا : قاضية وفاصلة فيه .

تشهدون، تحضروني.

أواسو قسوة؛ وقرة في العدد والآلات.

السبساس، النجدة المفرطة ، والبلاء في الحرب.

الأصر إليك؛ البتُّ في الأمور موكول إليك.

دخلوا قرية ، محاربين منتصرين .

الفسسنوها اخريوها وقلبوا أوضاعها ، وأتلقوا عمراتها .

أللة، مهانين بالقتل والأسر، جمع ذليل.

هسديسة ، عطية عظيمة .

التفسيره

٣٧ - قَالَتْ يَنْآيُّهَا ٱلْمَلَوُّا ٱلْتُرنِي فِي آَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةٌ أَمْرًا حَتَّىٰ تَطْهَدُونِ .

تشهد الآية بأن الملكة جمعت حاشيتها ، وقادة جبوشها ، وكررت طلب المشورة منهم ، وقالت : أشيروا على ، وشاركوني في الرأى فيما نزل ، فليس من شأني أن أحسم الأمور وأبدى الرأى فيها قبل مشورتكم .

ومثل هذا السير، واستشارة الحاكم لأهل الحل والعقد في أمور مملكته، أمر حكيم، حث عليه الإسلام وأمر به القرآن المكيّ والمدنى قال تعالى: وَأَمْرُهُمْ شُورُكا يَتَهُمْ ... (الشورى: ٣٨).

وقال سيحانه: وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ... (ال عمران: ١٥٩).

وكان النبى ﷺ أكثر الناس مشورة لأصحابه مع أن الوحى ينزل عليه ، وكذلك كان الخلفاء الراشدون ، ومن سار على نهجهم .

٣٣ - قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوْةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسِ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَآنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ .

قال أهل مشورتها ، وقادة جيوشها ، وقد أحسُوا رغبة الملكة في التعرف على رأيهم ، ومدى مناصرتهم لها في مقاومة سليمان:

نَحْنُ أُوْلُواْ أَوْةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسِ شَعِيدٍ ...

أصحاب خبرة فى الحرب ، والكر والفر ، مع وفرة فى العدد والآلات ، والاستعداد للحروب ، والمقاومة للغزاة ، لا ترهينا قوة ، ولا ينهنهنا وعيد ، وهذا دورنا وهذه مهمتنا ، وأمّا البتُّ فى الأمور فهو موكول إليك ، تقضين فيه بما تشائين ، سلمًا وحريًا .

قال القرطبى: أخذت فى حسن الأنب مع قومها ، ومشاورتهم فى أمرها فى كل ما يعرض لها ، فراجعها الملاً بما يكر عينها ، من إعلامهم إياها بالقوة والبأس ، ثمّ سلموا الأمر إلى نظرها ، وهذه محاورة حسنة من الجميع .

ونقل ابن كبر عن الحسن البصرى أنه قال: فوضوا أمرهم إلى علجة تضطرب ثدياها ، فلما قالوا لها ما قالوا ، كانت هي أحزم رأيا منهم ، وأعلم بأمر سليمان ، وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه ، وما سُغر له من الجن والإنس والطير ، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرًا عجيبًا بديعًا فخافت أن ينتصر سليمان عليها وعلى قومها . ٣٤ - قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَحَلُواْ قَرْيَةَ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُواْ أَعِزَّة أَهْلِهَاۤ أَذِلَةً وَكَذَا لِكَ يَفْعَلُونَ .

قالت بلقيس للملاً من قومها ، وقد أحسُّت منهم الرغبة في الحرب : لا طاقة لنا بحرب سليمان الملك ، فالملوك عادة إذا دخلوا بلدًا فاتحين منتصرين ، أو غزاة قاهرين ، فإنهم يفسدون هذا البلد ، بقتل الملوك والقادة وأسرهم ، أو نفيهم وإخراجهم من البلد .

وَجَعَلُواْ أَعِرَّا أَهْلِهَا أَذِلَّةً ... أنزلها الملوك والقادة والوزراء والأمراء من منازلهم ، وحوًاوهم إلى مشردين مأسورين مطوردين . فإهانة الأشراف وتبديل القيادات ، أسر مستمر لهم ليضعنوا استمرار سيطرتهم على الهلد ، وَكُذَّ لِلْكَ يُقْعُلُونَ . وهذا شأنهم وديدنهم ، في كل وقت وحين .

و٣ - وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ لَفَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ .

كانت ملكة أريبة عاقلة ، داهية ذكية ، فإذا كانت لا تطيق حرب سليمان ، فلتشتر مودته ، فقررت أن ترسل إليه هدية عظيمة ، تليق بأمثاله ، من الذهب والثرائق والدُّر ، والفلمان والوصيفات .

قَالَ قَتَادَةَ : مَا كَانَ أَعَقَلُهَا فِي إِسلامِهَا وشركها !! علمت أنْ الهدية تقع موقعًا منْ الناس .

وقال ابن عباس : قالت لقومهًا : إِنْ قَبِلَ الهِدِيةَ هَهِو ملك يريد الدنيا فقائلوه ، وإِنْ لِم يقبلها فهو ذبي صادق فاتبوه [17]

فَنَاظِرُةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ .

سأرى وأشاهد ما تشاهده الرسل ، الذين أرسلهم بالهدية لمشاهدته ومقابلته ، وتعرُف أحواله ، ثم أقرر ما يقتضيه المقام .

﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَدَنَ فَال أَتُمِدُّونَ بِمَالِ فَمَآءَاتَدْنِ َ اللَّهُ خَبْرُمِّمَّآ ءَاتَدَكُمُ مِّل أَنْتُر بِهَا يَنْتُكُرُ لَفَرَحُونَ ۞ آترِجَ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْلِينَهُم بِحُثُورِ لَاقِيلَ لَهُمْ بِهَا وَلِنُخْرِجَنَهُمْ مِنْهَٓ آؤَلَةً وَهُمْ صَغِرُونَ۞﴾

المفردات

أتسمدونسن، تساعدونني.

لا قبل لهم بها، لا طاقة لهم بلقائها ، وأصل القِبل: المقابلة ، ثم جُعل في الطاقة.

صساغسرون ، مهانون أذلة .

التفسيره

٣٦ - فَلُمَّا جَآءَ سُلَيْمَانَ قَالَ ٱلْمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَكَن مَاللَّهُ خَيْرٌ مَّمَّا ءَاتَكُم بَلْ أَلتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفُوحُونَ .

ذكر غير واحد من المفسرين: أنها بعثت إليه بهدية عظيمة ، من ذهب وجواهر واللئ وغير ذلك.

قال ابن كثير : والصحيح أنها أرسلت إليه بأنية من ذهب ، فلم ينظر سليمان إلى ما جاءوا به بالكلية ، ولا اعتنى به ، بل أعرض عنه ، وقال منكرًا عليهم : أتَّهِدُّرُن بِعَالَير؟

أي: أتصانعونني لأترككم على شرككم وملككم ؟

لَهُمَّا ءَاتُلُن مَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مَّمَّا ءَاتُلكُم ...

أى: ما أعطاني الله من الملك والنبوة والرسالة ، ومحبة الآخرة ، وإيثار ما يرضى الله ، خير مما أنتم فيه. بَمَا أَفُتُهِ بَعَدُينُكُمْ تُفْرِحُ نَنَ

أي : أنتم تفرحون بالهدايا لأنكم أهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا .

٣٧ – آرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَتَأْتِينَهُم بِجُنُودٍ لَا قِبْلَ لَهُم بِهَا وَلَنْخَرِجَتْهُم مِّنْهَا أَذِلَّهُ وَهُمْ صَاغِرُونَ .

أى: قال لرئيس الوفد: ارجع إليهم بالهدية ، فلن أقبلها ، ولا أقبل إلا الإسلام أو السيف ، ولدئ جنود لا طاقة لهم بقتالهم ، وسنخرجهم من بلدهم أذلاء حقراء إن لم يأتونى مسلمين .

جاء في حاشية زاده على البيضاوى: قال ابن عباس: لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان ، وأخبروها الخبر، قالت: قد عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة ، ويَعَثَّتُ إلى سليمان إنى قادمة إليك بملوك قومى ، حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعو إليه من دينك ، ثم ارتحلت إليه في اثنى عشر ألف قائد.

وقال ابن كثير: فلما رجعت رسلها بهديتها ، ويما قال سليمان ، سمعت وأطاعت هي وقوسها ، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة ، معظمة لسليمان ، ناوية متابعته في الإسلام ، ولما تحقق سليمان عليه السلام من قدومها عليه ، فرح بذلك وسُرَّه . ﴿ قَالَ يَتَأَيُّهُا الْمَلُوُّا أَيْكُمُّ يَأْتِينِ بِعَرْشِهَا فَبْلَ اَن يَأْتُونِ مُسْلِعِينَ ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ وَعِلْمُ مِن الْكِينِ الْمَانَعُ وَالْمَالَةُ وَعَلَى الْمَانَعُ وَالْمَالُونُ الْمَالِينِ اللَّهُ وَالْمَالَدُونَ الْمَلْكِنِهِ الْمُعْتَقِرَّا عِندَهُ وَقَلَ الْمَلْوَقِي الْمُلُونِ الْمَلُونِ الْمَلْوَقِي الْمَلْوَقِي الْمَلْوَقِي الْمَلْوَقِي الْمَلْوَقِي اللَّهُ وَمَن الْمَكُولُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَن اللَّهُ وَالْمَالَ الْمَلْوَلُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللْمُلْلِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

المفردات:

المصرشء سرير الملك.

مسلمين؛ خاضعين منقادين.

عشريت، مارد خبيث.

المنسوي، لقادر عليه لا يثقلني حمله .

أمسيسن: لا أختلس منه ولا أغير فيه .

من مقامك، من مجلسك الذي تجلس فيه للقضاء ، أو من حاستك .

الله علم، سليمان ، أو آصف بن برخيا وزير سليمان ، وقيل: الخصر ، وقيل: ملك أيده الله به .

يسرتسد، يرجع.

الطراف؛ تحريك الأجفان؛ والمراد بذلك: السرعة العظيمة.

مستقرا : ساكنًا قارًّا على حاله التي كان عليها .

المقضل ؛ التفضل والإحسان .

ئيبلوني، ليختبرني.

أم أكفر ، أقصر في أداء واجب الشكر .

تمعمده

رفض سليمان هدية بلقيس ، حيث إنه دعاها إلى الإسلام هى وقومها ، فرغبت فى مهادنته ، بإرسال
مدية أشبه برشوة ، للمهادنة والسكوت عنهم ، فرفض سليمان الهدية ، وأنذرهم بالحرب ، وكان لهذا الإنذار
أثره ، وقد تأكّل لدى الملكة أن سليمان صادق فى دعوته ، ولديه من وسائل القوة ما يكفى للنصر ، وقتل
أعدائه واسرهم ، فأرسلت إليه تخبره بقدومها ، مع أشراف قومها ورؤسائهم ، وكانت الجن تخدم سليمان ،
وتخبره بتحرك بلقيس مع رؤساء قومها ، فرغب سليمان أن يُحضر عرش بلقيس ، قبل أن تأتى وتظهر
اسلامها .

التفسيره

٣٨ - قَالَ يَنَأَيُّهَا ٱلْمَلَوُّا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ .

قال سليمان: أيها السادة الأعوان ، أريد إحضار عرش الملكة من اليمن إلى الشام ، في وقت وجيز قبل قدومها مسلمة ، ليتأكد لديهم ما منحنى الله من العناية والتأييد، وتسخير القوى الخارقة لخدمتى، وتأييدى بالمعجزات ، فيكون لذلك أثاره في تعميق الإيمان في قلويهم .

وذكر بعض المفسرين أنه أراد إحضار العرش قبل أن يأتوه مسلمين ، لأنه بعد إسلامهم لا يحل له الاستيلاء على العرش ، والظاهر : أن نبى الله سليمان كان زاهدا في الهدايا ، راغبًا في ثواب الله ، وقيل : أراد أن يختبر ذكاء الملكة ، عند تنكير العرش وتبديل بعض صفاته .

٣٩ - قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنَّ أَلَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مُّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقُوىً أَمِينٌ .

أي: قال شيطان مارد من الجن: أننا أستطيع إحضاره في فترة مجلسك للقضاء ، وكان يمتد قرابة نصف نهار ، من الضمى إلى الظهيرة ، وإنى على هذا العمل قوى متمكن منه ، أمين على ما به من الجواهر الثمينة ، نقال سليمان : أريد من ينقله في فترة أقلاً من هذه الفترة .

٥ ٤ - قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُ, عِنْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَّا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدُ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ... الآية .

أى: قال شخص عنده علم بأسرار الكتاب الإلهى ، والتشريع وألوان الهدايات: أنا أحضره لك في لمح البصر ، قبل أن تغمض عينيك ، وقبل أن يرجع إليك نظرك ، وهذا العالم ، قيل : كان من الملائكة ، إما جبريل وإما غيره من الملائكة ، أيَّد الله تعالى به سليمان عليه السلام . وقيل : كان من الإنس ، وهو آصف بن برخيا وزير سليمان ، وهو المشهور من قول ابن عباس ، وكان يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دُعي به أُجيب ، وقيل : ياحي ا قيرم . هو الاسم الأعظم ، وقيل : الذي عنده علم من الكتاب هو الخضر عليه السلام .

والرابح في رأي الرازي أنه سليمان عليه السلام ؛ لأنه أعرف بالكتاب من غيره، لأنه هو النبيُّ .

وقال أبو حيان : ومن أغرب الأقوال : أنه سليمان عليه السلام ، كأنه يقول لنفسه : أنا أتيك به قبل أن برتد البك طرفك ، والمهم أنه حدث ما وعد به هذا العالم ، والله أعلم به ؛ والأوقق أن يقال ، عبد صالح عالم مكتار، الله وشرانعه ، أو أحرار أسمائه الحسنى ، أحضر العرش فى طرفة عين ، وكان ما عنده من علم بالكتار، باعثاً له على الترقى الروحى والسمو النفسى ، واستخدام ما وهبه الله من قوى وأسرار .

فلَمَا رِءَاهُ مُسْتَقِرًا عِندَهُ, قَالَ هَلْمَا مِن فَعَثْلَ رَبِّي لِيَتْلُونِي عَأَشْكُو أَمْ أَكْفُو ...

لمست هذه النحمة قلب سليمان ، حين رأى العرش مستقرًا ومرجودا في مكان يجاوره ، في سرعة لمح اليصر ، فأرجع النحية إلى المنعم ، وقال : هنا من مضل الله ومعرنته ؛ ليختررني هل أشكر النعمة فأنسبها إلى صناحيها وهو الله ، أم أجحد وأقول إن ذلك بحُسَن تقديري وقدرتي .

وَمَن شَكْرٌ فَإِنَّمَا يُشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ .

من شكر الله تعالى فإن الله يزيده من نعمانه ، ويعطيه المعونة والتوفيق والبركة ، ومن كفر فإن الله غنى عنه، كريم متفضل يعطى العباد ولا ينتظر الجزاء .

قال تعالى: يَنَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفَقْرَاءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَيُّ ٱلْحَمِيلُ . (فاطر: ١٥) .

وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل: «يا عبادى ، لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وخبكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادى ، لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادى ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

ثم أراد سليمان أن يغتبر بلقيس ، كما حكى تعالى :

إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَرْشَهَا لَنظُرْ أَتَهْتَدِينَ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ

قال سليمان غيرُوا في صفات العرش بالزيادة والنقصان مثلا ، أو جعل أعلاه أسفله ، وأسفله أعلاه: لنختبر ذكاءهم وتدرتها على الإجابة في أحداث غريبة . فقد تركت عرشها في اليمن وحوله أبنية صَحْمة وحراس أقوياء ، وهي تراه مستقرا في بيت المقدس على مسافة بعيدة ، لكنها كانت في غاية الذكاء ، واهتدت إلى إجابة مناسبة .

٤٧ - فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَلَكُذَا عَرُشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ, هُوَ ...

أقبلت بلقيس من اليمن ، وشاهدت عرشها وفيه بعض التغيير ، وأمام هذه الدهشة المحيرة أجابت إجابة مناسبة .

لَالَتْ كَأَنَّهُ, هُوَ ...

هو يشبهه إلى درجة بعيدة ، فلم تثبت ولم تنف.

واستطردت بلقيس فقالت:

وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ .

أى: أدركنا عظمة الله وفضله ، وعلمنا قدرته وسلطانه العظيم ، وعلمنا أن فضل الله على سليمان كان عظيما ، حيث سخر له الطير والجن وقرئ كونية : فأسلمنا وآمنا بالله تعالى ريا ، ويسليمان رسولا .

والخلاصة: علمنا بالله ربا ، ويسليمان رسولا ، من قبل مشاهدة نقل هذا العربش أو تغيير أوصافه ، وهذا رأى جمهور المفسرين ، ويعضهم رأى أن الجملة من كلام سليمان ، وتغيد أن الله أعطاه العلم والإسلام والنبوة ، والفضل العظيم في تسخير قوى الكون ، والرأى الأول أرجع .

٣٤ – وَصَلَّهَا مَا كَانَت تُعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَلْفِرِينَ .

أي: منعها عن الإيمان بالله عبادتها القديمة للشمس والقمر.

إِنَّهَا كَانَتْ مِن قُوْمٍ كَافِرِينَ . أي . بسبب كفرها ونشونها بين قوم مشركين .

وقال ابن كثير: `

وَصَدَّهَا مَا كَانَتُ تُعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتُ مِن قَوْمٍ كَلْفِرِينَ . هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد ، أي : قال سليمان : وَأُونِيَنَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ .

وهي كانت قد صدّها ، أي : منعها من عبادة الله وحده . مَا كَانَت تُعْبَدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَت مِن قَوْم كَنْهِ بِنَ

وهذا الذي قاله مجاهد ، هو قول سعيد بن جبير ، وقد اختاره ابن جرير ، وابن كثير .

\$ = قِيلَ لَهَا آدْ لَحْلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا زَأَتْهُ حَسِبَتُهُ لَجَّةَ رَكَشَفَتْ عَن سَاقِتَهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُشْرَدٌ مِّن قَوَارِيرَ فَالَتَ .
 إنه إلى ظلفت نفسي وأشلفتُ مَعَ سُلَيَعَن لِلْهِ وَبِ ٱلْعَلْمِينَ .

كان سليمان عليه السلام قد بني قصرا من البلور ، أقيمت أرضيته قوق الماء ، وظهر كأنه لجة .

فلما قيل الدخلي قصر سليمان عليه السلام، حسبت أنها ستخرض تلك اللجة من الماء : فكشفت عن ساقيها ، لتمنع ثيابها من البلل . فقال سليمان عليه السلام : إنه قصر مملَّس من الزجاج الصافي .

وهذا نجر الملكة تتابع أمامها مشاهد المفاجآت ، واحدة وراء الأخرى ، وتشاهد هذا عظمة بالغة فى بناء القصر ، والصرح العظيم ، والمياه المتدفقة ، والزجاج المموج ، وألوان التقدم العلمى والتقنى والفنى ، مع للعظمة الباهرة فى الجنود والأتباع ، والقصور والقوى العجيبة المسخرة ، فأعلنت ندمها على عبادة الشمس من دون الله ، وتأخير إسلامها وإيمانها بالله رب العالمين . فَالْتَ رُبِّ إِلَّى ظَلْهَتُ نُفِّسِي ... بالشرك وعبادة الشمس .

وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ .

وتابعت سليمان في دينه ، والإيمان والانقياد لله رب العالمين ، وخالق الأكوان من الأزل إلى الأبد .

قال ابن كثير: والغرض أن سليمان عليه السلام ، اتخذ قصرًا عظيمًا ، منيفًا من رَجاج لهذه الملكة ، ليريها عظمة سلطانه وتمكنه ، فلما رأت ما أتماه الله ، وعظمة ما هو فيه ، وتبصرت في أمره ، انقادت لأمر الله تعالى ، وعرفت أنه نبى كريم ، ومليك عظيم ، وأسلمت لله عز وجل .

لطبقة : أخذ بعض العلماء من قوله تعالى : رَقَقُقَدُ ٱلْعُيْرَ ... استحباب تفقد الملك لأحوال الدعية ، وكذلك تنقد الأصدقاء ، والإخوان ، والخلان ، وأنشد بعضهم :

سنّ سليمان لنا شُنّةً وكان فيما سنَّه سُقتاى تفقاد الطير على ملكه فقال: مالى لا أرى الها، هذا

خانسة

تبلورت قصة سليمان مع بلقيس في تلك الخاتمة المشرقة ، وهي تبرُو بلقيس من الشرك الذي كانت عليه ، وإعلان إيسانها بالله الواحد الأحد ، وإظهار إسلامها كإسلام سليمان ، وخضوعها لله رب العالمين .

هل تزوج سليمان بلقيس ؟

يستطرد المفسرون في نهاية مذه القصة إلى قضية زواج سليمان عليه السلام من بلقيس، قال الرازى: والأظهر في كلام الناس أنه تزرجها ، وليس اذلك ذكر في الكتاب ، ولا في خبر مقطوع بصحته.

وذكر الرازي في تفسيره عن ابن عباس : أنها لما أسلمت قال لها سليمان : لختاري من قومك من أزرجك منه ، فقالت : مثلي لا ينكح الرجال مع سلطاني ، مثان : النكاح من الإسلام ، فقالت : إن كان كذلك فزرجتي ذا تيع ، ملك همدان ، فزرجها إياه ثم رشهما إلى اليمن ، ولم يزل بها ملكًا ، والله أعلم .

خلاصة نعم الله على سليمان عليه السلام

ذُكر سليمان عليه السلام في القرآن الكريم ست عشرة مرة في سور: البقرة، والنساء، والأنعام، والأنبياء، والنمل، وسبأ ، وقد بين القرآن نعم الله الكثيرة عليه ومن بينها ما يأتي .

١ – نكارة وفراسته في القضاء ، فقد منح الله سليمان ذكاء نادرًا ، وإصابة في القضاء والحكم ،
 وكان حكمه أصوب من حكم أبيه داود عليه السلام .

قال تعالى : وَدَاوُرهُ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَعَثَّكُمَانِ فِي آلْخَرْتْ إِذْ فَشَتْ فِيهِ ظَنَمُ ٱلْقُوْمِ وَكُنا لِعُكْمِهِمْ شَلْهِدِينَ وَ فَفَهَّمَنْهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاً وَاثِنَا خُكُمًا وَجِلْهًا وَسُعْرًانُ مَعَ دَاوُرهُ ٱلْعِبَالُ يُسْتُحْنَ وَٱلْقَلِيْرَ وَكُنَا لَتَبِعِينَ . (الانبياء . ٧٨ – ٧٩) .

وقد روى البضاري في مصحيحه أن رسول الله ﷺ قال : «سارت امرآتان ومع كل واحدة ولدها، واستراحتا في الطريق فالتقم الذنب ابن إحداهما، فجاءتا إلى نبى الله داود ، الكبرى ممها الولد وتقول : هو ولدى ، والمعفرى تقول : بل هو ولدى ؛ فقضى داود بالولد للكبرى ، وسارتا عائدتين فوجدتا نبى الله سليمان ، فقال لهما : بم قضى الملك ؟ قالتا : قضى بالولد للكبرى . فقال سليمان : عدل الملك ، وغير ذلك كان أوفق، فبلغ ذلك داود ، فأرسل إليه وسأله عن رأيه فقال : أرى أن نقسم الولد نصفين ، وتُعلى لكل واحدة نصفا ، فليست إحداهما أحق به من الأخرى ، فأحضر الملك سيَّاف ماهرًا وأحضر المسبى ، ووضع السيَّاف السيف على رأس الصبى ، ليقسمه نصفين ، فصرخت الصغرى وقالت : هو ولدما فلتآخذه كله ، فقصى سليمان بالولد للصفرى» (١٩٠٩)

٢ - تعليم الله له منطق الطير، فكان يفهم مراد الطيور من أصواتها، قال تعالى: وَوَرِثُ سَلَيْمَننُ
 دَاوُرةَ وَقَالَ يُنَآيُهِا أَلثَاسُ عُلْمًا مَنْطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُولِيَنا مِن كُلِّ هَيْءٍ إِنَّ هَذَلَا لَهُمْ الْفَصْلِ الْفَصِيرُ (الدَّنَ ٢٠).

٣ - تسخير الرياح له تنقله من مكان إلى آخر بعيد ، ويوجه الرياح حيث بشاء ، قال تعالى .
 رَلْسُلَلُهُ أَنْ الرَّبِعَ عَاصِفَة تَجْوى بأَمْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱللِّي يَمْرَكُنَا لِهِهَا ... (الأنبياء: ٨١) .

وقال تعالى : لَسَحُّرُنَا لَهُ ٱلرُّبِحَ لَجُرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ . (ص: ٢٦).

وقال تعالى : رَلِسُلَيْمَانَ ٱلرَّبِعِ غُلُوهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ... (سبأ : ١٧) .

تربية الخيرل: وهي الصافنات الجياد للجهاد ، وكان رباط الخيل مندوبًا إليه في ملة سليمان
 عليه السلام ، كما هو مندوب في شرعنا .

روى البخارى ، ومسلم ، وأحمد ، والثرمذى ، والنسائى : أن رسول الله ﷺ قال : «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والمغنم» (٢٠٠) .

وكان سليمان يستعرضها مسرورًا بها ويمسح بناصيتها وسوقها وأعناقها، تشريفًا لها وإعزازاً لتعمقها في جهاد العدو، وتفقدًا لأحوالها وأمراضها وعيويها، قال تعالى، وَوَهْبَا لِلنَّارُةُ سُلَيْمَانَ فِعْمُ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ وَأَوْبُ مِن إِذْ عُرِضَ عَلْيَهِ إِلْقَشِي ٱلصَّلَّفِيْدَتُ ٱلْحَيَادُ فَقَالَ إِلَى آحَيْتُ خُبُ ٱلْعَبْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتْى تُوارَتْ بِٱلْحِجَابِ، ورُدُّوهَا عَلَى اللَّهُ عِنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتْى أَوْارَتْ بِٱلْحِجَابِ، ورُدُّوهَا عَلَى اللَّهُ عِنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتْى أَوَارِتْ بِٱلْحِجَابِ، ورُدُّوهَا عَلَى اللهِ ٢٣٠ - ٣٣)

وأما تفسير الآيات بما يفيد أن سليمان انشغل بالخيل عن صلاة العصر حتى غربت الشمس ، فطلب إعادة الخيل عليه فقطع أعناقها وسوقها فمما يتنافى مع منصب النبوة ، كما ذكره الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير . `

٥ – فتنة سليمان ، وإلقاء الجسد على كرسيه ، وقد اختار الملامة أبر السعود والألوسي في هذا الموضوع ما ورد في الصديد والألوسي في هذا الموضوع ما ورد في الصديدين مرفوعًا : «أن سليمان قال : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة مراجاتي كل واحدة، واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ، ولم يقل أن شأء الله ، فطأف عليين فلم تحمل إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل ، والذي نفسي بيده لو قال . إن شاء الله ، لجاهدرا في سبيل الله فرسانا أجمعون» ١٩٠٠.

قال تعالى: وَلَقَدُ قَتَا مُلْيَمُنْ وَأَلْقِينَا عَلَىٰ كُوْمِيّهِ جَسَمًا فَمُ أَنَابَ ، قَالَ رَبُّ آغَفِر لى وَهِب لى مُلَكَا لَا يَشْبَعِي لِأَحَدِ مَنْ يَعْدِي َ إِنْكَ أَنتَ آلْوَهُابُ ، فَسَعْرَنَا لَهُ الرَّبِحَ يَعْوِى بِأَهْرِهِ وَخَنَةَ حَبْثُ أَصَابَ ، وَالشَّيْطِينَ كُلُ بْنَاتِعَ وَعَوْاصِ. (س: ٣٤ - ٧٧)

م أما التفاسد الأخرى المشوبة بالأخلاط والروايات الإسرائيلية ، فلم تصم ولا يعوُّل عليها .

٣ - إسالة عين القطر (النحاس المذاب) له: أنعم الله على سليمان عليه السلام بتطويع النحاس المذاب له ، لاستخدامه لتوثيق العباني العظيمة الضخمة ، ذات الحجارة الكبيرة ، مثل الهيكل المعروف بهيكل سليمان ، كما ذكر تعالى: وَلِسُلْيَعَانُ ٱلرَّبِحَ عُلُوثًا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَاَسَتُنَا لُمُ عَيْنَ ٱلْقِطْوِ ... (سبا: ٢٧).

 ٧ - تسخير الجن لسليمان، تبنى له المحاريب والقصاع الكبيرة، والقدور الراسيات والتماثيل، وكانت التماثيل جائزة الصنع عندهم، قال تعالى : وَمِنْ ٱلْجِنَّ مَن يَعْمَلُ يَيْنَ يَنَدِّهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغٌ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِ لَا لَبِقَهُ مِنْ عَلَابِ ٱلسَّعِيرَ ۚ وَمُعَلُونٌ لَهُم عَايَشًا عَن مُحَرِّبٍ وَتَعَدِيلٌ وَيَعْلَى كَآلِحُونَابٍ وَلَقُدُور رُاسِينَّتٍ ... (سبا : ١٣٠)

وقال سبحانه : فَسَخْوَنَا لَهُ ٱلرَّبِحَ تَعْمِى بِأَمْرِهِ وُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ه وَٱللَّيْسَطِينَ كُلُّ بَتَاءٍ وَخُوَاصٍ ه وَوَاحْرِينَ مُقَرِّينَ فِي ٱلْأَصْفَاهِ هِ هَذَاءَ عَمَاؤُونَ فَامَنْ أَوْ أَسْبِكَ بِفَيْرٍ حِسَابٍ . (٣٠ - ٢٦) .

ومن هذه الآيات يتبين أن العصاة والمردة من الجن ، يسر الله له عقويتهم ، وتقويدهم في السلاسل والأغلال، وظل الجن يخدمون سليمان ، ويلبون أوامره ومن تمرّد على طاعته عاقبه وسجته وقيده بالسلاسل.

٨ - إسلام ملكة سبأ على يديه ، فقد علم من الهدهد قصتها فأرسل لها رسالة يدعوها للإسلام ، ورغبت الملكة في مجاملته ومصانعته ، فأرسات له هدية فرفضها ، وهددها بالحرب ، فخشيت الملكة عاقبة الحرب ، ليقينها بأن الله سخر له الجن والطير والإنس ، وقوى عظيمة تساعده ، فجاءت بلقيس مع قومها ، وأعلنت إسلامها ، وعرض عليها سليمان مقدرته وتفوقه ، فنقل عرشها في طرفة عين ، ويني لها قصرًا عظيمًا ، ومرد بالزجاج ، وهذه فن مستحدت لا عهد لأهل الهين به ، ثم لما دخلته حسبته ماة ، فكشفت عن ساقيها لتخوضه ، فقال لها سليمان : إنه صرح أملس من الزجاج ، معوه بألوان المياه ، يهيا لمن شاهده أنه الماء ولكنه زجاج فوق الماء ، عندئذ أحسنت الملكة أنها أمام مشاهد عجيبة ، تعجز عن تفسيرها ، وكلها تدل على أن سليمان رسول مؤيد بالمعجزات ، ومعونة الله رب العالمين ، فأعلنت إسلامها وقالت :

٩ - قصة النملة التى أحست بقدوم سليمان وجنوده ، فأمرت قومها بدخول مساكنهم ، وفهم سليمان لغته ما بفهم سليمان لغتها ، فشكر الله على نعمه ، قال تعالى : وَحُشِرَ لِسُلَمَانَ جَمُّودُهُمْ مِنَ آلْمِنْ وَ آثْلِسَ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزُعُونَهُ حَتَى إِذَا آثُواْ عَلَى وَادِ آتَمُلُ وَانْتُهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللللللللللللللّ

إن هذا الملك والتسخير والمقدرة ، وتذليل الرياح والطير والجن ، وعين القطر والتشييد والإعمار ، لابد له من نهاية محتومة هي الموت ، كُلُّ نَفُسٍ ذَالِقَةُ ٱلْمُؤتِّ وَلَيْلُوكُم بِالشَّرُّ وَٱلْخَبِّرِ فِيَقَةً وَإِلَيْنَا تُوجَعُونَ . (الأنبياء: ٣٥).

قصة صائح مع قومه ثمود

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى تَعُود أَغَاهُمْ صَلِحا أَيَا عَبُدُواْ اللّهَ فَإِذَا هُمْ فَي هَكِانِ عَنْ عَسُوك فَي الْرَحُون اللّهَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّم

المطرداتء

فبريسقان ، طائفتان : طائفة مؤمنة ، وأخرى كافرة .

يختصمون ، يتنازعون .

اطيس ا، تشاءمنا بك ،

طائركم، ما يصيبكم من الخير والشر، والطيرة: تعليق الخير او الشر على طيران الطائر يمينًا أو شمالاً.

تستشون : تختبرون بتعاقب السرّاء والضرّاء

المعينة ، المراديها : المجر .

السرهسط النفر من الثلاثة إلى التسعة .

تنشاسموك احلقواء

السيسيسات، مباغتة العدى، ومفاجأته بالإيقاع به ليلاً

وليسمه عمن له حق القصاص من ذوى قرابته إذا قتل.

السميساك ، الهلاك .

السمكس: التدبير الخفي لعمل الشِّي

دمرناهم ، أهلكناهم .

خساويسة ؛ خالية :

الإسسة العبرة وعظة .

تمهید ،

في سورة النعل نجد طرفا من قصة موسى تحكى أفضال الله عليه ، ثم جانباً محدوداً من قصة داود عليه السلام ، ثم حديثاً موسِّحًا عن قصة سليمان مع النملة ومع الهدهد ، ومع بلقيس التي أسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، ونجد طرفاً من قصة نبى الله صالح مع قومه ثمود ، وكثيراً ما كانت تذكر مع قصة عاد ونبيهم هود ، في سياق قصص عام ، مع نوح ولوط وشعيب ، وأحيانًا تجيء قصة إبراهيم في هذا السياق أو لا تجيء .

أما في هذه السورة — سورة النمل — فقد كان التركيز فيها على قصص بني إسرائيل ، فقد جاءت قصة موسى ، وقصة داود وسليمان ، ثم جاءت قصة صالح مع ثمود ، ولم تذكر قصة الذاقة ، إنما يذكر فيها تبييت الرهط التسعة المفسدين لصالح وأمله ، ومكرهم به وهو لا يشعر ، فمكر الله بالمفسدين وهم لا يشعرون ، ودمُرهم وقومهم أجمعين ، وترك ببوتهم خاوية ، وجعلها لمن بعدهم أية ، والمشركين في مكة يعرون بهذه البيوت المدمَّرة الشاوية ولكنهم لا يعتبرون .

التفسير،

ه ؛ - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلْبِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَوِيقَانِ يَختصِمُونَ .

في أعقاب قصة سليمان وإيمان بلقيس ملكة سبأ ، يذكر الله تعالى جانبًا من قصة صالح مع قومه ثمود.

لمعنى:

والله لقد أرسلنا رسولنا صالحًا إلى قومه ثمود، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، فآمن به ريق من المؤمنين ، وكان الغريق الجاحد الكافر أكثر عددًا ، وأكثر قوة ، وقد شارح إلى هذا المعتنى سورة الأعراف في قوله تحالى : قال آلْمَكُ ٱللَّهِينَ ٱسْتَكَبُّرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّهِينَ ٱسْتَكُبُرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّهِينَ آسَسُطِفُواْ لِمَن المَن مِنْهُمَ أَطْلُمُونَ أَنْ صَالِحًا مُرْسَلٌ مَن رَبِّهِ قَالَمًا إِنَّا بِمَا أُوسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ وَقَالَ ٱللَّهِينَ ٱسْتَكَبُّرُواْ إِنَّا لِلَّائِينَ آسَتَكُبُرُواْ إِنَّا لِلَّائِينَ آسَتَكُبُرُواْ إِنَّا لِلَّلِينَ مَامَتُم بِهِ
كَنْهُونَ مَ قَالَ ٱللَّهِينَ آسَتَكُبُرُواْ إِنَّا لِلَّالِينَ عَامَتُم بِهِ
كَنْهُونَ مَ وَالْعَرِيْفَ . (٧٠ ـ ٧٧ ـ ٧٧).

٢ ع - قَالَ يَلْقَوْم لِهَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيْقَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .

أي: قال صالح لقومه مستميلاً لهم : لم تعاجلون بالتكذيب والجحود والنكران قبل الإيمان والتوية والإنابة .

لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .

هلا تبتم إلى الله ، وأمنتم به رجاء أن ينزل بكم رحمته وفضله ومعونته .

٧ ٤ - قَالُواْ ٱطَّيْرُنَا بِكَ وَبِمَن مَعَكَ قَالَ طَآئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَلْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ .

أى: قالوا: تشاممنا بك ويمن معك من المؤمنين، فمنذ قدمت بدعوتك أصابنا القحط، وشاعت فينا الفرقة واشتد الخلاف، وهكذا نجد من دسًى نفسه وغلب عليه الكفر والضلال، ينسب الشر إلى رسول الله والمؤمنين به ، والحقيقة أن الله تعالى قد قسم لكل إنسان رزقه وعمره وأجله ، وشقاءه أو سعادته حسب اختياره ، بعد أن أعطاه العقل والفكر ومنحه الرأى والاختياره .

قال صاحب الظلال ما ملخصه :

قَالَ طَلَّتِوْكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ...

حظكم ومستقبلكم ومصيركم عند الله ، والله قد سنُ سننًا ، وأمر الناس بأمور ، وبين لهم الطريق المستنير ، فمن اتبم سنة الله وسار على هداه فهناك الخير ، ومن انحرف عن سنة الله فهناك الشر. أ هـ.

وسمى التشاؤم تطيرًا من عادة العرب برجر الطير، أي : رميه بحجر ونحوه ، فإن تحوّل يمينًا تفاءلوا، و سمّوه السائح ، وإن اتجه يسارًا تشاءموا وسمّوه البارح .

بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَتُونَ .

يختبركم الله بإرسال الرسول وإنزال هداية السماء ، ليرى مَن المؤمن المستحق للنجاة ، ومَن الكافر الجاحد المستحق للعقوية .

والبشرية تُمين إلى الإيمان بالله تعالى ربا ، والإيمان برسالة الرسل ، ولكن التكذيب لازم المكنبين ، والتطيرُ لازم أعداء الدين سابقًا ولاحقًا ، فنرى بعض الناس يعلَّقون أهمية ضخمة على رقم ١٧، وعلى مرور قط أسود يقطع الطريق أمامهم ، وعلى إشعال أكثر من لفاقتين بعود ثقاب واحد ، إلى آخر هذه الخرافات السائحة ، ذلك أنهم يعاندون حقيقة الفطرة ، وهي جوعتها إلى الإيمان وعدم استغنائها عنه ، ويهذا الإيمان ترجد العقيدة السليمة والسلوك السوى والتوفيق الإلهي ، قال تعالى : وَمَا تُوفِقِيّ إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوكُلْتُ أَولِيّهُ أَيْبٍ اللّهِ عَلَيْهِ وَكُلْتُ أَولَيْهُ أَيْبٍ اللّهِ عَلَيْهِ وَكُلْتُ أَولَيْهُ أَيْبٍ اللّهِ عَلَيْهِ وَكُلْتُ أَلِيّهُ أَيْبٍ اللّهِ عَلَيْهِ وَكُلْتُ أَولَيْهُ أَيْبٍ اللّهِ عَلَيْهِ وَكُلْتُ اللّهِ عَلْهِ وَاللّهِ عَلْهِ وَكُلْتُ أَلْهِ اللّهِ عَلْهِ وَكُلْتُ أَنْهِ أَنْهِ اللّهِ عَلْهِ عَلَيْهِ وَكُلْتُ أَلْهِ اللّهِ عَلْهِ وَلَا اللّهِ عَلْهِ وَكُلْتُ أَلْهِ اللّهِ عَلْهِ عَلْهِ عَلْهِ وَلَوْلَالِهِي اللّهِ عَلْهِ وَكُلْتُ أَلْهِ اللّهِ عَلْهِ عَلْهِ وَلِي اللّهِ عَلْهِ عَلْهِ اللّهِي اللّهِ عَلْهِ عَلْهِ عَلْهِ عَلْهِ عَلْهِ عَلْهُ عَلْهُ وَلَوْلُهِ اللّهِ عَلْهِ اللّهِ اللّهِ عَلْهِ عَلْهِ عَلْهِ عَلْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَكُلْتُ أَسُونُ عَلْهُ عَلْهُ عَلَيْهِ وَعَلّمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَلَقَالِهِ عَلْهِ عَلْهُ عَلْهُ عَلَيْهِ وَلَيْكُوا عَلْهُ عَلَيْهِ وَلَوْلَهُ اللّهِ عَلَيْهِ وَعَلْهِ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَيْدَالِهِ اللّهِ اللّهِ الللّهِ الللّهِ اللّهِ عَلَيْهِ وَلَيْهِ اللّهِ عَلْهُ عَلَيْهِ وَلَا اللّهِ اللّهِ عَلَيْهِ وَلَقُلُوا اللّهِ اللّهِ عَلْهُ عَلَيْهِ وَلَا اللّهُ اللّهِ عَلَيْهِ وَلَا اللّهِ اللّهِ عَلْهُ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلْهُ عَلَيْهِ وَلَا اللّهُ اللّهُ الللّهِ الللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ الللّهِ اللّهِ الللّهِ الللّهِ اللّهِ اللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهِ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الل

44 - وَكَانَ فِي ٱلْمُدِينَةِ بِسْعَةُ رَهُطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ .

وكان في مدينة ثمود – وهى الحجر – تسعة رجال من أشراف قومها وسادتها ، وقيل : كانوا رؤساء، وراء كل واحد منهم جنوده وأتباعه ، منهم قدار بن سالف عاقر الثاقة ، وكانوا عتاة قوم صالح ، وقادة الشرّ فيهم، يفسدون في الأرض ، ويتتبعون عورات الناس ومعايبهم ، يظلمون الناس ولا يمنعون الظالم عن ظلمه، ولا يعملون صالحًا ، ولا يدعون إليه ولا يعرفون طريقه ، فعادتهم الدائمة المستمرة الإفساد البحت الذي لا يضالطه الصلاح في عمل أو قول ، وهم الذين تواطأوا على عقر الثاقة ، وعلى قتل صالح ومن آمن به .

٩ ٤ - قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَتُنِيَّتُهُ، وَأَهْلَهُ ثُمُّ لَتَقُولُنَّ لِوَلِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدْدِقُونَ .

أى: قال بعضهم لبعض أثناء المشاورة فى قتل صنائح ومن آمن به: احلفوا لنباغتك وأمله بالهلاك ليلاً، ثم لنقوان لأولياء الدم ما حضرنا هلاكهم ، ولا ندرى من قتل صنائحًا ولا من قتل أهله ، ونحلف إنا لصادقون فى قولنا .

قَالَ الزَّجَاج : كان هؤلاء النفر تحالفوا أن يبينُوا صالحًا وأهله ، ثم ينكروا عند أوليائه أنهم ما فعلوا ذلك ولا رأوه ، وكان هذا مكرًا منهم .

٥ - وَمَكُرُواْ مَكُرُا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ .

دبُّروا أمرًا خفيًا في قتل صالح ومن آمن به ليلاً ، ثم الحلف بعد ذلك أنهم ما فعلوا هذا ولا شهدوه ، والحلف أنهم صادقون . دبَّروا ذلك ، فدبر الله إهلاكهم في الشّعب ، من حيث لا يشعرون أن الله يستدرجهم إلى الإهلاك .

١ ٥ - فَٱنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَلْقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمْزُنَاهُمْ وَقُوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ .

فتأمل يا محمد، وتأمل يا كلَّ من يتأتى منه النظر والتفكر، كيف كان مصير تأمرهم، أنا أهلكناهم قومهم جميعًا، ولم نبق أحدًا منهم، إلا الذين أمنوا بصالح عليه السلام.

ملاحظة : المكر هنا تدبير الفتك بصالح وأمله ، ومكر الله مجازاتهم وإهلاكهم ، وسميت المجازاة كرًا للمشاكلة ، كما في قوله تعالى : إِنَّ ٱلْمُعَاقِينَ يُعَلَّدِعُونَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَلِيعُهُمْ ... (النساء : ١٤٢) . وكما في ولمه تعالى : وَمَكُوا أُو مُكَرِّ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ ٱلْصُلْكِرِينَ ، (ال معران : ٤٥).

. وكان صالح – عليه السلام – قد توعدهم بالهلاك خلال ثلاث ليال ، فقالوا : تعالوا نهلكه قبل أن هلكنا ، فأرسل الله صخرة أهلكت هولاء التسعة ، ثم صاح بهم جبريل صيحة مدمرة ، وأمطرت السماء حجارة قائلة ، فتلت جميم الكافرين .

قَالَ القرطبي: والأظهر أن التسعة هلكوا بعذاب مفرد، ثم هلك الباقون بالصبحة والدمدمة.

٧ ٥ - لَعِلْكَ أَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُواْ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً لَّقُوْمٍ يَعْلَمُونَ .

هذه مساكتهم خاوية خرية مظلمة ، بسبب ظلمهم وكفرهم وعنادهم ، إن في ذلك البينة ودليلاً وموعظة لأناس أهل معرفة وعلم ، يعلمون سنة الله في خلقه ، وأن النتائج مرتبطة بالأسباب ، وأن الظلم وموعظة لأناس أهل معرفة وعلم ، يعلمون سنة الله في خلقه ، وأن اللتائج مرتبطة بالأسباب ، وأن الله معالى بالمرصاد لكل ظالم ، قال تعالى : كُذُبَتْ تُمُودُ بِعَلَّوُ سُهَا وَ إِلَّ النَّبَتَ اللهِ وَسُقِياً مِنْ اللهِ تعالى بالمرصاد لكل ظالم ، قال تعالى : كُذُبَتْ تُمُودُ بِعَلَّوْ سُهَا وَ وَلا يَخَافُ أَلْفَكُمْ مَنْ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ وَلَا يَخَافُ اللهِ وَسُقِياً وَلَا يَخَافُ عَلَيْهِ وَلَهُم بِلْنَا مِهِمْ فَسُولُ اللهِ وَسُقِياً وَلا يَخَافُ عَلَيْهِ وَلَه عِلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْتُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللَّهُ اللّهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللّهُ اللهِ اللهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللّهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

٣ ٥ - وَأَلجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ .

أنجينا المؤمنين الذين آمنوا بصالح ، وكانوا يتقون الله ويبتعدون عن المعاصى ، قبل : آمن بصالح قدر أربعة آلاف رجل ، حيث خرج بهم إلى أطراف الشام ، ونزل رمّلة وفلسطين . ^(١٠) والله أعام بصحة ذلك .

اللهم ثبتنا على الإيمان ، اللهم لا تهلكنا بعذابك وبَجِّنا قبل ذلك ، اللهم وفقنا للصالحات ، وأمدنا بمعونتك ، وعنايتك وفضلك وهدايتك ورحمتك ، يا أرحم الراحمين .

قصة للوطمع قلومه

﴿ وَلُوطًا إِذْ فَكَ الْكِفَوْمِهِ اللَّهِ أَنَّا أَنُوكَ الْفَنْحِشَةَ وَأَنْتُهُ تَبْعِيرُونَ ۞ أَبِنَكُمُمْ لَتَأْفُونَ ٱلرِّيِّمَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءَ بَلَ أَنْتُمْ قُوثٌمَ عَمْ الْوَنَ الرِّيّمَالَ شَهْو

المطردات:

الناحشة ، الفعلة الشنيعة المتناهية في القيح .

تبصرون ، تعلمون عاقبة فعلها ببصيرتكم ، أو يبصر بعضكم بعضًا علانية أثناء الفاحشة .

تمهيده

هذه هى القصة الرابعة فى هذا الجزء التاسع عشر ، وتنعنها فى الجزء العشرين ، فقد قسم العلماء القرآن إلى ٣٠ جزءًا ، والجزء إلى حزبين ، والحزب إلى أربعة أرباع ، وكان القصد من ذلك تيسير الصفظ والقراءة ، وتمُ هذا التقسيم من ناحية الكمّ ، ولو رُرعى فيه ناحية الكيف لتمت القصة فى الجزء التاسع عشر، أو ابتدأ بها الجزء العشرون ، لكنهم التزموا بعدد الآيات وكميتها ، ونلتمس لهم العذر فى ذلك .

التفسير،

\$ ٥ - وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَلْحِشَةَ وَأَلْتُمْ تُبْمِيرُونَ .

أي: وإذكر لوطا حين حدَّر قومه من المثلية الجنسية ، وعاقبة اللواط ، واستغناء الرجال بالرجال. والنساء بالنساء بالنساء ، فقال لوط لقومه: أترتكبون المنكر الغليظ ، وتغطون فاحشة لم يسبقكم إليها أحد من المالدين ، وأنتم تعلمون مبلغ قبحها وشناعة جرمها ، فقيها ضرر شديد للمقعول به ، وضرر شديد للفاعل ، وقبل دكاوي أثون المنكر في مجتمع ويشاهد بعضهم بعضًا ، فأنكر لوط عليهم هذه الأفعال ، والاستقهام هنا المنكر في مجتمع ويشاهد بعضهم بعضًا ، فأنكر لوط عليهم هذه الأفعال ، والاستقهام هنا الشناعار إذكاري .

٥٥ – أَلِتُكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مَّن دُونِ ٱلنَّسَآءِ بَلُ أَلتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ .

صرح هنا بعملهم منكرًا عليهم ، حيث قال لهم: والله إنكم لتجامعون الرجال في أدبارهم ، وتقودكم الشهوة إلى هذه الفعلة الشنعاء ، وتذرون النساء التي خلقت لهذه الشهوة حيث فيهن الجمال والمتعة واستكمال الاستمتاع بين الذكر والأنثى ، حيث خلق الله الرجل مجهزًا لاستقبال الأنثى ، وألهم كل طرف كيف يأتى الطرف الآخر، حتى الحيوان الأعجم لا يفعل مثل أفعالكم ، كما قال سبحانه وتعالى في موضع آخر: أتَّأُونَ ٱللَّذِكُوانَ مِن ٱلْغَلْمَينَ وَتَلَرُونَ مَا خَلْقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِنْ أَزَّرْ حِكْم بَلِّ أَثْم

فهم قوم خارجون على الفطرة ، وقد وضح لهم لوط سوء عملهم في ثلاثة أمور هي :

١ – إتيان الرجال في مكان الغائط.

٢ - ترك النساء ، ولهن حق الاستمتاع والإمتاع من زوج كريم مستقيم .

٣ – أن هذا عمل الجهلاء الذين لا عقول لهم ، ولا يدركون قيم ما يقعلون ، فقال :

بَلِّ أَلتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ .

تغطاون فعل السفهاء الممعنين في الفحش ، وعدم تقدير العاقبة ، وما يترتب على ذلك من أمراض حسبة وسلوكية ، فعملكم هذا عمل الجهلاء الذين لا يميزُرن ولا يعقلون الفرق بين للحسن والقبيع ، وإزاء كل ذلك أجابوه بما لا يصلح أن يكون جوابًا مقبولاً ولا معقولاً في ميزان العقلاء ، وهو ما سيأتي في مطلع الجزء التالي إنْ شاء الله ، والحمد لله رب العالمين .

* * 1

تم الجزء التاسع عشر ويليه الجزء العشرون إن شاء الله تعالى



- (۱) تفسیر ابن کثیر ۳ / ۳۱۶.
- (۲) تفسیر ابن کثیر ۳ / ۳۱۶.
- (٣) نقلا عن تفسير ابن كثير ٣ / ٣١٥.
- (٤) الملك : مبتدأ ، يومثك : ظرف للمبتدأ . الحق : زعت له . للرحمان : شيره .
 - (٥) إن الله تعالى يطوى السماء:
- رواه مسلم في صفة القيامة ح ٤٩٩٥ ، وأبو داود في السنة ح ٤١٧٠ .
 - (٦) كان خلقه القرآن :
- رواه مسلم في أثناء حديث طويل من كتاب صلاة المسافرين ح ١٢٣٣، وأجمد مختصراً ح ٢٤١٣٩، ٢٤١٣٩، ٢٤٦٢٩.
 - (٧) إن اللي أمشاه على رجليه:
- رواه الثرمذى فى تفسير القرآن ح ٣٠٦٧ ، وأحمد فى مسنده ح ٨٢٩٣ ، ٨٤٩٠ ، ١٣٢٤٧ من حديث أبى هريرة ، وقال الثرمذى : حديث حسن .
 - (٨) يا عبادي إلى حرمت الطلم على نفسي:
- رواه مسلم فی البر والصلة ح ۲۰۷۷ ، وأحمد ٥ / ۱۹۵ ، ۱۹۰ ، ۱۷۷ ، والترمذی ح ۲۵۹۵ ، واین ماجة ح ۴۲۷۵ ، وعبد الرزاق ح ۲۰۲۷ من حدیث أیی ذر
 - (٩) لا تمروا على قرى القوم الذين ظلموا أنفسهم :
- رواه البشارى فى الصلاة ح ٤١٥ ، وفى آحاديث الأنبياء ح ٣٦٣،٣١٣ ، وفى المغازى ح ٢٧٣ ، ١٥٩ ، ٨٥٠ ، وفى تفسير القرآن ح ٣٣٣ ، ومسلم فى الزهند ح ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، وأحمد ٣٣٣٦ ، ٤٩٧٤ ، ٥٠٩ . من حديث عبد الله بن عمر بلفظ: ولا تدخلوا على مؤلاء المعذبين إلا أن تكوفوا بأكين ...» الحديث .
 - (٩ ٩) خير القرون قرني :
- رواه البخارى فى الشهادات ٢٠٥٨ ، ومسلم فى فضائل الصحابة ح ٢٠١١ ، وأحدد فى مسنده ح ٣٤١٣ ، ٢٣١٧ ، والترمذى فى المناقب ح ٣٧٩٤ ، وابن ماجة فى الأحكام ح ٣٣٥٣ ، من حديث عبد الله بن مسعود . وقال الترمذى : حسن صحيح .
 - (۱۱) ثو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى :
- رواه البخاري في تفسير القرآن ح 774 ، ومسلم في الإيمان ح 704 ، وأحمد في مسنده ح 2217 ، والترمذي في تفسير القرآن ح 2747 ، من حديث ابن عباس . وقال الترمذي : حسن صحيح .
 - (١٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، طباعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بوزارة الأوقاف بمصر ص ٥٣٧ .

- (١٣) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب، دار الشروق ٥ / ٢٥٦٩.
 - (٤ ٩) ذهبت النبوات ويقيت المبشرات ... الرويًا يراها الرجل:
- رواه مسلم في المسلاة ح ۷۳۸ ، وأحمد ح ۲۸۱ ، والنسائي في التطبيق ح ۲۵۰ ، ۱۰۹۸ ، وأبير داود في المسلاة ح ۷۶۲ ، وابن مناجة في تعبير انرژيا ح ۳۸۸۹ ، والدارمي في المسلاة ح ۲۹۹۱ ، ۱۹۹۲ .
 - (١٥) في رحاب التفسير: عبد الحميد كتلك ٤ / ٢٢١٤ للناشر: المكتب المصرى الحديث.
- (۱۹) في رحاب التفسير : عبدالحميد كثك ، المجلد الرابع ، نشر المكتب المصرى الحديث ، ۲ شارع شريف عمارة اللواء بالفاهرة ت ۲۹۳٬۱۷۲ .
 - (١ ٧) أتدرون ماذا قال ربكم ... أصبح من عبادى مؤمن وكاقر :
- رواه البخاري في الأنان ح ۸۰۱ ، وفي الجمعة ح ۹۸۰ ، وفي المغازي ح ۲۸۲۲ ، وفي التوجيد ح ۱۹۶۹، ومسلم في الإيمان ح ۲۰۱ ، وأحمد في مسنده ح ۱۹۶۶ ، وأبو دارو في العاب ح ۲۶۷۰ ، ومالك في النداء للصلاة ح ۶۰۰ .
 - (١٨) أعطيت خمسا لم يعطهن نبي:
- رواه للبخاري في التيمم ح ۲۲۲ ، وفي الصلاة ح ۶۱۹ ، ومحلم في المساجد ح ۸۱۰ ، وأحمد ح ۲۲۰۰ ، والنسائي في القسل والقيمم ح ۲۹ ، والدارمي في الصلاة ح ۱۳۵۳ ، وفي السير ح ۲۳۸ .
 - (٩٩) بغثت إلى الأحمر والأسود:
 - رواه أجمد في مستده ح ١٩٧٤ ، ٢٠ ١٨٩ ، ٢٠٣٧ ، ٢٠٣٧ ، والدارمي في السير ح ٢٣٥٨ .
 - (٢٠) في ظلال القرآن ١٩ / ٤٨ ، طبعة دار إحياء الكتب العربية .
 - (۲۱) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ۱۹ / ۳۲.
 - (٢٢) إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه :
- رواه البخاري في بدء الفلق ح ٢٩٦٩ ، ومسلم في القدر ح ٤٧٨١ ، وأحمد ح ٣٨٨٢ ، والترمذي في القدر ح ٢٠٦٢ .
 - (٢٣) سبحالك اللهم ربنا وبحملك :
- رواه مسلم في المسلاة ح ٢٠٦ والترمذي في المسلاة ح ٢٧٦، ٢٧٦، ٤٥٤، وفي الدعوات ح ٣٥٥٠، والنساني في الافتحات في في الافتتاح ح ٨٨٠ - ٨٨٠ . وفي التطبيق ح ١١١٩، وفي السهو ح ٢٧٢، وأبو باورد في المسلاة ح ٨٥٠، ٢٥٩، وفي الأدب ح ٢٧١، ٤٢١٠، ٤٢١٠، وأبو بالافتحات في مسندم ح ٣٩٢، ٣٦٦، ٣٩٢٠، وأولد والداري، في المستذان ح ٣٩٢، ٣٩٢٠، وأبي في الاستذان ح ٣٥٠،

(٢٤) إن الله عز وجل يبسط يده بالليل:

رواه مسلم في التوية ح ٤٩٥٤ ، وأحمد ح ١٨٧٨، ١٨٧٩٠ .

(a ٢) إنما يعث الألمج مكارم الأخلاق: ·

رواء أحمد في مسنده ح ٥٩٥٨ من حديث أبي هريرة .

(٢٩) إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون :

رواه مسلم في المساجد ح 1.50 ، وأحد ح 1.51 ، ١٩٥٠ ، ٢٠٥٠ ، ١٠٤٠ ، والترمذي في المسالة ع ٢٠٦ ، والنساني في الإمامة ح ٢٥٨ ، وإين ماجة في المساجد ح ٢٦٧ ، ومالك في النداء للمسلاة ح ٢٦٧ ، ورواه البخاري في الأذان ح ٣٦٦، بنحوه .

(٢٧) انظر تفسير ابن كثير ، وفي رحاب التفسير للشيخ عبدالحميد كشك ٤ / ٣٢٩٥ .

(۲۸) لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث:

رواه البضارى فى الديات ح ١٣٧٠، ومسلم فى القسامة ٢١٥٧، ٣١٦٧، والترمذى فى الديات ح ١٣٧٣، وفى الحدود. ح ١٣٦٤، والنسائى فى تحريم الدم ح ٢٩٥١، وفى القسامة ح ٢٦٤٧، وأبو داود فى الحدود ح ٢٧٨٨، وابن ماجة. فى الحدود ح ٢٧٥١، وأحد ح ٣٣٨، ٣٨٥، ٢٠٤٤، واللازمى فى الحدود ح ٢١٩٦.

(٢٩) إنما الأعمال بالنيات:

رواه البخاري في بدء الوحي ح ١ . وأطراف عنده : ٥٤ ، ٢٥٦٩ ، ٢٥٨٩ ، ٥٠٧٥ ، ٦٩٥٣ ، ١٩٥٢ ، ومسلم ع ٢٠٩٠٠ وأحمد ١ / ٢٥ ، ٣٤ ، وأبر داود في الطلاق ح ٢٠١١ ، ١٨٨١ ، والترمذي ح ١٦٧٤ ، وابن ماجة في الزهد ج ٢١٧١ .

(٣٠) إلى لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار :

رواه مسلم فی الایمان ح ۲۷۲ ، ۲۸۸ ، والترمذی فی صفة جهنم ح ۲۵۲۰ ، وأحمد ح ۳۲۱۲ ، ۲۲۷۷ ، ۲۷۷۰ . ۱۶۶۲ ،

(٣٦) ألا أنبتكم بأكبر الكبائر:

رواه المبضارى فى الشهادات ح ٢٤٦٠ ، وفى الأدب ح ٥١٥٩ ، ٥٥٢٠ ، ومسلم فى الإيمان ح ٢٦١ ، ١٢٨ ، وأحمد ح ١٨٨٨ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٩ ، ١٩٤٩ .

(٣٢) إذا مات ابن آدم انقطع عمله :

رواه مسلم في الومسية ح ٢٠٨٤، والترمذي في الأحكام ح ٢٩٩٧، والنسائي في الومسايا ح ٣٥٩١، وإين ماجة في للمقدمة ح ٣٣٨، وأحد ح ٨٤٨، والدارمي في المقدمة ح ٥٥٨، وهو بلفظ: وإذا مات الإنسان» الحديث. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣٣) تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) على مصحف التهجد ، ٣ / ٢٥٣٠ دار الصفوة .

٣١) قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمان :

رواء مسلم في القدر ح ٤٧٩٨ ، وأحمد ح ٦٢٨١ ، ٦٣٢١ .

٣٠) ، وأم مسلم في الإيمان ح ٢١٤ ، وأحمد ح ٢٠٠٠ ٢٤٠ .

٣٠) أفضله لسان ذاكر:

رواه الترمذي في تفسير القرآن ح ۲۰۱۹ ، وأحمد ح ۲۰۵۸ ، ۲۰۲۲ ، قال أبر عيسى : حديث حسن . قلت : وهر كما قال ، إلا أن سالم بن أبي الجعد لم يسمع من ثوبان – راوي الحديث – فهو مرسل .

٣٧) لا تمروا على قرى القوم اللين ظلموا أنفسهم :

سبق تخريجه ، انظر هامش (٩) .

٣/ قبل : ﴿ مَن الْمَحْلِينَ أَنِي : من المعللين بالطعام والشراب ، مأخوذ من السُّحر وهو الرقة ، يعتون : أنه بشر له رقة يأكل ويشرب مثل الناس .

٣٠) تفسير القرطبي ٦ / ٤٩٨٥ مطابع دار الغد العربي ، العباسية – القاهرة .

وهذا الكلام ننقله لمجرد الإحاطة ، ومثل هذه الأخبار تحتاج إلى توثيق ، وفي القرآن الكريم ما يكفي للعظة والاعتبار.

٤) تنسير المراغى ٩٩ / ٩٩ ، وقد نقل عن رجال الأثار الإفادة بوجود خمس مدن تحت البحر الميت ، وهى التى كانت في منطقة الأردن ، ثم طفا عليها البحر الميت ، ثم قال : والخلاصة أن هذه المدن كانت قاعدة لملوك جبارين انتقم الله منهم ، فأميل عليهم نارا وكبريتًا من السماء ، فألهب البراكين النارية التى فيها ، فعجلت دمارهم ، وخسفت الأرض بهم، وظهرت البحيرة على ما نراه الأن .

٤١) تفسير القرطبي ٦ / ٤٩٩٠ دار الغد العربي ، العباسية – القامرة .

٤٢) أخرجه ابن جرير ، وابن أبي حاتم وغيرهما ، عن ابن عباس ، وانظر تفسير ابن كلير.

٤٢) ألا وإنَّ في الجسد مضغة :

رواه البخارى فى الإيمان ح ٥٠ ، ومسلم فى المساقاة ح ٢٩٩٦ ، وابن ماجة فى الفتن ح ٢٩٧٤ ، والدارمى فى البيوع - ٢٤١٧ .

\$ \$) قال القرطين: قرآ ابن عامر ﴿ لَوَ تَكُن لِهِم آيَكُ بِرفَع آيَة عَلَى أَنْهَا لَسَمَ كَانَ ، والخمر ﴿ أَنْ يَعْلَمُهُ عَلَمَا فِيهَ إِسُوالُمْ ﴾ ... ﴾ وقرآ الباقون بالنمب محدر مؤيل من ﴿ أَنْ يعلّمُه ... ﴾ وقرآ الباقون بالنمب محدر مؤيل من ﴿ أَنْ يعلّمُه ... ﴾ والتقديد : أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أيدً واضحة . وقرآ عاصم المحددي ﴿ أَنْ تعلّمُهُ عَلَمَا بَنِي إسرائيل ﴾ .

٤٤) في ظلال القرآن ١٩ / ١٩٥.

(٤٦) يُؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة:

رواه مسلم في صفة القيامة ح ٥٠٢١ ه ، وأحمد ح ١٩٣١٧ ، ١٣٦٣٨ ، ١٣٦٦٧ . ولفظه : «يرأتي بأنعم أهل الدنيا من أهل الثار الحديث .

(٤٧) قال القرطبي في تفسيره - قال الكساني - ﴿ ذَكُرُوكِ﴾ في موضع نصب على الحال . ويجوز أن تكون ﴿ ذَكُرِيَّ﴾ في موضع رفع على إفسار مبتداً ، أي : ذلك ذكري ، أو تلك ذكري . ا هـ .

والخلاصة : أنه يجوز إعرابها حالاً أو مصدراً أو خيراً .

(4 %) يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من اثنار :

رواه مسلم في الإيمان ح ٣٠٣ ، والقرمذي في تفسير القرآن ح ٣١٠٩ ، والنسائي في الوصايا ح ٣٥٨٤ ، وأحمد ح

(\$ 9) إن أحبكم إلى وأقربكم منى منازل :

رواه اللبخاري في الأدب ح ٥٩٥٥ ، ومسلم في الفضائل ح ٤٢٨٥ ، وللترمذي في البر ح ١٨٩٨ ، ١٩٤١ ، واللفظ له . وابن ماجة في الأحكام ح ٤١٤٠ ، وأحمد ح ٢٠١٥ ، ٢٣١٦ .

(١٠ هـ) كان خلقه القرآن :

سبق تخریجه ، انظر هامش (٦)

(٥١) هل معك من شعر : .

رياه مسلم في الشعر ح ٢٣٥٥ ، وابن ماجة في الأدب ح ٣٧٥٨ ، وأحمد ح ١٨٩٣٦ ، ١٨٩٧ ، ١٨٩٨٢ . كان أمية بن الصات أن يسلم .

(٤٢) ودى القيح جوفه ، يريه وريا : أكله ، والقيح : المدة يخالطها دمّ.

(٥٣) لأن يمتلئ جوف أحدكم فيحًا :

المضارى فى الأدب ع ٦٩٥٤ ، ومسلم فى الشعر ج ٢٥٠٥ ، والترمذى فى الأدب ح ٢٨٥٠ ، ٢٨٥٧ ، وأبو داود فى الأدب ح ٢٠٠٩ ، وابن مناجة فى الأدب ح ٣٧٦٠ ، وأحمد ح ٢٥٠٩ ، ١٥٠٠ ، والدارمي فى الاستئذان ح ٢٧٥٠ .

(\$ 4) إن من البيان سحرا : .

رواه أبو دارد في الأدب ٥٠١١ ، والترمذي في الأدب ح ٥٨٥٠ ، وأحمد ح ٢٤٢٠ ، ٢٤٦٩ ، ٢٤٦٠ ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن أبن عباس ، ورواه البخاري في النكاح ح ٥١٤٠ ، وأبو دارد في الأدب ح ٥٠٠٠ ، وأحمد ٢٤٣٧ ، ومالك في الجامع ح ١٨٥٠ ، من حديث ابن عمر بلفظ : وإن من البيان لسحراً» . هكذا مختصراً .

. ورواه مسلم في الجمعة ح ٨٦٩ ، وأحمد ح ١٧٨٥٢ ، ١٨٤١٠ ، والدارمي في الصلاة ح ١٥٥٦ ، من حديث عمار بن ياسر بلفظ: «إن طول صلاة الرجل ...، وإن من الهيان سحر)» . (٥٥) انظر التفسير المنير الدكتور وهبة الزحيلي ١٩ / ٢٤٨.

(٥٦ تفسير القرطبي ٦ / ٥٠٠٦ ، قال القرطبي في قوله تعالى - هوالشعراء بجهيم الخاوود/و في هذه الآية ست مسائل.
 وتحدث عنها من صفحة ٤٩٩٩ الي ٥٠٠٦ .

(٥٧) اهجهم وجبريل معك:

رواه اللبخارى فى بدء الخلق ح ٣٢١٦ ، وفى العقارى ح ٤٦٢٤ ، وفى الأدب ح ٣٦١٥ ، ومسلم فى فضائل الصحابة ح ٢٤٨٦ ، وأحدد ح ٢٧٨١٧ ، ١٨٢٧٤ ، ١٨٢١ ، من حديث البراء بن عارب رضى الله عنه .

(٥٨) إنَّ الموامن يجاهد يسبقه :

رواه أحمد في مستده ح ٢٦٦٣٣ .

٩ ٥) هجوت محمدًا فأجيت عنه :

هذه الأبيات الشعرية ذكرها مسلم في فضائل الصحابة ح ٢٤٩٠ . ٢٤٩٠

٦٠ قال القرطبي: قرأ عامم وحمزة والكسائي (إشهاب قس) بتنوين شهاب ، وقرأ الباقون (إشهاب قس) على الإنسافة ، أي : بشعاة نار ، من إضافة النرح إلى جنسه كهاتم فضة ، والشهاب كل ذي نور ، نحو الكواكب والعود الموقد، والنبس اسم لما يقتبس من حجو وما أشبهه ، فالمعنى بشهاب من قبس . ومن قرأ (إشهاب قس) بالتنوين ، جعله بدلا منة أن صفة له ، وتأويله بمعنى المقبوس .

١٦) إن الله لا يعام : .

رواه مسلم في الإيمان ح ١٧٩ ، وابن ماجة في المقدمة ح ١٩٥ ، ١٩٦ . واللفظ لابن ماجة

٦٢) الجيب: فتحة الثوب التي يدخل منها الرأس ، قال تمالى ﴿وَلَهْرِبن بِحْمِرهن على جِوبِهِن﴾ (النور ٢١) . أي: تسدل الخمار على فتحة المسدر حتى تستر مسرها .

33) لا نورث ما تركناه صدقة :

رواه البخارى فى فرض الشعس ح ٣٠٩٤، ٣٠٩٤ ، وفى المغازى ٢٠٣٨، ٢٠٣٤ ، ٤٢١ ، ٢٤٤ ، وفى النققات ح ٢٥٣٥ ، وفى الفرائض ح ٢٧٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٣٠ ، ٢٥٣٠ ، وفى الاعتصام ح ٢٠٠٥ ، ١٧٧٠ ، ومسلم فى الجهاد ١٧٥٩ ، ٢٧١ ، والترمذى فى السير ١٦١٠ ، والنسائى فى قسم الفىء ح ٤١٤، وأبو داود فى الخراج ح ٢٩٦٨ ، ٢٩٦٧ ، وأحمد ح ١٠٠

٦٤) إن العلماء ورثة الأنبياء :

ر رواه البيغاري في العلم معلقاً ، والترمذي في العلم ح ٢٦٨٦ ، وأبو داود في العلم ح ٢٦٤١ ، وابن ماجة في المقدمة ح ٢٢٣ ، واحمد ح ٢٢٠٨ ، والدارمي في المقدمة ح ٣٤٢ . وأوله : ممن ساك طريقاً يبتغي فيه علماً ...ه الحديث .

أنا سيد ولد آدم :

رواه مسلم في الفضائل ح ۲۷۷۸ ، والتروذي في التفسير ح ۲۱۵۸ ، وفي المخافب ح ۳۹۱۵ ، وأبو داود في السنة ح ۲۷۲۵ ، وابن ماجة في الزهد ح ۲۰۸۸ ، وأحد ح ۲۰۰ ، ۲۹۸۷ ، ۲۹۸۷ .

(١٥) التفسير الوسيط: بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وانظر تفسير القرطبي فقد أسهب، وقال فيه ١٨ مسالل

(٦٦) تفسير ابن كثير.

(٩٧) كانت امرأتان معهما ابناهما:

رواه البشارى في أحاديث الأنبياء ح ٢٠٧٣، وفي الرقاق ح ٢٠٠٢، وفي الفرائش ح ٢٧١٦، ومسلم في الأقشية ح ٢٢٥٠، والنسائي في آداب القضاة ح ٢٠٠٩، وأحمد ح ٢٠٧١، ١٩٢٤، من حديث أبي هريرة.

(٦٨) الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة :

رواه البخارى فى الجهاد ح ٢٩٣٨ ، ١٩٤٠ ، وفى فرض الخمس ح ٢٨٨٧ ، وفى المناقب ٣٣٧٧ ، ومسلم فى الزكاة ح ١٦٤٨ ، وفى الإمارة ح ٣٤٤٧ ، ٣٤٨٠ ، وأبر داود فى الجهاد ح ٢٥٧٧ ، والتردذى فى فضائل الجهاد ح ١٥٠٠٠ ، والنسائى فى الخياح ٣٥٠٥ ، ٢٥٠٥ ، وابن ماجة فى الجهاد ح ٢٧٧٨ ، وأحمد ح ٢٨٥١ ، ١٥٠٥ ، ٥٠١٠ ، والدارمى فى الجهاد ح ٢٣٢١ ، ٢٣٢٠ ، من حديث عربة الهارقى ، وأنس ، وأبى هريرة ، وإبن عمر ، وجرير.

(٩٩) لأطوفن الليلة على سبعين امرأة ، كل منهن تأتى بقارس :

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ح ٢٧١١ ، وفي الأيمان ح ٢٠٤٨ ، وفي كفارات الأيمان ح ٢٧٢٠ ، وفي التوجيد ح ١٩٩٥ ، ومسلم في الأيمان ح ٢١٢٦ ، ٢١٢٦ ، والترمذي في التذور ح ٢٤٥٧ ، والنسائي في الأيمان ح ٢٧٧١ ، ٢٧٧٦ ، من حديث أبي هريرة .

(۷۰) انظر تفسير المراغى ، والتقبير المئير المكتور وهبة الزحيلى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ۱۹ / ۳۲۲ ، وقارن بالتفسير الرسوط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأرهر .

* * *

تم بحمد الله تعالى تخريج أحاديث وهوامش الجزء (التاسع عشر)

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
4771	﴿وقال النين لا يسرجون لقاءنا﴾	71
7771	﴿يوم پرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾	77
7771	﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هياء منثورًا . ﴾	74
4771	﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً .)	7 £
7771	﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً . ﴾	70
4771	﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا على الكافرين عسيرًا . ﴾	77
***	﴿ويــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۲۷
7771	﴿ بِمَا رَبِيلَ تَسَى لَمِيتَ مَنْ مِي لَمَ أَتَحَدُ فَالأَمَّا صَلَّيْهِ الْأَبُّ	44
4771	﴿لَـقَد أَصَالَ نَبَي عَنِ الدِّكِسِ بِسِعِد إذ جِناءَتِي﴾	79
4444	﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا .﴾	۳٠
7774	﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوًا من المجرمين ﴾	۲٦
W1 YA	﴿وقال الذين كذروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة	44
4774	﴿ ولا يَاتِسُونَكُ بِسَمِيْسُ إِلَّا حِنْسَنْسَاكُ بِسَالِحِسِّ ﴾	77
7777	﴿ الدّيان يستشرون على وجودهم إلى جهنم﴾	4.5
4744	﴿ وَالْقَدُ ٱللَّهِ مِنْ المُعَدَّابِ وَجِعَلَمُنَّا مِنْ هِنَا مَنْ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْكُ مِنْ	۳٥
۳۷۳۲	﴿ فِيدَا مُنْ الْمُعِيدَ إلَى النَّقِيقِ النَّذِيثِ كَنْبِيوا ﴾	47
۳۷۳۲	﴿ وقيوم نبوح ليميا كيذبيوا البرسيل أغير قينياهم ﴾	44
7777	﴿ وعادًا وتُعود وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيرًا . ﴾	44
7777	﴿ وكما لا ضمريا الله الأمشال وكما لا تبيرنما تقبيرًا . ﴾	49
7777	﴿ وَلَقَدَ أَتُوا عَلَى النَّارِيَّةَ النَّتِي أَمَطُرَتَ مَطَرَ السَّوَّ﴾	٤٠
7777	﴿ وَإِذَا رَأُوكَ إِنْ يَسَمِّ مِنْ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى الله	121
7777	﴿إِن كِاد لِيفِ لِينَا عِنْ السهدِ تَسنِيا﴾	٤٢
7777	﴿أرأيت مـــن اتـــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤٣
***	وأم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون	٤٤
478.	﴿ السم تسعر إلى عن كسيسف مسدُّ السخاسل ﴾	٤٥
476.	﴿ لَم قَدِهُ عَمَانَاهُ إِلَيْهِ عَنْ الْعَمْدَا يُسْمِعُنَا يُسْمِعُنِا يُسْمِعُنَا يُسْمِعُنَا يُسْمِعُنِا يُسْمِعُنِياً وَالْمُحْمُعُنِي يُسْمِعُنِي السَّمِعُمُنِي يُسْمِعُنِي السَّمِعُمُنِي السَّمِعُمُنِياً وَالْمُحْمُمُ السَّمِعُمُ السَّمِعُ السَّمِعُ السَّمِيمُ السَّمِعُمُ السَّمِعُمُ السَّمِعُمُ السَّمِعُمُ السَّمِعُ السَّمِعُمُ السَّمِعُ السَّمِعِ السَّمِعُ السَّمِعِيمُ السَّمِعُ السَّمِعُمُ السَّمِعِ السَّمِ السَّمِعُ السَّمِ السَّمِعُ السَّمِ السَّمِ السَّمِ السَّمِ السَّمِ السِمِعُ السَّمِ السَّامِ السَّمِ السَّمِ السَّمِ السَّمِ السَّمِ السَّمِ ا	٤٦
***	﴿ وهو الذي جعل لكم الليل لباسًا والنوم سباتًا ﴾	٤٧

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
475.	﴿ وهـ و الذي أرسل الحرياح بشراً بنين يدي رهمته ﴾	٤A
TV1.	﴿لنميى به بلدة ميتة ونسقبه مما خلفنا﴾	٤٩
*44.	﴿ واسقد مدرقانداه بسينهم لسيدكروا ﴾	٥٠
478.	﴿ وَالْ وَشَيْنَا لِيهِ عَيْنَا فَنِي كُلُ قِيرِينَةٌ نَذِيرًا ﴾	٥١
478.	﴿ فَلَا تَـطَعِ الكَافَرِينَ وَجَاهَدُهُمْ بِنَهُ جَهَادًا كَمِيرًا ، ﴾	. 07
***	و وهـــو الـــذي مـــرج الـــبــدــريـــن)	70
445.	﴿ وهـــــو السـذي خـــلـــق مـــن الـــمـــاء بشـــرا﴾	0 £
440.	﴿ ويعيدون من دون الله ما لا ينتفعهم ولا يضرهم﴾	0.0
440.	﴿ وما أرساب الله عليه الله على الله عليه الله على الله على الله على الله على الله عليه الله على الله	٥٦
770.	﴿قَـل مِـا أســــالــكــم عـــلــيـــه مــــن أجـــر﴾	٥٧
4000	﴿ وَوكـــل عـــلــــى الـــحـــى البــذى لا يـــمـــوت﴾	۸۰
***	﴿ اللَّذِي شَلِقَ السَّمَاوَاتَ وَالْأَرْضُ وَمَا بِينَا فِيمًا ﴾	٥٩
4000	﴿ وإذا قيد للهم اسجدوا للسرد مسن}	٦٠
440.	﴿تـــهــــارك السدَى جــعــل فـــى الســـمـــاء يسروجـــا﴾	11
~vo.	﴿وهدو الددى جدهل الملديدل والمنسهدار خطيفة	77
* ****	﴿ وعبناد النرحمن الذين يتعشون على الأرض هونًنا ﴾	74"
4 404	﴿ والمذيسن يسهم عندون لسريسهم سجدًا وقسيمامًا . ﴾	٦٤
* V0V	﴿ وَالدَّيْنَ يَهُولُونَ رَبِّنَا أَصَارَفَ عَنَا عَذَابِ جَهِنَم ﴾	70
* Y0Y	﴿ إِنْسِهِسَا سِسَاءِنَ مِسَسَقَسَنَا وَمِسَقَبِنَامُسًا . ﴾	77
***	﴿والدنيسن إذا أنه فقوالم يسرفوا ولم يسقتروا	77
* V0V	﴿ والسذيسن لا يسدعسون مسع السلسه إلسهسا آخسر ﴾	7.4
WV0V	﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة وينخلد قيه مهانًا ﴾	79
7707	﴿إِلا مِسِن تساب وآمسن وعسمسل عسمسلاً حسسالسشسا﴾	٧٠
400	﴿ومن ثناب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى الله متابًا .	٧١
7707	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزَّورِ وَإِنَّا مَرُوا بِاللَّقَوْ مَرُوا كَرَامًا ﴾	٧٢
** V0V	﴿ والسنديسن إذا ذكسروا بسايسات ريسهم ﴾	٧٣
400	﴿ والدِّين يقولون ربنا هِ لنا من أزولجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾	٧٤
4404	﴿ أُولِدِنُكُ يَسِجِسِرُونَ السِفِسِ فِيهِ يَسِمُ صَبِيسِ وا ﴾	Vo.

رقم الصفحة	أول الآيبات	رقم الآية
4404	﴿ خَالَدينَ فَيهَا حَسَنَتَ مَسَتَقَدُا وَمَقَامًا . ﴾	٧٦
4404	﴿قسل مسايعسياً بكم ربسي لسولا دعساؤكسم ﴾	٧٧
4774	(خاتمة السورة)	-
4779	(تضبير سورة الشعراء)	-
777	(أهداف سورة الشعراء)	- 1
4440		١ ،
4440	﴿ تَــلك أيــات الـــكـــتــاب الـــمـــبــيـــن . ﴾	۲
WVV0	﴿ لَـعَـلُكُ بِـالحُبِعِ نَـفْسُكُ أَلَا يَهِكُـونَـوا مَـرُمُـنَدِينَ . ﴾	٣
4440	﴿إِن نشأ نــنــزل عــلـيــهــم مــن الســمــاء آيــة﴾	٤
4 440	﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث	
4440	﴿فعد كذب وا فسيائ يسهم أنب اء ﴾	٦
4440	﴿ أَوَا اللَّهِ يَسْرُوا إِلْسَى الأَرْضَ كَسَمَ أَسْهِ تَسْفَ الْفَيْسِيا ﴾	٧
4440	﴿إِن فِي ذَلِكَ لأَيِهَ وما كَانَ أَكَثُرُهُمْ مَسْوَمُنْيِسَ .﴾	۸
* VV0	﴿ وَإِنْ رَبِكَ لَـــهـــو الــــمـــزيــــز الـــرحـــيـــم	٩
444.	﴿ وَإِذْ نَسَادَى رِيكَ مَسُوسَى أَنْ آئتَ السَّقَسَوِمِ السَّطَّسَالَ مَسِينَ . ﴾	١٠
444.	﴿قـــوم فــرعــون ألايـــة قــون ﴾	11
444.	﴿قـــال رب إنـــى أهــاف أن يـــكـــدبــون.﴾	17
444.	﴿ ويفسيسق صدرى ولا يستسطاسق لسسانسي ﴾	15
44V.	﴿ولسهم عملسيُّ ذنب فسأخساف أن يسقستسلسون .﴾	1 1 1
444.	﴿قَالَ كَالَّ فَانْمُسِنَا بِأَيَاتَ فَا﴾	10
444.	﴿ فَأَتِيا فَرِعُونَ فَقُولًا إِنْبَا رَسُولُ رَبِ الْمُالَمِينَ . ﴾	17
444.	﴿أَنْ أَرْسِيلَ مُعَادِّينَا بِعَدِّينَ إِسْسِراتِ بِيلَ .﴾	17
444.	﴿ قَــال أَلْسِم نَـرِيك فَــيسَنِسِا واحدِكَ ﴾	. 14
444.	﴿ وَفَعِلَتَ فَصِعِلَ تَكَ السِّنِي فَصَعِلَتَ﴾	19
44V-	﴿ قَالَ فَعَالَتَهِمَا إِنَّا وَأَنَّا مِن المُسَالِينَ . ﴾	۲٠
444.	﴿ف ف من	71
444.	﴿ وِرْسَاكُ نِــِهِ مِــِة تَــِهِ مِـنَــِهِ عَالِمِيُّ ﴾	77
TVAE	وقال قرعون وما رب السعالمديدن.	74

الجرء الناسع عشر	(عهرس موصوغات)	191.
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
*YA£ .	﴿ قسال رب السمساوات والأرض وما بسيسهما ﴾	37
3478	﴿قَال لِـمِن حـولِـه ألا تســـتــمـعــون. ﴾	40
3477	﴿قسال ربسكسم ورب أبسائسكسم الأولسيسن. ﴾	47
3477	﴿قسال إن رسواسكم الدنى أرسل إلىدكم لمعجدون. ﴾	۲۷
3474	وقسال رب المشرق والمعفرب وما بسيسه ما.	٧٨
77.77	﴿قَالَ لَنُنَ اتَدُدُتُ إِلَهًا غَيْرِي لأَجِعَلَنْكُ مِنَ المسجِونَينَ ﴾	79
7447	﴿ قسال أو لسو جستستك بشسىء مسبسيسن . ﴾	۴٠
74V7	﴿ فَسَالَ فَسَأْتَ بِسَهُ إِنْ كَسَنْتَ مَسِنَ الْمُسَادَقَسِيسَنَ . ﴾	۳١.
7447	﴿ فَالَّقِي عَصَاه فَإِذَا هِنِي تُبْعِينِانَ مَبِينَ . ﴾	44 .
7447	﴿ ونرع يده فإذا هي بيضاء للفاظرين .	77
7447	﴿قَالَ لَـلَـمَـلاً حَـولَـه إِنْ هِـذا لسـاحـر عـلـيـم.﴾	45.
7447	﴿يــريــد أن يـــخــرجــكــم مـــن أرضــكــم﴾	70
77.77	﴿ قالوا أرجه وأخماه وابعث فعي المدائن حماشرين .	777
74V7	﴿ يَاتُوكَ بِيكُ لَ سِحِيارَ عَمِياً عِيمَ مِ	۳۷
****	﴿ فَصِحِمَعَ السَّمِيرَةُ لَيْمِينَاتُ يَسُومُ مَنْقِبَاتِ مِ	٣٨
4444	﴿ والسيدل لسلنساس هدل أنسته مسجد تدمد عدون . ﴾	44
WYAÀ	﴿ لَعَانَا نَتِيعَ السَمَرةَ إِنْ كَانُوا هُمَ الْغَالِبِينَ . ﴾	٤٠
***	﴿ فَسَلَمَ حَسَا جَسَاء السَّمَ حَرَة قَسَالَسُوا لَسَفِّرِ عَسُونَ ﴾	٤١
4 /44	﴿قَالَ نَعِم وَإِنْكُمُ إِذَا لَهُمِنْ الْمُعَقِّرِينِينَ .﴾	23
#YA	﴿قَالَ لَنَهُم مُوسِي، أَلَاقُنُوا مِنَا أَنْبِيْمُ مِلْقُونَ .	73
***	﴿ وَالسَّوْدِ وَاحْدِيا لِيهِم وَعَدِيهِم وَالسَّارِي اللَّهِ	٤٤
44.74	﴿ فَاللَّهِ عَلَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِي ثَلَقَفَ مَا يَأَفَكُونَ . ﴾	٤٥
4477	﴿فُــاًلــقــــى الســحــرة ســاجــديـــن ﴾	٤٦
4444	﴿قَالَدُوا أَمَدُ فَا بِسُونِ السِعْدِ الْمُدِينَ .	٤٧
***	ورب مـــــــــوســــــــى وهـــــــــارون .	- £A
***	﴿ قَـــال أمــ فَـــ قـــ لـــه قـــ بـــل أن آذن لـــكـــم ﴾	٤٩
***	﴿ أَسَالُوا لا خسير إنا إلى ريسنا مستقبل بون . ﴾	٥٠
****	﴿إِنا نَظِمِعُ أَنْ يَعْفُرِ لَنَا رَبِنَا مُطَايِاتًا﴾	٥١

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7797	﴿ وأودينا إلى موسى أن أسر بعبادي♦	70
7797	﴿ فَارْسِلُ فَارِعِاوِنْ فَي الْبِعِدَائِينَ حِياشِرِينَ . ﴾	٥٣
4744	﴿إِنْ هُـــوْلاء الشــرِدْمــة قـــا ــيــاـــون .﴾	٤٥
7797	هوانهم استال فانظرين .	٥٥
4744	﴿وإنا ل جمع يع مادون ﴾	٥٦
4794	﴿ فَسَأَ غَسِرِ جِسْنَاهِ عِمْ مِسْنَ جِسْنَاتَ وَعُسْيِسِينَ . ﴾	٥٧
4794	﴿ وك ن وز وه قد ام ك ود م م	۸۵
4794	﴿كَــذَلِكُ وأورثــنــاهـــا بــنـــى إســـزائــيـــِل ﴾	٥٩
7797	﴿ فِياتِ بِي مِي مِنْ رِقْ بِينَ . ﴾	7.
4744	﴿ فَصَالَ مَنَا قَصَرَاءَى الْصِحِيدَ عَصَانَ ﴾	11
4644	﴿قَالَ كَلا إِنْ مُسِعْسَى رَبِسَى سَبِيبَ هُدِينَ﴾	77
4664	﴿ فَــاً وهــيــــنا إلـــى مــوسسي أن اخسرب ﴾	75
T797	﴿ وَأَرْا ف ن الله ع الآخ ري ن . ﴾	18
7797	﴿ وَأَسْجِدِيدَ مُنا مِنْ مِنْ صِفْ أَجِمْ عَيْدَ نَ ﴾	٦٥
4444	﴿ الأخسريسن . ﴾	77
4644	﴿إِن فِـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٦٧
4444	﴿ وإن ربك لسبهـــو السبعـــزيــــز الـــوجـــيـــم . ﴾	٦٨
779 A	﴿واتسل عسلسهم نسيساً إيسراهسهم ٠	14
4444	﴿إِذْ قَـِالَ لأَبِسِيسَهُ وقَسُومَـهُ مِا تَسْعِبِدُونَ ﴾	٧٠
WV9.A	﴿ قِبَالِينَا تَعْفِيدُ أَصِينًا مُنْظَلِ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾	٧١
MY4A	﴿قَالَ هَمَالَ يُسْمِعُ وَلَكُمْ إِذْ تَسْرُعُونَ .﴾	VY
TV9A	. ﴿ أُونِي نَدْ هُ مِنْ الْكِيمَ أُونِيْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ	٧٣
**************************************	وقسالسوا بسل وجدنا آباءنا كذلك يطعطون.	٧٤
779A	﴿ قسال أفسرأيستسم مساكسنستسم تسعسهدون . ﴾	٧٥
8794	﴿أنَ مَ وأبانك مِ الْأَقَ دمون ﴾	٧٦.
YY4A	﴿ فَالْمُ الْمُعَالِمُ عَدُولُ لَي إِلَّا رَبِّ الْمُعَالِمُ عِدُولُ فَي إِلَّا رَبِّ الْمُعَالِمُ عِدْنَ فَي	YY
8794	﴿السَدِي عَسَاسَةَ سَنِي فَسَهِ مِنْ يَسَهُمُ عِنْ الْحَالِينَ الْحَلْمَ الْحَلِينَ الْحَلْمِينَ الْحَلْمُ الْحَلْمُ الْحَلْمُ الْحَلْمُ الْحَلِينَ الْحَلْمُ الْحَلِينَ الْحَلْمُ الْحِلْمُ الْحَلْمُ الْحَلِيلِينِ الْحَلْمُ الْحَلْمُ الْحَلْمُ الْحَلْمُ الْحَلْمُ الْحَلِيلِينَ الْحَلْمُ الْحَلْمُ الْحَلْمُ الْحَلْمُ الْحَلْمُ الْمُلْمُ الْحَلْمُ الْمُعِلِيلِ الْحَلْمُ الْحَلْمُ الْمُعِلِيلِ الْمُعِلِيلِ الْحَلْمُ الْمُعِلِمُ الْمُلِمُ الْمُعِلِمُ الْعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِمُ الْمُعِلِم	VA.
4444	والدني هو يمط محمدي ويسقيدن.	· ٧٩

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
4664	﴿ وإذا مـــرضت فــــهـــويثـــفـــيـــن ﴾	٨٠
. 4747	﴿والدِّي بِمِيدَ نَسِي ثُمِ يَدِدِينِ .﴾	۸۱
***	﴿والذي أطمع أن يخفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾	AY
44.1	﴿رب هب لبي حكمًا وألحقنني بالصالحين. ﴾	۸۳
44.1	﴿واجــعـِــل لـــى لســـان صــدق فـــى الأخــريـــن .﴾	A E
44.1	﴿ واجعانى من ورثة جنبة النعيم.﴾	٨٥
44.1	﴿واغف و الأب إنه كان من الضالين. ﴾	۸٦
44.1	﴿ولا تِــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	AV
44.1	﴿يـــوم لا يـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٨٨
44.1	﴿إلا من أتنبي السلسة بسقسلب سلسم ﴾	۸٩
74.7	﴿ وأَذَا فَتَ الْجِينَةِ لِلْمِينَةِ لِلْمِينَةِ فِي نَ ﴾	۹٠
44.4	ويسرنت السجم المساويسن .)	11
74.4	﴿ وقديد ل اسهدم أيسن مساكدنستهم شعديدون . ﴾	94
44.4	أمن دون الملبة همل يستمسرونكم أويست تمسرون .	94
44.4	﴿فَ كَبِيكَ بِوا فَسِيسَهِ الْمُسْمِ والسَّفْسَاوِونَ ﴾	48
44.4	﴿وج نب ود إب اس اج مون .﴾	90
74.4	﴿قسالسوا وهسم فسيسهسا يستستمسون .﴾	17
44.4	وتالطه إن كندالفي ضالال مبين. ﴾.	47
77.7	﴿إِذْ نَسَوِيكَمُ مِنِ الْعِمَالِمِينَ .﴾	٩٨
44.4	﴿ ومسا أفسلسنسا إلا السمسيدمسون . ﴾	99
71.7	﴿ فَصِمِا لِسِنْسَا مِسْنُ شَسَافِ عِينَ . ﴾	\ \
44.4	ورلا <u>ما</u> ي	1.1
77.77	﴿ فسلس أَن استساكبرة فسنكسون مبن السسرْمستيسن . ﴾	1.7
۳۸۰۳	﴿إِن فَ عَلَى ذَاكُ لاَّيْ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ	1.07
44.4	(وإن ريك لسهو السعريسيم)	1.5
44.4	﴿كـــذبت قـــوم نـــوح الــمـــرســلــيــن ﴾	1.0
44.4	﴿إِذْ قَسَالُ لِسَهِمِ أَعْسُوهُم نَسُوحَ أَلا تَسَتَسَقَّونَ . ﴾	1.7
77.7	﴿انسى اسكبم رسيل امسين.﴾	1.4

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
44.4	﴿ فَاتَّ قَالِ اللَّهِ وَأَطَيِعِونَ ﴾	1.4
٧٠٨٣	﴿ روما أسالكم عليه مسن أجر﴾	1 - 4
۳۸۰۷	﴿ فِسَاتِ قِسَوا السلسة وأطربه عسون ﴾	31+
44.A.	﴿ قسالسوا أنس مسن لك واتسبسعك الأرداسون .	111
7A.V	﴿ قَسَالُ وَمِسَا عَسَلَمُ عِنْ مُعَمَّا كَسَانُسُوا يَسْعَمَلُونَ . ﴾	117
4.4A	﴿إِنْ حَسَابِسِهِمَ إِلَّا عَسَلَسَى رَبِسَى لَسُو تَشْبَعَسِرُونَ ﴾	115
44.A	﴿ ومبِ أنَّ السَّاءِ السَّادِ السِّعَدُ وَمَسْدَ حَدِينَ . ﴾	118
44.4	﴿إِنْ أَنْسِنا إِلا نُسِنْيِسِ وَسِينِينَ ﴾	110
44.A	﴿قسالسوا لسنسن لسم تسنست يسانسون﴾	117
44.4	﴿قَـــسال رب إن قنــــومـــــى كــــندبــــون .﴾	117
44.4	﴿ فَافْ يَسِع بِينِينَ مِن رِبِينَهِم فَسَتَصَا ﴾	114
. 4V+A	﴿ فَأَنْ جَيْثُاهُ وَمِنْ مَعِنَّهُ فِي الْفَاكُ الْمَشْحُونَ . ﴾	119
٧٠٠٧	﴿ رُسِم أَغْسِرة سِنْسَا بِسِعِدِ السِبِسَاقِسِيسَ . ﴾	14-
4.4.A	﴿إِنْ فَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	171
. AY+A .	﴿ وإن ربك السهدو السعدريدز السرمسيدم. ﴾	177
77.17	﴿كــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	177
4414 .	﴿إِذْ قِسَالُ لَسَهِمَ أَحْسِوهُمُ هِسُودُ أَلا تُستَسَقَّونَ .﴾	371
77.17	﴿إنْــــى اــــكـــم رســــىل أمـــيــــن.﴾	170
7/17	﴿ فِي السَّاسِيةِ وَأَطْسِيهِ عِيدُونَ . ﴾	177
7//7	﴿ومِا أسبالِكِم عسليه من أجس﴾	177
7/17	﴿أَسْبِ نَسُونَ بِكِيلَ رِيسَعَ آيِسَةً تَسْعِيدُ وَنَ .﴾	147
77.17	ورثــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	179
7/17	وإذا بسطشتم بطشتم جناريسن .	14.
7/17	﴿فساتـــقـــوا السلب وأطـــيــعــون .﴾	141
47/14	﴿ واتبقيوا النَّذِي أمدكم بنميا تعليمون . ﴾	177
4414	﴿أمدكم بسأند عسام ويستسيدن.﴾	177
77.17	﴿ربِ ن اِن اِن اِن اِن اِن اِن اِن اِن اِن	١٣٤
4414	﴿إِنْسَى أَحْسَافَ عَاسَدِبِكُمْ عَذَابِ يَدُومُ عَظْيِمٌ . ﴾	140

رقم الصفحة	. أول الآيــات	رقم الآية
7/17	﴿ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين .	141
77/77	﴿إِن هــــــقا إلا عُــــــــــق الأولـــــيـــــن ﴾	140
44/4.	﴿ ومسانست نيسين	144
4414	﴿ فَ كَ ذَبِهِ وَ فَا هُ الْمُ كَنْ الْهُ إِنْ فَى ذَلِكَ لَآيِدَ ﴾	179
7/17	﴿ وَإِنْ رِيكَ لِسِيهِ وَالسِيعِ الْمُعِينِ إِنْ السِيمِ عِيمٍ ﴾	18.
4414	«كسدنيت تسمسود السمسرسسلسيسن.»	121
4414	﴿إِذْ قَسَالُ لِسَهِمَ أَحْسُوهِمُ مُسَالِسِحُ أَلَا تُستَّقَدُونَ .﴾	187
4414	• ﴿إِنْدِسَى لِمُسْكِدُ مِنْ رَسِسُولُ أُمْدِ مِيْدِسُنْ . ﴾ .	127
4414	وفسات قسوا السماسة وأطب يسعنسون . ﴾	122
4414	﴿ وم السالكم عطيه من أجسر ﴾	120
4414	﴿أَنْدَ تَدِيرَكُسُونَ فَدِيدَ عَالِمُ الْمُسْتُدِينَ ﴾	127
4414	﴿ فسيسى جسيد الله وعسيد سين . ﴾	127
4414	﴿وزروع ونسخسل طلب مها هضيهم	184
4414	﴿ وَسَسَدَ لَدِينَ مَنِنَ السَجِيدِ اللَّهِ السَّارَ هِيدَ نَا فَعَارَهِ عِينَ . ﴾	184
4414	﴿ فسائد قد واالساسه وأطعيد ورد ﴾	10.
4414	﴿ ولا تـــطـــيـــ عـــوا أمـــر الـــمســرفــــيـــن ﴾	101
4414	﴿السنيسن يسفسدون فسى الأرض ولا يمسلسمون ﴾	107
4414	. ﴿ قيالِ وا إنْ مِنْ أَنْتُ مِنْ الْسِمُ مُسْرِينَ . ﴾	104
7414	﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بِشَارِ مِنْ فَصِلَا بِشَارِ مِنْ فَصِلَا مِنْ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الللَّهِ الللَّهِلَا الللَّهِ الللَّالِي الللَّهِ الللَّهِ الللَّلِي الللَّهِ الللَّمِلْمِ الللَّهِ الللَّ	108
4414	﴿قــال هـــده نــاقـــة لــهــا شــرب﴾	100
4414	﴿ولا تــمــوهـا بسوء فــيـاهـذكـم﴾	. 101
4414	. ﴿ فَسِعِدِ قَسَرُوهُ مِنَا فَسَأَمُ سِيدِ مِنْ أَنْسَادُ مُسِيدِ نَ ﴾	104
4414	﴿ فَــاْ حُـدُهـم السعداب إن فسى ذلك لأبيدة ﴾	١٥٨
4414	﴿ وإن ربك لسنهدو السعدزيدز الشرحديدم. ﴾	109
7777	﴿كــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	13.
7777	﴿إِذْ قَسَالِ لَسَهِمَ أَحْسُوهِمَ أَسُوطُ أَلَا تَسَتَسَقَّعُونَ .﴾	171
የ ለየም	﴿إنــــى لــــكـــم بســـول أمــــهـــن ﴾	177
۳۸۲۳	﴿ فَسَاتَ قَوْلُ السَّا مِهِ وَأَطْرِيهِ هُونَ .	175

رقم الصفحة	أول الآيسات	رقم الآية
7777	﴿ووما أسالكم عليمه من أجسر﴾	371
. 4744	﴿أَتِسَاتِسُونَ السَّذِكُسُوانَ مُسَنَ السِّعْسَالِسِمْسِيْسَنَ . ﴾	170
7777	﴿ وتسندون مسا خسلسق لسكهم ريسكهم مسن أزواجسكهم ﴾	177
7777	﴿قصالوا لسنسن لسم تسنستسه بسا لسوط﴾	. 177
7777	﴿قَالَ إِنْ الْعُمْ لِلْكُمْ مِنْ الْقَالِينَ ﴾	۱٦٨
7777	﴿رب نسجستنسى وأهسلسى صدمسا يسعد مسلسون.)	179
7777	﴿ فَصَدَ حَصِيدَ عَلَاهُ وَأَهَا إِنَّهُ أَجِمَ عَصِيدَ نَ ﴾	17.
4744	﴿ إِلا عَصَدِ وَزَا فَصَلَى الْسَافِ صَابِدَ رِيْدَنَ . ﴾	171
7777	﴿ وسم دمسرنسا الأخسرينس، ﴾	177
7777	﴿ وأمطرنا عليهم مطرًا فساء محر المنذرين . ﴾	174
7777	﴿إِنْ نَصَاحِينَ مِنْ لِلَّهُ لِأَيْنِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ	178
. 4744	﴿ وإن ربك لسهدو السعدزيدز السِرديد، ﴾	170
TAYY	﴿كَذِب أَمْسِ صَابِ الأَيْسِ كَنَّة السَّمِسِ رَسِلْسِينَ . ﴾	177
****	﴿إِذْ قَسَالَ لَسَهُمَ شَسَعَسَيْنِ أَلَا تَسَتَّنَقُونَ .﴾	14.4
77YV	﴿إنْ مَا لَحَكُمُ مِنْ السَّالِ أَمْسِينَ نَا ﴾	۱۷۸
YAYV	﴿ فِسَاتَ قَسُوا السَّلَبُ وأَعْلِيهِ عِنْ . ﴾	174
. 7777	﴿ وما أسسالكم عاليمه من أجسر ﴾	14.
TAYV	﴿ أُوافِ وَأَ السكسيسل ولا تسكسونسوا مسن السمستعسسريسن . ﴾	141
7777	﴿ورَنبِوا بساله قسيطياس المستبقيهم . ﴾	. 174
* ****	وولا تبيخسوا البنياس أشيياءهم ﴾	144
7777	﴿ واتقوا الذي مُعلقكم والجبلة الأوليين . ﴾	145
YAYV	﴿ قيالسوا إنسميا أنت مين السمسيدريسن . ﴾	140
. YAYV	﴿وما أنت إلا بشر مطاب	7.67
7777	﴿ فَاسْفَظُ عَلَيْنِا كَسَفًّا مِسْنَ السَّمَاءِ ﴾	144
7777	﴿قَالَ رَبِي أَعْمَالِم بِمِمَا تَعْمَمُ لُونَ .﴾	144
7777	﴿ فَكِيدُ بِينِ وَمُ فَا غَنْهُ مِنْ عَنْهُ إِنَّ يَسُومُ النَّظَلَمَ أَنَّ الْحُ	144
7777	﴿إِن فِـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	14.
7777	. ﴿ وَإِنْ رَبِكُ لَسِهِ وَالْسِعِ فَيُصِدُ السِّرِ عِلَيْ الْ	111

رقم الصفحة	أول الآيــات	رقم الآية
4444	﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين.	197
4747	﴿نـــــــزل بـــــــه الــــــروح الأمـــــيـــــن.﴾	198
7777	﴿عَالَى قَالِبِكُ لِنَدْ كُونَ مِنْ الْمِدُونِينَ ﴾	198
4744 ·	﴿بِــلســان عـــريــــى مـــبــيــــن ﴾	190
4744	﴿ وَإِنْ اللَّهِ السَّافِ فَي زَيْدَ الأَوْلِ فَيَانَ . ﴾	197
4744	﴿أَوْلُمْ يَكُنْ لُهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمُهُ عَلَمَاءُ بَنِّي إِسْرَائْهِلَ ﴾	197
4744	﴿ والسو تستل عسائي يسعض الأعسج سمين ﴾	19.4
4744	﴿ فَقَوْلُهُ عَلَيْهِم مِنا كَنَاتُوا بِنَهُ مَنْ مُنْيِينٌ . ﴾	199
7777	﴿كَذَلَكِ سَاحَتُنَاهُ فَنِي النَّاسِ النَّم جَسِمَيِينَ ﴾	۲۰۰
4744	﴿لا يَسْوُمُسَفُونَ يَسَهُ حَسَّى يَسِرُوا الْنَحَذَابِ الأَلْسَيْسِ ﴾	7.1
7777	﴿ فَنِيالًا يِنْهُمُ مِنْفُدَّةً رَهُمُ لا يَشْبَعُنُونَ . ﴾	7.7
777.7	﴿ فَسِيدَ وَالْ وَاهِلَ لِسَحَينَ مُسْتَظَلِينَ ﴾	۲۰۳
7777	﴿ أَفْسِيدِ عِنْ أَيْسِلْ الْمُسْتِدِينِ عِنْ جَالِينَ . ﴾	4.5
77.77	﴿أَفْسِرأَيت إِن مِستَعِنْ الْهِسِمِ سَنِينَ .﴾	4.0
7777	والسم جسامه مساكسانسوا يسوعسون .	7.7
7777	﴿مِنَا أَغَيْنِي عَنْيَهِم مِنَا كِينَانِوا يَعْشَعْنُونَ .﴾	۲۰۷
777.7	﴿ورسا أهلكنا من قرية إلا لها منذرين . ﴾	۲۰۸
7777	﴿ذكرى وما كسناظالمين،	7.9
7747	﴿وما تسفسزات بسه الشيساطيسن.	۲۱۰ .
7777	﴿ وما يسنب في لسهم وما يست طريد عرون . ﴾	711
4444	﴿انسهم عسن السمسع ليمسعسنواسون. ﴾	717
7387	﴿ السَّالِ السَّاعِ مسع السَّاسِةِ السَّاسِةِ السَّاسِةِ السَّالِيِّ	717
47.51	﴿وأندر عشير رتك الأقيريين ﴾	317
47481	﴿ والخنفض جناحك ليمين النبعك من المرتمنيين. ﴾	710
7387	وفسإن عصول فقل إنسى بسرىء مسمسا تسعسلون . ﴾	717
7387	﴿ورتــوكــل عملـــى السعسريـــز السرمــيــم.﴾	717
1387	﴿السنى يسراك مسيسن تسقسوم ١٠	414
4451	﴿ رَبِّ فَصَالِحِيْكُ فَصَى السَّاجِدِينَ . ﴾	719

رقم الصفحة	أول الآيــات	رقم الآية
1387	﴿إنَّاتُ هَا وَالسَّامِ عَلَيْهِ السَّالِ عَلَيْهِ السَّامِ أَنَّهُ	77.
3387	﴿ هِمَالَ أَيْبِ شَكِمَ عَالَى مِنْ تَنْفِرُلُ الشَّيْبَ اطْبِينَ . ﴾	771
3322	﴿تَصَدَّرُلُ عَصَالَى كَصَلَ أَفْصَاكَ أَثْصَيْتُم .﴾	777
3387	﴿ يَسَلُمُ قَسِ مِنْ السَّمِعِ وَأَكَسَدُ وَهِمَ كَسَادُ بِسُونَ . ﴾	777
4788	الإوالشسعدراء يستسبسعسهدم السخساوون ﴾	377
3322	﴿ أَلْسُم تَسَرُ أَنْسَهُ سَمَ فَسَنَى كَسَلُ وَالْرِيسَهُ سَيْسَمُسُونَ . ﴾	440
3387	﴿ وأنسههم يسقسولسون مسا لا يسفسعسلسون . ﴾	777
3387	﴿إِلا السديسن آمسنسوا وعسمالسوا المسالسمات﴾	777
7007	(خلاصة ما اشتملت عليه سورة الشعراء)	_
740	(تقسير سورة الثمل)	-
4408 .	(أهداف سورة الثمل)	_
4404	﴿ ماس تسك آيسات السقسرآن وكستساب مسيسيسن . ﴾	. 1
4404	﴿ هددى ويشرى لسلم ومند ين . ﴾	۲ .
440 4	﴿ السنيسن يسقب مسون المسالة ويسوَّتسون السزكساة ﴾	٣
4404	﴿إِن الدِّينَ لا يَوْمَنُونَ بِالأَصْرةَ زِينًا لَهُمْ أَعِمَالُهُمْ﴾	٤
4404	﴿ أُولَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٥
٨٥٨٣	﴿ وإنك لـــّــلــقــى الــقــرأن مــن لــدن حــكـيــم عــلـيــم .﴾	٦
17.87	﴿إِذْ قِيسَالُ مِسْوسِينَ لأَمْسِلْسِهِ إِنْسِي أَنْسُنَ نِسَارًا﴾	V
7771	﴿ فَعِلْمَا جَامِهَا نَدُودِي أَنْ يَدُورُكُ مِنْ فَسِي النَّمَارِ ﴾	٨
17.87	﴿ يِمَا مُوسِي إِنَّهُ أَنْمَا النَّالِهُ الْمُعَرِينِ الْمُمَكِيمِ . ﴾	4
77.71	﴿ وألَــق عصــاك فــلــمــا رآهــا تــهـتــز كـأنــهـا جــان ﴾	١.
17.77	﴿إِلا مِسْنَ عَلِيْكُمُ ثُنَّمُ بِيدُلُ حَسِنْتًا بِيعِيدُ سِيرُهِ﴾	11
17.87	﴿ وَأَدِ عَمْ لِي مِنْ عَمْ عِيمِهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللّ	14
17.87	﴿فَالْمَا جَاءِتُنَهُمُ آيَاتُكَا مُبْمَارَة قَدَالُوا﴾	14
17.57	﴿ وَلَمْ عَلَمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهِ ال	١٤
V7.A7	ول قد آلي نا داود وسليمان علما	10
7777	ووررث ملل الله الله الله الله الله الله الله	17
V//V	﴿ وحشر لعليهان جسفوده من الجن والإنس ﴾	۱۷

رقم الصفحة	أول الآيسات	رقم الآية
7777	﴿ حستى إذا أتسوا عملى وإد السنميل قسالت سميلية ﴾	١٨
V//\V	﴿ فستسبع ضساحكًا مسن قسولسها ﴾	١٩
7447	﴿ وَتَــٰ فَــــة البِــٰ عَالِينَ عَالِينَ الْعَالِينِ الْعَلَالِينَ الْعَلِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلِيلِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلِيلِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلِيلِينَ الْعَلِيلِينَ الْعَلِيلِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلِيلِينَ الْعَلِيلِينَ الْعَلِينَ الْعَلِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلِيلِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلِيلِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَ الْعَلَالِينَاعِلَى الْعَلَالِينَ عَلَيْهِ عَلَى الْعَلَالِينَاعِلَى الْعَلَالِينَاعِ عَلَيْهِ عَلِيلِي عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلِي عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلِيْهِ عَلِيلِ	۲۰
77.77	﴿لأعَدْبِ مُنْ عَدْابُ الشَّدِيدُ الْوَلْأَدْبِ صَادِيدًا أَوْلاَدْبِ صَادِيدًا﴾	71
77/7	﴿ فَصَمَا عُصَيْدِ رِيعَا مِنْ فَصَالَ ﴾	77
7447	﴿إنْسِي وجدت امسرأة تسمسلكهم	77
7××7.	﴿وجدتها وقومها يسخدون للشمس من دون الله	72
. 4744	﴿ أَلَا يَسْتَجِدُوا لَسَلْتِهُ الْسَدِّي يُسْتَصِّرِجَ السَّجْبِمُ﴾	۲٥
7777	﴿الساسه لا إلسه إلا هسورب السعسران السعسطسيسم.﴾	77
4444	﴿قَسَالَ سَنَسَظُيرَ أَصَدِقَتَ أَمْ كَسَنَتَ مَـنَ الْبَكَسَاذِيبِينَ ﴾	. 44
4444	﴿ الْحَدِيدِ وَسَكَمَتُهِا وَسَالَ مَا فَسَالَتَ فَهِ الْسَهَ عَمِينَا وَسَالَتَ فَا الْسَيْفُ مِنْ	4.4
4444	﴿قَالَتْ يَالِمُهَا الْمِمَالُ إِنْنَى أَلْقَى إِلَى كَتَبَابِ كَرِيمٍ ﴾	79
YAVV .	﴿إِنَّهُ مِنْ سَلِيمِنَانَ وَإِنَّهُ بِسَمَ النَّالَةِ النَّرْجَمِنَ النَّرِيمِ .	4.
4444	﴿ الا تسملسوا عسلسي وأتسونسي مسلسمين . ﴾	17
4444	﴿ قَالَت يَسَايِسِهِمَا السَمِيلاَ أَفْسَتِسُونِسِي فَسِي أَمِيرِي ﴾	777
4444	﴿ أَسَالُ وَالْسَحَدِينَ أُولِسِو أَسِعَ ﴾	77
PVAY	فسالت إن السماسوك إذا دخساسوا قسريسة	3.7
PVAY	﴿وإنسى مسوسطسة السيسهسم بسهديسة ﴾	40
4447	المناجاء سليمان قال	77
4441	«ارجع إلى م م الم الم الم الم الم الم الم الم الم	44
77.77	﴿قَالَ يَالِيهَا الْمَالُ أَيْكُمْ يَاثَيْنِي بِعَرِشْهِا﴾	1.7
4444	﴿قَـــال عـــقـــريت مَـــن الــــجـــن﴾	74
٣٨٨٣	﴿ فَال الدِّي عَاسَده عِلْم مِن الكِتَابِ ﴾	٤٠
77.77	﴿ قسال نسكسروا لسهسا عسرشسهسا ﴾	٤١
77.77	﴿ فَصَادِتُ قَصِيلُ أَهُ كُسَدًا عَصِرَتُكَ: ﴾	73
77.47	ووصدها ما كنات تصبيد من دون السله	۳٤
7447	﴿ تسيسل لسهسا انشسلسي المسري	٤٤
4741	﴿ واستَعَد أرسلتَ اللَّه سُمود أَصَاهُم صالحَا ﴾	٤٥
1		

رقم الآية	أول الآبات	رقم الضفحة
٤٦	﴿ قَالَ بِا قَاوِم الم تَعَالَدُ عَالَ مِنْ ﴾	7741
٤٧	. ﴿قصائدوا اطديدرنسا بك ويسمن مصعك﴾	7841
٤٨	﴿وكان فسي السمدينة تسبعة رهط)	4741
٤٩	وقدالنسوا تسقيباسمسوا بسالسلسه)	4441
٥٠	﴿ وَرَحْكُ رُوا مُكِّراً وَمُكَرِنًا مُكُراً وَهُمَ لا يَشْعَرُونَ . ﴾	4441
٥١	﴿ فَانْمِظُ رَكَنْ يِفْ كَانِ عِاقِبِةَ مِكْرِهِمٍ﴾	4441
٥٢	(نستساك بسيسوتسهسم خساويسة)	4441
٥٣	﴿ وأنجب نا الذيس أمنسوا وكانوا يستقون ﴾	1887
٤٥	﴿واوكَــا إذ قــال لــقــومــه﴾	TPA 7
٥٥	﴿ أَنْ نَكُم لِكَ أُتُونَ السِيالِ شَهُوةِ مِن دُونِ النِّسَاءِ	TPA7
_	تخريج أحاديث وهوامش	PPA7
	فهرس الكتاب	79.V

تم بحمد الله الجزء (التاسع عشر) وينيه الجزء (العشرون) بإذن الله تعالى

تفسير القرآن الكريم

الجزء العشرون من القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته



بِنَ إِلَيْهِ الْرَحِيَةِ

﴿ فَ فَمَاكَاتَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَصَالُوٓا أَخْرِجُوٓا مَالُ لُوطِ مِن قَرَيَتِكُمُّ إِنَّهُمْ أَ أَنَاسٌ يَنَطَهَّرُونَ ۞ فَأَغَيْنَكُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَكُهُ فَقَرْرَنَهَا مِنَ ٱلْفَنْهِينَ ۞ وَأَمُطَرَالُمُنَذِينَ ۞ ﴾

الفردات،

اخرجها آل ثوطه المراد بهم: لوط وأهله، كما يراد من بني آدم، آدم ويثوه،

من قررت عمن مدينتكم سدوم،

يتطهون، ينزهون انفسهم عن الأقذار والأوساخ، ويتباعدون عما نفعله، ويزعمون أنه من القاذورات. .

ت درنا، قضينا وحكمنا.

الغب سابرين، الباقين في العذاب.

ســـاء؛ قبح

مطر المتدريين؛ من أهل الجرائم، وهو حجارة من سجيل.

تمهيده

لقد ذكر القرآن الكريم قمنة لوط في عدد من النبور، وشنِّع على هذه الفاحشة وحدَّر من إليائها، وقد عاقب أصحابها بالهلاك.

ونرى المدنية الحديثة التى اباحث المثلية الجنسية، وانزواج الشاذ، وإباحث إنشاء نواد للمراة، ونواد للشواذ، قد هوجت بانتشار مرض الإيدز أو نقص المناعة، وهو مرض خطير يودى بالكثير من الرضى، وقد أصيب القوم بالرعب من الإيدز؛ همريض الإيدز قد يهرب منه الطبيب والمرضة التى تمالجه، وريما أسرته.

والنوادى الليلية التى كانت ترعى الشواذ أصيبت بالإهلادى، وادرك الناس خطر الإيدز وخطر الشدود والبناء، بعد أن شاهدوا باعيتهم هلاك أكثر من نصف المُرضى بلقص المناعة؛ وكل ذلك يوضح للمتأمل أن سبب هذه الأمراض نقص الإممان والخروج على منهج الله، ولمل في هذا دعوة لنا جميعا إلى احترام الزواج الشرعى، باعتباره الوسيلة المستارة لإشباع الماطفة، ورعاية النرية ولمتاع النفس، والالتزام بعنهج الله تعالى القائل في كتابه الكريم: ومن آياته أنّ خَلقَ لكم مَنْ أنفُسكُمْ أزُواجًا لَتسكُنُوا إليْهَا وحملَ بَينَكُم مُودَةٌ وَرَحْمة إنّ في ذلك لآيات لقُومُ يَفكُرُونَ. (الدوم: ٢١).

التفسيره

لما أنذر لوط عليه السلام قومه، وخوفهم نقمة ربِّهم؛ هددوه بالطرد من سدوم هو ومن أمن به، قال تعالى:

٥٦ - فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمه إلاَّ أن قَالُوا أخْرجُوا آل لُوط مِّن قَرْيتكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَعَطَهَرُون .

كان سائلاً سأل سؤالاً هو: ماذا كان جواب قوم لوما؟ والجواب هو: هما كان جواب هومه على دعوته لهم إلى الإيمان بالله تعالى، وهجر الشئوذ الجنسى، والامتناع عن إتيان الرجال هى أدبارهم؛ إلا أن رفضوا دعوة لوطا، وأعلنوا هذا الرفض، حيث بيُنوا أمرهم على إخراج لوطا وأهله من المؤمنين من قرية سدوم؛ يعجه أنَّم بيالغون هى التطهر، ولا يشاركونهم هى عمل هذه الفاحشة، وهذا إغراق هى الشذوذ والخروج على الفطرة، حيث يُعاقب المستقيم الطاهر بالطرد من البلد عقوية له على استقامته.

٥٧ - فَأَنْجُيْنَاهُ وَأَهْلُهُ إِلاَّ امْرَأَتُهُ قَدَّرُنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينِ (١).

أنجينا لوطا ومن آمن به، وأهلكنا المكذبين، ومعهم عجوز هى زوجة لوط، كانت تتماطف مع الشواذ، وترشدهم إلى أضياف لوط ليفعلوا بهم الفاحشة: فأهلكها الله معهم، كما قال تعالى: فُنجُيناهُ وَأَهْلُهُ أُجَمعينَ ﴿ إِلاَّ عُجُوراً في الْفَارِينِ، (الشعراء: ١٧٠ ـ ١٧١).

٥٨ - وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مُطَرًّا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ .

أمطر الله عليهم مطرًا لم يمهدوا له مثيلا، حيث كان مطر عذاب ونقمة، فأرسل عليهم حجارة فوية صلبة متتابعة النزول، معلّمة بسيما تتميز بها عن حجارة الأرض، كان فيها الهلاك لهم، عقوبة رادعة لهم على شدودهم، كما قال تمالى: وَأَمْطُرُنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِن سِجِيلٍ مُنصُودٍ بِه مُسومَةً عند رَبّكُ وما هي من الظّالمين بَجْمِدٍ. ﴿ قُلِ ٱلْمَمْدُ لِلْهُ وَسَلَمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِيبُ أَصْطَفَقَ ءَاللَّهُ مَثِرُ أَمَا يُشْرِكُونَ ﴿ أَنَ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ أَمَا يُشْرِكُونَ ﴿ أَنَّ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللِّهُ اللللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللِ الللِّهُ الللِّهُ اللللِّهُ اللللِّهُ اللللِّهُ اللللِّهُ اللللْمُ اللللِهُ الللللِّهُ اللللِّهُ الللللِّهُ الللللِّهُ الللللِّهُ الللللِّهُ الللللِّهُ الللللِّهُ اللللللِّهُ الللللِّلْ الللللِّهُ اللللللِّهُ الللللِّهُ اللللللِّهُ اللللللللللِّهُ اللللللْمُ الللللللْمُ اللللللْمُ اللللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللِهُ الللللْمُ الللللِهُ الللللِّهُ اللللللْمُ اللللللِمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللِمُ الللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُولِي الللللْمُ اللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُولِي الللللللِمُ الللللْمُ الللللْمُولِمُ الللللْمُ الللللِمُولِ الللللللِمُ اللللللللِمُ الللللللْمُولِمُ الللللْمُ اللللللللِمُ

المفردات

صعطمه اختار لرسالته، وهم الأنبياء عليهم السلام.

........رازا، مكانا يقر عليه الإنسان وغيره، بمعنى يستقرّ.

يعبب دلون، بميلون، يقال: عدل عنه، أي: مال عنه.

حـــاجـــزا، مانعا بين العذب والملح حتى لا يبغى أحدهما على الآخر.

المستمسط و الحاجة المجهود، أو الذي أصابه الضرّ.

يكشف السوء: يرفع عنه الظلم والضرّ.

خلفساء الأرشء الذين يرثون سكناها والتصرف فيها.

يه سديكم، يرشدكم بالنجوم وغيرها.

يُشم المراد: مبشرات جمع بشير، والمراد: مبشرات بقدوم المطر.

تمهيده

هذه الآيات تحكى دلائل القدرة الإلهية، وتسير على طريقة الاستفهام الذى يأخذ على النفس اقطارها، هلا تجد مناصدا من التسنيم، فهى تبدأ بمقدمة للخطبة تذكر الحمد لله على نمماته، والسلام على رسله واصفيائه، ثم تستفهم وتواجه الكافرين فتقول:

١ - من خلق السماوات والأرض وأنزل المطر المهيد النافع؟

٢ - من جعل الأرض قرارا مستقرة، وبارك فيها بالبحار والأنهار، ومنع البحرين من الالتقاء؟

٣ - من يجيب المضطر اللاجئ، ويكشف عنه السوء، وينظم حياة الناس على الأرض بالموت والحياة؟

 - من يهديكم في ظلام الليل والبحر، بالتجوم وغيرها من وسائل الهداية، ومن الذي يرسل الرياح مبشرات بنزول المطر؟

من خلق الكون والإنسان، ثم يميد خلق ذلك؟ ومن يرزقكم من السماء بالمطر والهواء والفضاء، ومن الأرض
 بالنبات والمادن والبترول وغير ذلك؟

ولا يملك أي إنسان أن يقول إن أحدًا غير الله يفعل ذلك، فإن ادعى فليأت بالدليل والبرهان، وأنى له بذلك؟

لقد سبق هذه الأدلة على وجود الله ذكر قصص موسى، وداود، وسليمان، وصائح، ولوما: وكلها تبين عظيم قدرة الله وجليل نعمائه، وتأخذ بيد الراغب في الهداية إلى الإيمان بالله تعالى، ثم ساق القرآن الكويم هذه الأدلة المتتابعة، ويداً كل دليل بهذا الاستفهام الإنكاري، وكانه يقول لأهل مكة: تدبُّروا في الكون حولكم، وتأملوا في أنفسكم، وسنجدون أدلة وجود الله ظاهرة أمامكم.

التفسين

٥٩ - قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عَبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ .

قل يا محمد أنت وكل من يتأتى منه القول: الْحَمْدُ لَكُّ، ظله الحمد حمدًا كثيرًا طبيًا طاهرًا مباركًا فيه كما يرضى ويحب، وسَلام عَلَىٰ عباده الَّذِين اصَعْفَى، أي: السلام على الأنبياء والرسل وكل من اصطفاهم الله من خلقه، كما قال تعالى: وسَلامٌ عَلَى المُّرِسُلِين ﴿ وَالْحَمْدُ لَكُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (السافات: ١٨٢٠١٨١)

آللَهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ.

أيهما خير، آلله الذي خلق ورزق وشرّ الأقوات وبيده الخلق والأمر، أم الأصنام التي يعبدونها ويشركونها بالله هي المبادة؟ إن الله أوجد الموجودات، وأمسك بنظام الكون، وبدأ الخلق ثم يعيده، وكان المقل أن يعبدوه وحدم لا شريك له، فهل هذه الأمنفام مصدر خير ومفقعة لهم حتى يتركوا عبادة الله، ويعبدوها من دور، الله تعالى. وكان النبي ﷺ إذا قام من الليل يقول: «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن هيهن، ولك الحمد، أنت ضياء السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، لا إله إلا أنت، وعدك حق. ولقاؤك حق، والجنة حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، (¹⁷⁾.

٦ - أَمَّنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَوْسُ وَالنَولَ لَكُمْ مَن السَّمَاءِ هَاءُ فَالنَّبَتَا به حَدَاتِقَ ذَات بهَجَة مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبُوا
 ٣ - أَمَّن خَلِق أَلْكُمْ وَلَهُ بِهُ مَمْ قُومُ يعدُلُونَ .

من الذى بدأ الخلق ورفع السماء ويسط الأرض، وجعل القضاء والهواء بين السماء والأرض، وأنزل المطر من السماء لمسلحة الإنسان، طانبت بالماء الحدائق والبسائين التي تبهج الإنسان وتسعده، وإن نظرة إلى ما حولنا، من ارتفاع السماء، واتساع الفضاء، والأرض المسوطة، والفضاء والهواء والماء، ونزول المطر وإنبات النبات وكل زهرة هيها لمسة الإبداع، التي تعجز ريشة الفنان عن إبداعها، فضلاً عن سريان الماء في أوراق الأشجار وأغصائها، وما كان للإنسان أن يسخر المطر أو يتبت النبات، أو يبدع جريان الماء في داخل الشجر.

أَإِلَهُ مُع اللَّهِ . . .

أى: أكل هذه النعم الجليلة، والخلق البديع، يخلقه خالق آخر مع الله؟ أو يمكن أن يبدعه صغم أو وثن أو جن أو ملائكة، حتى تميدوا الصنام وغيره، وتتركوا عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفرًا أحد.

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدُلُونَ .

انتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب إلى تبكيتهم بطريق الفيبة، أى: بأنَّ هُمْ قُومٌ يَعْدُلُوكَ، يتصرفون عن الحق وهو الترحيد إلى الباطل وهو عبادة الأصنام.

٦١ - أَمْن جَعَلَ الأَرْضَ قَوَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرِيْنِ حَاجِوًا أَلِّهُ مَّعَ اللَّهِ بَلَّ أَتَّذِهُمْ لا يَعْلَمُونَ . آتَذِهُمْ لا يَعْلَمُونَ .

من الذي جمل الأرض مستقرة ليتمكن الإنسان من الحياة عليها، والاستفادة بخيراتها، إن موقع الأرض ودوراتها حول نفسها ، ودورانها حول الشمص، وموقعها من القصر، وحركة الشمص التي ترميل أشعتها على المحيطات فيتصناعد البخر ويتشكل السحاب والرياح، والأمطار التي تصب بقدرة الله في مكان، وتُصرف عن مكان؛ كل هذا الإعمار والتقدير وانتكامل في الكون لابد أن يلفت انظاركم وعقولكم وتأملكم لتصالوا أنفسكم: من الذي بسط الأرض وجعلها قرارًا؟ من الذي سخر خلالها أنهارًا ليشرب منها الإنسان والحيوان والنبات ؟ من الذي خلق الجبال الرؤاسي بحكمة عالية، ونشرها على معلج الأرض لحفظ توازنها، واحتباس الأمطال في ربوس الجبال في الشعاء، ليستفيد منها الإنسان في الصيف، وللجبال منافع عدة، ففوق ربوسها هبطت الرسالات، وفيها ملجا للهارب، وأمطارها وسيلة للسقى والرئ لوديان لا تصعد إليها المياه، وغير ذلك من النافع.

وجعل بين البحرين حاجزاً...

أى: خلق المحيطات وفيها مياه مالحة لحياة المعمك والمعادن والكرّل والحيتان، وسفر البواخر والبوارج، وفر كانت مياهها عدّبة لأنتنت وتلوث الهواء، وجعل أنهار النيل ودجلة والضرات وغيرها من الأنهار للسقيا ونفع البلاد والعباد.

وهناك حاجز من قدرة الله بين العنب والملع، فلا يطفى احدهما على الآخر، بل بينهما تكامل نظمته يد القدرة الإلهية، قال تمالي: صَرح البُحْرِينُ يَلْعَلِنَا هِ يَنْتَهُما بُرْرَةٌ لاَ يَنْجَالَ. (الرحمن: ١٩، ٧٠)، أى: خلق البحرين العنب والملح، وجمل بينهما حاجزًا من القدرة الإلهية، فلا يطفى احدهما على الآخر.

أَزِلَهُ مُعَ اللَّهِ . . .

اى: أبعد كل هذه الأعمال الجليلة التى أبدعها الله وحده، تعتقدون أن ممه آلهة أخرى كالأصنام والأوثان؟ والاستفهام هنا إنكارى لمبادتهم غير الله.

بلُ أَكْثَرُهُمُ لا يُعْلَمُونَ .

أى: أكثر هؤلاء الكاهرين لا يعلمون ما يتحتم عليهم معرفته من العلم الحق، الذي يوجب عليهم إخلاص عبوديتهم لله سبحانه وتعالى.

٣٢ - أَمْن يُجيبُ المُضْطرُ إذا دعاهُ ويكشفُ السُّوءَ ويَجْعَلُكُمْ خَلَفاء الأرْضِ الله مَّعَ الله قايلاً مَا تذكَّرُون .

من الذى يعيب المضطر الذى احزبه أمر أو احزنه مكروه، أو اشتدت به الكرب، أو كشرت به الظام، أو اعتدى عليه ممتد، أو ظلمه ظالم، أو كشرت به الكرارث، واكفهرت فى وجهه الحياة، من يجيب هذا البائس المشقق المكروه، سوى الله الذى تكفل بإجابة دعوة المضطر سواء أكان مسلماً أم كافرًا، مؤمنًا أم مشركًا، حتى إذا المشقق المكروه، سوى الله الذى تكفل بإجابة دعوة المضطر سواء أكان مسلماً أم كافرًا، مؤمنًا أم مشركًا، حتى إذا عاد المشرك إلى شركه أمهله ولم يماجله بالمقوبة، قال تعالى: هُو الذي يُسيَّرُكُم في البَّرِ والبُحر حتى إذا كتبم في أنه أخي المؤرث أنهم أو يتعدل بهم دعواً الفُلك وجرين بهم بريح طيّة وقرحُوا بها جاءتها ربع عاصف وجاءهم ألموج من كُل مكان وظنوا ألهم أحيط بهم دعواً الله مُخلصين له الذين لن أنجها الله مناسبة على المناسبة على المناسبة المناسبة على الم

وقد هنج الله بابه للقاصدين وقال مبحانه: وإذا ماآلك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فلستجيّرا لي ولَيُوْمِوا بي لَعَلَم مِرْشُدُون ، (البترة: ١٨١)، وقال سبحانه: وقال ربكم ادعوبي استجب لكم ... (غاور ١٠٠)، والانتجاء إلى الله قطرة هي النفس خصوصا هي الشدائد والمحن، قال تعالى: وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ولآن بجانبه وإذا معيّة الشرُّ فَقُو دَعَاء غريض . (فسلت: ٥١). وذكر ابن كثير هي تفسيره؛ أن بعض المسالحين وقع هي محنة، وتعرض للقنل ظلما، فاستأذن هي مسلاة ركعتين، وقرأ الفاتحة وارتج عليه فلم يجد ما يقرؤه من القرآن، فقال له الظالم: عجّل بالمسلاة، فائهمه الله: أُشْ يُحِيبُ الْمُحْفُورُ إَذَا دَعَاهُ وَيَكْشَفُ السُّوءَ وَيَهْمَلُكُمْ خُفَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَّهُ مَعْ اللَّهُ قَلِيلاً مَا تَلْهُ وَلَيْ المسلاة حتى اقبل فارس بحرية توجه بها إلى فؤاد الظالم؛ فأصابته واردته فتيلا؛ فوقف الرجل المسالح، وقال للفارس؛ أسالك بالله، من أنت\$ فقال الفارس؛ أنا رمبول من يجيب المشطر إذا دعاه، وكان الظالم قد استولى على فرس الرجل المسالح وأمتنه؛ فأخذ الرجل الصالح وشه ومتاعه وعاد إلى أهله سليما مماهي.

ويكشف السُوءَ ...

أى: ويكشف الفقر أو المرض أو المحنة التى أحوجت الضطر إلى التضرع إلى الله تمالى، فإن الله يرفع عنه ما نزل به من فقر أو مرض أو خوف أو غيره.

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ...

ورثة من قبلكم من الأمم هي سكتي الأرض والديار، ومن حكمة الله أن خلق الموت والحياة، فإذا مات جيل حلّ مكانه جيل آخر، ولو استمر توالد الناس بدون موت كبيار السنّ، أو موت أصبحاب الحوادث والزلازل والبراكين وغير ذلك؛ لضافت الأرض بالناس، واشتد الصراع؛ لذلك ديّر الله الحياة قرنا بعد قرن، بالنوارث والخلافة، حتى يخلف اللاحق السابق، قال تمالى؛ وهُو أَلْذي جَمَّلُكُم خَلاِفَ الأَرْضَ وَرَفَعَ بِمُشَكِّمُ فُوقً بِمُعْمَ فَرَجُّاتَ... (التّمام: ١٥٥).

أَلِلُهُ مَعْ اللَّهِ قَلِيهِ مَّا تَذَكُرُونَ . ايقدر على كلَّ ما سبق إله غير الله المتفرد بهذه الأهنال، لكتكم تذكرون الله كثيرا هي الشدائد والمحن، ولا تذكرونه إلا قليلاً هي الرخاه والنعم، هما أهل تذكركم نعم الله عليكم.

٦٣ - أمَّن يهديكُم في ظُلَمات البَّرِ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسَلُ الرِّيَاحِ بُشُرًا بَيْنَ يَدَيُ رَحْمَتِه أَإِنَّهُ مُع اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عُمَّا يُشَرِّكُونَ .

من الذي يرشد الضال في الفازة الهلكة، بأن سخر لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرِّ والبحر، وبغيث المستنب إذا لحاً إليه ؟

ومن ماثور الدعاء ما ياتن: «اللهم إنن أسألك بحق أنن أشهد أنك أنت الله، الواحد الأحد الفرد الصعد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحده ⁽⁷⁾، هيا حي يا قيوم برحمتك أستفيث فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك» (¹⁾، هيا ذا الجملال والإكرام والمزة التي لا ترام، أسمالك بجملالك ونور وجمهك أن تنور بالقرآن وجهي، وأن تطلق به لساني، وأن تشرح به صدري، وأن ترزقني تلاوته على النحو الذي يرضيك عنى هإنه لا يعينني على الحق غيرك، ولا يهديني إليه إلا أنت، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصعبه وسلم، ⁽⁶⁾.

ثم تدعو بعد ذلك بما تشاء .

وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ يُشْراً بَيْنَ يَدَيُّ رَحْمَتِه . . .

من الذي ابدع تصميم هذا الكون، بحيث تسير الرياح قبيل نزول الطر، تبشّر به عبادًا قاحلين في امسً الحاجة إلى الطرة لا أحد غير الله يملك التصرف في هذا الكون.

أَإِلَهُ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

أهناك إله آخر يدَّعي أنه يفعل مثل هذه الأفعال؟ هل الأصنام العاجزة تستطيع أن تفعل شيئًا من ذلك.

تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

تنزه الإله عن أن يكون له شريك فى ملكه أو هي تصرفاته، وهو الإله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يك ولم يولد، ولم يكن له كغوًا احد.

٦٤ - أَمَّن يَبْدُأُ الْخُلْقَ لُمُ يُعِيدُهُ وَمَن يرْزُقُكُم مَن السَمَاء وَالأَرْضِ اللَّهَ شُع اللَّه قُلْ هَاتُوا بُرُهانكُمْ إِن كُنتُمْ صادقين.

من الذى خلق هذا الكون هرفع السماء ويسمط الأرض، وأرسى الجبال وسير الهواء، وأجرى الرياح وسعخر الشمس والقمر والنجوم، والبحار والأنهار، وأنبت النبات، لا أحد غير الله يقدر على خلق هذا الكون، وقد عجز الناس عن إثبات أن هذا الكون وجد بالصدفة، أو أن الكون خلق نفسه، أو أنّه يقبود نفسه بنفسه، هكل هذه دالله عن المناس عن إثبات أن هذا الكون وجد بالصدفة، أو أن الكون خلق نفسه، وكان كفار مكة يقرّرُون بأن الله دعاوى لا تثبت أمام الدليل والبرهان، أو استخدام المقل والفكر والمنطق السليم، وكان كفار مكة يقرّرُون بأن الله خالق لمن والجزاء، أو يترددون ويطنون ظناً غير مستهقن، هبين الحق أنه هو الذى يعيد خلق الكون، ويلكون المام وهو الذي يبدأ ألخلق ثُمْ يُعِيدُهُ وهُو أَهْرَنُ عَلِيْه ولَهُ الْهَمْلُ الأَعْلَىٰ في السُمُوات والأَرْض

هٔ الله تعالى خلق هذا الكون وابدع خلقه على غير مثال سابق، وهو يعيده كما شال تعالى: كُما بدأنا أوّل خلّق تُعِيدُ وَحَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ . (الانبياد: ١٠٠).

وَمَن يُرِزُّقُكُم مِنَ السَّماء وَالأَرْض . . .

ورزق السماء يتمثل في المطر والهواء، والجاذيية والمُغناطيسية، وتسخير الشمس والقمر والقرى التعددة، ومن رزق السماء إرسال الرسل وإنزال الوحى والهداية للناس، وامًّا رزق الأرض فيتمثّل في الزرع والنبات، والبترول والمدادن والفلزات، وكنوز البحر من طمام وزينة، ومنها القوى المجيبة من مغناطيسية وكهرياء، وقوى أخرى لا يعلمها بعدً إلا الله، ويكشف عن شيء منها لمبلده آتًا بعد آن.

أَإِلَهُ مَّعَ اللَّه قُلْ هَاتُوا بُرهانكُم إِن كُنتُم صَادقينَ.

أهناك إله مع الله يصنع هذا؟ إذا زعمتم ذلك فقدموا الدليل عليه إن كنتم صادقين في هذه الدعوى؟

وإنهم ليمجزون عن تقديم هذا البرهان، كما يعجز عنه من يحاوله حتى الآن، وهذه هي طريقة القرآن الكريم في إثبات العقيدة الإنهية، يستخدم مشاهد الكون بكل ما فيه، وأغوار النفس بكل خلجاتها، ويستدل بهذا ويستخدمه لتحريك الفطرة الغافلة وإيقاط الضمير: ويذلك ذرى أن لله كتابين:

كتاب مقروء، وهو القرآن الكريم.

– وكتاب مفتوح، وهو كتاب الكون الذى خلقه الله وحث الإنسان على التأمل فيه، وعلى ترديد البمعر إلى السماء والجبال والأوس والطيور وسائر السماء والجبال والأوس والطيور وسائر المسائر والجبال والأوسان والطيور وسائر المناطقة إلى قدرة الصائع سبحانه وتمالى.

قال تمالى: إنَّ فِي خُلْقِ السَّمُواتَ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتَ لأُولِّي الأَلْبَ فَ النَّبِينَ بَذَكُرُونَ اللَّهَ فَيَامَا وَقُمُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خُلْقِ السَّمَوَاتَ وَالأَرْضِ رَبِّنَا مَا خَلَفْتَ هَذَا بَاطِلاً سَبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ. (ال عمران: ١١٠ ١١٥).

ويقول عز شائه: وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهَا آخر لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ قِلْمَا حِسَابُهُ مِّ - رِبَّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ . (القومنون: ١١٧)

﴿ قُل لَا يَعْلَمُهُمْ فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْعَبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَايَشْعُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُون ﴿ بَلِ الْدَرْكَ عِلْمُهُمْ فِي اللَّهِ عِنْهَا أَمْلُ هُم مِينَهَا عَمُونَ ﴿ ﴾ اذَرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةُ بِنَا أَبْلَ هُم مِينَهَا عَمُونَ ﴿ ﴾

المفردات

النف كل ما غاب عنك، وجمعه: غيوب،

وما يشهرون، وما يعلمون به، ولا يفطنون له.

أيــــان، متي.

يُب من القبور للحساب والجزاء.

ادارك ، نتابع علمهم بها عن طريق الأدلة، وقيل: معناه: اضمحل علمهم بالآخرة، من التدارك، وهو التتابع في الفناء والاضمحال.

فعلم الأخرة نفسها.

عُسب مون الا يدركون دلائلها مع وضوحها، كأنهم فقدوا أبصارهم، واحدهم: عُم، وهو أعمى القلب والبصيرة،

تمهيده

بعد أن قدم الأدلة على الألومية والوحدانية، أتبع ذلك بتقرده بعلم النيب والمساعة، وبأن الكفار في شك من القيامة، وقد عميت بصيرتهم عن رؤية الأدلة على مجيئها .

التفسير

- ٦٥ - قُل لا يَعْلَمُ مَن في السَّمُوات وَالأرض الْفَيْبَ إِلاَ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ آيَان يُعِيُّون.

قيل: إن هذه الآية تزلت لما سأل الكفار الرسول ﷺ عن وقت الساعة.

قُل لا يعلُّمُ مَن في السُّمُواتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ...

اختص الله تمالى بعلم الغيب لحكمة إلهية عليا، ولا يعلم الغيب من هى السماوات من الملائكة الكرام، وكذلك من هى الأرض من الرسل، ومن الجن، ومن الخلق أجمعين.

روى الشيخان، والترمذي، وإحمد، والنسائي، وجماعة من المحدّدين، من حديث مسروق، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: من زعم إن محمدًا يعلم ما هي غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تمالي يقول: قُل لاَّ يَعْلُمُ مُن في السُّورَات وَالأَرْضِ الْغَيْبِ إِلاَّ اللَّهُ . . (٢) .

وقد يطلح الله بعض خلقه على الغيب ويظهرهم عليه، قال تعالى: عَالَمُ الْغَيْبِ فَلاَ يَظْهُرُ عَلَيْ غَيْبُرُ أَحَدًا ﴿ إِلاّ مُو اِدْتَعَىٰ مِن وَسُولِدِ... (البين: ٢٧، ٢٧).

. والنتبة بالمطر أو درجات الحرارة أو أشباه ذلك ليس من الفهيه، بل هو علم ودراسة لأسهاب وأمارات، • دكما يحصل من علماء الفلك من الراصدين لحركات الرياح والشمص والقمر والكواكب، حين يخبرون بهبوب
• الرياح شديدة أو معدلة، ويكسوف الشمس، وخسوف القمرة (٧).

فهذه دراسة وعلم له أسباب تؤدى دراستها إلى المعرفة أو غلبة الظن، وقد تقع هذه الأمور غالبا وقد تتخلف.

أما العراف الذي يتحدث عن المستقبل، إدعاءً بأنه على علم بالغيب، كقوله لن يستخبره عن مستقبله: ستكسب مبلغ كذا، أو ستتزوج فلانة، أو تفقد كذا في سفرك أو نحو ذلك، فهو كافر - كما قال القرطبي -والمؤمنون منهيون عن إتيان العرافين، فقد جاء في صحيح مسلم: «من أتى عراها فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» (4). إن الله تعالى استخلف الإنسان فى هذه الأرض: ليبحث ويعمل ويتنافس ويكشف المخبوء، ويحاول الوصول إلى معرفة أسرار هذا الكون، وعن طريق ذلك يخترع ويبتكر ويبجوّد عمله، ويفيد نفسه والآخرين، وقد اخفى الله علم الفيب عن الإنسان، وعن ممكان السماوات وسكان الأرض؛ فقد اختص الله نفسه بعلم الفيب، ومعرفة الاسمامة وهى القيامة، ونزول المطر، ونوع الجنين ومستقبل أمره وسعادته أو شقاوته، ومعرفة الأرض التي يعوت فيها الإنسان، قال تعالى: إنَّ اللَّهُ عَنْدُهُ عَلَمُ السَّاعَةُ وَيَتِزَلُ الفَيْتُ وِيعَلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَعْدِي نَصَّ مُاذَا تَكُسبُ غَنْهَا وَمَا تَدْرِي نَضَى لَايَ أَرْضَ تَعْوِتُ إِنَّ اللَّهُ عَلِيمُ خَبِيرٌ . (فضان: ٢٤).

وامتدادًا لاختصاص الله تعالى نفسه بعلم الفيب قال سبحانه:

وما يشعرون أيَّان بيعتون.

أى: مؤلاء الكفار لا يدرون متى يكون البحث، والحشر والجزاء، فللا داعى لأن يكثروا من السؤال عن الساعة، ولا داعى لأن يسألوا نبيهم من حين لآخر عن وقت نزول المذاب؛ فكل ذلك مما استأثر الله تمالى يمعرفته، قال تمالى: ﴿ يَقُولُونَ مَنْيَ هَلَا الْوَعَدُ إِنْ كُتَبُمْ صَافَقِينَ ﴿ رِينِسَ: ٤٤).

٦٦ .. بَلِ ادَّارِكُ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَة بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مَنْهَا بَلْ هُمْ مَنْهَا عَمُون .

بل ادارك علمهم في الآخرة...

تحتمل هذه الفقرة معنيين:

الأوّل: مَنْتُف علمهم بالآخرة وذيل، فاصبح باهتا ضعيفا لا أثر له في تحمين العمل والسعى الجميل في الدنيا، من قولهم: (تدارك بنو فلان) إذا تتابعوا في الهلاك.

قال صاحب القاموس: بَل ادَّارك علَّمهُمْ فِي الآخِرة، جهلوا علمها، ولا علم لهم بشيء من أمرها.

وقال ابن عباس: بل ادَّارَكَ علْمُهُمْ في الآخرة. أي: غاب،

وقال قتادة؛ بل ادَّاركَ علمهم في الآخرة. يننى: بجهلهم بريهم، يقول: لم ينفذ لهم علم في الآخرة.

المعنى الثنائي: أن التدارك هنا بمعنى التكامل واليقين، أي: تكامل علمهم بشئون الآخرة، حين يعاينون ما أُعدُّ لهم فيها من المداب. قال تدالى: ورَأَى المُجرُّ مؤنُ النَّرُ فَظُورًا أَنَّهِم مُواتِّهُوهَا وَلَمْ يُجدُّوا عَنْهَا مَصْرِفًا . (الكهند: ٥٠).

لقد تيتنوا بحقيقة الآخرة، وتكامل علمهم بها حين شاهدوها وراوها رأى المين، قال تعالى: أُسمَّع بِهِمْ وأَبْصر يوم بَالُّونَا لَكُن الطَّالُمُونَ الْيُومُ في صَلَال مُّين، (مريه، ٨٦).

بِلْ هُمْ فِي شَكِّ مَنْهَا بَلْ هُم مَنْهَا عُمُونَ .

وبل هذا للإضراب: أي: إنهم هي الدنيا على علم باهت، يقولون: إن نظن إلا ظنًا وما نحن بمستيقنين، فهم في الدنيا في شك من مجيء الآخرة والحساب والجزاء.

بَلْ هُم مُنْهَا عُمُونَ .

أى: عميت بصائرهم وإبصارهم عن توضيح حقائقها ووصف أحوالها، وقد حفل القرآن بذلك، وعُنى رسول الله ﷺ بتوضيح أمر البعث والجزاء، لكن يصيرتهم عمياء لا تهتدى إلى هذه الحقائق.

* * *

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَءِذَاكُنَا تُرْبَا وَمَا بَاقُوْاَ أَيِنَا لَمُخْرَجُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْ نَا هَذَا غَنُّ وَمَا بَاقُوْنَا مِن مَبْلُ إِنْ هَنْنَا إِلَّا أَسْطِيرُ الأَّوَلِينَ ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا ڪَيْفَ كَانَ عَلِمَهُ ٱلمُجْوِمِينَ ۞ وَلَا تَضَرَّفُ مَلَيْهِمُ وَلَا تَكُن فِي ضَيْتِومِ مَّالِيمَ كُرُونَ ۞ ﴾

المفردات

ألنا الخسرجسون؛ إنكار لإخراجهم من قبورهم أحياء.

أساطيس الأوثين؛ أباطيل الذين سبقوهم، جمع إسطار بكسر الهمزة، وأسطورة بضمُّها،

مسسيق، ضيق صدر،

ممسا بهسكسرون من مكرهم، أي: طبأن الله يعصمك من الناس، وهذا تسلية تلنبي ﷺ، أي: لا تهتم بمكرهم وتأمرهم عليك، فإنا ناصروك عليهم.

التفسيره

٦٧ - وَقَالَ اللَّذِينَ كَفَرُوا أَتَذَا كُنَّا تُرابًا وآبَاؤُنَّا أَتُنَّا لَمُخْرَجُونَ .

تردد إنكار الكاهرين للبعث والقيامة والحساب والجزاء، وادعوا أن الحياة الدنيا هي الحياة الأخيرة، وقالوا: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدَّهر، ولما أنكروا البعث والجزاء أخذوا هي التدليل على دعواهم فقالوا: أَنْذَا كُنَّا رُبَانًا وَابَازُنَا أَنْنا لُمُخْرِجُونَ . أي: إذا منتا، وتحولت أجسامنا إلى تراب ورماذ بالل بعيد عن الحياة، كما لقى مثل ذلك آباؤنا السابقون؛ أنبعث ونخرج من فهورنا بعد ذلك؟ وهذا الاستفهام للاستبعاد وإنكار البعث واستبعاده. ٨٠ - لَقُدُ وُعدُنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَولِينِ .

استثناف مسوق لتقرير الإنكار، وصدرٌ بالقسم، أى: والله لقد وعدنا بهذا البعث، كما وعد به آباؤنا واجدادنا من قبل أن ياتي به محمد، ولكنا لم نجد له اثرًا ولا واقما، فلم نسمع أن رجلاً بُحث من بعد أن مات.

إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ.

أي: ما هذا البعث إلا أباطيل الأولين، وأكانيبهم، وما سطروه من الخرافات في كتبهم من غير أن يكون لهم بينة على إمكان تحققه ووجوده.

أو سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عَاقبة المُجرمين .

أى: قل لهم يا محمد: سيروا هن أرض الحجاز والشام واليمن ومصر وغيرها، وانظروا مصير من سيقكم من المكذبين، مثل: عاد، وشعود، وقوم فرعون، وأمثالهم من الطفاة المتاة المجرمين، الذين كذبوا رساهم، واغتروا بعا هم فيه من تقدم ومتاع وزينة، ومصانع ومساكن، وكانت عاقيتهم الهلاك المروع بالصبيحة أو المساعقة، أو الذرق أو النهاية المؤلة، التى تركتهم أثرا بعد عين، ونجًى الله المرساين، وأهلك المجرمين، الذين كذبوا الرسل ولم يصدقوهم.

٧٠ ــ ولا تُحْزَنُ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَا يَمَكُرُون .

كان النبى ﷺ حريصا على مداية قومه، حزينا لاستمرارهم في الكفر والتكذيب، وكان القرآن يواسيه ويشد أزره، ويقول له هنا: لا تكثر أسفك وحزنك على إعراضهم، ولا تكن ضيق الصدر حزينًا من مكرهم وتدبير السوء للدعوة الإسلامية، والمراد: طب نفسًا يا محمد فقد تكفلنا بإملاك عدوك، ونصرك عليهم، كما قال تعالى أن الله من يقد الله على المراطأ سُنتُهما و ويَسْرِك الله نَصْلًا عَلَيْكُ وَبِهُدياتُ مراطًا شُنتُهما و ويَسْرِك اللهُ نَصْرًا عَزِينًا، (الفتيه ١ - ٣) .

﴿ وَيَقُولُونَ مَنَى هَلَذَا ٱلْوَعْدُإِن كُنتُمْ صَلِدِقِينَ ۞ قُلْ عَسَىٰۤ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ ٱلَّذِى تَشْتَعْجِلُونَ ۞ وَإِنَّ رَبِّكَ لَلُوفَضْلِ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَكِكَنَ أَحْثُرُهُمْ لَايشُكُرُونَ ۞ وَإِنَّ رَبِّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ وَمَامِنْ غَآيِةٍ فِي ٱلسَّمَآءِوَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِنَابٍ تَمْمِينٍ ۞ ﴾

المضردات:

ردف المسكسم، تبعكم واحقكم.

بعض ُالذى تستعجلون، القتل يوم بدر، وباقى المذاب بأتيهم بعد الموت.

مساقكن صسدورهم، ما تخفيه من الأسرار.

أخ النام على النام الخفاء على النام.

إلا في كـــــاب مــبين، اللوح المحفوظ، فكل شيء يعلمه الله قديمًا، ومنه تعذيب الكفار،

التفسب

٧١ - وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادقينَ .

كان القرآن الكريم يهددهم بأن يصيبهم عذاب كما أصاب من سبقهم من الأمم، مثل: عاد هوه مود، وقدود قوم صالح، وما أصاب سبا من الهلاك والبوار، وما أصاب هوم نوح من الطوهان، وما أصاب هرعون وهومه من الغرق، وهم عصاة مكذبون هليحذروا أن يصيبهم المذاب الذي أصاب المكذبين، قال تعالى: وَكُمْ أَهْلَكُنْ مَنْ الْقُرُونَ مَنْ يَعْدَ نُوحٍ وَكُمْلَ بِرِبْكَ بَدُنُوبٍ عباده خَيِراً بَصِيراً، (الإسراء، ١٧)

وقال عز شانه: وَقَارُونَ وَفِرْعُونَ وَهَامَانَ وَلَقَدَ جَاعَهُم مُوسَىٰ بِالْبَيّنَاتَ فَاسْتَكَبُرُوا فِي الأرض وَمَا كَانُوا مابقينَ ه فَكُاذًّ أَخْذَنَا بِلَذِيهِ فَمِنْهُم مُن أُرسَّنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ومِنْهُم مَنْ أَخْذَتُهُ الصَّيْحةُ وَمِنْهُم مَنْ خَسَفْنَا به الأرض ومنهُم مَنْ أَغْرُقنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظَلِمُهُمْ لِكَانِ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلُمُونَ . (السكيرت: ٢٩. ١٤).

ومعنى الآية:

ويقول كفار مكة: متى هذا الوعد الذي تخوفوننا به؟ إن كان ما تقولونه صحيحا فهيا عجلوا لنا هذا المذاب. قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية والاستهانة. ٧٧ - قُلْ عسى أن يكونَ ردف لَكُم بعض الذي تستعملون .

أى: عسى أن يكون عُجِّل لكم وفُرِّب لكم جانب من الدناب الذى تستمجلون وقوعه، فقد أصابهم القحط في مكة، والقتل في غزوة بدر، وسيصيبهم المذاب يوم القيامة.

والخلاصة:

عسى أن يكون العذاب قريبا منكم، قرب راكب الدابة من الرديف الذي اردغه خلفه، قال تعالى: وبتُولُونَ مَعْ هُو قُلُ عَسَىٰ أن يُكُونَ قُرِياً. (الإسراء، ٥١).

وقال تعالى: يُستَعْجُلُونكَ بالعداب وإنَّ جهنم لمحيطةُ بالكَافرين . (المنكون. ١٥٤.

والقرآن بذلك يثير الخوف في قلويهم، والقلق من شبح المذاب، فقد يكون وراءهم رديقًا لهم، كما يكون الرديف وراء الراكب فوق الدابة.

قال صاحب المساح المنير:

والرديف: الذي تحمله خلفك على ظهر الداية ... ومنه: ردف المراة وهو عجزها، والجمع أردّاف، وترادف القوم إذا تتابعوا، وكل شيء تبع شيئًا ردهه.

والمقصوده

لا تتعجلوا نزول العذاب بكم، فقد يكون بعض هذا العذاب قد عجل لكم في الدنيا، ويعضع في طريقه إليكم وأنتم لا تشمرون بذلك لشدة غفلتكم، وحتى إذا أظلَّم من عذاب الدنيا، فإن عذاب الآخرة ينتظركم، وكل آت قريب.

٧٧ - وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو فَضْلِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لا يشْكُرُونَ .

إن الله تمانى متفضل على الناس هى خلقهم ومنحهم العقل والإرادة والاختيار، والتفضل عليهم بالرزق المادى والمنوى، قال تمالى: وإنّ تَشُورُا نَمُمَّتُ اللهُ لاَ تُعُمِّرُهاً ... (إيراميم: ٢٤.

لكن أكثر الناس لا يشكرون أنعم الله عليه، ولا يولونها ما تستحقه من شكر الله وطاعته.

قال تدالن. الله الذي خلق السُّمُوات والأوْض وانزلُ من السَّمَاء مَاءً فاخْرَج بِهِ من الشَّمَاتِ رِزَقًا لَكُمُ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْمُلْكَ لِيَجْرِي فِي البَّمْو بِالْمَرِهِ وَسَخْرِ لَكُمُ الأَنْهَارَ ﴿ وَسَخْرَ لَكُمُ الشَّمْسَ والْقَمَارَ الْمِينِ وَسَخْرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿ وَانْلَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ نَمُدُوا نِمُعَتَ الله لا تُحْصُوها إِنَّ الإنسانَ لَظَلُومَ كُفَارٌ . (إبراهيم: ٣٠ ـ ٢٤). وهناك القليل الذي يشكر ولا يكفر، قال تعالى: وَقَلِلٌ مِنْ عبادِيَ الشَّكُورُ . (سبا: ١٣). وقال سبحانه: إلاَّ أَلْذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالَحَاتَ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ... (ص: ١٣٤).

٧٤ - وَإِنَّ رَبُّكَ لَيُعَلَّمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعَلِّنُونَ .

إن اثله تمالى مطلع على المسراثر والضمائر، وهو رقيب على كل نقص بما كسبت، وأحرى بهم أن يلزمهم الحياء والخوف من مشاهدة الله تعالى ومعرفته بما يُسرون وما يطنون.

قال تعالى: فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرُّ وَأَخْفَى. (طه: ٧).

وقال تعالى: سَوَاءٌ مِنكُم مِّنْ أَسَرُ الْقَوْلُ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُو مُسْتَخْف بِاللِّيلُ وَساربٌ بالنّهار . (الرعد: ١٠).

٧٥ – وَمَا مِنْ غَالِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ .

إن علم الله مطلق شامل لكل ما هي السماوات من أسرار وأهلاك، وقوى وأملاك، وخفايا وخبايا، وعلم الله علم الله وسطر هي كتب النيب والقدر، هال تعالى: مَا أَصَابَ مِن مُصِيدَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي انفُسكُمْ الأَ فِي كتاب مِن قُل الله وسطر هي كتب النيب والقدر، ها لكيلا تأسوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَقْرَحُوا بِمَا آثَاكُمْ وَاللّه لا يُحبُ كُم مُخْتَالٍ فَعُورٍ.

أَنْ نَبْراَهَا إِنْ فُلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرُ هِ لِكَيلا تأسوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَقْرَحُوا بِمَا آثَاكُمْ وَاللّه لا يُحبُ كُلُ مُخْتَالٍ فَعُورٍ.

(العديد: ٢٧ ، ٢٣)

وقال تعالى:

وَعِندُهُ هَمَاتِحُ الْغَيْمِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي النَّبِرُ وَالْبَحْرُ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةَ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبِ وَلا يَلِسِ إِلاَّ فِي كِتَابِ شَبِينٍ. (الانمام: ٥٩).

وقال تمالى: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّه يسبر " . (المج: ٧٠)

والمقصود: إن علم الله شامل لكل ما هى الكون فهو سبحانه عالم النهب والشهادة، أى: ما غاب عن العباد وما شاهدوه، وهو مطلع على ما فى ضمائرهم، ومحيط بكل تحركاتهم الشبوهة، وانشطتهم المربية، فيستحيل وقوع ما يريدونه من إيذاء النبي ﷺ، أو النيل من رسالته، أو تحقيق انظفر على المسلمين. ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرُوانَ يَقُصُّ عَلَى بَيِهِ إِسْرَةٍ مِلَ أَحَثَرُ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَغَتَلِفُونَ ﴿ وَإِنْهُ وَ لَمُؤَمُ الْمُعَوْدَةُ وَهُواَلْعَرَبِرُ الْفَلِيمُ ﴿ وَالْمُو لَلْمُ الْمُؤَمِنِينَ ﴿ إِنَّ مَنْكَ مِيمُكُمِهِ وَمُحَوِلَهُ وَهُواَلْعَرَبِرُ الْفَلِيمُ ﴿ وَاللَّهُ مَا اللَّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمُ

المفردات،

بني إســرائيل؛ المراد بهم اليهود والنصاري، وإسرائيل: يعقوب عليه السلام.

على الحق المبين: الواضح البيّن، أو الفاصل بين الحق والباطل،

ولا تسسمع العنم؛ لا تسمع من ذهب سمحه لسبب من الأسباب؛ وفعله من باب علم، فللذكر أصمّ، وللأنثى صماه، والجمع صمّمٌ، مثل أحمر وحمراء وحَمّر، ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أصمّهُ الله .

ض الله عن الطريق فلم يهدد.

التفسيره

٧٦ - إِنَّ هَذَا الْقُرَّانَ يَقُصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيه يَخْتَلِفُونَ .

ذكر تمالى أدلة واضعة على الأنوهية، وهنا يذكر أدلة على إعجاز القرآن، وصدق نبوة محمد ﷺ؛ فهذا النبى الأمن آنزل عليه وحى مهيمن على الكتب السابقة، فهو يقص على اليهود والنصارى القول الفصل فى أمور كثيرة يختلفون بشانها.

فقد اتهم الهود مريم، وقالوا عنها بهتائًا عظيماً، واختلف النصاري بشان المبيح، منهم من قال: إنه ابن الله، ومنهم من قال: إنه آحد الأقانيم الثلاثة الأب والاين وروح القدس.

وتعددت المجامع المسيحية، واختلفت الكليسة الغربية عن الكنسية الشرقية فيما يتعلق بطبيعة المسيح، وكنان المذهب الملكاني، مدهب روصا، ومدهب الحكام هي مصدر يرى أن الابن مـــّـصـل بالأب قـبـل كلّ الأزمــــة والدهور: وهو جوهره ونوره اتحد بالإنسان المأخوذ من مريع.

والمذهب اليمقويى مذهب الشعب القبطى في مصر يرى أن اللاهوت حلّ في الناسوت، أي: أن الله حل في الإنسان، فللسيح مكون من جانب إلهي وجانب إنساني. وكان المذهب اليمقويي أهرب إلى روح الإسلام من المذهب الماكاني. وكان رعماء اليعاقية زعماء شعبيين، هم رجال دين وهم قادة لصر فى وجه روما، فلما جاء الإسلام إلى مصر ساعد الاقباط القاتحين، وقدموا للجيش الإسلامي العلوفة والمؤونة عند قدومهم، كما أن المسلمين الفاتحين أحسنوا معاملة الاقباط، وخصَّموهم من ظلم الرومان، وقد وردت أحاديث متعددة تحث على إكرام أهل مصد لأنهم أهل كتاب، ولأن هاجر أم إسماعيل جدّ النبي ﷺ منهم، وكذلك مارية القبطية أم إبراهيم أبن النبي

روى مسلم فى صحيحه، أن رسول الله ﷺ قال: «ستقتح عليكم بعدى مصر، وهى بلد يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحماء (١٠)، فالأقباط أهل كتاب، ولهم قرابة بالأنبياء.

إِنَّ هَذَا الْقُرَّانَ يَقُصُ عَلَىٰ بَنِي إِمْرِ البِّلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمَّ فِيه يَخْتَلْفُونَ

لقد اختلف اليهود والنصارى بشأن الخنزير، هاليهود تحرمه والنصارى تبيع آكله، وقد بين القرآن آنه حرام، كذلك موت عيسى، منهم من قال: إنه قتل، ومنهم من قال: دفن ثلاثة أيام ثم رفع إلى السماء.

وقد ذكر القرآن القول الفصل عن المميح؛ فهو عبد الله ووسوله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه، وقد نطق المميح بانه عبد الله، فكان آول كلام له: قال إنّي عبد الله آثاني الكتّاب وجَفَّتي نَبِّ . (مريم، ٢٠).

وقال سيحاله: ومَّا قَتْلُوهُ ومَّا صَلْيُوهُ وَلَكن شَبَّهُ لَهُمَّ . . . (التساء: ١٥٧).

والخلاصة:

أن هذا الكتاب الذي أنزله الله على رسوله، أخير أخيارًا صادقة، وكان حكما عادلاً بين المختلفين من أهل الكتاب، وصوّب كغيرا من الأخطاء، فقد اتهم الهود الانبياء بالزناء مثل نبي الله لوطه الذي اتهموه مع ابنتيه أنه والكتاب منهما، وأنجب منهما، وانهموا حواء بأنها المسئولة من الأكل من الشجرة؛ فصوب القرآن أفكارهم الخاطئة، وحكى قصة آدم وبين أن المسئولية مشتركة بين آدم وحوّاء، وتحدث القرآن عن كثير من الأنبياء والرسل، وصوب ما ورد في التوارة والإنجيا، وكان القرآن هو القيصل وهو القول الحق؛ فصوب تشريعات القصاص التي خُرفت في التوارة، قال تمالى؛ وكتباً عَلَيْهم فيها أنَّ النُّمْسَ بالنُّسِ وألْمِيْن بالْمَيْنِ وَالأَفْف بالأَنْف والأَذْنُ وَالسَّنُ بالسِّنُ والمَّف بالأَنف والأَذْنُ والسَّنُ بالسِّنُ والمَّف ما من الله عامل.

وقد ذكرت اثتوراة عن آدم وحواء ما يأتى:

(بينما الربّ يتمشى فى الجنة نادى: يا آدم، فقال آدم: يا رب إنى عريان، فقال الله: ما اعلمك أنك عريان، لابدّ آنك أكلت من الشجرة، ما حملك على ذلك؟ قال آدم: وسومت لى حوّاء، قال الله: يا حوّاء ما حملك على ذلك؟ قالت: وسوس لى الشيطان، قال الله: يا شيطان، كيف دخلت إلى الجنة؟ قال الشيطان: دخلتُ في جوف الحية، فقال الله للحية: أما إذ فعلت هذا فعمياء تعيشين، وعلى بطنك تزحفين وترادا ، اكلين، وأجعل عداوة بينك وبين بنى آدم فهو يرصد عقبك وأنت ترصدين عقبه، وقال الله: يا حوّاء اما إذ فعلت هذا، فإنى اكثر عليك مشقات الحمل والولادة، وأجعل الرجل سيداً عليك إلى يوم القيامة، وقال الله: يا آدم أما إذ فعلت هذا فإنك لا تأكل رزقك إلا بعرق جبينك، وكدّ يمينك) 1 . هـ.

وذلاحظ على هذا النص اللقول عن التوراة قوله: بينما الربّ يتمشى في الجنة. والله في الإسلام علة العلل لا يحده مكان، ولا يحويه زمان، فهو أول بلا ابتداء، وآخر بلا انتهاء، وليس جمعا ولا حالا في جمعم، وليس جوهرًا ولا عرضا، ولا كما ولا كيفا، قال تعالى: نَيْس كَعِنْكُ شِيّةً وهُو السُّبِحُ أَلْهِسِرُ. (الشروي: ١١).

هَالمُسَى وسائر وسائر وسائر وسائر معن الطول والعرض، والكم والكيف، والنفى وسائر صفات الحوادث وكان من دماء النبئ ﷺ قوله: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، (١٠).

قائله في الإسلام هو القوة العظمى التي أوجدت هذا الكون، وجعلته متكاسلا، وهو يعسك بزمام هذا الكون، وجعلته متكاسلا، وهو يعسك بزمام هذا الكون، وهو الخائق للكون وللإنسان، وللسماء والأومن، وللشعس والقمر، والبعار، والليل والنهار، وقد كان الله ولا شيء ممه، والله ليس جسمًا ولا حالا في جسم، وليس له طول ولا عرض، ولا يحويه مكان، لأن ذلك من صفات الحوادث، والله قديم أبدى أزلى، يُخلق ولا يُخلق؛ ويجير ولا يجاز عليه، وليس له مثيل أو نظير أو مكافئ، أو مساو أو معادل له، قال تعالى:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ اللَّهُ الصَّمدُ ﴿ لَمْ يُعِلَدُ وَلَمْ يُولُدُ ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواْ أَحَدٌ . (الإخلاص: ١-٤). وكفوًا أصلها: كشؤا، أي: مكاشى ومماثل، فمحذلت الهمزة فصارت كُلُواً.

كما أن القرآن الكريم انصف حوّاء، وبين أن المسئولية مشتركة بين آدم وحواء، وأشار إلى أن المرأة تابعة للرحل هي منكه، قال تعالى: ويا آمُمُ أسكُنُ أَنتُ وَزَرُحُكُ الْجَمَّةُ . . . (الأعراف: ١٩).

وقال سبحانه:

قُونَسُوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيَلِيْنِ لَهُمَا مَا وَوَرِيَ عَنَهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهِكُما وَكُمَّا عَنْ هَذَه الشَّجَرَة إلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكِيْنِ أَوْ تَكُونَا مِن الْخَالِدِينَ » وقاسمَهُما إنِّي لكُما لَمِن الناصِحِينَ » فَدَلاَهُمَا بَغُرُورِ فَلَمَا ذَاقَا الشَّجَرَة وَأَقَل الشَّجَرَة وَأَقَل لَكُمَا اللَّهِ الْفَهِلَاهُمَا يَفُهُما أَلُّهِ الْهَكُمَا عَنْ تَلَكُمَا الشَّجِرَة وَأَقُل لَكُما إِنَّ الشَّيْطَانَ سُوّءَاتُهُما عَدُو تُعِينَّ * قَالاً بِيَا فَلَمَنا أَفْسَنَا وَإِنْ لَمُ تَفْهِرُ لَنَا وَارْحَمَّا لَنُكُونَرُ مِنْ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بِمُصْكُمْ لِبَعْضَ عَدُو وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقِرٌ وَمَنَاعٍ إِلَيْ حِينِ * قَالَ فَهِمَا تَحْوِلُ وَفِيهَا تَمُولُونَ وَمَنَا لَتَخْرَامِونَ . (الامراهـ ٢٠ – ٢٠). ومن هذه الآيات ترى أن الإمبالام أتصف المراة، حيث تفيد الثوراة أنها سبب خطيشة أدم، بيثما يفيد القرآن أنهما (آدم وحواء) يتحملان مسئولية الخطأ، وقد اعترفا بذلك ونابا إلى الله تعالى.

وصوب القرآن فكرة أن المسيح صلب لتغليص البشرية من خطيئة آدم، حيث ذكر القرآن أن باب التوبة مفتوح لجميع الناس، ولا تتحمل نفس وزر نفس أخرى، وأن الميد فريب من ربه، فالله تمالى يقول: وإذا سألك عبادي عنى فَإِنِّي قُويبٌ أُجِبُ دُمُوةُ اللَّاعِ إِذَا دَعَانَهُ فَلْسِنَّجِيرًا لِي وَلْيُؤْمِوْا بِي لَعْلَمْ يَرْشُدُونَ. (البقرة ١٦٠).

٧٧ – وَإِنَّهُ لَهُدُى وَرَحْمَةٌ لَلْمُؤْمِنِينَ .

وإن هذا القرآن هدايةً لقلوب المباد، حيث اشتمل على المقائد واخبار الرَّسل، ووصَمَنَ قدرة الله هي خلق الكون وما هيه، وتحدَّث عن رحمة الله الواسعة، طالقرآن وسيلة من وسائل رحمة الله للمباد، وهيه وسائل شِفَاء القلوب من الأمراض الظاهرة والباطنة، قال تمالي: وتُتَرِّلُ مَن القُراتُ مَا هُو شَفَاءٌ وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِينَ

٧٨ - إِنَّ رَبُّكَ يَفْضِي بَيَّنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلَيمُ .

أى: إن ربك يقـضى يوم القـيامة بين اليهود والنصـارى، والمُشـركين والمُومنين، وجمـيع الخـلائق، هينصف المُومنين، ويعاقب الكاهرين المِمالين، وقيل: يقضى بينهم في الدنيا بإظهار ما حرَّفوء، وبيان الحق فيما اختلفوا هيه.

وقيل: المراد بالآية: المشركون من أهل مكة التكنبون للرسول محمد ﷺ أى: لا تحزن عليهم، فليس عليك إلا البلاغ، واليوم عمل ولا حمداب، وغدا هي الآخرة سيحاكمهم الله تعالى، ويجازيهم على كفرهم وشركهم، وهو: العربيّرُ الغالب المقتدر، العُليمُ، يكل شيء من الأشياء هلا تخفى عليه خاهية؛ فهو مطلع على ما تكتّه الصدور، ومحاسب على الفتيل والقطمير.

٧٩ - فَتُوكُّلُ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ .

اعتمد على الله سيحانه وتعالى، فأنت على الحق الواضع المبين الظاهر، وقد جعل الله انتضار الحق سنة كونية: ظائؤمن بالله في سلام نفسي، لأنه متلسق مع الكون، مؤمن بوجود الله، مطيع لأمره، وقد وعد الله أن ينصر رسله والمؤمنين: قال تمالى: إنَّا لَتَنصُّرُ رُمِّلنَ وَالْلَيْنِ آَمُوا فِي الْحَيَّاةِ اللَّذِيْلَ وَيَق

٨٠ - إِنْكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُواْ مُدْبِرِينَ .

الرسول ﷺ مبشر ونذير، وداع إلى الله تعالى، وهؤلاء الكفار أعرضوا عن هداية القرآن، وأغلقوا قلوبهم وآذائهم وعقولهم، وأصروا على الكفر والعناد، فصاروا أمام الدعوة كللوتى الذين فقدوا الحسُّ والشمور، أو الصمّ الذين فقدوا حاسة السمع، وحتى إذا سمعوا أدبروا وأعرضوا ولم يصيخوا السمع، فللقبل أو المريض بالتسمه ربما سمع بعض الكلام إذا أنصت، لكنهم يُسرضون ويدبرون إدبار الحمر الوحشية إذا هجم عليها. الأسد: فتقر هرارًا سريمًا، قال تمالى: إنَّ الّذِينَ كَفُروا سَواءً عَلَيْهِمْ أَالنَّرْتُهُمْ أَمْ لُمُ تُشْرِهُمْ لا يُؤْسُونَ * حَتَمَ اللّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ رُعَلَىٰ سَمْهِمْ وَعَلَىٰ أَلِّعَارِهِمْ غَشَارةً وَلَهُمْ عَثَابٌ عَظِيمٌ (البقرة: ٢ - ٧).

٨١ - وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْى عَن ضَلالتهم إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنْ بِآيَاتِنا فَهُم مُسْلَمُونَ .

القرآن الكريم يرسم لوحة هادفة تصوّر هؤلاء الكفار وقد تبلّد إحساسهم، وانصدوها عن الحق، فأصبحوا كلوتي وقد على الحق، فأصبحوا كالمؤتى أو السمّ المدرضين المدبرين، وفي هذه الآية يصدوهم بصورة الأعمى الذي لا يبصد نور الإسلام، وقد أصيب بعمى البصيرة؛ فلم يبصد هداية القرآن، ونور الإيمان، ونضارة الوحى وشرف الرسالة، بل ارتكس في الضيالة والمؤتى المنافذ، بل ارتكس في الضلالة والطفيان، قال تمالى: في يُفْهَوُ وبُها وَلَهُمْ أَعْرُنُ لا يُيْمِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَقَرُنُ بَهَا أَوْلُكُ كَالْأَمْمُ بِلَّ هُمْ أَلْفَالُونُ . والدراف: ١٧٥.

ويقول الشاعر:

__ د فحاذا تفحية العجنان

وإذا كان التلب أعمى عن الرشـــ

إِنْ لُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُسْلِمُونَ .

إن رسالتك الواضحة، ومدوت الوحى وشرف الرسالة، إنما يصل إلى من آثار الله قلبه بالإيمان، وهداه إلى الإسلام؛ فهو الذي يسمع القرآن سماع متدير مهتد، فيدخل فى الإسلام دخول واثق مؤمن، مخلص وجهه لله تمالي.

قال تمالى: بَلَىٰ مَنْ أَمْلُمَ وَجَهَهُ لله وَهُو مُحْسَن للهُ أَجْرُهُ عند رَبّه ولا خُوفٌ عَلَيْهم ولا هُمْ يَحْزُنُونَ . (البقرة: ١١٢).

﴿ وَإِذَا وَقَمَ الْقَوْلُ عَلَيْمِ مَ أَخَرَخَنَا لَهُمْ دَانَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ثُكَلِّمُهُمْ أَنَّ الْنَاسَ كَانُواْ خِائِيْنَا لَا يُوفِنُونَ ﴿ لَكُوفِهُ مُؤْنَا فَهُمْ مُوزَعُونَ ﴿ لَا يُوفِينُونَا خَامُونَا فَهُمْ مُؤزَعُونَ ﴿ حَقَازِذَا جَآءُ وَقَلَ الْمَاذَا كَمُثُمُ مَعْمَلُونَ ﴿ وَقَعَ مَا لَعَلَ مَا أَمَاذَا كُمُثُمُ مَعْمَلُونَ ﴿ وَقَعَ مَا لَعَقُولُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَطِقُونَ ﴿ اللَّهِ الْمَوْلِ الْمَا مُعَلَّمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَالَةُ اللَّا

المضردات

وقع القمول قرب وقوع ما وعدوا به من العذاب بعد البعث.

هار من داية كبيرة يخرجها الله قرب قيام الساعة،

تُكلُّم عمر تُكلُّم الناس، وتنطق بكلام الناس، من الكلام .

تكلون من الكلم وهو الجرح.

فوج الرؤساء،

بايسات من القرآن، أو سائر الآيات في الآفاق والأنفس،

يسوزهــــون، يُحبِس أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة،

بما ظلم حلّ بهم العداب الموعود بسبب ظلمهم.

تمهيده

تغتم المدورة بالحديث عن الآخرة، وموقف الحصاب والجزاء، ومكافئة المحسنين، ومعاقبة المسيئين، ومن علامات الساعة خروج الدابة من مكان هي مكة، تتطق بكلام مثل كلام الناص.

التفسيره

٨٢ - وَإِذَا وَقَعَ النَّوْلُ عَلَيْهِمْ أَخُرَجْنَا لَهُمْ دَايُهُ مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنْ النَّاسَ كَانُوا بآياتِنا لا يُوقِفُون . مَنْ يَوْمَا أَنْ أَنْ أَنْ

وَإِذَا وَقَعَ الْقُولُ عُلَيْهِمْ... أى: إذا اقترب قيام الساعة، وتحقيق كلمة الله هي عذاب الكافرين، والإحسان إلى المحسنين؛ أخرجنا لهم

اى: إذا اقترب قيام الساعة، وتحقيق كلمة الله فى عذاب الكافرين، والإحسان إلى المحسنين؛ آخرجنا لهم دابة عظيمة فى هيكلها تخرج من أرض مكة، وتكلَّم الناس بكلام فصيح واضح مين؛ تقول للكافرين: لقد كلتم لا تؤمنون بالقرآن، ولا بدلائل قدرة الله فى الأنفس والآفاق، وها أنتم تشاهدون القيامة وأهوائها وعلاماتها، ومن هذه العلامات ما يأتى:

- ١ طلوع الشمس من مفريها.
- ٢ خروج دابة من الأرض تكلم الناس بكلام واضع مفهوم، تقول: أنَّ النَّاس كانوا بآياتنا لا يوقُّون .
- خلهور المسيخ الدُّجال، كما ورد في الأحاديث الصحيحة، ووى الإمام مسلم في صحيحه، عن أبى هريرة، أن
 رسول الله ﷺ قال: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسنًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كمسبت في إيمانها
 خيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجّال، وداية الأرض، (١١٠).

ما يلحق بتفسير الآية:

- الدابة معجزة أو آية جعلها الله من علامات قيام الساعة، وهي من الملامات الكبرى التي جعلها الله من علامات القيامة.
- من عادة الناس أن الدواب لا تتملق، ولا تتكلم، فجمل الله نطقها بكلام واضح بين دليـالا على نهاية الدنيا وقرب قيام الساعة.
- ٣ القول في شوله تمالى: وَإِذَا وَقَعْ الْقُولُ عَلَيْهِمْ . . . يراد به تحقيق ما وعد به الله، مثل: ولكن حق الفولُ عني الفولُ عني المؤلِّن عني الفولُ عنها الله ع
- أ ورد هي القرآن وهي الأحاديث الصحيحة، ما يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة، وهي هذا ما يكفي السلم للإمتقاد به، ولا يحتاج بعد ذلك إلى السؤال عن أوصاف هذه الدابة، فقد وردت آثار غير صحيحة في وصفها لا يمول عليها، وحسبنا أن نعرف أنها حيوان أعجم ضخم الجثة يتكلم قائلا: أنَّ النَّاسَ كَانُوا بَيْاتُنَا لا يُولُّونُ . أي: لا يصدقون بعظهم آيات الله، وعظيم قدرته.
- ورد في صحيح مسلم يسنده، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول الآيات خروجا طلوع
 الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضعى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريباً، (۱۲).
- آ وروى الإمام مسلم، وإهل السنن، والإمام احمد، عن حذيفة بن أسيد الغفارى، قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونيعن نتذاكر أمر الساعة، فقال: ولا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغريها، والدخان، والداية، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم عليه السلام، والدُّجال، وثلاثة خسوف: خممف بالمغرب، وخمسة بالمغرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس، تبيت معهم حيث بالقرا، وتقيل معهم حيث فالواء (١٧). قال الترمذي: حسن صحيح.
- روى مسلم فى صحيحه، عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستا: طلوع
 الشمس من مغريها، والدخان، والدجال، والدابة، وخاصة احتكم، وأمر العامة، (11).

٨ - خلاصة معنى الآية، إذا قربيا وقوع ما قائاه على الكافرين من هيام الساعة وعقابهم على كفرهم، أخرجنا لهم من الأرض دابة عظيمة، تكلمهم بنا يفهمونه عنها، فتويخهم على كفرهم، وتعى عليهم أنهم كانوا لا يؤمنون بالله وآياته ويراهينه، ولا يصدقون بالبعث ولا يستيقنون به، وقد حان وقت الجزاء العادل في التهامة، على الإحسان إحسانا وعلى السوء سومًا.

 - قرا بعض القراء: وإذا وقع القول عليهم أخرجا لهم دابة من الأرض تُكْسُهُم... بسكون الكاف وكسر اللام من
 الكلم وهو الجرح، أي: أن الدابة تجرحهم بكلام جارح: عشابا ولوما على عدم الإيمان، أو تجرحهم جرحًا حسيًا، وهذا أمر محتمل، لكن الآراء السابقة هي المنهوم لأول وهلة من كلام القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

٨٢ . ٨٤ – وَيَوْمُ نَحَشُرُ مِن كُلِّ أَمْهُ فَوْجًا مُمُن يُكذَبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿ حَنُىٰ إذا جَاءُوا قَالَ اكْفُدْبُهُم بآيَاتِي وَآتُو تُحَجِيعُوا بِهَا عَلِمُا أَمَّاذًا كُنتُمْ وَهَمُونَ .

تتحدث الآيتان عن موقف من مواقف القيامة، حيث يجمع الله جماعة من رؤساء كل آمة من الظالمين المكتبين بآيات الله ورسله، ويحبس أولهم على آخرهم، ليجتمعوا هي موقف الحشر والحساب، للمساملة والعتاب، لقد أراد الله بذلك الحشر والحرساب، للمساملة والعتاب، لقد أراد الله بذلك الحشرة تحديد مسئولية الرؤساء والكيراء عن إضائل من خلفهم، فجمع هؤلاء الكبراء والرؤساء الجاحدين للكذبين، وحبسهم جميعًا ليشاهد بعضهم بعضا، ثم وجُه إليهم اللوم والعتاب والتكير، فقال: حتى إذا أجدموا جميعًا، وجه اللوم لكل حتى إذا اجتمعوا جميعًا، وجه اللوم لكل هذه المجموعة المكتبة، وقال لهم: أكَنْبُم بآياتي في كتبى المنزلة، وفي رسالة الأنبياء والرسل، وفي الكون والأطاق وفي النفس، ولم تكلفو أنشاء مرفة حقائق هذه الآيات، والتأمل في الكون والأطاق وفي النفس وفي الوماء أن التأمل في الكون والأطاق وفي النفس وفي الومر، ولم تنظروا إلى هذه الآيات نظرًا يجملكم تحيطون بها علما ويدهمكم إلى الإيمان

أُمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

وهو استفهام للتوييخ، يقال لن رسب فى الامتحان: ماذا كنت تممل طول العام؟ ويقال لهؤلاء الكفار: كذيتم بآيات ريكم، ولم تبدلوا جهدًا فى العلم بها، فلم يكن لكم عمل سوى القساد والتكذيب، والإصدار على الكفر، ولم تبدلوا جهدًا للعلم بآيات الله.

أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

أى عمل عملتموه في الدنيا، يمكن أن ينفعكم في هذا اليوم، ما هو كشف حساب إعمالكم؟ ولما كان كشف حساب أعمالهم كله خسائر؛ فقد سكتوا سكوت الماجز المترف بالتقصير. ٨٥ - وَوَقَعَ الْقُولُ عَلَيْهِم بِمَا ظُلْمُوا فَهُمْ لا يَنطقُونَ .

ووجب عليهم العداب الذي فقتاء على السنة رسلنا، حيث قال تمالى: وَلَكِنْ حَقَّ الْقَرْلُ بِنِي لِأَمَّافُنُ جَهِّمَ مِن الْجِنَّهُ وَالنَّاسُ أَجْمُعِنَّ ، (السجدة: ١٣).

أي: لزمتهم مقولة المداب، بمبب ظلمهم وتكذيبهم، ولم يجدوا حجَّة ولا وسيلة للاعتدار؛ فصاروا كالمجرم الذى تقدم للمحكمة، والأدلة كلها تؤكد ارتكابه للجريمة، فمجز عن الدفاع لوضوح الأدلة، وسكت عن النطق بما ينفى عنه الثهمة.

وذكر المُصرون هذا أن القيامة فيها مواقف متعددة، هي بعض المواقف تكون المساءلة والاستجواب وسماع - أهوال الناس، قال تمالى: وَقُفُومُمْ إِنَّهُمْ مُسْرُّولُونًا . (السلفات: ٢٤).

وش بعض المواقف تنتهى الاستجوابات، ويوقف سماع اى كلام، وهذا يشبه على نحو ما عمل المحكمة هي استجواب الخصوم، وسماع ادلة الاتهام والدهاع، وإفساح صدرها لكل رأى أو شهادة أو دهاع أو كتابة مذكرات؛ ثم تحجز القضية للنطق بالحكم، هلا يقبل حينتذ سماع كلام.

قال تمالى: هَذَا يَوْمُ لا يُنطقُونَ * ولا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيْعَتْدُرُونَ . (المرسلات: ٢٦).

وقال مبيحانه: وَوَقَعَ الْقُولُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطَقُونَ .

ومن مأثور السابقين: الامتناع عن الكلام مع القدرة عليه كلام.

فالصمت لغة لها دلالتها ومضمونها، وعدم نطق الكفَّار يوم القيامة. معناه ما يأتي:

١ - هم لا يملكون كالاما مفيدًا ينقذهم من العذاب،

٢ - أو هم هي مرحلة لا يسمح لهم فيها بالنطق، تبكيتا وزجرًا.

وقال ابن كثير في التفسير:

وروَقَعَ القَبُولُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُم لا يعطَفُونَ . أي: يُهتوا ظم يكن لهم جواب، لأنهم كانوا هي الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم، وقد رُدُوا إلى عالِم الغيب والشهادة الذي لا تخفي عليه خافية.

٨٦ - أَلَمْ يُرَوا أَنَا جَعَانَا اللَّيْلَ لَيسَكُنُوا فيه وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلكَ لآيَات لَقُوم يُؤْمنُونَ .

للقرآن الكريم طريقته الفندُّ هي عرض مشاهد القيامة، ثم الانتقال بالناس إلى الدنيا، والانتقال بالقلوب إلى النامل، كانما يقول: كان الأولى بهؤلاء الكافرين أن ينظروا إلى آيات الله في الأفاق، أنم يتأملوا هي آثار فدرة الله؛ حيث جمل الليل مظلما هادئا ساكنا، ليسكنوا فيه نائمين هادئين، تهدأ أعصابهم، وتقام أجمعامهم، وتستريح أبدائهم.

وَالنَّهَارَ مُبْصِراً . . . أي: التهار مضىء، فيه الشمس والنور والحياة والحركة والسعى والعمل.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْفَوْمِ يُؤْمِنُونَ .

أى: في تكامل هذا الكون بكل ما فيه، حيث جمل الليل والنهار، وجعل الليل مساعات محددة، والنهار كذلك: ليحمل الناس بالنهار، وليصدريج الناس بالليل، ولو امتد النهار نصف عام، لأحرقت الشمس الزروع وقسدت الحياة، ولو استمر الليل نصف عام، لتجمدت الأشياء وتعطلت الأجسام، وتعطلت المسالح، وفي تتابع الليل والنهار بهذه الحكمة وتلك القدرة آيات بينات لن أراد الإيمان بالله رب العالمين.

هال تعالى: قُلُ أَوَالِيَّمُ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيلَ سَرَمُدًا فِيْنَ يَوْمُ الْقَيَامَةِ مَنْ إِلَّهُ عَيْرُ اللَّهِ بَالِيكُم بِهِمِياءِ أَفَلا تُسَمَعُونَ نَهُ قُلُ أَوَأَلِيْتُمُ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ يُسْرَكُوا فِيهِ وَلَقَيْهِ مَق يُصِرُونَ هُ وَمِنْ رُحِمَهِ جَمَلَ لَكُمُ النَّيلُ وَالنَّهَارُ فِيهِ وَلَيْتَقُوا مِنْ فَضِلَّهِ وَلَعَلَّم

* * *

﴿ وَيَوْمَ يُسْفَحُ فِ ٱلصَّودِ فَفَرْعَ مَن فِ ٱلسَّمَوَتِ وَمَن فِ ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَكَآءَ ٱللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ وَخِرِينَ ۞ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَصْبُهَا جَامِدَةً وَهِى تَمُرُّمَزَّ السَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَذِئَ ٱلْقَنَ كُلُّ شَيْءً إِنَّهُ مَنْجِيرٌ بِمَا تَفْصَلُونِ ۞ ﴾

المفردات

الســــون البوق.

فـــــنع، خاف.

أتــــوه، جاموه،

داخــــريــن: صاغرين.

مسر السحساب سرعة السحاب.

التفسب

٨٧ - وَيُومْ يُنفُخُ فِي الصُّورِ فَفَرَع مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وكُلِّ أَنَوْهُ دَاخرينَ .

واذكر يوم ينفخ إسرافيل هي البوق أو القرن؛ فيقوم الناس من قبورهم فزعين خانفين، قال تمالى: قَالُوا يَا وَيُقَا مَنْ يَخْتَا مَنْ مُرْقَعَنًا هَلَا مَا وَعَدَ الرَّحْمِنُ وَسَدَقَ الْمُرسَّاوِنَ. (يهي: ٢٥).

وقد استشى الله بعض مخلوقاته من هذا الفزع، قيل: الرسل والشهداء، وقيل ايضا: رؤساء الملائكة، مثل: جبريل، واسرافيل، وميكاليل، وجمع الناس جاعت للبعث والحساب صاغرين اذلاء من هول الموقف وشدة الكرب، هال تمانى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ الْقُوا رَبِّكُمُ إِنَّ زَلْوَلَةُ السَّاعَةُ شَيِّعٌ عَظِيمٌ ﴿ يَوْمَ مُرَوَّهَا تَذْهِلُ كُلُّ مُوسِمَةً عَما أَوْصَعَتْ وَتَفْعُ كُلُ ذَات حَمل حَملَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكُمْ عَلَابُ اللَّه شَدِيدً . (الحج: ١٠ ٪).

النفخ في الصور

ذكر القرآن الكريم النفخ فى الصور على أنه من مشاهد القيامة، كما ورد ذلك فى الحديث المسجيح، وقد أورد ابن كثير عبدا من الأحاديث، منها حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم، عن عبد الله بن عمرو، وتكلم عن ذلك أبو السعود، والقرطبي وغيرهما.

وقد ذكر ابن كثير أن النفخ في الصور ذلات مرات:

الأولى: نفخة الفزع.

الثانية: نفخة الصعق وهو الوت.

الثالثة: نفخة البعث وقيام الناس لرب المالين.

ورجح غيره من المفسرين أن النفخ في الصور سوف يكون مرتين:

الأولى: تموت عندها الخلائق، ويمكن أن تشتمل على الفزع والصعق والموت.

الثانية: نفخة البعث التي يقوم النَّأس عندها ترب العالمين.

قال تمالى: ونُفخ في الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَسلُّونَ . (يس: ٥١).

وقال تمالى: لُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعُوةً من الأرض إِذَا أَنتُمْ تَحْرُجُونَ . (الروم: ٢٥).

وقد اختلف العلماء هيما جاء يهذه الآية رقم ٨٧ من سورة النمل، أهى النفخة الأولى أم الشفخة الثانية؟ شمنهم من رجح أنها النفخة الثانية، التي يكون بمدها الجزاء والحمىاب، واستشهد بآخر الآية حيث يقول الله تعالى: وَيَوْمُ يَنْفُخُ فِي الصَّرِ فَفُرْعَ مَنْ فِي السَّمُواتَ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَثْرَهُ مَا خَرِينَ . ورجح الملامة الطيبي وغيره من المقسِّرين أن الآية تشير إلى النفخة الأولى، والمراد بالفزع: الخوف الذي ينتهي إلى الموت لغاية شدة الهول.

قال تعالى هي الآية ١٨ من سورة الزمر: وَلَفِحَ فِي الصُّورِ فَصَعَىَ مَن فِي السَّمُواتِ وَمَن فِي الأَرضِ إلاَّ مَن شَاوَ اللَّهُ ثُمِّ لُمَحَ فِيهُ أَخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَّامٌ بِنظُرُونَ .

قال العلامة الطيبي، فالآية ٨٧ من صورة النمل تشير إلى النفخة الأولى، وقوله تمالى: وَكُلِّ ٱلرَّهُ مَاخِرِينَ. إشارة إلى النفخة الثانية.

من تفسير القرطبي

قال القرطبى في تفسيره:

والصحيح في الصور أنه قرن من نور يفخ فيه إسراهيل، والصحيح - أيضا - هي النفخ هي الصور أنهما نفختان وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق، لأن الأسرين لازمان لهما ... والمراد هنا - النفخة الثانية - أي: يحيون هزعين يقولون: من بعشا من مرقدناة ويعاينون من الأسر ما يهولهم ويغزغهم . آ . هـ

وأرجح أن المراد في الآية النفخة الأولى.

وخلاصة المعنى:

واذكر أيها للشاهد يوم ينفخ أسرافيل في الصور، فيفرّع سكان السماوات وسكان الأرض، إلا من حفظه الله من الفرّع، ويعقب ذلك موت الناس وصعقهم أريمين سنة، ثم ينفخ إسرافيل مرة أخرى فيقوم الناس ترب المالمين ويعشرون حميما الآلام صاغرين. وكُلِّزُ أَنْهُ مُاخِينٍ.

٨٨ - وتَرَى الْجِالَ تَحْسَبُهَا جَامِدُةُ وَهِي تَمُرُ مَرَّ السَّحَابِ صَنْعَ الله الَّذِي أَتَّقَنَ كُلَّ شَيَّ إِنَّهُ خبيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ - ٨٨

جمهور المفسرين على أن هذه الآية تشير إلى أهوال القيامة، ومن أهوال القيامة النفغ في الصور مرتين: الأولى: للصدق والفرّغ ويمقب ذلك الموت.

الثانية: للبعث ثم الحساب والجزاء.

أما الجبال فلها حالتان:

الحالة الأولى: أنها تنسف نسفا، وتتدكُّ دُكَا عند النفخة الأولى. قال تعالى: ويَسأَلُونَكَ عَنِ الْجِالِ فَقُل يَسلُها رَبِي نَسفًا * فَهَدُرُها قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَى فِها عَرِجًا ولا أُمَّا * يَوْعُدُ يَتُعُونَ اللَّاعِي لا عَرْجَ لُه. . (ها: ١٠٥ - ١٠٠).

الحالة الثنائية للجبال: أنها تعود من ناحية الهيئة والشكل، لكنها تحوّل إلى عهن منفوش، أي: صوف منشور ثم تُسيَّر تصيير السحاب في طريقة إلى الزوال.

والمعنى الإجمالي للآية:

وترى أيها الإنسان الجبال يوم القيامة وأنت واقف بعيد عنها، تحسبها جامدة ثابتة هى مكانها، ولكنها, إقد مسعقت واصبحت كالمهن المنفوش، وقد سيُّرها الله سبحانه ونعالى هوق سطح الأرض، وجعلها تمرٌ هوقها هي ملزيقها إلى الزوال.

صُنْعَ اللَّه الَّذِي أَتْقَنَ كُلُّ شيء ...

أى: هذا الصنع العجيب من حركة الجبال وتلاشيها دليل على إنقان الصنعة، وذلك صنع الله الذي أحكم الخلق في البدء، وأحكم أمر البعث والنهاية، حتى يكون الجزاء والثواب والعقاب.

إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ .

إنه عليم باعمالكم فيجازيكم عليها جزاء عادلا، قال تعالى: فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالُ فَرُوَخُيرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلُ مُقْالَ فَرَّةُ صَرًّا يَنِّهُ . (Ruzus: ۸.۷)

قال تعالى: يَوْمَ تَبَدُّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ وَيَرْوَا لِلْهِ الْوَاحِدِ الْقَهَارِ ه وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْعَلَدُ مُلُولِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِن قَطِرَانُ وَتَغْمَى وُجُوهُهُمُ النَّارُ * لِيَجْدِيَ اللهُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهُ سَرِيعُ الْعِسَابِ. (ايراهيم: ١٨ - ٥١).

ويرى بعض المُسرين أن هذه الآية من إبداع القرآن الكريم؛ فهو يتحدث عن الآخرة وأهوالها، ثم يعود إلى تذكير القلوب بفضل الله، بأن جمل الليل ليسكنوا هيه والنهار مبصرًا، ثم يتحدث عن النفخ في الصور وأهوال البعث والحشر والجزاء.

ثم يتحدث عن عظمة الصانع في الدنيا، حيث إن الأرض تتحرك حول نفسها، ولها حركة أخرى حول الشمس، وهذه الحركة يترتب عليها مجيء الليل والنهار بشكل متوازن يترتب عليه سعادة الناس، وانتقاعهم باللهل والنهار، ومن جملة ما يتحرك بعركة الأرض الجبال أيضا، تظنها جامدة ثابتة، لكنها تتحرك حركة يسيرة كحركة السحاب، وهي الحركة التي تتحركها مع حركة الأرض، هذه الحركة تؤدى إلى التكامل والتناغم والنظام، ومعوم الفائدة في هذا الكون، وهو سبحانة معلًّم على إعمالكم في الدنيا وسيجازيكم عليها في الآخرة.

جاء في التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي رئيس قسم الفقه الإسلامي بجامعة دمشق:

وقد استدل بعض الطماء بهذه الآية على دوران الأرض حول الشمس بسرعة فاثقة، لكن التقاهر أن ذلك في الآخرة، لأن الكلام عن يوم القيامة. وأنا لا أمنتهمد أن تكون هذه الآية تلفت النظر إلى يديع صنع الله في الدنيا، بدليل قوله سبحانه: صنع الله أن أشيءً من طالم الله الله الله أن أشيءً من طالم خلق المسماء والأرض، والبحار والأنهار، والشمس والنمر، والله وخلق الجبال، وتحدث القرآن عن الجبال حديثا متعددًا، فهي دليل قدرة القدير، وإبداع الصناع، ولا يكاد القرآن يتحدث عن الأمطار والزراعة إلا ويتحدث عن الجبال، فالماء يتجمع في رحوس الجبال في الشتاء، ثم ينزل في الصياب، والجبال لها جدور ممتدة في أصول الأرض تمسك بها، وتحفظ توازنها، والجبال وسيلة من وسائل الاستقرار ومنع الزلازل والبراكين.

قال تمانى: أَمِّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلالُهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْن الْبَعْرِيْنِ حَاجِزًا ٱللّهُ بِلَّ ٱكْتُرَاهُمْ لا يَعْلَمُونَ . (النما: ٢١).

وقال تمالى: أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبلِ كَيْفَ خُلِقتْ ﴿ وَإِلَى السَّمَاءَ كَيْفُ رُفِّمَتْ ﴿ وَإِلَى الْجبالِ كَيْفُ نُصِبَتْ ﴿ وَإِلَى السَّمَاءَ كَيْفُ رُفِّمَتْ ﴿ وَإِلَى الْجبالِ كَيْفُ نُصِبَتْ ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطّحتُ . (الفاهية: ١٧ - ٢٠).

هالقرآن الكريم تحدث عن الجبال كدليل من دلائل القدرة والمنظمة والإبداع، والخلق والتكوين والتكامل، والمغط لهذا الكون هي الدنيا، وتحدث أيضا عن الجبال وتسييرها هي الآخرة.

قال تمالى: يَوْمُ لَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا. (الطور: ١٠٠٩).

وقال تعالى: وَيَوْمَ لُسَيِرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَفَادُرْ منهُمْ أَحَدًا . (الكهف: ١٤).

وقال تمالى: يُومْ تُبدَّلُ الأرضُ غَيْرَ الأرضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّادِ . (إبراميم: ١٨).

وقال تمالى: وَسُيرَت الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا. (النيا: ٢٠).

هَالكون كله بيد الله، وهو سبحانه قادر على حفظ هذا الكون في الدنيا، وعلى نصف الجبال وتسييرها . في الآخرة.

من المنتخب في تفسير القرآن الكريم «لوزارة الأوقاف المسرية،

وَتَرَى الْجَالَ لَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِي تَمُرُّ مَرْ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْفَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بما تَفْعُلُونَ .

المعتىء

وترى – أيها الرسول – الجبال تظنها ثابتة لا تتحرك، ولكنها في واقع الأمر تتحرك بسرعة كالسحاب، وهذا من صنع الله الذي خلق كل شيء وابدعه، إنه سبحانه كامل العام بما يقعل الناس من طاعة ومعصية ومجازيهم عليه .

تعليق بالهامش مختصراء

وترى الجبال تصبيها جاملةً وهم تُمر مُر السُّحاب ... تقرو هذه الآية الكريمة أن جميع الأجعدام التي تخضع لجاذبية الأرض، مثل الجبال والبحار والفلاف الجوى... التي تشترك مع الأرض في دورتها اليومية حول محورها، ودورتها السنوية حول الشمس، لكن هذه الدورة لا تدرك، فهي مثل حركة السحاب في الجور يواها التاظرون بعيونهم، ولكن لا يسمعون صوفها أو يلممونها، وتبين هذه الآية الكريمة أن الله عز وجل: خلق الكون والقوانين التي تنظمه، وهو قادر على أن يجعل الأرض ساكنة لا تدور حول محورها، أو يجعل فترة دورانها حول محورها تساوي فشرة دورانها حول الشمس، ويذلك يصبح نصف وجه الأرض في ظلام دامس لمد سنة أشهر، والنصف الآخر في نهار ساطح الضوء لمدة سنة أشهر، مما يؤدي إلى اختلال النوازن الحراري على الأرض كلها،

ويالرغم من أن (اريستاخورس) الفلكي المنكندري ٣١٠ - ٣٠٠ ق. م، كتب هي موضوع دوران الأرض حول نفسها، هإن هذه الكتابات العلمية القديمة لم تصل إلى العرب وقت محمد ﷺ أو قبله؛ بل إن أوّل من أشار إلى هذه الملومات هو البيروني عام أنف للميلاد بعد حركة الترجمة في الدولة العباسية، فإن إيراد هذه الحقائق العلمية على نسان النبي ﷺ – التي لم تكن قد وصلت إلى علمه – دليل على أنها موجى بها من عند الله (١٠٠).

من تفسير القرطبى:

يقال: إن الله تعالى وصنف الجبال بصفات مختلفة، ترجع كلها إلى تقريغ الأرض منها، وإيراز ما كانت تواريه، هاولى الصفات: الاندكاك، وذلك قبل الزلزلة، ثم تصير كالمهن المنفرش، وذلك إذا صارت السماء كالمهل (أي: الذيت للذاب)، وقد جمع الله بينهما، فقال تعالى: فيزَّم تَكُونُ السُّمَّاءُ كَالُّهِلُ هِ رَتَّكُونُ الْجِبَالُ كَالُهِنْ. (الماج: ٨٠٥).

والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء، وذلك أن تتقطع بعد أن كانت كالعهن.

والحالة الرابعة؛ أن تتسف،

والحالة الخامسة: أن الرياح ترفعها على وجه الأرض، فتظهرها شعاعًا في الهواء كانها غيار.

والحالة السادسة: أن تكون سرابًا.

﴿ مَنجَآءً بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ, َخَيُّرِيْنَهَا وَهُم مِن فَرَع يَوْمَ إِدَامِنُونَ ۞ وَمَن جَآءً بِٱلسَّيِئَةِ فَكُبَّتُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْك إِلَّا مَا كُنتُدَّ تَعْمَلُونَ ۞﴾

اللفرداتء

من جاء بالحسنة، الإيمان والعمل الصالح.

القيرين الخوف من العذاب،

بالسيث الإشراك بالله، أو المعاصى،

كُبُ مست: القيت وجوههم في النار منكوسة، أو هي كناية عن الأنفس، وكبُّها: إنقاؤها.

التفسير

٨٩ - مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مَنْهَا وَهُمْ مِن فَزَعِ يوْمَثُلُمْ آمِنُونَ .

من جاء بالمسلاة والصيام والإيمان، وما يتصل بذلك من الحصنات كذكر الله وطاعته، فله جزاء الفضل وثواب اعظم مما عمل، إلى جوار الأمن النفسي وعدم الخوف، قال تعالى: لا يُحرِّزُهُم الْفَرَعُ الأَحْبِرُ وَتَنقَأَهُمُ الْمُلاكِكُمُ مَلَا يُومُكُمُ الذِي كُشُونُ. [الأبياء، ١٠].

وضدر ابن عباس، وابن مسعود وغيرهما من السلف العمينة هي الآية بشهادة التوحيد، وهذا لا يتأهى أن كل حسنة لها جزاء خير منها، أو يقال: إن الحسنة تشمل كلمة التوحيد، وتشمل كل حسنة يعملها الإنسان، قال تمالى: مُن جَاءَ بالُحَسَةَ فَلْدُ عَشِرُ أَمْنَالِهَا وَمَن جَاءَ بالسَّيِّةَ فَلا يُعْزَى إِلاَّ مَثْلَهَا وَهُمْ لا يُطْلُمُونَ . (١٩٤١م. ١٦٠).

٩٠ - وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبُّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاًّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

المراد بالسيئة هنا: الشرك أو الكفر، ويمكن أن يراد بها: الماصى والسيئات والذنوب.

والمعنىء

ومن جاء بالكفر أو الشرك؛ فإنه يلقى في النار على وجهه منكوسًا، لأن الوجه أغلى شيء في الإنسان. فإذا القي الوجه في النار؛ كان دليلا على إصابة المذاب للجميم كله.

قال تمالى: أَفَمَن يَتُقِي بِوَجْهِهِ مُوءَ الْعَذَابِ يَوْمُ الْقَيَامَةِ . . (الزمر: ٢٤).

كما تشمل الآيات مرتك المديشات من الفصدوق والمصيان والنفوب، كالزنا والسروقة والقبل، وترك الفراقص وإهمال الواجبات، هؤلاء جميمًا يلقون في النار ويعذبون فيها، ويقال لهم على سبيل التبكيت والإهمانة: هُلْ تُحَرُونَ إِلاَّ مَا كُتُشَهِّ تَعَمَّاُونَ . أي: إن الجِزَاء هنا من جنس إعمالكم هي الدنيا: هانتم تدذيون عقوية على إعمالكم السيئة، والكث في النار يختلف من شخص لآخر، هالكفار والشركون يخلدون في النار، لأنهم كانوا عازمين على الكفر بالله أبدا، فكان عذايهم الخلود في النار خلودًا أبديًّا.

اما المؤمنون بالله مع العصيان وارتكاب السيئات، فإنهم يلقون جزاءهم في جهنم، ثم يخرجون منها إلى الجهاقة المطاقة من يحل المسلطاقة عند المطاقة المسلطانة عندا المسلطانة المسلطانة عندا المسلطانة المسلطانة عندان الله تعالى: هل المسلطانة المسلطانة الله تعالى: هل علمان المسلطانة الله تعالى: هل علمان الكرام الكاتبون؟ فيقول: لا يا رب، حتى إذا يتس العبد، قال الله ك: إن لك عندنا بطاقة. فيها شهادة لا إله إلا الله: فيقول العبد: يا رب، وما تصنع هذه البطاقة أمام هذه السجلات الكليرة. فتوضع البطاقة في كفة، والمسلطانة والمسلطانة والمسلطانة المسلطانة المسلطانة عنديًا مساطانة عنديًا مساطانة عنديًا والمسلطات السجلات، فإن يرجء مع اسم الله شيء.

وقال ابن مسعود، وابن عياس، والضحاك، والحسن، وقتادة، في قوله: ومن جاء بالسِّيَّة. يعني: الشرك. ١ - هـ -

ونقول: إن مكافأة المحسن ومعاقبة المسيء واردة في روح القرآن الكريم وآياته:

قال تمالى: فمن يُعْمَلُ مَثْقَالَ ذَرَة خَيْرا برهُ وَ وَمَن يَعْمَلُ مَثْقَالَ ذَرَّة شَراً برهُ . (الزلزلة: ١٠ ٨).

وقال سبحانه: إنَّ اللَّهَ لا يَظْلُمُ مَثْقَالَ دَرَّة وَإِن تَكُ حسنةً يُضَاعَفُهَا ويُؤنَّ من لَدُّنَّهُ أَجْرا عظيما . (النساء: ٤٠).

كما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، أن الله يضاعف ثواب الحسنة عشر أمثالها أو أكثر، والسيئة تكتب سيثة واحدة.

روى البخارى هى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فعملها كتبت له عشر حسنات إلى أشعاف مضاعفة، ومن هم بها ظم يعملها كتبت له حسنة واحدة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وإن هم بها شعملها كتبت له سيئة واحدة، (١٦١).

وقال تمالى: من جاء بالحسنة قلدُ عَشَرُ أَمْثَالِها ومن جاء بالسِّيَّة فلا يُجِزِّئ إلاّ مثلها وهُمْ لا يَظُمون . (الاندام: ١٦٠).

والخلاصة:

إن روح القرآن والسنة تؤيد أن الآيتين ٨٩، ٩٠ من سورة النمل بشأن ثواب الحممنة وعقاب السيشة، وأن ذلك عام وليس خاصا . فمن أشرك فقد جاء بالسيشة، وعقوبته الخاود هى النار، ومن عصى الله وأسرف على نفسه بقمل المحرمات فسيدخل النار، وسيمكث فيها بمقدار المقوية التى يستحقها، ثم يزحزح عن النار إلى الحنة، حيث داتى، وقت لا بيقى في النار من قال: (لا إنه إلا الله). وإذا أمننا النظر في الآية وجدناها تفيد أن الجزاء من جنس العمل وعلى قدره، قال تعالى: ومن جاء بالسِّيّة فَكُبُّ وَجُوهُهُمُ فِي النّارِ هَلْ تُحْرِزُنُ إِلَّا مَا كُتُمْ تَعَمُّونَ .

فللشرك عقوبة تتاسبه، وللمؤمن العاصى عقوبة تتاسب المصية، قال تمالى: ولا يُطْلُم رَبُّك أحداً. (الكهف: ١٤)

* * *

ختام سورة النمل

المفردات

هدده المباسدة، المراد بها مكة.

من السسلمين، من المنقادين للة التوحيد.

سيريكم آياته، دلائل قدرته، وأمارات سلطانه في الدنيا والآخرة،

التفسيره

٩١ - إِنَّمَا أَمُونَ أَنْ أَعْبُدَ رَبُّ هَذِهِ الْبُلْدَةِ الَّذِي حَرِّمُهَا وَلَهُ كُلُّ شَيَّءِ وأَمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مَنَ الْمُسْلِمِينَ .

تأتى هذه الآيات في ختام السورة فتلخص الفكرة الإسلامية، والدعوة المحمدية، في الدعوة إلى إخلاص الوجه لله تمالى وحده لا شريك له، مع المنابة بإخلاص العبادة لله، والبعد عن الشرك وعجادة الأوثان، وكان العرب يقيمون في مكة، ويشاهدون حرمتها وأهميتها، والله تمالى يذكّرهم بفضله عليهم، في تيسير الأمن والأمان لهم، ظماذا لا يعبدونه مسحانه وتمالي؟

ومعنى الأية:

تقد أمرنى الله تمالى أن أعهده وحده لا شريك له، فهو رينا ورب كل شيء ومليكه، وهو رب مكة البلد الحرام الذي حرّم مكة، وحرم العدوان فيها، وجعلها حرما أمنا، والله تعالى له كل شيء في الكون، خلقا وإيجادًا ورعاية وحفظًا، فبيده سبحانه ملكوت السماوات والأرض، وهي آية الكرسي: وسع كُرُسِبُهُ السَّمُوات والأَرْضُ وَلا يُورُهُ حَفظُهُما وَهُو الْعَلَى الْمُقلِيمُ . (البقرة: ٢٥٥).

وأمرْتُ أَنَّ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلَمِينَ .

الذين أسلموا وجوههم لله، وانقادوا لشريعة الإسلام مخلصين لله، راغبين هي ثوابه، راهبين من عقابه.

قال تعالى: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أوّلَ الْمُسْلِمينَ . (الزمر: ١١، ١٢).

وهال تعالى: قُلُ إِنِّي هَمَانِي رَبِي إِنِّي صَرَاط مُستَقِيم دِينا قِيمًا مَلَة إِبْرَاهِيمَ حَبِهَا وَمَا كانَ مِن الصَّرْرِين بِهَ قُلُ الْقُ صَلاتِي وَنُسكي وَمَحَيَّايَ وَمَعَالَيَ لِلّهِ وَبَ الْعَالَمِينَ فِي لا شَرِيكَ لَهُ وِيفَالِكَ أَمُوتُ وَأَل رَبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسِ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَوْرُ وَازْرَةً وَزَرْ أَخْرَىٰ ثُمَّ إِلَيْ وَبَكُمْ مُرْجَعَكُمْ فَيَنَبَكُمْ بِمِنا كُسُّمْ فِيهَ تَطْعُلُونَ ۚ (الانسام: ١١١ - ١٤٤).

ومن ماثور الدعاء: «اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت، وأنت رب المرش العظيم، ولا حول ولا فوة إلا بالله العلى المظيم، ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير. وأن الله قد أحاط. يكل شيء علما، وأحمى كل شيء عندًا».

في معنى الآية:

هَال تمانى: أَوَ نَمُ نُمِكُن لُهُمْ حَرَمًا آمِناً يُجَيَّى إلَيْهِ ثَمَوَاتُ كُلِّ ضَيْءٍ رَوَقًا مِن لَفْنًا وَلَكِنْ أَكُفْرُهُمْ لا يطلمون (التمسين: ٧٥).

وقال سبحانه وتعالى : لإيلاف قُريْش * إيلافهم رِحَلة الشِّنَاء وَالصَّيْف * فَلَيْعَبُدُوا رَبَّ هَذَا البَّيْت * الذي أَطْعَمَهُم مَن جُرع وَآسَهُم مَن خُوْف . (قريش ١ - ٤)

وجاء في الصحيحين، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: • إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينضر صيده، ولا تلققط لقطته إلا من عرفها، ولا يغتلى خلاها» (١٧٠).

وقال تمالى: أوَ لَمْ يَرُواْ أَنَّا جَمَلْنَا حَرِّمًا آمِناً وَيُتَخَطِّفُ النَّاسُ مَنْ حَوْلِهِمْ أَقْبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُون وَيَتَحَمَّدُ اللَّهِ يكَثُورُونَ (التنكير: ١٧). ٩٢ - وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ قَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لَنْفُسِه وَمَن صَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِن الْمُنْدِينَ .

تلك هي دعوة الإسلام: لا إخُراهُ في الدين ... (البقرة، ٢٥٦). إنها هي دعوة إلى الله تعالى، وإخلاص الوجه لله، وإخلاص الوجه لله، وعلى النوجه لله، وعلى النوجه لله، وعلى الرسولها، وهو الذي النه الله هدى وتوراً، وهو الذي حرك في النقس نشاطها وإيمانها، ولقت الأنظار إلى الخلق والإبداع، وإلى كتاب الكون الفتوح، وإلى النقص البشرية، ويبرَّد كرامة الإنسان وسلامة فطرته، ويبن أن الله منع الإنسان العقل والإرادة والاختيار، وترك له تحديد مسار نفسه بالاهتداء أو بالكفر،

فَمَن اهْتَدَّىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدي لنفسه . . . فمن اختار الهدى والإيمان، فقد اختار الفلاح لنفسه .

هَال تمانى: وَنَفْسِ وَمَا سُوَّاهَا ﴿ قَالُهُمُهَا فُجُورُهَا وَتَقُواهَا ﴿ فَلَا أَقَلَحُ مَن زَكَّاهَا ﴿ وَقَدْ خَابُ مَن دَسَّاهُا . (الشمس: ٧ - ١٠).

وَهُن ضَلُّ فَقُلُّ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُعَلِّرِينَ .

ومن اعرض عن سماع القرآن، واختار الضلالة على الهدى، فليس على إلا البلاغ، وما أنا إلا ندير، أحدُّر من الكفر والضلال، وأبشر بالجنة لمن أطاع، والإنسان حرَّ هى اختيار ما يناسبه، قال تمالى: {نَّا خَلْقْنَا الإنسَانَ من تُطُفَّةُ أَشْفَاجٍ يُبْتَالِهِ فَجَعَلْتَاهُ سَبِيعًا بُصِيرًا ﴿ وَإِنَّا مَنْسَالُهُ السَّبِلِ إِنَّا شَاكُرا وَإِنَّا كَثُورًا . (الإنسان: ٢٠).

وقال تعالى: فَلاَكُرُ إِنَّمَا أَنت مُلاَكِرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسْيَطْرِ . (الفاشية: ٢٢،٢١).

وقال تعالى: ليس عَلَيْكَ هُداهم ولكن الله يَهْدي مَن يشاء . . (البقرة: ٢٧٢).

وقال سبحانه: إنَّ أنتُ إلاًّ نذيرٌ . (فاطر: ٢٢).

٩٢ - وَقُلِ الْحَمَّدُ لَلَهِ سَيْرِيكُمْ آيَاتِهِ فَعَرْقُونَهَا وَمَا رَبُّك بِغافلِ عَمَا تَعْمَلُونَ .

وقل يا محمد: الشكر لله فهو أهل للثناء والحمد، له الشكر على ما أنعم، وله الحمد هي الأولى والآخرة: فهو سبحانه الخالق الرازق المنعم للتفضل، له الحمد حمداً كثيرًا طبيبا مباركًا فيه كما يرضى ويعب، وله الحمد بعد الرضاء وله الحمد في الأولى والآخرة.

وكان من دعاء النبي ﷺ:

ويا ربُّ لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك، رضينا بالله تصالى ريا، وبالإسلام دينا، ويمحمد ﷺ نبيا ورسولاه (١٨). واللهم رينا ولك الحمد، حمدًا كثيرا طهيا طاهرًا مباركا فيه كما ترضي رينا وتحبّ مل، السماء، ومل» الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، احق ما قال الميد، وكلنا لك عبد، ولا حول ولا قوة إلا بالله إلعلي المظيم».

سَيْرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا . . .

سيطلمكم الله على دلائل قدرته، وعظيم نعسائه هى الكون والأهاق، وهى آهاق النفس واقطار العلم؛ فتحرفون وحدانيته وعظمته، قال تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حنى يَنَبِسَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحقُ أَو لَمُ يكف برَكُ أَلُهُ عَلَىٰ كُلُ شَيْءٌ شَهِيدٌ . (هملت: ٥٠).

أو سيريكم آياته يا أهل مكة في بلاغة القرآن وإعجازه وصدقه، حيث هزمتم يوم بدر، وانتصر السلمون بعد ذلك حتى فتعوا مكة، ودخل الناص في دين الله أهواجًا .

وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلِ عَمَّا تُعْمَلُونَ .

ههو مطلع وشاهد، وسيحاسب الثامن ويجازيهم على أعمالهم، وهكذا تختم السورة بهذا التعبير الملفوف، اللطيف المخيف، ثم يدعهم يعملون ما يعملون، وفي انفسهم اثر الإيقاع المعيق: وَمَا رَبُّكَ بِعَالِمًا عَمْلُونَ .

روى أن عمر بن عبد العزيز، قال: فلو كان الله مغفلاً شيئًا لأغفل ما تعفى الرياح من أثر قدمي أبن آدم.

وكان الإمام أحمد بن حنبل كثيرا ما ينشد هذين البيتين:

إذا ساخلوت الدهريوساف لا نقل خلوت الدهريوساف لا نقل على رقسيب ولا تحسيب ولا تحسيب الله يخسن الله يخسن ساعة

والحمد لله رب المثلين، وصلاته وسلامه على النبى الأمنّ، وعلى آله وصنعيه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

خلاصة ما تضمئته سورة النمل

- ١ وصف القرآن الكريم بأنه هدى ورحمة للمؤمنين.
 - ٢ قمنص موسى عليه السلام،
 - ٣ قصص سليمان.
 - 1 قصص ثمود، وقصص قوط لوط.
- ه الأدلة على توحيد الله تعالى، وريوبيته لكل شيء.
 - ٦ إنكار المشركين للبعث والنشور.
 - ٧ ~ علم الله يما في الصدور.
 - ٨ حكم القرآن على ما اختلف فيه بنو اسرائيل.
- ٩ قطع الأطماع في إيمان المشركين، وتشبيههم بالعمى والصم.
- ١٠ أشراط الساعة مثل: خروج الداية من الأرض، وحشر هوج من كل أمة.
 - ١١ الجزاء على العمل خيرًا كان أو شرًا.
 - ١٢ ختام السورة، في تجرّد المؤمن في عبادة الله والبعد عن الأوثان.
 - ١٢ حمد الله، والشاء عليه، وثلاوة القرآن الكريم.
 - ١٤ سيرى المشركون آيات الله فيعرفونها حين لا يفيدهم ذلك شيئا.
 - * * *



أهداف سورة القصص

سورة القصيص مكية، وإيّاتها ٨٨ أية، نزلت بعد سورة النما، وقد نزلت في الفترة المُكية الأخيرة فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، وقد سميت بسورة القصيص لاشتمالها على القصيص الذي حكاه موسى لنبى الله شعيب في قوله سبحانه: قُلْمًا جَاءَهُ وُقَسِ عَلَيْ الْقَصْص قَالَ لا تَحْفُ نُحِوْت مِّ اللَّوْمِ الطَّالُمِينَ

قصة موسى

تستغرق قصة موسى حيزًا كبيرا من سورة القصص، فمن بداية السورة إلى الآية £4 نجد حديثًا مستفيضًا عن موسى عليه السلام.

وهي الآيات (٧٥ – ٨٣) نجد حديثا عن قارون، أى أن معظم سورة القصص يتناول قصة موسى ويتناول قصة موسى ويتناول قصة موسى ويتناول قصة موسى ويتناول قصة قارون، والحكمة هي ذلك أن هذه السورة نزلت بمكة هي مرحلة قاسية، كان المسلمون ينيها قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاء والسلطان، فنزلت هذه السورة تضع الموازين الحقيقية للقوي والقيم، وتقرر أن هناك قوة واحدة هي هذا الكون هي قهمة الإيمان، همن كانت قوة الله عليه قلا أمن له ولا طمأنينة ولو ساندته عليه قلا أمن له ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القوى.

ومن ثم يقوم كيان سورة القصص على قصة موسى وهرعون، وتحرض السورة من خلال مذه القصة قوة هرعون الطاغية التجبر اليقظ الحذر، وفي مواجهتها موسى طفلا رضيما لا حول ثه ولا قوة، ولا ملجا له ولا وقاية.

وقد علا فرعون فى الأرض، واتخذ أهلها شيعا، واستضعف بنى إسرائيل، يذبح إبناءهم، ويستعيى نسامهم، وهو على حذر منهم، وهو قابض على أعناقهم، لكن قوة فرعون وجبروته وحذره ويقطته، لا تننى عله شيئا، بل لا تبكن له من موسى الطفل الصغير المجرد من كل قوة وحيلة، وهو فى حراسة القوة الحقيقية الوجيدة، ترعاء عين المغلية، وتنفع عنه السوء، وتمعى عنه العبون، وتتحدى به فرعون وجنده تحديا ساهرا، فتدفع به إلى حجره، وتدخل به عليه عريته، بل تقتحم به عليه قلب امراته وهو مكتوف اليدين إزاءه، مكفوف

لقد طمعت آسية أن يكون موسى وليدا لها تتبناه مع زوجها هرعون، فقالت لفرعون: قُرُّتُ عَيْنٍ لِي وَلْكَ لا تُقَطِّرُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَا أَوْ تُتَخِلُهُ وَلَمَّا وَهُمْ لا يُشَعُّرُونَ . (القصم: ١٨. وهكذا دير الله أن يتريى موسى في بيت فرعون، وأن يؤتى الحذر من مكننه، ولما حرم الله المراضع على موسى، جاءت أمه كمرضعة له، وأرضعته في بيت فرعون، وصار فرعون يجرى عليها كل يوم ديثارًا من الذهب، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «مثل المؤمن كام موسى ترضع ولدها وتاخذ أجرتهاء (*^).

موسى في سن الرجولة:

بلغ موسى أشده، واممتكما نيفا وثلاثين عاماً، وقد صنعه الله على عينه، فصار يتأمل في هذا الكون، ويبتعد عن حاشية فرعون، ودخل الماصمة في فترة الظهيرة فرأى فيطها يعمل طباخا في قصر فرعون يتشاجر مع إسرائيلي، فاستفاث به الإسرائيلي: فضرب موسى القبطى بجمع يده فوقع جثة هامدة، وندم موسى على ذلك واستفر الله وتاب إليه.

وقريص قوم طرعون بموسى ليقتلوه، فانتدبت يد القدرة واحدا منهم يكتم إيمانه عنهم، وجاء لموسى وقال [4: إِنَّ الْمُثَا يَأْتُمُرُونَ بَاكُ لِقَتْفُولُونَ فَاخْرُجُ إِنِّي لِكُ مَنَ النَّاصِحِينُ. ﴿القسس: ٢٠).

خرج موسى هاريا مهاجرًا متجها إلى أرض مدين وحيدا فزيدا فآواه الله ورعاه، وتعرف هناك على نبى الله شميب وتزوج بابنته ومكث هناك عشر سنين، ثم عاوده الحنين إلى مصر فجاء إليها عبر سيناه، وعند الشجرة المباركة نودى من قبل الله: أن يا موسى إنى أنا الله رب المائين، وامتن الله عليه ؛الرسالة وأيده بالمجزات.

موسى مع فرعون:

عاد موسى إلى هرعون مرة أخرى يدعوه إلى الإيمان بالله ويقدم له الأدلة المقلية والمعجزات الظاهرة، ولكن هرعون طفى وتجبر وكذب وعصى؛ فأهلكه الله وأخده تكال الآخرة والأولى، إن هى ذلك لمبرة لمن يغشى.

الحلقة الجديدة في القصة:

عنيت سورة القصم بإبراز حلقة مهلاد موسى، وتربيته فى بيت فرعون، وهى حلقة جديدة هى القصة تكشف عن تحدى القدرة الإلهية للطنيان والظلم، وفيها يتجلى عجز قوة فرعون وحيلته وحدره عن دفع القدر المحترم والقضاء النافذ.

لقد ولد موسى فى ظروف قاسية فى ظاهرها، فصاحبته رعاية الله وعنايته، فى رضاعه وفى نشاته وفترته، وصنعه الله على عينه وهيأه للرسالة، وإذا أراد الله أمرًا هيا له الأسباب ثم قال له كن فيكون.

قارون :

ذكرت سورة القصص قصة موسى في بدايتها وقصة قارون في نهايتها، والهدف واحد، فقصة فرعون تمثل طفيان اللك، وقصة قارون تمثل طفيان الثال. كان قارون من قوم موسى وكان غنيا ذا قدرة ومعرفة، راوتى من المال ما إن مضاتحه لتمين العصبة من الرجال الأقوياء، وخرج على قومه فن زينته وأبهته ليكسر قلوب الفقراء، ونصحه قومه بالاعتدال وإخراج الزكاة، والإحسان إلى الناس والابتداء عن الفصاد.

فزادته النصيحة تيها وعلوا، و خرج بياهى الناس بماله وكنوزه، ثم تدخلت يد القدرة الإلهية فخسفت به ويداره الأرض، ولم يغن عنه ماله ولا علمه.

وهكذا تصدير عاقبة الطللين، كما غرق فرعون في البحر، هلك هارون خسفا هي الأرض، ولا تزال بحيرة قارون نذكر الناس بنهاية الطللين، قال تعالى: وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم مُوسى بالبيّات فاستكبُروا في الأرض ومَا كانُوا سَابِقِينَ فَكَلاَ أَخْذَا بِلنَبِهِ فِينُهُم مِنْ أَرسَلْنَا عَلِيهِ حاصبًا ومِنْهُم مِنْ أخلتُهُ الصِيْحةُ ومِنْهُم مَنْ خَسَفًا به الأرض وَمَنْهُم مِنْ أَغْرِقْهَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْلَمُهُم وَلَكَن كَانُوا انْشَبِهُمْ يَظْلُمُونَ

أهداف السورة

نهدف سورة القصص إلى إثبات قدرة الله ورعايته للمؤمنين، فهو سبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد المتشرد بالدكم والقضاء، قد آزر موسى وحيدا فريدا طريدا، ونجاه من بطش فرعون، واغرق فرعون وجنوده، كما أهاك قاررن وقومه.

وبين القصدين نجد الآيات من (٤٤ – ٧٥) لدقب على قصمة موسى وتبين أين يكون الأمن، وأين تكون إلماض، وأين تكون إلماض، وأين تكون إلمخافة، وتجول معهم جولات شتى المخافة، وتجول مع المشركة الإنكار والمعاذير، تجول معهم جولات شتى في مشاهد الكون، وفي مشهد الدعش، وفيما هم هيه من الأمن، بعد أن تعرض عليهم دلائل الصدق فيما جاءهم به رسولهم ﷺ، وكيف يناقداه فريق من أهل الكتاب بالإيمان واليقين، بينما هم يتلقونه بالكفران والجحود، وهو رحمة لهم من العذاب، لو أنهم كانوا يتذكرون.

ختام السورة

في ختام السورة نجد الآيات (٨٥ - ٨٨)، تمد الرسول ﷺ بالرجوع إلى مكة فاتحا منتصرا، بنشر الهدى ويقيم الحق والعدل، ومن المجيب أن هذا الرعد بالنعام وهو مُحَرِّح من بلده، مطارد من قومه، مهاجر إلى المدينة إلى بيلفها بعد، فقد كان بالجحمة تربيا من مكة، قريبا من الخطر، يتعلق قلبه ويصرم ببلده الذي يحبه، ويقول عند غراشه محاطبا مكة: «والله إنك لن أحب البلاد إلىّ، ومن أحب البلاد إلى الله، ولولا أن قومك أشرجوني منك ما خرجت».

ويعده الله بالرجوع إلى مكة فيقول: إنَّ اللَّذِي فرض عَلَيْكِ الْقُرَّانَ لَرَادُكُمْ إِلَى مَعَاد . . (القصص: ٥٥).

ويبين سبحانه أن كل ما دون الدق فهو عرضة للفناء والزوال، وان زمام الحكم بيده تعالى، وتختم السورة بهذه الآية إثباتا للوحدانية ولجلال القدرة الإلهية : ولا تَدْعَ مَعَ الله إلَهَا آخَر لا إِلَهُ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجُهُهُ لَهُ الْحَكُمُ وَإِلَيْهُ تُرْجُّونُ . (القميس: ٨٨).

المفردات

الكت القرآن، لأنه مكتوب في اللوح المعفوظ، أو لأنه يكتب في "صحف.

المبين للأحكام.

نتاوا عليك، ننزل عليك،

النبيا الغبر العجيب.

عسلافي الأرض: تجبُّر واستكبر.

يستض مقهورين.

ط الله الدائيل.

يستحيى نساءهم، بيقى إناثهم دون قتل.

نــــن انتفضل.

نعكَ من الهـ مع الله عنه إذا جعل له مكانا موطأ ممهداً يجلس عليه، والمراد هنا: التسلط على أرض مصر والتصرف فيها .

هاهــــان، وزير فرعون.

تمهيده

تأتى هذه الآيات فى بداية منورة القصص، توصِّع أن يد القدرة الإلهية نافذة واصلة إلى ما تربد، وتحكى أهداف القصية والمحكن من الأرض للضنفاء القهورين، مثل موسى الطفل الرضيع الذى يستر الله له الإسباب، حتى يكون صبيا فى هلاك فرعون وقومه، وغرقهم فى ماء النيل؛ فمن وجد الله وجد كل شيء، ومن فقد الله فقد كل شيء،

التشسير

١ - طستم. .

تقدم الكلام عن هذه الأحرف القطعة في أوّل سورتي البقرة وآل عمران وغيرهما.

والخلاصة

أن للعلماء في هذه الأحرف رأيين رئيسيين:

الأول: أنها مما استأثر الله تعالى بعلمه.

الثنائي: ان لها معنى، لكن الآراء تدددت هى تحديد هذا المغنى، فقيل: هن إشارة إلى أسماء الله تمالى أو ميضاته، وقيل: هى أدوات للتبيه، كالجرس الذي يقرع هيئنيه التلاميذ إلى دخول المدرسة، وقيل: هى حروف السحدي والإعجاز وبيان أن القرآن الكريم مكرّن من حروف عربية، هى الطاء والسين والميم، وقد عجزتم عن الإتيان يمثله؛ قدلٌ ذلك على أنه ليمن من سنع بشر، ولكنه تنزيل من حكيم حميد.

٢ - تلك آياتُ الكتاب المبين .

هذه آيات القدران الكريم الواضع المبين، المسهل المستنع، الذي وضلَّع الأحكام والقدرالضر، وتحدث عن السّلال والحرام، وبيِّنُ أحكام التشريع، وقصص السابقين، مثل: نوح، وعاد، وثمود، وموسى، وهارون، وعيمس، ومعمد ﷺ.

وأخبر عن القيامة والبنث والحشر والحساب والجزاء، فهر كتاب واضح معجز مبين، شهد له الأعداء، وتحدّى الله به العرب والمجم والإنس والجن.

٣ - نَتْلُوا عَلَيْكُ مِن نُبُأ مُومَنَىٰ وَلِرْعَوْنُ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

نقصِّ عليك الها الرسول الكريم من قصة موسى مع هرعون وقوميهما، قصصا متصفا بالحق والصدق، لقوم يؤمنون بالله ويصدقون بقدرته وجبروته، فهو سبحانه وتمالي الواحد الأحد الفرد. الصمد، وهو الفمال لما يريد، وهو الذي إذا أراد أمرًا قال له كن فيكون، وفي قصة موسى رخو وليد مرخوب في قتله، ولا قدرة له -إلا حيلة، وفي قصمة فبرعون وهو اللك المتغطرس الذي ادعى الألوهين؛ وقال: يا أنّها الْصادُّ ما عَلَمْتَ لَكُم مِنْ إله غيري . . . (القمص: ۲۸)، وقد بطش وظلم وجعل الناس شيعا واحزابا، وقتل الأمقال. الأبرياء،

ثم جمل الله نهايته وهلاكه عظة وعبرة، وبيانا لكل ظالم ان يد الله قرية هادره فاهرة، ولكل مثلوم أن السماء لا تنام وعليك أن تأخذ بالأسباب ثم تتوكل على الله، قال تمالى: رَسَ يَو كُلُ عُلَى اللهَ فَهُو حَسِّدُ إِنَّ اللّه بَالْعَ أُمُّرِهُ قَدْ جَمَلُ اللَّهُ لَكُلُّ كُيْءٍ قَدُولًا . والطلاق: ٣٠.

إِنَّ فِرْعُونَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلُ أَهْلَهَا شَيِمًا يَسْتَضَعَفُ طَائِفَةً فَشَهُم يَلْبُحَ أَبِنَاءَهُمُ وَيَستَحْبِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ
 كان من المُفسدين .

إن فرعون تكبر وتجبر في ارض مصر، فهو نموذج لحاكم ظالم، يقرّب طائفة من القبط، ويسخّر طائفة في القبط، ويسخّر طائفة في البناء أو الحجرت أو الأعمال الشاقة، ويستضعف طائفة ويستذنها وهم طائفة بني إسرائيل، وكانوا أشخ لل الطوائف في ذلك الوقت، وكان فرعون قد رأى رؤيا خلاصتها: أن نازًا جاحت من جهة بني إسرائيل فأحرقت عرضه، وفسرها الكهنة له بان طفلا يولد في بني إسرائيل يكون على يديه ذهاب مُلك فرعون، فأمر فرعون بقتل الموائيل، واستعياء الإناث للخدمة والسخرة، لقد كان منسداً طأغيا بأغيا، طاقى ستفه في قمله، وحمّر لنفسه بطلقه، حيث خشى من طفل يولد من بني إسرائيل، وخافت أم موسى عنيه طائفته في البحر، والتعلم أن فرعون والتي الله الحبُّ على موسى؛ فأحيته امرأة فرعون، وتربي في قصر فرعون وأكل من طماه، ثم أوجى الله بالرسائة إلى موسى، فيلغ رسالته، ثم أوجى الله وأغرق فرعون،

ه - وَنُرِيدُ أَنْ نُمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَصْاهُوا فِي الأرْضِ وَنَجَعَلُهُمْ أَثِنَةً وَنجَعَلُهُمْ الْوارثِينَ

يريد الحق سبحانه وتمالى، وهو فعال لما يريد، أن يتقضل على هؤلاء الذين كانوا ضعافا أذلاً،، مقهورين. مغلوبين: ليجعلهم هداة يهتدى بهم في أمور الدين والدنيا، وأن يرفع عنهم المذلة والمهانة.

و نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ .

المتصرفين في نعمتنا وهضلنا تصرف الوارث في المال الذي ورثه، ولم يثبت في التاريخ أن بني إسرائيل حكموا مصر، أو ورثوا أرضها، فالمراد: أن الله أورثهم أرضا شبيهة بها في فنسطين، أو كانت فلسطين في ذلك الوقت تأبية لحكم فرعون، والثابت أنهم خرجوا من مصر، ثم حكم الله عليهم بالتيه في صحراء سيناء أربعين سنة، ثم هلك الجيل الذليل، ونشأ جيل عزيز مؤمن، فتح فلسطين بقيادة بوتكع بن نون، ولمل هذا هم اليراث المذكور. وَنُمكَن لَهُمْ في الأَرْض وَنُريَ فرْعَوْن وَهَامَان وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْدَرُونَ .

لقد أراد الله – ولا رادٌ لقضائه – أن يمكن لبنى إسرائيل هى آرض فلسطين وقتًا ما، ثم فتحوا فلسطين واستمـر ملكهم بهـا فترة محدودة، وغرق فرعون وهامـان وجنودهمـا فى مـاه النيل، وأراد الله إعــزاز المؤمنين، وإذلال الفسدين، وكان فرعون يغشى من بنى إسرائيل، ويخاف من موسى وقومه، فنصر الله موسى، ومكّن لبني إسرائيل فى الأرض، ولم ينفع فرعون ظلمه وغشمه وقتله للأطفال الأبرياء؛ فعرق فى النيل وهلك جيشـه مـه. وحصل ما كان يحدره فرعون ويخاف منه، فإن الحدر لا يمنع القدر، قال الشاعر.

عناية الله إن تولت ضعيفا تعبت في مراسه الأقسوباء

وهي الأثر: عبدي، انت تريد وأنا أريد، ولا يكون إلا ما أريد، فإن سلمت لى فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لى فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ولا يكون إلا ما أريد.

قال تمالى: وَأُورُقُنَا الْقُومُ اللَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَغُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِيهَا الَّتِي بَارَكُنَا فِيهَا وَتَمُّتُ كَلَمْتُ رَبُكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنى إسْرَائِلَ بِمَا صَبِّرُوا وَدَمُرْنَا مَا كَانَ يَمْنَتْمُ فُرْعُونُ وَقَرْمُهُ وَمَا كَانُوا يَمْرِشُونَ . (الأعراف: ١٧٧).

وقال سبحانه: وَاتَرُك البَّحْرَ وَهُوا إِنَّهُمْ جُندٌ مُغْرِقُونَ ﴿ كُمْ تَرَكُوا مِن جَنَّتُ وَعُيُونَ ﴿ وَزُرُوعِ وَمُقَامٍ كَرِيمٍ ﴿ وَنَهُمَ كَانُوا فِيهَا فَاكْهِينَ ﴿ كَمَاكُ وَالْوَرْثَاهَا قُومًا آخَرِينَ ﴿ فَمَا كَنُوا مَظُونِينَ ﴿ فَمَا كَنُوا مَظُونِينَ ﴿ فَمَا كَنُوا مَظُونِينَ * وَمُعَالَمُ عَلَى ﴿ وَمُعَالَمُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَوْمِنُ وَمَا كَانُوا مَظُونِينَ ﴿ فَمَا يَكُونُ اللَّهِ وَاللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْكُ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَوْمِنُ وَمَا كَانُوا مُظَوِّينَ ﴿ وَمُعَالِمُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأُومِينَ ﴿ كَانُوا مُظْلِينَ مُنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَوْمِ لَلْهُ عَلَيْهُمُ السَّمَاءُ وَالْأَوْمِ وَلَا عَلَيْ

وهال جل شاته: قَا طُرَجَنَاهُم مِن جُنات وَغُون هِ وكُورُ وَمَقَامٍ كَرِعٍ هِ كَذَالِكُ وَأَوْرَثَاهَا بِنِي إسرَائِيلَ. (الشمراء: v - ٥٠-

وقد ذكر المفصرون هنا أن بنى إسرائيل لم يحكموا مصر، هلمل المراد: أن الله عوضهم بما يشبه هذه النعم، في التيه أو في فلسطين. ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمْمُوكَ أَنْ أَرْضِعِيةً فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِ الْهَوْوَلاَ فَحَافِي وَلاَ عَمَا وَلاَ عَلَيْهِ وَالْحَمْدِينَ فَالْمَوْمِينَ أَلْمُوسِيةً فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَالْمُوسِيةِ فَالْمُوسِيةِ فَإِنْ الْمُوسِيةِ فَإِذَا فَرْعَوْنَ وَهُمَا الْمُوسِيةِ فَالْمُوسِيةِ فَالْمُوسِيةِ فَالْمُومِينَ لَهُ مُعَالِكَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَالْمُومِينَ لَهُ مُعَالَقُومُ مَا اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَا اللَّهُ عَلَيْهِ فَالْمَا مُوسِيةً فَاللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهِ فَاللَّهِ فَاللَّهُ عَلَيْهِ فَالْمَا اللَّهُ فَاللَّهُ فَاللَّهُ عَلَيْهِ فَلَا اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ فَاللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ فَلْمُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَقَمْ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَيْمَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللْمُعَلِي عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللْمُعَلِي عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْه

المضردات،

المسيسمة البحر، والمقصود هذا النيل، وكل نهر عظيم يطلق عليه بحر لاستبحاره.

المسمسموف، غم يحصل بسبب توقع مكروه يحدث في المنتقبل،

الهـــــنان غم يحدث بسبب مكروه قد حصل.

الالتسقيطة أخذ شيء فجأة من غير طلب له.

آل هسسرعسسون، المراد بآله: من ينسبون إليه، ولو بالخدمة.

معاديا.

وحُسب نَها، مصدر حزن لهم،

الخطاء ين مشركان عاصان لله، متعمدين لارتكاب الخطأ.

ف المنافقة المنافقة

إن كــــادت؛ إنها كادت لتعلن أمره للناس.

ريطنا على قلبها: مجاز عن التثبيت بالصبر،

أ م يده اقتضى اثره وتتبعى خيره.

هـــــرت به: أبسرته.

من جُنتبه عن بعد.

لا يشب مسرون: لا بدرون أنها أخته.

حسيرهناه منعتل

يك ف المواسف، يتولُّونه ويقومون على تربيته ورضاعته.

تاصـــحـــون، النصح: إخلاص الممل، والمراد: أنهم يعملون ما ينفعه هي غذاته وتربيته، ولا يتَصَّرون هي خدمته.

تمهيده

تتحدث الآيات عن حلقة معينة من حياة نبى الله موسى هى حلقة ميلاده، وما لابمن ذلك من عنايات إلهية، منها الوحى والإلهام لأم موسى أن ترضعه هى خفاء، طإذا خشيت عليه من جواسيمن فرعون فعلها أن تلفيه هى البحر، وسترعاه عناية الله ليردُّه إلى آمَّه، وقد التقطت أسرة فرعون هذا الوليد، وألقى الله معبته هى قلب آسية، فقالت: لا تَقْفُوهُ عَمَى أَنْ يَنْعَمَّا أَنْ تَغْضَاً وُ لِنَّالًا . . . (التسمن ٥٠).

ودبرت المناية الإلهية لهذا الوليد أن يربى هي بيت فرعون، وأن ترضعه أمَّه، وإذا أراد الله أمرًا هيا له الأسباب، ثم قال له كن فيكون.

التفسير

٧ - وَٱوْحَيْنَا إِنْى أَمْ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيه فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْه فَالْقِيه فِي النِّيمَ وَلا تَخْلُقِي إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْك

 وَعَاعُهُ مُ رَا المُرْسَلِينَ .

أى: ألهمنا أم موسى، أو أرسلنا إليها ملكا يطلب منها ذلك، وهذا الوحى لا يُثبت لها نبوة، لاتفاق العلماء على أن النبوة خاصة بالأنبياء الدكور، أو كُلِّفت بذلك في النوم.

والمقصود أن الله أعلمها وأمرها أن ترضمه وقتما تكون آمنة عليه، فإذا خشيت عليه القتل من جواسيس فرعون، فعليها أن تضمه في تابوت أو صندوق خشبي وتلقيه في النيل، وقد أمرها الله ألا تخاف عليه الضنياخ، ولا تحزن على مفارقته إياها، فإن الله سيرده إليها بقضله وقدرته، وعندما يبلغ سن الرمىالة سيجعله الله من المرسلين برحمته وفضله.

ملاحق حول هذه الآبة

: 44

اتصال السماء بالأشخاص منَّة إلهية، ووحى الله إلى أمَّ موسى معناه إعلامها بهذا الأمر، قيل: بواسطة ملك، وقيل: بواسطة رقيا منامهة، كرؤيا إبراهيم بنبح ولده، وقيل: إلهام قنف في قلبها.

ويذكر المفسرون هنا قصة اتصال الملاتكة بالناس في أحاديث صحيحة، مثل قصة الأقرع والأبرص والأعمى (¹⁷⁷)، وكانوا مرضى وفقراء، فاراد الله أن يختبرهم فارسل ملكا إلى كل واحد منهم، فطلب كل واحد منهم الشفاء من مرضه، وأعطى الأول بقرة عشراء، والثاني نافة عشراء، والثالث شاة عشراء، ثم كثرت أموالهم وصاروا أغنياء اصحاء، فأراد الله اختبارهم في حالة النني، فأرسل الملاك إلى الأول في صورة شخص أقرع مريض برجو المونة، ولكن الشخص الذي كان أقرع سابقا، رفض مساعدته، فتذكّره الملاك بأنه كان مريضا وفقيرًا، فقال الرجل: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال الملاك: اللهم إن كان هذا الرجل كاذبا فاعده إلى ما كان عليه، فماد الرجل فقيرا كما كان، مريضا كما كان، وفعل الأبرص مثل الأقرئ، فماد مريضا فقيرا، أما الأعمى فقد نجح في الامتحان، وقال للماثل: خذ ما تشاء من المال، فوائله لا أمنعك مالا أخذته في سبيل الله،

وهي الحديث المنحيح، يقول النبي ﷺ: فقد كان فيمن كان فيلكم من بنى إسرائيل رجال يُكلَّمون من غير ان يكونوا انبياء، فإن يكن في امتى منهم أحد فعمره (٢٠٠).

وقد سلمت الملائكة على عمران بن حصين ولم يكن نبيا، كما في تفسير القرطبي.

وفى الحديث النبوى: «إن رجلا ذهب لزيارة أخ له فى الله؛ فأرصد الله له ملكا على مدرجته، وسأله؛ أين تذهب، ولماذا؟ فقال الرجل: أزور آخا لى فى الله، لأنى أحبه فى الله؛ فقال الملك: إن الله أرسلنى إليك لأخبرك أن الله بعكك بحيك لأخيك» (٢٣).

وقد كلمت الملائكة مريم ابنة عمران ويشرتها بعيمس ... إنخ كما نزلت الملائكة في غزرة بدر، وفي غزوة بني قريطة، وفي غزوتي حنين والطائف، وفي غيرها من الفزوات والواقف.

قال تعالى: هُو الَّذِي يُصَلِّي عَلَيكُمْ وَمَلاِئكُنَّهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الطُّلْمَاتِ إِلَى النُّور وَكَانَ بِالنَّوْمِينَ رَحِيمًا. (الاحزاب: 14)

وفى الحديث الشريف: «إن لله ملائكة طوافين عليكم، شإذا أتوا إلى مجلس ذكر قالوا: هلموا إنا قد وجدناهم، فيحقونهم باجتحتهم ويشملونهم بالرحمة والسكينة ...، (٣٠) إلى آخر الحديث. وكلهـا تلتقى على أن الله تعالى يسبخر الملاككة لإنفاذ أمره، وتيسير مراده، ورعاية المؤمنين، ومعاقبة المُعمدين.

دانياء

اشتملت الآية القرآنية على أمرين ونهيين، وخبرين وبشارتين.

بروى ان امراة انشدت شعرا (^{۱۸})، همدح الأصمعين همياحتها ويلاغتها، فقالت: أبعد قوله تعالى: وَأَوْحِيَّا إِلَّيْ أَمْ مُرِسَىٰ أَنْ أُوضِّهِم . . . فصاحة، وقد جمعت بين أمرين ونهيين، وخبرين وبشارتين، وتقميل ذلك:

أن قوله تمالى: (أرضعيه وأثقيه) أمران.

وأن قوله تعالى: (لا تخافي ولا تحزبي) نهيان.

وقوله تمالي: (إنا رادُّه البك، وجاعلوه من الدسلين) خيران وبشارتان.

خانداء

يروى المنسرون هنا قصصا كثيرًا حول بطش هرعون بينى إسرائيل، ومن ذلك ما ورد هى تفاسير: ابن كثير، ومقاتل بن سليمان، والقرطبي وغيرهم.

وخلاصته

أن فرعون رأى رؤيا فيها أنْ نلزًا جاءت من بني إسرائيل فاحرقت عرشه، فقسرها الكهان بأن طفلا يولد هي بني إسرائيل يكون على يديه نهاية ملكه، فأمر أن تقتل الذكور من بني إسرائيل وتستحيى الإناث، فقتلًا هرمون الآلاف من أطفال بني إسرائيل، ليموت موسى بينهم، بيد أن عناية الله جملت فرعون يلتقطه ويربيه ويرعاه لتكون نهايته على يديه، فإذا أراد الله أمرًا هيا له الأسباب، ثم قال له كن فيكون.

رايماء

ولد موسى هى ظروف صعبة، فأرضعته أمه ثلاثة أشهر، وقيل: أربعة أشهر، حتى خشيت عليه من جواسيس فرعون: همنمت له تابوتا على هيئة صندوق من ورق البردى ودمنته بالقار وأغلقت المسندوق، ووضعته فى البحر، وشتان بين صبى هى حضن أمه وثديها وحنانها، ونفس هذا الصبى يلقى فى البحر عند الخوف عليه، هيلقى الله عليه المحبة، فكل من رأه أحبّه، وتصنع الأقدار ما تشاء، لنج مل من هذا الصبى المنقذ لبنى إسرائيل، ولتكون فهاية فرعون على يديه.

٨ - فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَلُواً وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعُونَ وَهَامَانَ وَجُنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِينَ .

أهادت الآية السابقة أن الله أوجى إلى أمِّ موسى أن أرضعيه ما دمت آملة عليه من أتباع فرعون، فإذا خفت عليه منهم فالقيه في البحر. ونفهم من السياق أن أمَّ موسى أرضعته فترة، ذكر بعض المُسرين أنها ثلاثة أشهر، وقال بعضهم: أربعة أشهر، فلما اشتد خوفها عليه من العسس والجواسيس الذين يذبحون الذكور بسكاكين حادة، ثم يتركونهم ذاهبين، عندئذ صنعت ثابوتا وضعت فيه موسى وألقته في بُهـر النيل، فأخذته الأمواج قرب قصر فرعون، وشاهدته آسية امرأة فرعون، فأمرت الجنود بإحضاره؛ فأحضروه لها، ففتحت الصندوق فأبصرت غلامًا وضيئًا يشع النور من جبينه، هالتي الله محبته في قلبها، فتمسكت به ورغبت في حضانته لحكمة أرادها الله، هي أن يريى في بيت فرعون، وبين سمعه وبصره، وليكون موسى هو المخلُّص لبني إسرائيل من عنت فرعون.

لَيْكُونَ لَهُمْ عَنُواً وَحَزَنًا ...

أي: التقط أهل فرعون وحاشيته الوليد من ماء النيل، ليتحقق ما أراده الله، في أن يكون هذا الوليد الذي التقطوه وأنقذوه وكفلوه، هو الذي أوحى إليه برسالة سماوية عادلة، أمرت بعبادة الله وحده، لا بعبادة الفرعون، وحررت الناس من العبودية، وقاد موسى بني إسرائيل في ليلة معينة، ونجاء الله من البحر، وأغرق فرعون.

قال المفسرون، واللام هنا لام العاقبة والصيرورة؛ لأنهم التقطوه ليكون لهم قرة عين، فكانت عاقبته أن كان مصدر عداوة وحزن، كما في قول الشاعر:

> وللمنايا ديركل مرضعة ورورنا لخراب اللعر نبنيها

ويرى بمضهم أن اللام هذا يصح أن تكون لام التعليل؛ بمعنى أن الله تعالى بمشيئته وحكمته يمثّر لموسى التقاط آل فرعون له، وتربيته وكفائته ورعايته؛ ليكون يد القدر في إهلاك فرعون وجنوده، وليكون ذلك أبلغ في إيطال حذرهم منه، فقد ريُّوه رجاء نفعه أو أن يكون لهم ولدًا. وأراد الله أن يكون وسيلة الانتقام منهم،

إِنَّ قَرْعُونَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِينَ .

فقد ارتكبوا ذنوبا عظامًا، وقتلوا آلاف الأطفال الأبرياء، وعذَّبوا بني إسرائيل واستناوهم؛ فعاقب الله فرعون وقومه عقابا يستحقونه،

خَاطِينَ . مرتكبين للخطأ، أو مرتكبين للخطيئة والإثم، ويطلق عليه الخطُّ، بكسر الخاء وسكون الطاء. قال تمالى : وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاق نُحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَالَهُمْ كَانَ خطتًا كَبيراً . (الإسراء: ٢١).

٩ - وَقَالَت امْرَاتُ فَرْعُونَ قُرْتُ عَيْن لَى وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنفَعَنا أَوْ تَتَخذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُون .

حين رأت آسية بنت مزاحم الصبيّ تخيلت فيه وسامة وذكاءً ونورا، وألقى الله محبته في قلبها؛ فقالت لزوجها: قُرُّتُ عَيْن لَي وَلَكَ . . . أي: مصدر سرور وفرح لي ولك، لا تقتلوه كما تقتل أطفال بني إسرائيل، وكأنها أحست من هرعون برغية هي قتله، فحبيت فيه فرعون؛ وقالت: انظر إلى براءة وجهه وطهارته ونجابته وأصالته، ثم خاطبت الفرعون والحاشية المكلفة بقتل الأطفال فقالت: لا تَفَعُوهُ . . . وكانت عقيما لا تلد، أو ولدت بنتًا مريضة، شفيت عند قدوم موسى.

فقالت لفرعون: عَمِّنَ أَنْ يَنْفَعَنَ أَوْ تُتَخِلْمُ وَلَداً... عسى ان يكون عونا لنا ومساعدًا، فإنى ارى هيه كرم الأصل، ومسحة الذكاء، وخيرًا ويركة.

أو تُعَجِّلُهُ وَلَناً. نتبناه هيكون لنا ولدًا، نعتمد عليه هي كبرنا، ويشدُّ أزرنا، ونسعدُ به كما يسعد الآباء بابنائهم.

وَهُمْ لا يُشْعُرُونَ .

أن يد القدرة الإلهية تحرّك الأمور، وتلقى الحُب لموسى هى القلوب، ليكون الحبُّ له وسيلة عملية، تستولى على قلب الطاغية، وعلى قلب زوجته؛ لتصنم الأقدار يبد هذا الملفل هلاك الطاغين، وتجاة المؤمنين.

١٠ - وأُصْبَحَ فَقَ ادُّ أُمُّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ تُعْبِدي بِه لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لفَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ .

القت الأم وليدما في البحر امتثالا لأمر الله تمالي، لقد ألقته ليلاً، وفي الصباح اشتد حزنها وهلمها، حين رات الأمواج ترتم ولتخفض، أو حين خشيت عليه الفرق أو الضياع، أو القتل أو الموت.

قال المُمسرون: أصبح قلبها فارغًا من كل شيء إلا من موسى، أين ذهب؟ من آخذه؟ هل هو حيّ آم ميّت؟ ماذا يصبر آمره إذا غُثر عليه ؟

وهى عاطفة الأمّ، تكاد تسيطر على تصرفاتها، فنتسبها الحكمة أو الصبر، أو التجلّد أو انتظار الفرج، وهى تلك اللحظة أوشكت أن تصبح فى الناس قائلة: أدركونى، لقد ألقيت وليدى بيدى فى البحر، فهل من سبيل لإرجاعه لى ؟

لُولًا أَنْ رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

أى: لولا أن ثبَّت الله قلبها بالإيمان، وسلاً قلبها باليقين والشقة بوعد الله، شاعاد الله إليها الهدوء والاطمئنان وثبات الفؤاد، لتكون من الملتزمين بتصديق الله في وعده، والآية تصور فطرة الأم وعاطفتها في حالة من حالات الشك والياس، ثم يأتى فضل الله فيجعل في القلب بردًا وسلامًا ويقينًا وثقة واطمئنانًا، وقريب من هذا المنى قولة تعالى: حَتَّى إذًا اسْيَاكَى الرَّسُلُ وَقُلُوا أَلْهُمْ قَدْ كُلْبُوا جَاءَهُمْ تَصُرُنًا . . (وست: ١١) ١١ - وَقَالَتْ لأُخْته قُصِّه فَيصرت به عَن جُنْب وَهُم لا يَشْعُرُونَ .

أي: كَلَّنت أم موسى أخته الكبرى أن تقص أثره وأن تعرف مصيره، وأن تحاول التمرف على أخباره، هأبصرته من بديد وهى ترقبه بعينها، وتحاول أن تصرف عنه وجهها، وأهل فرعون لا يشعرون أنها أخته، ولا يدركون أنها تتعرف على حاله ومصيره.

هما أعظم هذه الأخت التى تخوض الأهوال، بقلب ثابت وعزيمة راسخة، وروح هدائية، وتتسبب فى خير كثير، وتكون وسيلة القدر فى إعادة الطفل إلى أمه، وتربيته فى أحضان والدته، والله على كل شيء قدير.

١٢ - وَحَرُّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بِيْتِ يَكْفَلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ .

عندما شرحت آسيةٌ بالوليد، ويطُّبت شرعون في كفائته وتبنيه، قبل الفرعون ذلك، ووضع الله لوسى الحيَّه، فكل من رأه أحيه، قال تعالى: وَأَلَّهُتُ عَلَاكُ مَحِيًّا مَنَّ كُنُّ مَنَّ عَنْي عَنْي . (مه: ٢٩).

واستقدم آل فرعون المراضع لارضاع موسى، فرفض الرضاع منهن جميما، واشتد جزع آسية إشفاقا على الوليد، وخوفا على حياته، فلما شاهدت اخته ذلك تقدمت إليهم بالنصح وقالت: أعرف امرأة طبية اللبن، طبية اللبن، طبية اللبن، فيذ لكم، فسالوها: هل تعرفين هذا الوليدة قالت: لا، وإنما نحن جميما ناصحون للملك، نريد خدمته والمحافظة على أحبابه، فطلبوا منها إحضار هذه المرضمة، فجارت يوكابد أم موسى في صورة مرضمة، فلما رأها الوليد فرح بها ورضع منها، فسالوها: هل أنت امّه قالت: لا، لكني امرأة طبية اللبن، طبية اللبن، الربع، لا أوتى يصبى إلا رضع منى، فقدموا لها بعض الأطفال الرُضْع فرضعوا منها جميمًا، ولم يوفضها رضعية اللبن، تصية، وأكرمت يوكابد، وقدمًت لها الصلة والمدروف، وسمحت لها أن تحمل الوليد إلى

١٢ ــٰ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمَّه كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تُحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ .

هارجم الله الوليد إلى أمه يميش آمنا مطمئنا، وتميش أمه ممه هي بحبوحة من الميش، وسعادة وقرة عين بلا حزن ولا خوف، وقد كان الوقت قليلا بين إلقائه هي البحر، وبين عودته إلى أمه هي أمان ويسر وسعادة، حتى قال رسول الله ﷺ: «مثل المُؤمن كام موسى ترضع ولشها وتأخذ أجرتها» (⁽⁷⁾).

ظلمُومن يصلَّى ويصوم ويطبع الله، فيحفظه الله في الدنيا، ويتُخر له الثواب في الأخرة، فله جهتان للمنفعة، وإم موسى ترضع ابنها فتسعد وتضرح، وتأخذ أجرة من بيت فرعون زيادة من الله في الفضل والمناية،

وَلْتَعْلَمُ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَتَّى .

حين وعدها الله أن يردُّ إليها ولدها، وأن يجمله رسولا، ليتأكد لها صدق الوحى والإعلام بذلك، أو ما وعد الله به رسله من النصر، حين قال: كُتُبُ اللُّهُ لأَغْلِنُ أَنَّا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهُ فَيُ عُزِيزٌ . (المجادلة: ٢١).

فقد دبَّر الله لهذا الوليد سلامته ورعايته وتربيته بإشراف فرعون، وإحضار امه مرضعة له، وقبول آل فرعون أن يربَّى في بيت أمَّه، وما يطمون أن القدر يدبَّر ويسخِّر ويمهد لما يشاؤه الله.

وَلَكُنَّ أَكْثَرَهُمُ لا يَعْلَمُونَ .

أى: لا يعرفون حكمة الله هن أفعاله وعواقبها المحمودة، فريما وقع الأمر كريها إلى النفوس وعاقبته معمودة، كما قال تعالى: وَعَسَىٰ أَن تَكُرُهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُو شَرِّ لَكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَآتُمْ لا تَعَلَّمُونَ. (الله: 11).

ويشبه أن تكون جملة ولَكُنُ أَكْثَرُهُمُ لا يَعْلَمُونَ . تعريضا بما حدث من أمَّ موسى، حين أصبح فلبها فارغًا من كل شيء في الدنيا إلا أمر موسى، وأوشكت أن تصبح في الناس فائلة: ألقيت يولدي في البحر . لكن الله ربط على قلبها لتكون من المؤمنين، ثم رد إليها ولدها لتتيمّن بأن وعد الله حق لا ربب فيه، ولكن كليرا من الناس يضامرهم الشك في ذلك.

قال القرطبي:

ولَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ . يمنى: أكثر آل شرعون لا يعلمون.

أى: كانوا في غفلة عن التقدير وسر القضاء،



﴿ وَلَمَا اَلْمَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَنَا اللّهَ اللّهُ عَكْمًا وَعِلْمَا أَوْكَذَلِكَ اَغَرِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ وَوَحَلَ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَى عَلَيْهُ عَلَى عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلِي عَلَيْهُ عَلَيْ عَلَيْهُ عَلَي

المفردات،

م کے مار حکمة ،

ومسلسماء ومعرفة وقهما.

شيمته : جماعته وحزبه ، أي : من بني إسرائيل .

<u>د استنداده و طلب غوثه ونصرته ومساعدته .</u>

فوكره موسى ، ضريه بكفه مقبوضة الأصابع في صدره ، وقد يطلق الوكز على معنى الطعن والدفع .

فقضى عليه ؛ أنهى حياته فمات .

ت هيئا ومساعدًا.

يترقب، ينتظر ويترصد المكروه.

استنصره: طلب نصره ومعاونته.

یستصرخه؛ بستغیث به .

يبيعطش ، البطش الأخذ بالشدة والعنف .

جـــبــــازا ، الجبار. اسم من أسمانه تعالى ، والجبار: العظيم القوى ، وكل عائز ، ومن يقاتل في غير حق. المتفسد :

٤ ١ - وَلَمَّا بَلَغَ أَشَدُّهُ, وَٱسْتَوَى ٓ ءَالْيَنَا لُهُ حُكُمًا وَعِلْمًا وَكَذَا لِكَ نَجْزى ٱلْمُحْسِنِينَ.

سكت القرآن عن الحلقة التالية لحلقة الرضاعة ، وقد كانت هذه الحلقة في كغالة الغرعون ، وقد يلقب موسى بن فرعون ، لكنَّ آيات القرآن تشير إلى رعاية الله له وإلقاء المحبة عليه ، كما قال تعالى : وَأَلَّقَيْتُ عَلَيْكُ مَعْبُهُ مِنِّي رُقْصُنِهُ عَلَىْ عُنِيِّ . (له. ٣٩) .

فلابد أن أمه أخبرته بحقيقة نسبه ، وعشيرته . والمتوقع أن طبيعة موسى الكريمة تأنف ظلم فرعون ويطشه ، وغشمه ، والمتوقع أن فجوة ما تحدث بين موسى وبين فرعون وحاشيته ، يسبب سلوك موسى الكريم ، الأنف من الظلم .

وتشير الآية إلى أن موسى قد بلغ مبلغ الرجال ، وَٱسْتُوكا . بلغ غاية الكمال الجسمي والعقلي .

قال بعض المفسرين : بلغ أربعين سنة ، وقال بعضهم : ثلاثين سنة ، ونختار أن تكون سنّه في ذلك الوقت مقارية للثلاثين ، لأنه مكث في أرض مدين عشر سنين ثم عاد إلى مصر ، فاختاره الله رسولاً .

ءَاتَيْنَاهُ خُكُمًا وَعَلْمًا ...

أي: سيرة الحكماء والعلماء وأخلاقهم وسمتهم قبل البعثة.

وَكُلُالِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ .

أى: ويمثل هذا الفضل والرعاية ، والمعونة والخير ، نجزى كل محسن فى عمله ، بأن نفتح له أيواب الفتوح والحكمة والعلم .

وذلاحظ أن هذه الآية من المتشابه ، حيث قال تعالى في سورة يوسف : وَلُمَّا بَلَغَ أَشُدُهُۥ عَاتَيْنَهُ حُكُمًا رَعِلُمَا وَكَذَالِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ . (يوسف: ٢٧) .

ونلمح أن يوسف هنا بلغ مبلغ الرجال ، أي : فيما بين العشرين والثلاثين فهو أقرب إلى سن الخامسة والعشرين . و في سورة القصص قبال تعالى: وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدُهُ ، وَآشْتَوَى عَاتَيْنَهُ خُكُمًا وَعَلَمًا وَكَذَالكَ نَجْزى

فهذه الآية زادت كلمة : وَٱسْتَوَى آ ، أي : اكتمل جسمه وعقله ورشده ، فهو أقرب إلى سن الثلاثين ، وقد تعددت آراء العلماء في بلوغ الأشد والاستواء.

عن ابن عباس: الأشد ما بين الثامنة عشرة والثلاثين ، والاستواء ما بين الثلاثين والأربعين .

وقال مجاهد: الأشد في الثلاثين، والاستواء في الأربعين.

وقال الزجاج: الأشد ما بين الثلاثين والأربعين.

و المحققون بقولون:

بلوغ الأشد في الأصل الانتهاء إلى حد القوة وذلك وقت تمام النمو وغايته ، والاستواء تمام العقل وكماله ونضجه ، وذلك يختلف باختلاف الأقاليم والعصور والأحوال ، ولذا وقع له تفاسير كثيرة في كتب اللغة والتفسين

٥١ - وَ دَحَلُ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِين غَفَلَةٍ مِّنْ أَعْلِهَا فَوَجَدُ فِيهَا رَجُلَيْن يَفْسَلَانِ هَذَلُنا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَلَا مِنْ عَدُوهُ فَٱسْتَخَلَعُهُ آلََّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوهِ فَوَكَزَهُر مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَلْذَا مِنْ عَمْرُ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُر عَدُوٌ مُّضِلَّ مُّينً .

كان موسى عليه السلام قد جاهر بعداوة فرعون ، وندد بسلوكه كما أخير بذلك ابن إسحاق ، وقد اختفى موسى بعض الوقت ، ثم دخل مصر أو مدينة منف من أرض مصر متنكرًا ، فوجد رجلين يقتتلان ويتشاحنان ، أحدهما قبطي من أتباع فرعون ، والثاني إسرائيلي من شيعة موسى ، فاستعان به الإسرائيلي طالبًا نصرته لأنه مظلوم ، والأخر يريد أن يسخَّره بدون وجه حق ، فوكزه موسى بقبضة يده ، بعد أن جمع فيها أصابعه ، واتجه بها إلى صدر القبطي ، فوقع القبطي مينًا ، ونلمح من ذلك قوة موسى ، وشدة انفعاله ، لكن موسى لم يقصد قتل الرجل بل تأديبه ، فلما رأه ميتًا ، ندم وقال : هذا من الغضب ، والغضب من الشيطان ، فالشيطان عدو بين العداوة ، يريد أن يستدرج الإنسان إلى الشر والإثم .

١٩ - قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَآغَفُرْ لِي فَعَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ.

رجع موسى فورًا إلى ربّه نادمًا مستبيئًا أنه فعل ذنهًا ، أدى إلى قتل نفس ووفاة هذا القبطي ، فقال : رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَآغُفِرْ لِي فَعَفَرَ لَهُ ...

لجأ إلى الله تعالى نادمًا مستغفرًا تائبًا ، طالبًا من الله تعالى المغفرة والستر ، وأحس موسى بمغفرة الله تعالى له ، فالله هو كثير المغفرة ، كثير الرحمة بعباده . لقد رأى موسى في الوكر دفع ظالم عن مظلوم ، فلما خرّ الرجل مينا تبين أنه تسرَّع ، وأنه كان يمكن دفعه بدون الوكرّ ، ولعلَّ موسى كان غاضيًا من تصرف هذا القبطى ، ويقال : إن القبطى كان حيًازًا للملك، وأنّه كلف الإسرائيلي حمل الحطب إلى مطبح فرعون فأبي فاقتتلا ، وشاهد موسى ذلك فوكر القبطى فقتله، ثم ندم واستغفر ، وتبين أنه فعل خلاف الأولى ، وأنه كان ينبغى أن يتريث ، وأن يمنع القبطى عن الظلم بدون هذه الضرية القاضية .

١٧ - قَالَ رَبِّ بِمَا أَتْعَمْتَ عَلَى فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لَلْمُجْرِمِينَ .

أي: قال موطى مُناجِيًا ربَّه: رب أنعمت على بالقوة والحكمة، والعلم وسائل النعم، وقبلت توبقى، هَإِني أعاهرك ألا أنامس ظالمًا، ولا أمشى في ركابه، ولا أكون وسيلة من وسائل بطشه، وتعذيبه للضعفاء والمظلومين.

وقد أخذ العلماء من هذه الآية ، أن المؤمن لا ينبغى أن يكون آلة في يد الظالم ، يسير خلفه أو ينظُدُ أوامره ، أو يعذَّب الناس ويضطهدهم ، بل ينبغي للمؤمن أن يكون عونًا للضعفاء والمظلومين .

جاء في تفسير النيسابوري:

وفي الآية دليل على عدم جواز إعانة الظلمة والفسقة ، حتى برى القلم وليق الدواة .

١٨ - فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَايِنَةِ خَاقِفُا يَتَرَقُّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَعَصَرُهُ, بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِ خُهُ، قَالَ لَهُ، هُو سَيْ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّمِينٌ .

أصبح موسى فى مدينة منف حيث يستقر الحاكم ، أن مدينة مصر ، خائفًا من عاقبة ما حدث بالأمس من قتل القبطى ، يترقب وقوع الشر والمكروه ، وما سيسفر عنه هذا القتل من اتهامات وعقوبات ومساءلات، ونشعر من هذا التعبير ، بما أصباب موسى عليه السلام ، من هم وحزن وقاق نفسى ، من جراء ما حدث ، وما أحاط به من ملابسات ، ونشعر كذلك أن علاقة موسى بالقصر الفرعوني ، لم تكن علاقة مودة ومحبة ، بل كانت بينهما محبة منقودة ، ورغية فى الانتقام .

فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُ إِلَّا أُمْسِ يَسْتَصّْرِ خُهُ ...

أى: بينما موسى فى هذه الحالة من الخوف والترقب ، إذا الشخص الإسرائيلى الذى طلب نصرته بالأمس ، يصرح طالبًا نجدته ونصرته على قبطى آخر .

قَالَ لَهُ, مُوسَى إِنَّكَ لَغُوىٌ مُّبِينٌ .

أى: نهر موسى ذلك الإسرائيلي الذي لا عمل له سوى الشجار ، ودخول معارك بدون استعداد لها ، فقال نه موسى : إنك كثير القواية والشر ، واضع انغماسك في المشاجرات والمشاهنات . 19 – فَلَمَّنَا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُرٌ لَهُمَا قَالَ يَسْمُوسَىٰ آثَرِيدُ أَن تَفْطَني كَمَا فَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَسْ إِن لُويدُ إِلَّا أَن تَكُونَ حَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُويدُ أَن تَكُو نُ مِنْ ٱلْمُصْلَحِينَ .

رغم حالة موسى النفسية ، وما هو فيه من الخوف والترقُّب ، إلا أنَّه لم يشأ أن ينفرد القبطى الظالم ، بالإسرائيلي المظلوم ، وعزم على أن يبطش بالقبطى ويدفعه بقوة وعنف ، فإذا بالإسرائيلي يتوقع الشر من موسى ، ويظن أنه يريد أن يبطش به هو ، بعد أن قال له : إِنْكُ لَقُوعًا مُسِنَّ ، فقال الإسرائيلي :

يَنْمُوسَيْ أَثْرِيدُ أَن تَقْتَلَنِي كَمَا فَتَلْتَ نَفْسَا بْٱلْأَمْس ...

ولم يكن أحدٌ يعرف أن قتيل الأمس قتل على يد موسى ، فلما سمع القبطى ذلك حمل هذه الأخهار إلى فرعون وحاشيته ، فقد كان قتيل الأمس قد قتل فى وقت الظهيرة والقبلولة، أو فيما بين المغرب والمشاء، ولم يتأكد لدى السلطة من الذى قتل القبطى ، ولكن الإسرائيلى الخائف هو الذى صرح باسم القاتل ، وقال: يا موسى أتريد أن تبطش بى أنا ، فقتلنى بقرتك وجبروتك ، كما قتلت قتيلاً بالأمس .

إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي إَلَّارٌ ضِ ...

ما تريد إلا أن تكون باطشًا بالناس ، كثير القتل وسفك الدماء ، مبسدًا في الأرض .

وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ .

الذي يصلحون بين الناس ، أن يعلّمون الناس الدّين والسلوك القِويم ، وكان موسى مشهورًا بدعوته إلى الاستقامة ، والصفح والتماون ، والنهى عن الحقد والحسد والشر .

و الخلاصة : أنت صاحب دعوة إلى التسامح والعقو ، لكنى أرى الشرُّ في عينيك ، أتريد قتلى كما قتلت نفسًا بالأسس ؟ ما تريد بتصرفك هذا إلا الفساد والعدوان ، وما تريد أن تكون من المتسامحين البمسلحين .

رأى لبعض المفسرين

الرأى السابق هو رأى جمهور المفسرين.

وذهب الإمام الرازي في تفسيره الكبير ، والأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن ، والدكتور محمد سيد طنطاري في تفسيره ، والصابوني في صفوة التفاسير وغيرهم ، إلى أن هذا القول :

يَدُمُونَ جَبَّارًا هِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تَعَلَىٰ كَمَّا قَلَتَ مُفَتَّا بِٱلْأَمْسِ إِن تُوِيدُ إِلَّا أَن تكُونَ جَبَّارًا هِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُويدُ أَن تكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ كان من كلام القبطى ، واستدلوا على ذلك بالأتى : كان المناح الذي عاشت فيه مصر ، مناح ظلم من فرعون وجنوده ، ومناخ استسلام وعدم مقاومة للظلم من بنى إسرائيل ، وكان موسى يكره الظلم ويقاومه ، ولمل الإسرائيلي قد تحدث إلى بعض عشيرته من الإسرائيليين بما فعله موسى من قتل القبطى ، ومثل هذه الحادثة من شأنها أن تروج ، وأن تنال الإعجاب من الإسرائيليين ولعل خبرها قد انتقل إلى هذا القبطى ، ولمله أحسُ من توييخ موسى للإسرائيلي ، بأن قتيل الأمس كان بسببه ، فقال لموسى مقالته وهو في موقف الخوف من البطش ، ولتذكيره بما يدعو إليه من التسامح والإصلاح ، ثم إن سياق الآية هكذا :

فَلَمْا ٓ أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوًّ لُّهُمَا قَالَ يَلْمُوسَىٰٓ أَتَّرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ...

فالسياق يرئيد أن مرسى عندما أراد أن يبخش بالقيطيّ ، قال القيطي خائفًا مسترحمًا : يا موسى أتريد قتلي كما قتلت نفسًا بالأمس ، ما تريد إلا أن تكون عاتبًا مفسدًا منتقمًا في قسوة ، وما تريد أن تكون مصلحًا متسامحًا ، فأين دعوتك إلى التسامح ، وما اشتهر عنك من الرغبة في الصلاح والتقوى ؟

وسياق الآية محتمل للرأيين، والله تعالى أعلم.

* * *

﴿ وَجَاةَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْهُوسَىٰ إِنِ ٱلْمَسَلَا يَأْتَوْرُونَ بِكِ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُ إِلِيَالَكُ مِنَ النَّصِحِينَ ﴾ فَمَنَ عَنَهَا خَابِفُا يَرُقَبُّ قَالَ دَبِّ بَجِّنِهِ مِنَ ٱلْقُورُ الظَلالِمِينَ ۞ وَلَمَا تَوْجَهُ يَلْقَاءَ مَذَيْكَ قَالَ عَسَىٰ دَقِتِ أَنْ يَهْدِينِي مَوَلَةَ ٱلسَّكِيلِ ۞ ﴾

المفردات:

أقصى المدينة ، أبعد نواحي المدينة .

يساتسمسوف، يتشاورون ويطلب بعضهم أمر بعض ليقتلوك، والائتمار والمؤامرة: المشاورة والهم بالشر. همساخسسرع، الحزيم من هذه الدلاد ال. أخدي.

خائمًا يترقب: خائفًا من القتل ، يترقب ما يحدث له .

سواء السبيل؛ الطريق السوى.

التفسيره

٧٠ – وَجَاءَ رَجُٰلٌ مَنْ أَقَصَا ٱلْمَدينَة يَسْعَمَىٰ قَالَ يَشْمُوسَىٰ إِنْ ٱللّٰهَ لاَ يُأْتَمُونَ فِكَ لِيقْنَلُوكَ فَآخُرُ جُ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلشَّمْحِينَ.

يفيد السياق السابق أن خير قتل موسى للقبطى قد انتشر، ويلغ أسماع فرعون وحاشيته ، فاجتمعوا للتشاور في الأمر ، ولو كانت جريمة قتل عادية ، ما احتاجت أن يجتمع فرعون بنفسه مع حاشيته ، ولكنها جريمة قتل تحمل طابع الثورة ، والمقاومة والتصدّى ، فرغب القوم في قتل موسى عقوية على قتله القبطى، وجاء رجل مؤمن من آل فرعون ، والراجح أنه هو الذي قدّم لهم النصيحة بعدم قتل موسى فلم بقبلوها .

وفي الآية ٢٨ من سورة غافر: وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مَّنْ عَالِ فِرْعَوْنَ يَكُنُمُ إِيمَـنَةٍ أَنْقَلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّي ٱللَّهُ...

فلعل هذا الرجل كان من حاشية فرعون ، أو من أهل المشورة والرأى فى حاشيته ، فلما أحسّ بالخطر ، جاء من أطراف مدينة منف حيث يسكن فرعون يُسُعَىٰ . أى : يسرع فى مشيته لمزيد اهتمامه ، بإخبار مرسى ونصحه .

فقال: يا موسى إن أشراف القوم يتشاررون في قتلك، قصاصًا للقبطي الذي قتلته بالأمس، فاخرج من مصر قبل أن يظفروا بك ، إنّي لك من الناصحين المخلصين .

٢١ - فَحَرَجَ مِنْهَا خَالِقًا يَعَرُقُبُ قَالَ رَبُّ لَجِّني مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلطَّلْمِينَ .

أي : خرج موسى من مصر خائفًا من قتله ، يترجُّس خيفة من أن يصيبه مكروه ، فالتجأ إلى الله تعالى في هذه الشدّة العصيبة قائلاً :

رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّلْلِمِينَ .

أنقذني من فرعون وملئه الراغبين في قتلي ، وأنت يا الله ملجاً المظلومين ، وغياث المستغينين ، ومجيب المضطرين ، وقد استجاب الله دعامه ، وألهمه الصواب ، أو أرسل له ملكاً أو جبريل يرشده إلى الطريق.

٢ ٢ - وَلَمَّا تَوَجَّهُ بِلَقَاءَ مَنْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبَّىٓ أَن يَهْدِيْنِي سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ.

خرج موسى من مصر على عجل ويدون استعداد ، ولا معرفة بالطريق ، يريد الوصول إلى أرض مدين ، جهة بلاد الشام ، وشمال الجزيرة العربية ، ولا علم له بالطريق ، لكنه كان على أمل فى وجه الله ، ومعونته وبركته وعنايته ، فقال :

عُسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِينِي سَوَّاءَ ٱلسَّبِيلِ.

آمل من الله أن يلهمني الطريق السويّ ، الموصل إلى بلاد مدين ، وقد استجاب الله دعاءه ، وألهمه الصواب ، ويسر له السير في سفر شاق صعب ، يدون معونة أو زاد ، إلا معونة الله رب العالمين .

بعبت في مراسنة الأفوياء

عناية الله إن تولّت ضعيفًا

ويقول الأخر:

نم فالسخارف كلهن أمان

وإذا العنابة لاحظنك عيونها

* * *

﴿ وَلَمَّا وَرَدَمَا مَ مَدْيَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمْ مَنْ مِن النّاسِ يَسْقُون وَوَجَدَمِن دُونِهِمُ المَرَاتِينِ تَدُودَانِ قَالَ مَاخَطَبُكُمُّ قَالَتَ الاَسْقِى حَقَّ يُصْدِر الرَّحَاةُ وَالُون اَسْتِحْ مَنَ يُصْدِر الرَّحَاةُ وَالُون اَسْتِحْ مَنَ يَسْفُون وَيَهِمُ كَا الْفَلْ لِلْ فَقَالَ رَبِ إِنِي لِمَا أَذَلْتَ إِلَى مِنْ خَيْرِ فَقِيرُ اللَّهِ عَلَى السَّحْدَةِ وَالنَّهُ إِنْ لِمَا أَذَلْتَ إِلَى مِنْ خَيْرِ فَقِيرُ اللَّهُ عَلَى السَّعْدِيرَةِ وَالنَّهُ إِنِي لِمَا أَذَرْكَ إِلَى مِنْ خَيْرِ فَقِيرُ اللَّهُ الْمُعْلِمَةُ إِنْ مَن السَّعْدِيرَةُ إِلَى اللَّهُ اللَّهُ وَيَ مَن الْقَوْمِ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَن السَّعْدِينَ اللّهُ اللَّهُ مَن اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ مَن المَدْيِن اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

المطردات :

وردمناء مدين، وصل إليه.

ما خطيكما؛ ما شأنكما ، قال رؤية : «يا عجبا ما خطبه وخطبي،

يم ... بود من أصدر بمعنى أرجع ، أي : حتى يرجعوا مواشيهم .

السرعساء، جمع راع، مثل: صاحب وصحاب، وهو الذي يرعى الغنم،

تاجسرنسي، تكون أجيرًا لى ، وفي القاموس: أجره يأجره ، جزّاه ، كآجره ، والأجر: الجزّاء على العمل . حسم عساع ، جمع جبّة بكسر الحاء وهي السُّنة .

أشبق عبليك؛ أوقعك في المشقة والصعاب.

فلا عدوان هليًّا، لا يعتدى عليّ في طلب الزيادة .

التفسيره

٧٣ – وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدَيْنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أَمَّةُ مَنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُويهِمْ آمْرَ ٱلَّيْنِ تَلُودَانِ قَالَ مَا صُطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَثْمِيْ يُصْدِرُ ٱلرِّعَاءُ وَٱلْوِنَا هَـِئِحْ كَمِيرٌ .

يسر الله الأسباب لموسى ، ووصل إلى أرض مدين ، مجهدًا متعبًا من سفر طويل ، جائمًا محتاجًا إلى المعونة والرعاية ، لكنه وجد على الماء جموعًا كثيرة من الناس ، منهم من يروى إيله ، ومنهم من يروى عنه ، والناس مشغولة بسقى الماشية ، فى زهام يحتاج إلى قوة ومنافسة ، ووجد دون ذلك الزهام ، أو أسلال منه ، امرأتين تمنعان الغنم من الاعتلاط بأغنام القوم ، وتحبسان الغنم عن ورود الماء ، فرق موسى لهما ، مؤراً موسى علم إجهاده وتعبه ، وسافهما : ما شأنكما ، ولماذا تمنعان الغنم من السقيا ؟ فأجابتا : إنما يزاهم على السقيا الرجال الأشداء ، أما نحن ننساء متحفظات :

لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْلِرَ ٱلرِّعَاءُ وَٱلْوِفَا شَيْحٌ كَبِيرٌ .

من عادتنا أن نصبر حتى يسقى الرعاة أغنامهم وينتهى الزحام ، فليس من عادتنا مزاحمة الرجال ، بل نمتنع عن السقى إلى أن يفرغ الماء لنا ، فنسقى ، وأبونا شيخ كبير ، ضعيف عن سقى الغنم ، ولذلك اضطررنا أن نسقى الغنم بأنفسنا .

قال أبو حيان في البحر المحيط : نيه اعتدار لموسى عن مباشرتهما السقى بأنفسهما ، وتنبيه على أن أباهما لا يقدر على السقى لشيخرخته وكبره ، واستعطاف لموسى في إعانتهما .

اسم الشيخ الكبير

المشهور عند كثير من العلماء أنه شعيب عليه السلام ، الذي أرسل إلى أهل مدين .

وقال آخرون : بل كان ابن أخي شعيب ، وقيل : رجل مؤمن من قوم شعيب .

قال الآلوسي: والأخبار مختلفة ، ولم يتميز عندنا ما هو الأرجع فيها .

٤ ٢ - فَسَفَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظُّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَاۤ أَنزَلْتَ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ .

وصل موسى إلى أرض مدين متعبًا مجهدًا جائمًا ، شديد الإجهاد والتعب ، لم يأكل فى الطريق سوى البقول ورق الشعر ، لم يأكل فى الطريق سوى البقول ورق الشعر ، وما إن شاهد امرأتين شعدين البقول ورق الشعر ، وما إن شاهد امرأتين ضعينين تبتعدان عن الرجال ، حتى رقٌ لهما ونزع غطاء البقر ، وكان لا ينزعه إلا عصبة من الرجال ، ثم سقى لهما ونزع غطاء « واغاثة الملهوف ، ثم جلس تحت ظل شجرة — سقى لهما أغنامهما ، وأدى لهما مهمة رغبة فى المعروف ، وإغاثة الملهوف ، ثم جلس تحت ظل شجرة — وهو من أكرم الخلق على الله — وتضرع إلى الله تعالى وناجاه قائلاً :

رُبِّ إِنِّي لِمَآ أَلزَلْتَ إِلَىّٰ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ .

إنى محتاج إلى رزقك وفضلك ، فقير إلى معروفك وعونك ، واستجابت السماء لدعاء موسى عليه السلام.

٥ ٣ - فَجَاءَتُهُ إِخْدَلَهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحِمَّاءِ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْوِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ ثَنَا فَلَمًّا جَاءَهُ, وَقَصْ
 عَلَيْهِ ٱلْقَمْمِينَ قَالَ لا تَحْفَقْ تَحَوْلَتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلطَّلِهِينَ .

جاءت الفتاة إلى موسى في أدب واستحياء ، تقوم بمهمة في عفة وكمال ، فقالت :

إِنَّ أَبِي يَدْخُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ كَا ...

إن دعوة كريمة موجهة من أبي إليك ، ليكافئك على سقى الغنم لنا ، أرادت أن توضع له الموقف ، حتى لا يظن بها الظنون ، ولبنى موسى الدعوة ، وسار أمام المرأة ، وطلب منها أن ترشده بصوتها إذا أغطأ الطريق ، ثم وصل إلى شعيب عليه السلام ، أو إلى رجل صالح من قوم شعيب ، وأخبره بقصته مع فرعين ، والقائه فى اليم ، ورضاعته ورعاية فرعون له ، ثم قتل موسى للقبطى ، ثم خروجه هارياً من أرض مصر، فقال الرجل الصالح لموسى : طب نفسًا وقرّ عيدًا ، فقد خرجت من مملكتهم ، ولا سلطان لهم علينا ، لقد نجاك الله من فرعون وجنوده ، ونزلت أرض مدين على الرحب والسعة . ٢٦ - قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَا أَبْتِ ٱسْتَنْجِرْهُ إِنْ حَيْرَ مَن ٱسْتُنْجَرْتَ ٱلْقُويُّ ٱلْأَمِنُ

أرسل الشيخ إحدى ابنتيه لدعوة موسى إلى الضيافة ، فلما حضر وقمنَ عليه قصته ، طمأته وهدأه ورحب به ، فقالت إحداهما (والراجح أنها هي التي ذهبت إلى موسى لدعوته) : يَثَأَبَتِ ٱسْتَتَجِرُهُ على رعى الغنم ، فإنه يجمع أفضل الخصال ، وهي : القوة والأمانة .

فالقوة: تعين الإنسان على أداء العمل كاملاً ، وتشمل الخبرة والمعرفة .

والأمانة: تشمل المحافظة والعفة والاستقامة وعدم الخيانة، وهى شروط لازمة لمن يقوم بالعمل، أو يلى شئون الدولة، بيد أنه في بعض الأعمال كالحرب نقدم القوة، وفي بعض الأعمال كالاقتصاد والمالية وسياسة المال نقدم الأمانة.

ومن كلام عمر رضى الله عنه: إلى الله أشكو قوة الفاجر وعجز الثقة.

أحيانًا يكون الفاجر قويًا شجاعًا ، ويكون الثقة الأمين ضعيفًا أو مترددًا ، فإذا اجتمعا في شخص كان أهلاً لولاية العمل المناسب له . وفي السياسة الشرعية نجد أن من صفات الحاكم العادل الحكم بالعدل، والشورى ، واختيار الأمناء الثقات ، لأنه لا يستطيع أن يتولى جميع شئون الدولة بنفسه ، فلايد له من مساعدين ، فينبغي أن يتوخى فيهم الكفاءة ، وتكون بالقوة والأمانة ، فلا يولًى شخصًا لقرابته ، أو لمصلحة تعود على الحاكم .

وفي الحديث النبوى الشريف: «من وأي رجلاً شيئًا من أمر المسلمين ، وهو يعلم أن في المسلمين من هر أكفاً منه ، فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين» (٣٠).

غيرة محمودة

روى أن شعيبا قال لابنته : وما أعلمك بقوته وأمانته ؟ فقالت : رفع الصخرة من على البدر ولا يطيق حملها إلا عشرة رجال، وإنى لما جدّت معه تقدمت أمامه ، فقال لى : كونى من ورائى ودُلْينى على الطريق ، ولما أثيته خفض بصره فلم ينظر إلى ً، فرغب شعيب في مصاهرته وتزويجه بإحدى ابنتيه .

روى ابن كثير، والزمخشري، عن ابن مسعود، قال : أفرس الناس ثلاثة · بنت شعيب حين قالت :

إِنْ خَيْرٍ مَرِ آسْتَعْجَرُتَ ٱلْقَرِيَّ ٱلْأَمِينُ. وصاحب يوسف حين قال: أَكْرِ مِي مَثُونَكُ عَمَّى أَنْ يَفَعَنا ... (يوسف ٢١). وأبو يكن في عمر ، أي : في اختياره وترشيحه ليكون خليفة بعده . ٧٧ - قَالَ إِنِّى أَوِيدُ أَنْ أَنكِحَتْ إِحْدَى آلِسَقُ هَلَيْنَ عَلَيْ أَنْ تَأْخِرَنِي لَمَنْنَى حِيْجِ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشَرًا فَهِنْ عِيدِكَ وَمَا أَوِيدُ أَنْ أَكُنُّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِن ٱلصَّلِحِينَ .

أى: قال شعيب لموسى: إنى أريد أن أزوجك واحدة من ابنتى هاتين ، الكبرى أو الصغوى ، ولك أن تختار من تروق لك ، على أن يكون مهرها أن تعمل عندى أجيرًا لرعى الفنم ثمانى سنوات ، فإن أتممت عشرًا فى الخدمة والعمل فهذا تفضل منك وتطوع وتبرع لا ألزمك به ، وما أريد أن أصعّب عليك الأمر فألزمك بأبعد الأجلين ، ولا أشدد عليك فى العمل بل ستجد المياسرة والسماح ، وستجدنى إن شاء الله من المسالحين ، المصالحين ، المصالحين عرض لمعاملة الموفين للعهد ، وفى هذه الآية سنّة حسنة ، حيث عرض صالح مدين ابنته على صالح بنى إسرائيل ، وعلى هذه الاسلة سار الخلفاء ، فقد عرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبى بكر وعثمان، فلا بأس بعرض الرجل ابنته ، والمرأة تعرض نفسها على الرجل المسالح ، اقتداء بالسلف الصالح .

وزلاحظ أن الأب عرض إحدى ابنتيه فهن عرض لا عقد ، لأنه لو كان عقدًا لعين المعقود عليها له ، لأن العلماء انفقوا على أنه لا يجوز الإيهام في النكاح ، فلابد من تعيين المعقود عليها .

أما تمهين الفتاة فقد حدث عند العقد ، أن اختار موسى إحداهما للزواج منه ، وتم الزواج وبدأ تنفيذه والالتزام بالأجرة ، وتنفيذ الشريط حتى تم الأجل المتفق عليه .

وفي الآية تيسير الزراج والمعاونة على إتمامه ، والأخذ بيد الشباب ليقفوا على أقدامهم ويفتحوا بيتًا في الحلال .

وفى صحيح البخارى أن النبى ﷺ زرَّج رجلاً امرأة على أن يعلمها عشرين آية ، وإذا وسُّع الله عليه عرُّضها ، وهذا يعبُر عن روح الإسلام في تيسير العفة والتصوُّن ، وتماون الأغنياء والصلحاء والجمعيات الخيرية في حلَّ أرْمة الزواج ، وتيسير التمارف بهن الراغبين فيه ، وتيسير المسكن والحياة الزرجية ، وبذلك نوسُّع فرص الحلال ، ونقضى على الشذوذ والانحراف والزنا والخيانة ، وتمود إلينا قيمنا الأصيلة ، ومنها الحقة والاستقامة والتطور ، وغض البصر وحظ الغرج والبحد عن الريبة والفاحشة .

٢٨ - قَالَ ذَالِكَ يَشِي وَيَيْنَكَ أَيْمًا ٱلْأَجَلَيْن فَضَيْتُ فَلَا عُدُوانَ عَلَى وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ .

قبل موسى عليه السلام مصاهرة شعيب، وترك انفسه الخيار في إتمام أيّ الأجلين، الثماني أو العشر، وقال لشعيب: ذلك الاتفاق حاصل وموافق عليه منى ومنك ، وعلى كل واحد منا أن يقوم بما يجب عليه فيه، وسأحتفظ لنفسى بتحديد أي الأجلين: الثماني أو العشر ، أيّ واحد منهما قضيته ، فلا أطالب بما هو أكثر منه ، وهذا عهد بيننا ، والله وكيل وشاهد على اتفاقنا ، والمراد توثيق العقد ، وأنه لا سبيا ، عد منهما إلى الخروج عليه أصلا . ويما سبق في الآيتين استدل العلماء على أن اليسار لا يعتبر في الكناءة ، فإن موسى لم يكن حينئذ موسرًا ، وقد استدل أبو حنيفة والشافعي بالأحاديث النبوية الشريفة ، على أن النكاح يحتاج إلى شهادة الشهود . وفي الحديث الشريف: «لا تكاح إلا بولي وشاهدي عدل."".

وقال مالك . ينعقد النكاح ، ولا يشترط فيه الإشهاد لأنه عقد معاوضة ، وإنما يشترط فيه الإعلان والتصريح ، وفرق ما بين النكاح والسفاح اللفة ، كما ذكر ذلك القرطبى في المسألة ٢٣ .

وقد ذكر البخارى ، عن ابن عباس : أن نبى الله موسى قضى أكثر الأجلين وأطيبهما ، (^(م) أي : عشر سنين ، والله تعالى أعلم .

* * *

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجْلُ وَسَارَ بِأَهَا فِيهِ عَالْسَكُ مِنْ جَانِي الطُّورِ كَازًا قَالَ لِأَهْلِهِ
المُكُثُّورًا إِنِّهَ عَانَسَتُ نَازًا لَعَلَى عَلَيْهِ عَنْهَا عِجَبَرٍ أَوْكَنُومَ مِنْ الطُّورِ كَالنَّالِ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُوك ﴿ فَا فَلَمَا آتَهُ اللَّهُ وَيَ مِن شَنطِي ٱلْوَادِ الْأَيْمِنِ فِي ٱلْفَعْدَ ٱلْمُبَكُركةِ
مِنَ الشَّحَرَةِ أَن بَكُوسَى إِنِّ الْمَاللَةُ مُنِكُ الْمُكلِيدِ ﴿ وَأَن اللَّهُ مَن اللَّهُ اللَّهُ وَلِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَن اللَّهُ الْمُعَالَقِ اللَّهُ اللَّلِي الْمُؤْمِنَا الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

المفردات :

قضى موسى الأجل: أتم المدّة المضروبة بينه وبين شعيب.

و المسامي أبصر ، وأصل الإيناس : إبصار ما يؤنس .

بعد الطريق.

مشتعل. مثلثة الجيم» ، وهي عود غليظ مشتعل.

تصبطا ون تستدفثون .

مدى نادام الله تعالى.

شير الأيمن بالنسبة لموسى .

ت م تبرق تضطرب وتتحرك بسرعة .

جميد الدور ولا تؤذى .

ميسديسوا، منهزما خلقه من الخوف.

ولسم يسعسقيه، ولم يرجع لخوفه وفزعه منها.

اســـــان ؛ أبدـــــل .

جسسة سساحك؛ الجناح: العضد والذراع، لأن الذراع للإنسان كالجناح للطائر.

سسسسسوء اعيب ومرض ، كبرص وتحوه .

الــــــــــــرهب، الخوف ، بفتح الراه وسكون الهاء ، بقراءة حفص عن عاصم ، وقرأ الجمهور : (الرّهب) بفتم الراء بالهاء.

بسمره سلاسان ؛ حجتان وأضحتان ، تثنية برهان ، وهو الحجة القاطعة .

تمهيد،

عاش موسى حياة القصور في رعاية فرعون ، وشاء الله أن يدخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، وأن يخرج وأن يساعد إسرائوليا ، بوكزة لقبطى قضت عليه ، وأن يخبره رجل مؤمن بأن حياته في خطر ، وأن يخرج من مصر خائفًا يترقب، وأن يسبر في الطريق إلى مدين جائمًا خائفًا، وأن يمكن في مدين أجيرًا راعيًا للغنم، وأن يتزوج من ابنة شعيب ، وأن يعود من نفس الطريق ، وكأن الله يمهده لرسالة شاقة ، وليألف الطرق المؤبية للخروج من مصر ، والعودة إليها ، حتى يكون على بينة من هذه الطرق ، عندما يخرج مع بنى إسرائيل قائدًا لهم إلى البحر ، حيث ينجو بهم ويغرق فرعون ، وفي الأيات حلقة المناحاة والرسالة ، والمعجزات الباهرة ، والتعرين على إلقاء العصا ، وإنخال اليد في الجيب ، مع فضل النا على موسى واصعافاته ، وجعله من أولى العزم من الرس ، واختياره لمهمة من أشق مهمات الرسل — عدا محمد ﷺ — واصطافاته ، وبعله من ولي راسالة من الرس الله من الرس الله من الرس الله من الرس الله من الرس من الرس عدا محمد الله اللهم وبنيل من الرسالة ، ويقا لهنا المناقب وبنيل من الرسالة ، ويقم ذل وخسف أذل طباعهم ، وبذل من من عليه السلام

جهودًا كثيرة ، وصبر صبرًا طويلاً ، وقد أمّده الله بمعونته وتوفيقه ورعايته ، ورباه بفضله قال تعالى : رِتُصْنَعَ ظَيْعٌ عَنِّيّ ، (هـ : ۲۹) .

التفسيره

٧٩ – فَلَمَّا فَصَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلُ وَسَارَ بِأَهْلِهِ وَانَسَ مِن جَابِبِ ٱلطُّورِ ثَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱلنَّكُولُ إِلَّى وَانَسْتُ ثَارًا لَعَلَى وَاسِكُم مُنْهَا بِعَجَرٍ أَوْ جَلْوَةٍ مِنْ آثَالِ لَعَلَّكُمُ وَمُعْطَلُونَ .

أفادت الآيات السابقة اتفاق موسى وشعيب على أن يتزرج موسى بإحدى ابنتى شعيب ، نظير أن يقوم برعى الغنم مدة من السنين ، وقد أتم موسى المدة المتفق عليها ، والراجح أنه أكمل عشر سنين ، ثم طاف به المحنين إلى أمّه وأسرته ، فاستأذن ليعود إلى أرض مصر مع زوجته ، وكانت حاملاً لا تعلم هل يتم الوضع ليلاً أو نهازًا ، وجاء الليل باردًا شاتيًا مظلمًا ، وضل موسى الطريق ، وحاول أن يقدح زنده ليوقد نازًا فأصلد ولم يخرج نازًا ، فنظر فإذا نار تلوح في الأفق ، فأنس بها واطمأن إليها ، وقال لأهله : أقيموا مكانكم وامكثوا في هذا الوضع ، فقد شاهدت نازًا سأقصدها .

لَّعَلِّي ءَالِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرِ أَوْ جَلْوَةٍ مِّنَ آلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ .

لعلى أجد عند هذه النار من يرشدني إلى الطريق الصحيح ، أن أحضر لكم عودًا غليظًا ملتهبَّا بالنار ، تستدفئون به من شدة البرد .

ونلمح أن موسى شاهد نارًا فاقترب منها ، فإذا النار نور أثيرى ، وإذا الموقف موقف تفضل ورحمة وإكرام ، وإذا المنعم الجليل يفتار موسى ، ليحمل رسالة إلهية سامية .

. ٣ – فَلَمَّا آتَنَهَا لُو دِيَ مِن شَلْطِي ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْتُقْعَةِ ٱلْمُبَسُرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَنْهُوسَنَيْ إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ الصَّلَمِينَ .

عندما اقترب موسى من النار ، وجد النار نورًا أثيريًا ، وسمع نداء الحق سبحانه وتعالى ، من جانب الوادى الأيمن في ذلك المكان المبارك من ناحية الشجرة .

أَن يَنْمُوسَى إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَلْمِينَ .

لقد كان النداء من الله متفضالاً بالرسالة على موسى ، وناداه الله تعالى : إِنَّى آنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْقَلْكِينَ

أذا الله الخالق الرازق الواهب الماجد المحيى المميت ، رَبُّ ٱلْعَلْمِينَ . خالق الإنس والجن والطير والكون ، والليل والنهار والبحار وسائر الموجودات . وفىي سورة طه : قَلْمَنَا أَلَسْهَا لُودِي يَشْهُوسَنَ ۚ وَإِنْيَ أَنَّا رَبُّكَ فَاخْلُعُ نَفَلَيْك إِنَّك بَالُواد اَلْمُقَدْس طُوّى ، وأنا آخترُنُك فَانسَتِهعْ لِهَا يُوحَقَ وَإِنْيَ أَلْمَا اللّهُ لِا إِلَيْنَ إِلَّا أَنَّا فَالْمُبْلِقَ وَأَلِّمْ الصَّلْوْفَ للخُرِيّ . (١٠ ١ / ١٠ ٪).

وهي سورة النمل : تُوهِيَ أَنْ يُورِكُ مَن فِي آلثَارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُيْحِلْنَ ٱللَّهَ رَبِّ ٱلْعَلْمِينِ ، يشمُوسَىٰ إِنَّهُ. اللَّ اللَّهُ الْقَرِيرُ ٱللَّهُ كِيمُ . (النمل ١٩٠٨) .

جاء في التفسير الوسيط، بإشراف مجمع البحوث بالأذهر:

وذهب الإمام إلى أن الله تعالى حكى فى كل من هذه السور بعض ما اشتمل عليه النداء ، لما أن المطابقة بين ما فى المواضع الثلاثة تحتاج إلى تكلّف ما .

ومثل هذا يقال فيما تكرر ذكره من القصص في القرآن الكريم ، مع اختلاف التعبير فيه ، لأن كل سورة تعنى عند ذكر القصة بالجانب الذي تسوقها من أجله والتعبير الذي يناسم.

إن المقام مقام قجل إلهى ، رب كريم يناجى عبدًا من عبده اصطفاه للرسالة ، وصنعه على عنله . ويسر له المجىء إلى هذا المكان المبارك ، الذى بورك بالرسالة وبكلام الله لموسى ، إلى جوار جبل الطور ، والوادى إلى يمين موسى فى بقعة مباركة قد باركها الله منذ هذه اللحظة ، عند شجرة وحيدة فى ذلك المكان .

أَن يَلْمُوسَىٰ إِنِّي آَلَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَلْلَمِينَ.

وسجل ضمير الوجود ذلك النداء الطرى ، ويوركت المقعة التي تجلّى عليها ذو الجلال ، وتميّز الوادى الذي كرّم بهذا التجلي ، ووقف موسى في أكرم موقف يلقاء إنسان ٣٠٠.

٣١ - وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهَتَزُّ كَأَنْهَا جَانُّ وَلَىٰ مُدْبَرًا وَلَمْ يُعَقَّبْ يُلمُوسَى أَقْبِلُ ولا تحف إلَّك مِنَ ٱلْآمِينِ.

ألقى موسى عصاه فانقلبت حيَّة كبيرة ضخمة ، تصطانُ أنيابها ، لو صادفت صخرة لاقتلعتها وابتلعتها ، فهى تتحرك في خفة والمتلعتها ، كأن الصخرة تندكُ من جبل إلى واد سحيق ، ومع عظم الحية وضخاءتها ، فهى تتحرك في خفة وسرعة ، كأنها حية صغيرة في خفة حركتها وشدة سرعتها ، عندنذ خاف موسى خوفًا شديدًا ، وولّى مديرًا مسرعًا إلى الخلف ، ولم يعقب ويرجع مرة أخرى ، ليشاهد هذه الحيّة ويتأمل صفاتها ، يقال : عقب الفارس، إذا أميل بعد أن فر ، فناداه الله سبحانه وتعالى : يا موسى أقبل إلينا ، ولا تخف من الحيّة أو غيرها فأنت في معية الرحمان ، ومن كان في معية الله فلا خوف عليه .

قال تعالى : إِنَّى لاَ يَخَافُ لَلَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ، (النمل : ١٠) . أي : أنت في كنفي ورعايتي وحفظي ، وأنت آمن فأنت رسولي أحفظك بحفظي ، وأكلوك برعايتي .

٣٧ – ٱسْلُكَ يَمْكُ فِي جَنِيكَ نَحْرُجُ بِيَعْمَاءَ مِن غَيْرِ سُوِّءٍ وَآضَمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ ٱلرَهْبِ فَذَ الِكَ بُرَهَمْنَانِ مِن وُنْكَ بَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلِيهِ إِنْهُمْ كَانُوا قُومًا فَوْسَاقِينَ .

أدخل يدك في جُبِّكِ ، والجيب فتحة الثوب تكون في الصدر ، ومن هذا الجيب تدخل الرأس عند لبس الثوب ، قال تعالى : وُلِيُطُوِيْنَ بِشُعُومِيْنَ عَلَىٰ جُبُوبِهِنْ ... (الذرر ٢١٠) . أي . على المرأة المسلمة أن تضع طرف الخمار على فتحة الصدر حتى تستر صدرها .

والمراد: أن الله طلب من موسى عليه السلام أن يدخل يده فى فتحة القميص أو فتحة اللوب الخارجى ، فإذا أخرجها خرجت بيضاء بياضًا ساطعًا ، مثل ضوء الشمس ، بدرن مرض أو يرمى ، فهذه معجزة ثانية ، والعهد فى يد موسى أنها تميل إلى السواد أو الحمرة ، فريما دخله الرعب أو الخوف من شدة بياض اليد ، وشدة إشراق الضوء منها ، فأمره الله تعالى أن يضمّ يده إلى صدره فإن ذلك يذهب عنه الرّفب والخرف ، وهى وسيلة عملية لكل خائف ، أن يضم يده فى صدره ، حتى يخفف من خفقان قلبه .

قال القرطبي:

وما فسروه من ضم اليد إلى الصدر يدل على أن الجيب موضعه الصدر . وقرأ حفص : مِنَ الرَّهُب ، بفتح الراء وإسكان الهاء . وقرأ جمهور القراء بفتح الراء والهاء : مِنَ الرَّهُب ، لقوله تعالى : وَيَلْخُونُنَا رَضَاً وَرَهُا ... (الأنبهاء : ٩) . وكلها لفات ، وهو بمعنى الشوف .

والمعنى : إذا هَالك أمر يدك وشعاعها فأدخلها في جيبك ، وارددها إليه تعد كما كانت .

قال ابن عباس:

ليس من أحد يدخله رعب بعد موسى عليه السلام ، ثم يدخل يده فيضعها على صدره إلا ذهب عنه الرعب (۳۰).

فَلَانِكُ بُوْهَانَانَ مِن رَّبِّكَ ...

هاتان حجتان واضحتان ، ومعجزتان بارزتان ، تأبينًا من الله لك ، وهما العصا تنقلب حيَّة ، واليد نضىء كالشمس .

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ إِنَّهُمْ كَالُواْ قَوْمًا فَلْسِقِينَ .

هاتان الآيتان أرسلناك بهما إلى فرعون وقومه ، إنهم كانوا قومًا خارجين على طاعة الله ، فأيدك بالمعجزتين دعمًا لموقفك ، وإعلامًا للجميع بأنك رسول من عند الله مؤيد بالمعجزتين .

من هداية الآيات:

٩ - الأنبياء أوفياء ، قموسي قضى أوفى الأجلين ، عشر سنين .

٢ - مشروعية السفر بالأهل ، وقد يحصل للمرء أن يضلُ الطريق ، أو يحتاج إلى شيء ويصبر .

٣ - فضل تلك البقعة التي كلُّم الله تعالى فيها موسى ، وهي من جبل الطور .

٤ - مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله.

ه - لا يُلام على الخوف العلبيسى .

٣ - من خاف فوضع يده على صدره زال خوفه إن شاء الله ٢١٠٠.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّ قَنَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسَافَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿ وَأَخِي هَكُرُوثُ هُوَأَفْصَتُ مِنِي لِسَكَانًا فَأَرْسِلُهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّفُحُ إِنِيَّ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۞ قَالَ سَنشُلُهُ عَصْدَكَ وَ إِلَيْكُمَّا يَاكِنِنَا قَالَ سَنشُلُهُ عَصْدَكَ وَ إِلَيْكُمَّا يَاكِنِنَا قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرُ وَ اللّهُ مَكُمُ اللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى مَعْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَقَالُ مُوسَى عَلَيْنِنَا بِيَنْنَتِ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرُ مُنْ مَن وَمَا سَيَعْنَا بِهَذَا فِي اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَل

المطردات؛

ردوا د معینا لی .

يصلقتني: بإيضاح الحق بلسانه ، ويسط القول فيه ، ونفي الشبهة عنه .

سنشدعضدك، سنقويك ونعينك.

سلمطمانك حجة قوية ويرهانًا ، وتسلطًا وغلية ، وحماية وحفظًا .

· المعجزات ، أو آيات التوراة .

بير نسات، واضحات الدلالة على صدق موسى في رسالته

سعب مهتری، مختلق مکنوب .

الأولىسيسن، السابقين.

عاقبة الدار: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة . قال تعالى : أُوِّلُنِّكَ لَهُمْ عُشِّي ٱلنَّارِ . (الرعد ٢٢٠).

الطبالمون، المشركون الكافرون.

التفسيره

٣٣ - قَالَ رَبِّ إِنِّي فَعَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يُفْتُلُونِ.

حظى موسى بالمناجاة والتأييد بالمعجزات ، وهو فى حضرة الجبار القهار الذى بيده الخلق والأمر: فرغب فى أن يحتاط لنفسه ، وللسعوة التى يحملها ، فهو قد قتل قبطيا أثناء نزاعه مع إسرائيلى ، ورغب القوم فى قتله فخرج خائفا إلى أرض مدين ، حيث مكن بها عشر سنين .

وكان موسى قد عزم أن يعود إلى مصر ، وأن يزور أسرته سراً ، لكنه الآن سيعود حاملاً رسالة، مجابها لفرعون وقومه ، وله تاريخ سابق، ونقاط ضعف أظهرها أمام النّـ قائلاً :

رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ .

أى: لقد قتلت قبطيا فى لحظة غضب ، ورغب فرعون وقومه فى قتلى ، فخرجت من مصر خائفا آترقب ، والآن أعود بالرسالة ، وأخاف أن يقتلنى فرعون وقومه قصاصا لذلك ، وليس ذلك لخوف موسى على نفسه ، بل لخوفه على ضبياع الدعوة بعد قتله .

٣٤ - وَأَخِي هَدُرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقْنِيٓ إِنِّيٓ أَخَاف أَن يُكَلِّبُونِ.

كان هارون مقيما في مصرطوال غياب موسى في أرض مدين، وكان هارون هادئ الأعصاب، هبيرا بمقارعة الحجة بالحجة، وكان في موسى لكنة أو حَبْسة في لسانه، فضيى أن يرتج عليه، ويعجز عن إقامة الحجة في مجالس النقاش والجدال مع فرعون، فناجي موسى ربه وقال: إن أخى هارون أَفْصَحُ بِعِّي لِسَانًا، وأقدر على إقامة الحجة، أو تلخيص الدعوة، أو شرح الرسالة، أو إقامة الدليل والبرهان، أو الردعلي الاعتراض والإنكار، ذارسل هارون معى، معينا ومساعداً، يؤكد دعوتى، ويشرحها ويفصّلها ويدافع عنها. إِنِّيَّ أَخَافُ أَنْ يُكَلَّبُونِ . لَحَشَى أَنْ يَكَذَبَنَى فَرعُونَ وقومَه ، فأحتاج إِلَى مساعد ومعين يبعد أزرى ويعارنني .

قال العلماء: أعظم شفاعة ، هي شفاعة موسى لهارون ، حتى يكون رسولا معه .

٣٥ - قَالَ سَنَشَدُ عَصَدَكَ بَأَحِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنْنَا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِعَايْتِنَا أَنْعَمَا وَمَنِ ٱتَبَعَكُمَا ٱلْغَلْلِيُونَ.

طلب موسى من ربّه المعونة ، وهي سورة مله ؛ قال َ رَبِّ آشَرَ عِلَى صَدْرِي ، وَيَسَّرُ لِي أَمْرِي ، وَآخَلُوا عُقْلَةً مِّن لَسَائِي ، يَقْقَهُوا قَوْلِي ، وَآجَعَلُ لِّي وَزِيرًا مِّن أَغْلِي ، هَدُّ وَنَ أَشِيء اللّهُ فِهِ أَزْدِي ، وَأَشْرِكُهُ فِي آَمْرِي ، وَكُي نُسَبِّحَكَ كَيْبِرًا ، وَلَذَّكُولِكَ كَيْبِرًا ، وَلِكَ كُمْتَ بِنَا بَصِيرًا ، قَالَ قَدْ أُورِيتَ سُولُكَ يَذَهُوسَيْ . (4 : 20 - 77) .

وقد استجاب الله لرجاء موسى وأعطاه ما طلب.

والمعنى: قال الله تعالى لموسى: مُنشَدُّ عُشَدُلةٌ بِأَضِكَ ... سنقويك ونؤازرك ، ونساعدك في مهمتك بهارون عليه السلام ، وسأمنحكما من مهابتي وسلطاني وعنايتي وجلالي فلا يستطيع الأعداء إيذاءكما أو النيل منكما ، وسأعطيكما الآيات الباهرة والمعجزات القسع حتى ينتصر سلطانكما ، وتغلب دعوتكما ، وسبهلك فرعون ، وتنتصران أنتما ومن انبعكما من المؤمنين .

٣٩ - فَلَمَّا جَاءَهُم مُوسَىٰ شَايَنتِهَا يَيْنَلتِ قَالُواْ مَا هَلْلَا إِلَّا صِخْرٌ مُّفَتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بَهِنْلَا فِي ءَابَالِمَا ٱلْأُولِينَ .

على طريقة القرآن الكريم الفذة ، يطوى الزمان والمكان وحركة الأحداث ؛ ليستنبط المُشاهد استجابة الله لموسى ، ثم يسير موسى وهارون بالرسالة إلى فرعون ، ويقدمان الأدلة الباهرة على وحدائية الله وقدرته وجلاله ، ووجوب عبادته وحده، وقد فصّلت سورة طه هذه المعانى مثل:

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَلْمُوسَىٰ ﴿ قَالَ زَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَغْطَىٰ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ, ثُمُّ هَدَىٰ . (طه ٤٩٠،٤٩).

وتصور هاتان الآيتان وما بعدهما دلائل القدرة الإلهية ، واستعانة فرعون بالسحرة ، ثم إيمان السحرة واستهانتهم بتهديد فرعون ، وغير ذلك ، لكن السياق هنا يطوى هذه الجوانب من قصة موسى ، لأن السياق هذا مهتم بجوانب الفضل الإلهى على موسى ، في صغره وشيابه ورسالته ، وييان معونة الله له، فقد وهبه سلطان الجلال الذي قهر به سلطان الفرعون ، وغرق الطاغية في الماء ، ونجا موسى والمؤمنون.

ومعنى الآيـة:

ظما تقدم موسى إلى فرعون وقومه ، وقدُّم لهم رسالته وأيد دعواه بالمعجزات ، وأزره هارون في رسالته ، قال فرعون وقومه .

مَا هَلَااً إِلَّا سِخْرٌ مُفْتَرَّى ...

أنت ساحر تفتري على الله ، وتدَّعى أنك رسول ، ومعجزاتك مهارة في السجر ، وأنت مختلق متقوَّل على الله .

وَمَا سَمِعْنَا بِهَالَمَا فِي ءَابَآئِنَا ٱلْأُولِينَ.

وما سمعنا بهذه الدعوى - دعوى التوحيد وتفرّد الله بالألوهية - في آبائنا وأجدادنا السابقين .

بكل هذه البساطة كان ردَّهم وجوابهم، الإنكار بدون مناقشة ، أو تقديم أدلة أو براهين يقبلها العقل والمنطق .

ومثل ذلك كان موقف أهل مكة من دعوة محمد ﷺ ، كأنما هي طبيعة الكفار في كل رسالة وبعوة، وكأنما وصَّى الكفار السابقون من جاء بعدهم من المكذبين ، قال تعالى : أَثْوَاصُواْ بِدِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونُ ، (الذاريات: ٣٥) .

٣٧ - وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُر عَنْقِيَةُ ٱلنَّارِ إِنَّهُ لا يُقْلِحُ ٱلطَّالِمُونَ .

أجاب موسى إجابة مهذبة ، فهم لم يقدموا حجة ولا دليلاً حتى يناقشهم ، لكنهم اتهموه بدون دليل، وموسى واثق في صدقه وفي نصرة ريّه .

ومعنى الآيسة :

قال موسى: الله أعلم بانني جلت بالرسالة من عنده صادقًا، وأن العاقبة ستكين للمؤمنين، بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة، وحاشا لله أن ينتصر الظالمون، فتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ويتعلق بالآية أنها جاءت لوجة هادفة فى أدب الخطاب فموسى لم يجبهم بأنهم كاذبون ، وأنه رسول مؤيد من عند الله ، لكنه أجابهم بطريق التجهيل ، أى الجهل بمن تكون له العاقبة ، على طريقة القرآن الكريم حين قال : وَإِنَّا أَوْ إِنَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدَى أَوْ فِي صَلَّلُ مُّسِن . (سباء ؟٢) . وكذلك موسى هذا يقول : الله أعلم بالصادق منا ، ويمن تكون له العاقبة والغلبة فى النهاية ، لأن الظالم مثّا لن يُطلح. المطردات:

السممسلاء الأشراف ودوو الرأى .

من إله ضيرى ، من رب يطاع ويذلُّ له ويعظم غيرى .

هــسامسمان: أحد وزراء فرعون ، لعله وزير الصناعة ، أو العمل والعمال .

أوقب المراء أشعل النار على الطين شديدة قوية ، ليتحول إلى آجرً ، فيكون أقوى في البناء .

وسيرحبين قصرًا عالياً ، أو بناءً شامخًا .

بقير المعق: بالباطل.

فسيساهم وطرحناهم ورميناهم .

السحسيسسم؛ البحر، والمرادية: نهر النيل لاستبحاره واتساعه.

السمه الله الماء يقتدى بهم .

يدعون إلى الثار : إلى الكفر والشرك والمعاصي .

السعست قا طردًا وإبعادًا عن الرحمة.

المقبوحين، المبعدين من كل خير، مشهى الخلقة.

السكستساب؛ التوراة.

المقرون الأوثى، هم أقوام نوح وهود وصالح ولوط وغيرهم.

يصائر للشاس، أنوارًا لقلويهم.

التفسد :

٣٨ – وَقَالَ فِرْعُونُ يُنَاتُهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمُتُ لَكُمُ مِنْ إِلَّهِ عَيْرِى فَأَوْفِدْ لِي يَنْهَا مَثِنُ عَلَى ٱلطَّيْنِ فَآجُعَل فَى صَرْحًا لُعُلَىٰ أَطْلِمُ إِلَىٰ إِلَيْهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَطْتُمُ مِنَ ٱلْكَـٰلِينِينَ .

كان بيان موسى واضحًا ، وشرحه لصفات الإله مقنعًا ، لكن فرعون خشى من تأثير كلام موسى ، ومن إيمان السحرة ، وتحدّيهم لكل عذاب في سبيل الإيمان .

وتفيد الآية ما يأتي .

قال فرعون مخاطبًا أشراف قومه : ليس في علمي أن هناك إلهًا أخر لكم غير الفرعون الملك ، وهذه بقية عقائد فاسدة ، ترى الملك إلهًا ، أو حاول فرعون أن يستخف بعقول قومه فأعلن ألوهيته ، وأنكر وجود أي إله أخر ، قال تعالى : فَأَسْتَحَفَّ قُوْمُهُمُ أَفَّاعُوهُ إِلَّهُمْ كَالُواْ قُومًا فُسِقِينَ . (الزحرف: 20) .

ومبالغة في استخفافه بعقول قومه تظاهر بأنه يريد البحث عن إله موسى ، فطلب من هامان أن يوقد النار على الطوب اللين ، ليتحول إلى آجر ، فيكون أقرى في البناء ، ثم يبنى هامان من هذا الآجر قصرًا عاليًا، أو بناءً شامخًا ، متجهًا نحو السماء ، حتى يصعد عليه الفرعون باحثًا عن إله موسى صوب السماء .

ثم قال فرعون :

وَإِنِّي لَأَظُّتُهُ, مِنَ ٱلْكَـٰلِبِينَ .

أى: إنى متيقن من كنب موسى ، لكنى مبالغة فى الإنصاف سأبحث عن إله موسى بنفسى ، وهى مبالغة فى الانتخاف عن إله موسى بنفسى ، وهى مبالغة فى استخفاف بعقول المخاطبين ، وسير فى طريق الكبرياء الكانب ، والجبروت المفتعل ، وقريب من ذلك قى له تعالى . أَخَمَّرُ قَائدُيْ فَقَالَ أَلَّا رَبِّكُمُّ الْأَغْلَىٰ . (النازعات: ٢٤ . ٢٧) .

لقد جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالى مصرحًا يأنه الربّ الأعلى ، فأجابوه ساه ولهذا انتقم الله تعالى منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة (٣٠ ، وقد جاء هذا المعنى في وُقَالَ فِرْعَوْنُ يُنْهُمُنُوا أَتِهُ فَاللَّمُ وَلَا اللَّهُ مُوسَمُ وَقَالُ إِلَيْهُ مُوسَمُ وَقَالُ فِرْعَالُ اللَّهُ مُوسَمُ اللَّهُ اللَّهُ مُوسَمُ مُنْهُ اللَّهُ مُوسَمُ مُنْهُ مَا مُنْهُمُ اللَّهُ مُؤْسَمُ وَاللَّهُ مُؤسَمُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ اللَّهُ عُلَى إِلَّهُ مُؤسَمُ مُنْهُمُ مُنْهُمُ اللَّهُ مُؤسَمُ وَاللَّهُ مُؤسَمُ وَاللَّهُ مُؤسَمُ مُنْهُمُ اللَّهُ عَلَى إِلَّهُ مُؤسَمُ وَاللَّهُ مُؤسَمُ مُؤسَمُ وَاللَّهُ عَلَى إِلَّهُ مُؤسَمُ اللَّهُ اللَّهُ مُؤسَمُ اللَّهُ عَلَى إلَّهُ مُؤسَمُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ إِلَيْهُ مُؤسَمُ وَاللَّهُ عَلَى إلَّهُ مُؤسَمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى إلَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ إِلَّهُ إِلَّهُ اللَّهُ عَلَى إلَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ إِلَّهُ إِلَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى إلَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُولُ مُؤْمِنَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُ عَلَيْكُولُكُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُكُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّالَةً عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُولُكُ عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَيْكُ عَلَّهُ عَلَيْكُولُكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُ عَلَّهُ عَلَيْكُولُكُولُكُ عِلْكُولُكُ عَلَّا عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُولُكُ عَلَيْكُولُكُولُكُ عَلَيْكُولُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَالْكُولُولُكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُولُكُ عَلَيْكُولُكُولُكُولُكُ عَلَيْكُولُكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُولُكُولُكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَاكُ عَلَاكُمُ عَلَيْكُولُكُ عَلَيْكُولُكُ عَلَي

٣٩ – وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ, فِي ٱلْأَرْضِ بِفَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّواْ أَنُّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ .

أى : استكبر فرعون وجنوده وحاشيته فى أرض مصر ، حيث نشروا الفساد ، وأحدثوا فرقة بين الطوائف ، واستذلوا بنى إسرائيل ، ويغوا فى الأرض بغير الحق ، حيث تعظموا على الإيمان بالله ورسوله ، ولم يناقشوا رسالة موسى مناقشة عقلية فكرية ، قال تعالى : وَجَعَفُواْ بِهَا وَٱسْيَقْتَهَاۤ أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوا أَنْشُرْ كُيْفَ كَانَ خَلِيَّةً ٱلْمُفْسِلِينَ . (شدل : 14) .

إن تواضع الحاكم وعدله ، واعتماده على الشورى ، واختيار أكفأ الناس لولاية الأمور ، كلها وسائل استدامة الملك ، أما التكبر والتجبر والتعالى والتأله بدون وجه حق ، فهو خسران ويطلان ، لأن رؤية العظمة للنفس على الشمسوص دون غيرها لا تكون حقًا إلا من الله عز وجل .

قَالَ الْزَمْحُشري: الاستكبار بالحق إنما هو لله وحده ، وكل مستكبر على سواه ، فاستكباره بغير حق .

وفي الحديث القدسي : «الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في النار ، ولا أبالي» ٣٠٠ . رواه أبو داود ، وابن ماجة ، وابن حبّان في صحيحه ، عن أبي هريرة وابن عباس . ـــُــــــ

وَظَلْتُواْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ .

اعتقدوا ألا قيامة ولا بعث ولا حشر ولا معاد ولا حساب، ويشموا من نعيم الدنيا عنوا وعنادًا وظلمًا وفسادًا، معتقدين أنهم لا يعودون إلينا، ولا يرجعون لنا لملاقاة الجزاء، ومواجهة العذاب.

٠ ٤ - فَأَخَذُنَاهُ وَجُنُودَهُ, فَنَبَذْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمَّ فَٱنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَهُ ٱلظَّالِحِينَ.

تطوى السورة أحداثًا كلارة ذكرت بتوسع فى سور أخرى ، وتنتقل إلى الضاتمة التى أنزائها الله بفرعون وقومه ، حينما استدرجهم الحق سيصانه وتعالى ، عندما خرج موسى ليلاً مع بنى إسرائيل ، فأتبعهم فرعون وجنوده بغيًا وعدوًا ، ثم نجى الله موسى وقومه ، وأغرق فرعون وقومه ، ونلمح يد القدرة الإلهية ، كأنسًا أهنتهم أخذا فنبذتهم هى الرم ورمتهم فيه رمى النواة ، والأشياء المستغنى عنها التى لم تعد صالحة .

فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنْقِبَةُ ٱلطَّنلِمِينَ .

فتأمل النهاية المؤلمة ، وتعجب كيف صار الملك الجبار هالكًا بين الأمواج ، وكيف حاول الإيمان عندما رأى الموت رأى العين ، فلم يقبل منه ذلك ، ونجى الله جثته لتكون عظة وعبرة ودليلاً عمليًا على سمو القدرة ، وهلاك الظالمين ونجاة المؤمنين . قال تعالى : وَجَنُوزُنَا بِيَنِيْ إِسْرَآءِيلِ ٱلْبَحْرُ فَلَيْعَهُمْ فَرَعُونُ وَجُهُ دَهُ. بِشِّا وَعَنْوَا حَقِّ إِذَا أَفْرَكُهُ ٱلْفَرْقُ قَالَ عَامَتَ ٱلْفَرُلَا إِلَيْهِ إِلَّهُ الَّذِينَ عَامَتُنَا بِهِ بِثَوْ إِسِنَّ آلِهُ الْمِينَا فِي عَالَيْنَ وَق قَالَوْمُ نُنجُيكُ بَلَدَيْكَ لَنْكُونَ لِمَنْ خَلْفُكُ عَايَةً وَإِنْ كَيْوَا مَنْ ٱلنَّاسِ عَنْ عَائِشِتًا فَيْفَارُدُ . (ورنس ٩٠ – ٩٠).

٤١ - وَجَعَلْنَاهُمْ أَنِمُةُ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ لا يُنصَرُّونَ .

لقد صاروا أئمة في الشر، ومثلاً أعلى في الفجور والعدوان، ونموذجًا في طريق الضلال، والصد عن آيات الله، فهم قدرة للفجار وأئمة يقتدى بهم في رفض الحق والتمسك بالباطل، وينس الإسامة التي تؤدى بصاحبها ومن اقتدى به إلى الشار.

وفى الحديث الشريف : «من سن سُنة حسنة كان له أجرها وآجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سُنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» (** رواه مالك ، وأحمد ، والثرمذي، وابن ماجة ، والدارمي ، عن أبى هريرة وجرير بن عبدالله البجلى .

لقد صار فرعون إمام الظالمين ، وعلما يقتدى به كل ضال ، وينهج نهجه كل فاجر ، فيا برسه ويا برس من اقتدى به .

وَيَوْمُ ٱلْقِينَامَةِ لَا يُنصَرُونَ .

وفي يوم القيامة يخذلون ويدخلون النار ، فاجتمع عليهم ذل الدنيا موصولاً بدُنُ الآخرة ، فقد غرق الفرعون في الدنيا ، وهو أشد الناس عذابًا يوم القيامة ، ويا لبته العذاب وحده ، بل القبع والمهانة ، جزاء مجاوزته الحد في العدوان .

٢ ٤ - وَأَلْبُعْنَاهُمْ فِي هَالْدِهِ ٱلدُّنْهَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ هُم مَّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ.

قال ابن كثير: وشرع الله لعنتهم ، ولعنة مككهم فرعون ، على ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين لرسله ، كما أنهم في الدنيا ملعوتون على ألسنة الأنبياء وأنباعهم كذلك .

وَيَوْمَ ٱلْقِيَاٰمَةِ هُم مَّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ .

فهم في عرصات القيامة صورة مشوهة ، يعروها الذل والعار ، ويكسوها الفضيحة والهول والقطران، قال تعالى : أَلاَ أَلَنَهُ اللَّهُ عَلَى ٱلطَّلِيسُ . (هود: ١٨). وقال سبحانه : وَلا تَحْسَنَ ٱللَّهُ عُلِهُا عُمَّا يَعْمَلُ ٱلطَّلِمُونَ إِنَّمَا لُوَخَرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَلُو ءَمْهُطِعِينَ مُقْبِعِي رُمُوسِهِمْ لاَ يَرْتُكُ إِلَيْهِمْ مُؤَلِّفِينَهُمْ وَأَلْفِينَهُمْ هَوَآءَ . (ابراهيم ٢٠٤ ، ٤٢) .

فيا برئسا لفرعون وجنده ومن سار على نهجه ، إن اللعنة تنزل عليهم فى الدنيا من الصالحين ، وفى الأخرة لا يجدون من يكرمهم ، ولا من يستقبلهم بالكرامة أن حسن الاستقبال ، بل يجدون الذال والصغار كما قال تعالى : وَ أَيْمُواْ فِي صَّلَيْهِ لَلْنَةٌ وَيُوْمُ أَلْقَيْسُهُ بِنِّسُ آلَوْفُهُ ٱلْمُؤْفِودُ ، (مود : ٩٩) .

٤٣ – وَلَقَدْ ءَاتِيْنَا مُوسَى الْكِيَسْبَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكُنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَمَـَآتِرُ لِلنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةَ لُتَعْلَمُمْ يَتَذَكُّونَ .

لقد كان الحديث طويلاً عن قصة موسى وفرعون ، واستأثر فرعون فى الآيات السابقة بقسط كبير، فاتجه السباق إلى الحديث عن نصبب موسى ، وبيان أن الله من عليه بالتوراة ، بعد قرون طويلة لم يُرسل فيها رسول ، فتكون حاجة الناس أشد إلى الهداية .

قال تعالى: إلْعَالِرَ قَوْمًا مَّا أَتَالِرَ ءَالْآوُهُمْ فَهُمْ غَلْهِلُونَ . (يس: ٦).

وكأن القرآن – وقد طال الحديث عن عنت فرعون وظلمه ، وعاقبته في الدنيا والآخرة – أراد أن يقدم ميزة لهذا الرسول المساير موسى عليه السلام .

ومعنى الآية :

لقد أعطينا موسى التوراة بعد هلاك الأمم السابقة ، مثل قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم اوط، و وهذه التوراة جاءت بعد الحاجة إليها ، حيث نزلت على فترة من الرسل ، ويعد مدة زمنية من انقطاع الرسالات .

بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ ... هداية للقلوب من العمى والغيَّ .

وَهُدُى وَرَحْمَهُ ... وهداية وإرشادًا وتشريعًا وبيانًا للعبادات والمعاملات ، مشتملة على رحمة من الله للعباد ، حيث شرع لهم ما ينفعهم في الدنيا ، ويسعدهم في الآخرة .

لُّعَلِّهُمْ يُتَذَّكُّرُونَ . لعل الناس يتذكرون بهذا الكتاب ويهتدون بسببه .

وذهب ابن كثير إلى أن هذه الآية تغيد أن الله أهلك الأمم السابقة التى كذبت رسولها ، كما أهلك فرعون ومن قبله عقوبة على كفرهم ، ويعد نزول التوراة لم تتدخل السماء بمقوبة لإهلاك الظالمين بل أمر الله المؤمنين بجهاد الكافرين . كما قال تعالى : وَجَاءَ فِرْعُونُ وَمَن قَلَهُ, وَٱلْمُؤْتَفِكُتْ بِٱلْخَاطِيَةِ ، فَعَمَوْاً رَسُونَ رُهُمِهُ فَأَعَلَهُمْ أَخَلَةً فَإِلَيْهَ * (المائة : ١ ، ١٠) .

روى ابن جرير، وابن أبى حاتم ، عن أبى سعيد الخدرى قال : ما أهلك الله قومًا بعذاب من السماء ولا من الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض ، غير أهل القرية الذين مُسخوا قردة بعد مرسى ، ثم قراً · رُلَقَدُ عَاتِينًا هُوسَى ٱلْكِتَنْبَ مِنْ يَعْدِماً لَفَلِكُنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ يَسْآئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدَّى وَرَحْمَةُ لَمُلْهُمْ يَمْذَكُرُونَ .

والمقصود هنا : أن الله أهلك الأمم السابقة عندما كنيت رسلها ، وأهلك فرعون ومن قبله من الجئارين ، ثم أنزل التوراة هداية للناس ، ورحمة بهم ، حيث استملت على التشريع والقصاص والآداب ونظام الدّنين والدنيا ، لمل الناس تتذكر فضل الله ، فتطيع وتسعد في دنياها وأخراها ، وكانت التوراة تمهد وتبعد في دنياها وأخراها ، وكانت التوراة تمهد المرتبع بمدق الأدلة على صدق الأسلام على مدق الأدلة على صدق الربعة على المدق الربعة على المدق الربعة على المدق الربعة على المدق الأدلة على المدق الأدلة على المدق

قال يحيى بن سلام: التوراة أول كتاب نزلت فيه الفرائض والحدود والأحكام.

﴿ وَمَا كُنتَ بِعَانِ الْفَرْنِيَ إِذْ فَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّهِدِيكَ ﴿ وَمَا كُنتَ الْفَافِ الشَّهِدِيكَ اللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ مَثْلُوا مَا اللَّهُ مَثْلُوا عَلَيْهِمُ اللَّهُ مُثْوَمًا كُنتَ الْعَانِ الطَّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنَ تَحْمَةً مِن تَذِيرِ مِن قَبْلِكَ لَتُنتَا وَلَكِنَ تَحْمَةً مِن تَذِيرٍ مِن قَبْلِكَ لَعَلَهُمْ مِن نَذِيرٍ مِن قَبْلِكَ لَعَلَهُمْ مِن نَذِيرِ مِن قَبْلِكَ لَعَلَهُمْ مَن نَذِيرٍ مِن قَبْلِكَ لَعَلَهُمْ مَن نَذِيرٍ مِن قَبْلِكَ لَعَلَهُمْ مَن نَذِيرِ مِن قَبْلِكَ لَعَلَهُمْ مَن نَذِيرٍ مِن قَبْلِكَ لَعَلَهُمْ مَن نَذِيرِ مِن قَبْلِكَ لَعَلَهُمْ مَن نَذِيرِ مِن قَبْلِكَ لَعَلَهُمْ مَن نَذِيرٍ مِن قَبْلِكَ لَعَلَهُمْ مَن نَذِيرِ مِن قَبْلِكَ لَعَلَهُمْ مَن نَذِيرِ مِن قَبْلِكَ لَكُمُ اللَّهُ مِنْ فَلِكُونَ وَمُن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مُن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مَا اللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللْعُلْمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ الللَّهُ اللَّهُ اللْعُلُولُ اللللْهُ اللَّهُ ال

المطردات ،

المقدريسى؛ الجبل الغربي الذي وقع فيه الميقات؛ وأعطى الله فيه ألواح التوراة لموسى.

قضييا، عهدنا إليه ، وكلفناه أمرنا ونهينا.

الأمينين: أمر الرسالة .

الشاهيدين: الحاضرين للوحي من جملة السبعين المختارين.

انشانيا قرونا، خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة.

هـ تـ طاول ، تمادى وتباعد .

عليهم العمر؛ عليهم الزمن، قال تعالى: فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأُمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ... (الحديد: ١٦).

شاويا، مقيمًا.

أهسل مستيسن، قوم شعيب عليه السلام.

البصطحورة الجبل.

استستستره لتخوّف وتحذّر.

معسيسية: عذاب الدنيا والأخرة.

شولا «الثانية» ؛ هلًا، وتفيد تمنّى حصول ما بعدها والحث عليه .

تمسده

تص القرآن الكريم جانبًا من قصص موسى وشعيب وغيرهما من الأنبياء ، وهنا يقدم القرآن الأدلة على صدق رسالة الرسول ﷺ ، فقد حرى القرآن أغبار الأمم السابقة ، كقصص نوح وهود وصالح ولوط وموسى ، مع من أرسلوا إليهم ، وهذه الأخبار تطاول عليها الزمن ، ووجد نصيب منها في التوراة سليمًا من التحريف ، ونصيب منها محرّف ، قرّمه القرآن وأرشد إلى الصواب واليقين فيه ، ومحمد ﷺ كان أميًا نشأ في أمنة أمية ، ولم يتجول في البلاد ، ولم يقرآ أخبار الأمم ، ثم قصّ هذا القصص بالحق ، فلا يمكن أن يروى هذا القصص بهذا التفصيل البارع إلا أن يكن ذلك عن طريق الوحى الإلهي ، الذي أنزله الله عليه ليهلغه عن النقس ، تحقيقًا لوعد الله ألا يعذب أمة إلا بعد أن يُرسل إليها الرسا ، ويبلغها الكتب وأمور الرسالة وشئونها على وجه يحرّك فيها داعية القبول ، فإذا أطاعت فلها السعادة في الدارين ، وإلا فقد أعذر من أنذر .

التفسير،

٤ ٤ - وَمَا كُنتَ بِجَالِبِ ٱلْعَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّلهِدِينَ

والغربي هو الجانب الغربي للطور الذي جعله الله ميقاتًا مع موسى عليه السلام ، بعد أجل محدد ثلاثين ليلة ، أتمها بعشر فكانت أربعين ليلة .

قال تعالى : وَوَ اعْدَنَا مُوسَىٰ لَلَامِنَ لَيُلَةً وَأَتَّمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَلْتُ رَبِّهَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ... (الأعراف: ١٤٢).

وفي هذا الميقات قضى الأمر لموسى في الألواح ، لتكون شريعته في بني إسرائيل . وما كان رسول الله هم موجودًا بجانب الجبل الغربي ، حين عهد الله تعالى بالرسالة إلى موسى ، وأحكم أمر نبوته بالوحى وإنزال التوراة ، وما كان من جملة الشاهدين الحاضرين للوحى ، وهم السبعون المختارون للميقات المنوَّى عنهم بقوله تعالى : وَآخَنَارُ مُوسَىٰ قَرْمُمُ سَيِّينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِيًا ... (الأعراف : ١٥٥٥).

أو ما كنت من الشاهدين بجميع ما أعلمناك من شأن موسى ، وأخبرت به ، فهو نفى لشهادته ﷺ جميم ما جرى لموسى .

وَ لَدِكِنَا أَنشَانًا قُرُونًا لَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْمُمْرُ وَمَا كُستَ ثَاوِيًا فِي أَلْفِلِ مَذَيْنَ تَظُواْ عَلَيْهِمْ عَايْضِيًا وَلَدِكِنا ثُمَّا
 مُوسلينَ.

هذه الآية استدراك ، لتأكيد المعنى السابق قبلها .

والمعنى:

ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونًا وأممًا كثيرة ، تمادى وتباعد عليها الزمن ، فتغيرت الشرائع ، وتبدل و تبدل الزمن ، من الذين الشرائع ، وتبدلت الأحكام ، وعميت عليهم الأنباء ، ولاسيما ما كان منهم في آخر هذه الأزمان ، من الذين أنت فيهم ، فاقتضت حكمة الله أن يرسل محمدًا الله على فترة من الرسل ، لهندر قومًا ما أتاهم من نذير من قتله لعليم يهتدون .

وَمَا أَكْنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَطُلُواْ عَلَيْهِمْ عَايَاتِهَا ...

لقد تحدث القرآن عن قصة موسى ، واتجاهه صوب مدين وإصهاره إلى شعيب ، ومحمد ﷺ لم يكن مقيمًا في أرض مدين ليتسمع منهم ويتعلم هذه الأخبار عنهم ، ثم يتلوها على قومه ، بهذا الإهبار الصادق الذي أخبر به .

وَ لَنْكُنَّا كُتًا مُرَّ سلينَ.

ولكن ذلك لأننا أوحينا إليك ، وأرسلناك رسولا.

٤٪ – وَمَا كُنتَ بِمِجَانِبِ ٱلشَّورِ إِذْ نَافَيْنَا وَلَئكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبُكَ فِشِلِرَ قَوْمًا مَّا أَسْفُهم مِّن نَّلِيور مِّن قَبْلِكَ تَعْلَهُمْ يَتَذَكُّرُونَ .

لقد أخبرت عن الأنبياء والرسل ، والأمم والقيامة والبعث ، وما كان لك من علم بذلك إلا عن طريق الوحى ، فأنت لم تشاهد موسى عند تلقيه الرسالة ، ولم تكن بجانب الطور حين ناداه ريّه وأرحى إليه ، فالآية اختيار للحظة معينة اتصلت فيها السماء بالأرض ، وتفضل فيها الرب الكريم على موسى . قال تعالى : فَلَمَّا آتَنهَا لُوحِىَ يَلْمُوسَى ﴿ إِنِّى أَنَا زَبُكَ فَاخَلَعَ نَفَلِكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ آلْفَقْدُسِ طُوَى ﴿ وَأَنَا آخَتُونُكَ فَاسْتَعِمْ لِمَا يُوحَى ۚ ﴿ إِنِّينَ آنَ اللَّهُ لَا إِلَنَا إِلاَّ أَنَا فَاعْدُلِي وَأَقِمَ آلْصَلْؤَةُ لِلوكُونَ ﴿ (طَهُ ١٠ ٤ - ١٤) .

ونلمح هنا أن الآية ٤٤ تكلمت عن رسالة موسى بصفة عامة ، أما الآية ٤٦ فقد اختارت لحظة التفضل على موسى بالنداء والمناجاة ، فهذه أهُصن والسابقة أعم .

وقال فتادة : وَمَا كُسَتَ بِجَالِبِ ٱلطَّورِ إِذْ ناكَيْنَا . موسى ، وهذا أشبه بقوله : وَمَا كُسَتَ بِجَالِبِ ٱلْمُولِيِّ إِذْ فَلَشَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْنِ ... ثم أخير ههذا بصيغة أخرى أخص من ذلك وهو النداء ، كما قال تعالى : وَإِذْ لَافَحَا رُبُكُ مُوسَىّ ... (الشعراء : ١٠) . وقال تعالى : إِذْ لَامَاهُ رَبُّهُمْ بِالْوَاهِ ٱلْمُقَلِّسِ طُوْعَ . (النازعات : ١٦) .

وقال تعالى: وَنَنْتَيَّنَاهُ مِن جَالِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرْآتَنَاهُ نَجِيًّا . (مريم: ٥٢).

وَلَنكِن رَّحْمَةً مِّن رَبَّكَ لِتُعلِرَ قَوْمًا مَّا أَلْنَهُم مِّن نَّذِيدٍ مِّن قَيْلِكَ لَمَلَّهُمْ يَعَذَكُرُونَ

أى: إنك لم تكن بجانب الطور حين نادينا موسى ، ولكن أعطاك الله الرسالة ؛ وحمة وفضالاً وكرامة، وفيها هذه الأغبار ، وفهها أيضا التشويع والهداية ، لتنذر بها قومك الذين لم يُرسل إليهم رسول منذ عهد إسماعيل عليه السلام ، وهى مدة تزيد على ألفى عام ، فقد طال العهد عليهم ، ويعُد الأمد بالرسل ، فكان من رحمة الله وقضله أن أرسلك على حين فترة من الرسل ؛ لترشد الناس إلى الإيمان ، وتذكرهم بالوحى ، وترشدهم إلى الطاق الواحد سبحانه وتعالى .

٧٤ – وَلَوْلَا أَنْ تُعِينَهُم مُّعِينَةٌ بِمَا قَلْمَتْ أَيْنِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَثَنَا لَوْلاً أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَشِعَ عَايَنْظِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ .

وأرسلناك لتقهم عليهم الحجة ، وتقطع عنهم العقر ، حين ينزل عليهم عذاب في الدنيا أو الأخرة ، فيقولون : يا ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً يرشدنا ويحدُّرنا ، فنتبع آياتك المنزلة عليه ، ونكون من المؤمنين به ، فالآية تعقيب يبين الحكمة في إرسال الرسل عامة ، وفي رسالة محمد ﷺ خاصة ، وهي الإعذار إلى الناس ، وإخبارهم بحقائق الكرن وحلق الدنيا ، والبعث في الآخرة .

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى : وَمَا كُنَّا مُعَلِّينَ حَتَّىٰ لَبْعَثَ رَسُولاً . (الإسراء: ١٥) .

ويقول عن شانه : رُسُلاً مُهمَّمِينَ وَمُعلِوبِينَ إِنَّلاً يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجِمًّا بَعَدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَجِيمًا . (النساء ١٦٥).

جاء في ظلال القرآن:

فهى رحمة الله بالقوم ، وهى حجته كذلك عليهم ، كيلا يعتذروا بأنهم أخذوا على غرة ، وأنهم لم يُنذروا قبل أُجْدُهم بالعذاب – وما هم فيه من جاهلية وشرك ومعصبة يستوجب العذاب – فأراد الله أن يقطع حجتهم ، وأن يعذر إليهم ، وأن يوقفهم أمام أنفسهم ، مجردين من كل عائق يعرقهم عن الإيمان . ا هـ .

﴿ فَلَمَّا كَنَهُ هُمُ ٱلْحَوُّمِنَ عِندِنَاقَا لُولَا لَوْلَا أُوقِ مِثْلُ مَا أُوقِ مُوسَىَّ أَوَلَمْ يَكُ فُرُولًا يِمَّا أُوقِى مُوسَىٰ مِن قَبْلُّ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَنهُ رَاوَقَالُوا إِنَّا يِكُلِّ كَفِرُونَ ۞ قُلْ فَ أَتُوا يكِنَن ِمِنْ عِندِ اللَّهِ هُو اَهْدَىٰ مِنْهُمَا آتَيْعَهُ إِن كُنتُمْ صَدِيقِي ۞ لَدَيْسَتَعِيبُولُ لَكَ فَاعْلَمُ النَّمَا يَشِّعُونَ أَهْوَآءَ هُمُّ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اَنَبَعَ هُوَنهُ يِغَيْر هُدَى مِن اللَّهِ إِنَّ اللَّهُ الْمَالَمُ اللَّهُ الْمَالِمِينَ ۞﴾

المفردات:

سح ران : أي : ما أوتيه موسى ، وما أوتيه محمد 難 .

فإن ثم يستجيبوا، فإن لم يفعلها ما كلفتهم به.

تمهيده

تناقش الآيات مشركي مكة مناقشة عقلية ، فتستعرض تكذيبهم بالقرآن ، وتعللاتهم ، واقتراحاتهم ` المتعنتة ، وتقترح عليهم الإتيان بكتاب أهدى من التوراة والقرآن ، فإن عجزوا وأصروا على الكفر فهم أتباع الهرى والضلال ، وكفي .

التفسيره

٨٤ – قَلَمًا جَاءَهُمُ ٱلْعَقُ مِنْ عِندِنا قَالْوا أَلَوْلاَ أُوبِيَ مِثْلَ مَا أُوبِيَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكَفُرُواْ بِمَا أُوبِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ
 ١٤٥ – قَلَمًا جَاءَهُمُ ٱلْعَقُ مِنْ عِندِان قَالُواْ أَلَوْلاً أُوبِيَ مِثْلَ مَا أُوبِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ
 ١٤٥ أُسِخَرَانِ تَطَلَقُوْرَا وَقَالُواْ إِلَّا بِكُلُّ كَنْفُرُون .

بعد فترة من الرسل أرسل الله محمدًا ﷺ ، فلما جامهم بالحق : بالرسالة الحق ، وبالقرآن الحق الحلال الحق محمد ﷺ معجزات مادية ملحوظة مثل ما أوتى موسى ، «يعنون مثل العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وتنقيص الزروع والثمار معا يضيق على أعداء الله ، وكُفلُق البحر ، وتظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوى ، إلى غير ذلك من الآيات الباهرة ، والحجج القاهرة على يدى موسى عليه السلام حجة وبرهانًا له على قرعون وملك» (**)

وقديب من هذا المعنى ما حكاه القرآن عنهم حين قالوا : لَوْ لَا أَثْرِلَ إِلَيْهِ مَلَكَ فَيَكُونَ مَعَمُر لَلِيرًا * أَوْ يُلْقَىّ إِلَّهِ كُنُو أَوْ لَكُونَ لُمُ جَمِّةٌ يَأْكُونُ مُنْهَا ... (الغرفان: ٧ . ٨) .

أَوَلَمْ يَكُفُرُواْ بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ...

أولم يكفر أمثالهم في الكفر والعناد بما أوتي موسى؟ حيث كذبوا موسى، وكفروا برسالته، كما قالوا: أَجِنْتُنَا تُفْقِنًا عُمِّةًا وَجَدُنًا عَلَيْهِ عَلَهَا مَنَا اللهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْ

وقال تعالى : فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ . (المؤمنون : ٤٨) .

قال ابن كثير:

أَوْلَمْ يَكُفُرُواْ بِمَا أُوتِي مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ...

أي: أولم يكفر البيشر بما أوتى موسى من تلك الآيات العظيمة .

قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَلْهَرَا ...

أي : سجر موسى وسحر هارون تعاونا .

وَ قَالُواْ إِنَّا بِكُلِّ كَالِهِرُونَ .

أي: يكل منهما كافرون . ١ . هـ .

أى: إن التكنيب لم يكن فى أهل مكة وحدهم ، بل سبقهم قوم فرعون ، حيث أيد الله موسى بآيات باهرة منها تسع آيات بينات ، لكنهم كنبوا موسى وهارون ، وقالوا : ساحران تعاونا وإنا كافرون بهما ، فالكفر والعناد كانا طبيعة فى المكنبين بالرسل على مختلف العصور ، كأنما وصى السابق منهم اللاحق.

قال تعالى : أَلُوَ اصَوْا بِهِ لِلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ . (الذاريات : ٥٧) .

رأى آخر في تفسير الآية

رُوى أن أهل مكة بعثوا رهطا إلى رؤساء اليهود ، فسألهم عن شأن محمد ﷺ ، فقالوا : إنا نجده في التوراة بنعته وصفته ، فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود ، قال كفار مكة : سِحُّرَانُ تَطُّلُهُرَا ... أي : سحر موسى وسحر محمد . وَاللَّرْ إِنَّا بِكُلُّ كُلُّهُرُونُ ، أي : بكل من الكتابين – التوراة والقرآن – كافرون ، قالوا ذلك تأكيدا لكفرهم وتعتومه وتماديهم في العذاء والطفيان .

قال الآلوسي:

وقرأ الأكثرون : قَالُواْ سِخْوَانِ تَطْلَهُوا ... وأرادوا يهما محمدًا وموسى عليهما الصلاة والسلام .

وجاء في ظلال القرآن ما يأتي :

فهو المراء إذن واللجاجة ، لا ملك الحق ولا نقصان البراهين ، ولا ضعف الدليل .

٩ ٤ - قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَلْبِ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَئِ مِنْهُمَا أَتَبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَلْدِقِينَ .

أى: إن لم يعجبكم القرآن ولم تعجبكم القرراة ، فأتوا أنتم بكتاب منزل من عند الله أفضل منهما ، وأكثر اشتمالا على الهدى وبيان التشريع ، والقصص والأداب ومكارم الأخلاق ، فإذا أثيتم بهذا الكتاب فسأتبعه والتزم بهدايته . إِن كُشُمُ مُسَابِقِينَ . في أنهما سحران تظاهرا ، أن في أن سبب رفضكم نقص الحجة والدليل ، لا اتباع الهري والمكابرة بدون دليل .

قال ابن كثير:

وقد علم بالضرورة لذوى الألباب أن الله تعالى لم ينزل كتابًا من السماء – فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه – أكمل ولا أشمل ولا أنسم ، ولا أعظم ولا أخرف ، من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن ، ويعده في الشرف والعظمة ، الكتاب الذي أنزله على موسى عليه السلام ، وهو الكتاب الذي قال الله فيه : إنَّا أَنْوَ ثَنَّا الله فيه : إنَّا أَنْوَ ثَنَّا أَنْوَ ثَنَّا أَنْ ثَنَّا أَنْوَ ثَنَا أَنْوَ ثَنَا أَنْ ثَنَّا أَنْوَ ثَنَا أَنْ ثَنَّا أَنْوَ ثَنَا أَنْ ثَنَّا أَنْهَ ثَنَا أَنْهَا فَلَنْ عَلَى مُؤْمِنَا فَيْ أَنْفَى وَنُودٌ . . (المنافذ : قا) .

والإنجيل إنما أنزل متممًا للتوراة ، ومحلاً ليعض ما حرم على بنى إسرائيل ، ولهذا قال الله تعالى : قُارُ أَنَّارُ أَبِكُنْكُ مِّرْ عِندَ اللَّهُ هُوَ أَهْدُونُ مِنْهُمَا أَلَّبُهُ إِنَّ كُنُمُ صَلَّقِينَ .

أي : فيما تدافعون به الحقّ ، وتعارضون به من الباطل (٢٠٠) .

• • - أون لَمْ يَسْتَعِيمُوا لَكَ فَاصْلَمْ أَلْمَا يَتْشِونَ أَهْوَا مَعْمْ وَمَنْ أَصَلُّ مِثْنِ إِثْبَعَ هَوَسْلَهُ بِهَيْرِ هُدَى مَن ٱللهِ إِنْ ٱللّٰهَ لاَ يَهْدِى ٱلْفَوْمَ الطَّلِيمِينَ .

فإن لم يستجيبوا لك في الإتيان بكتاب هو أهدى من التوراة والقرآن ، فطب نفسًا ، واطمئن قلبًا ، وازدد ثقة بأنك على المق، وأنهم إنما يتبعون الهوى ، والكبر والعناد بلا دليل ولا حجة .

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن ٱلَّهِ هَوَسْهُ بِغَيْرٍ هُدَّى مِّنَ ٱللَّهِ ...

أى : لا أحد أضل ممن سار على هواه وشيطانه ، بدون أن تكون معه هداية الله ومعونته .

إِنَّ ٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلطَّلْلِمِينَ .

لقد ظلموا أنفسهم باتباع الباطل ، ورفض الحق ، فسلب الله عنهم الهدى ، وتركهم في الغيّ والضلال ، جزاء ظلمهم وعنادهم .

جاء في تفسير المراغي للأستاذ أحمد مصطفى المراغي ما يأتي :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلطَّلَلِمِينَ .

أى: إن الله لا يوفق لإصابة الحق واتباع سبل الرشد من خالفوا أمره ، وتركوا طاعته ، وكذبوا رسله ، ويذكوا عهده ، واتبعوا هوى أنفسهم ، إيثارا منهم لطاعة الشيطان على طاعة الرحمان 1. هـ . ﴿ وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَمُمُ الْقَوْلَ لَعَلَهُمْ مَنَذَكُرُوبَ ۞ الَّذِينَ ، انَيْنَهُمُ الْكِنْبَ مِن فَبْلِءِ هُم بِدِيوُوْمُونَ ۞ وَلِذَا يُنْلَى عَلَيْهِمْ قَالُواْ ءَامَنَا بِعِيانَةُ الْحَقُّ مِن زَيِّنَا إِنَّا كُنَامِن فَبْلِهِ مُسْلِطِينَ ۞ أُولَةٍ لَكَ يُوْفُونَ الْجَرِهُمْ مَّرَتَيْنِ بِمَا صَبُرُواْ وَيَدْرُهُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِعَةَ وَمِقَالَ وَيَدَرُهُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِعَةَ وَمِقَالَ وَيَدَنَهُمُ الْمَنْكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ الْحَبْلَةُ السَّيَعَةَ وَمِقَالُوا لِنَا أَعْمَلُكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لَا بَنْفَعِيلِنَ ۞ إِنَّكَ لَا تَبْدِى مَنْ أَحْبَبَتَ وَلِلْكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءَ فَيَكُمْ لَا بَنْفَعِيلِنَ ۞ إِنَّكَ لَا تَبْدِى مَنْ أَحْبَبَتَ وَلِلْكِنَّ اللَّهُ يَهِلِينَ ۞ إِنَّكَ لَا تَبْدِى مَنْ أَحْبَبَتَ وَلِلْكِنَّ اللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَاءَ فَي وَهُوا اللَّهُ وَلَوْلَا اللَّهُ مَا لَكُمْ اللَّهُ اللَّكُمُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْكُلُولُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَا اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُؤْمِلُولُولُ اللْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ الْمُنْ الْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِلُولُولُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ الْمُؤْمِلُولُولُولُولُ الْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ اللَّهُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ الْمُؤْمُ

المفردات ،

ومبادث النهيم؛ التومنيل: ضم قطع الحبل بعضها إلى بعض ، قال الشاعر :

ققل لبنى مرول ما بال نبّتى بحيل ضعيف ما يزال يرمّل المراد به هذا: إنزال القرآن منجدًا مفرقًا ، يتصل بعض بعض .

يستسدكسرون، يتعظون ويتدبرون:

مسلب يسن ، متقادين خاضعين الله .

يسسسرون: يدفعون.

المائية و ما حقه أن يلغى ويترك من العبث وسفف القول.

سلام صليكم، كلمة توديع ومتاركة لا تحية .

لانبتقى الجاهلين؛ لا نطلب صحبة الجاهلين؛ ولا نريد مشالطتهم ولا جدالهم -

تمهيده

بعد أن أثبت أن القرآن وحى من عند الله ، أثبت هنا أن أهل الكتاب آمنوا به حين رأوا الأدلة تتظا على صدقه ، وموافقته لما في كتبهم ، فأجدر بمن لا كتاب لهم من قبله أن يؤمنوا به .

التفسيره

١ ٥ - وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَعَلَّكُرُونَ .

تواصلت الرسالات رسولاً بعد رسول ، وتواصلت الكتب التي ختمت بالقرآن الكريم ، الذي و، الرسالات السابقة ، وجاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه . فوصل الله سلسلة الرسالات بالإسلام ، ووصل سلسلة الكتب والصحف بالقرآن ، لعل الناس تذكر ربها ودينها ، وليستمر صوت التذكير والتنبيه ، وتتجدد الدعوة إلى الإيمان حالاً بعد حال ، وزمانًا بعد زمان ، لقد خلّد الله صوت الحق الإلهى بهذا القرآن ، وجعله ذكرى متجدة دائمة للأجيال ، بما تكفل له من الصون والحفظ عن التغيير والتبديل ، ويما اشتمل عليه من التنوع في الأسلوب والخطاب ، وعدًا ووعيدًا وقصصًا وعبرًا ، نصائح ومواعظ ، إرادة أن يقذكر الناس به ويعملوا بمرجبه فيقلصوا .

والمعنى:

أنزلنا القرآن الكريم منجمًا ومقسطًا ، حسب الوقائع والحوادث ، ليقواصل تذكير الناس بريهم ، وليكون القرآن الكريم كتاب الحهاة ، يجيب على أسئلة الناس ، وينافش المشركين ، ويصحح المفاهيم ، وينسخ الأحكام عند الحاجة إلى النسخ أو التيسير ، فقد نزل القرآن الكريم في مكة ثلاثة عشر عامًا ، يشرح العقيدة ، ويعمق الإيمان ، ويد على شبهات المشركين ، ويزل القرآن في المدينة عشر سنوات ، نزلت فيها آبات الأحكام والجهاد والردّ على شبه أهل الكتاب ، وكشف ألاعيب المنافقين ، وتفصيل أحكام السلم والحرب ، والعبادات والمعاملات ، فتواصلت آباته ، وامتد نزوله ، ليساند المؤمنين ويذكر الغافلين ، وكان الرسول أميًا ، فكان من الرفق به أن ينزل القرآن منجئا يؤازده ، ويبسر عليه حفظ القرآن وكتابته لدى كتاب الوحى .

قال تحالى : وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفُورًا لُوْلًا نُوْلَ عَلَيْهِ ٱلقَّرْعَانُ جَمْلَةَ وَاحِدَةٌ كَذَالِكَ لِشَيَت بِهِ فَوَادَكُ وَرَقَّتُنَاهُ تَزِيهِا؟ . وَلا يُلُّولَكُ بِمَثَلِ إِلَّا جِشْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْمَسُ تَفْسِيرًا . (الغرفان: ٣٠، ٣٧) .

٧ ٥ - ٱللَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ ٱلْكِعَلْبَ مِن أَيْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ .

كان بعض اليهود والنصاري يدخلون في الإسلام راغبين باكين مصدقين بالقرآن ، معلنين أن الثوراة نصت على رسالة محمد ﷺ ، وأنهم آمنوا بالقرآن ، ويصدق محمد ﷺ لمطابقة القرآن لأسول كتبهم ، وبشارة تلك الكتب بمحمد ﷺ ، وتطابق الأوصاف عليه .

قال القرطبي : ويدخل فيه من أسلم من علماء النصاري ، وهم أربعون رجلاً قدموا المدينة ، منهم الثان وثلاثون رجلاً من المبشة مع جعفر بن أبي طالب ، وثمانية من الشام ، وكانوا أثمة النصاري ، وأنزل الله فيهم هذه الآية وما بعدها. وأخرج ابن جرير ، عن على بن رفاعة قال : خرج عشرة رهط من أهل الكتاب ، منهم رفاعة – يعنى أباه – إلى النبي ﷺ ، فأمنوا فأوذوا فنزلت : ٱللَّيْنِ عَالِيْنُ عَالِيْنُ مُ ٱلْكِتَبُ ... الآيات .

وأخرج ابن جرير أيضًا عن قتادة قال: كنا نتحدث أنها نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على الحق ، حتى بعث الله محمدا ﷺ فأمنوا به ، منهم سلمان الفارسي وعبدالله بن سلام .

وقال سعيد بن جبير : نزات هذه الآية في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي ، فلما قدموا على النبي ﷺ قرأ عليهم : يسّ ه وَ ٱلْقُرُعَاقِ ٱلْحُكِيمِ . (س . ١٠ .) . حتى ختمها ، فجعلوا يبكن وأسلموا (١٣٠ .

وهي معنى الآية قوله تعالى : وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَسْبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَاۤ أَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَاۤ أَنْزِلَ إِلَيْهِمْ صَلَيْعِينَ لَلَّهِ ... (ال عدران ١٩٩٠) .

٥٣ - وَإِذَا يُعْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ عَامَنّا بِهِ إِنّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبَّنَا إِنّا كُنّا مِن قَلِهِم مُسْلِعِينَ .

وإذا قرئ القرآن عليهم استجابها له ، وقالها : آمنا به وصدقنا بأنه كلام الله لاشتماله على الحق والصدق ، ولأنه معجز للبشر وهو من كلام ربنا ، إنا كنا قبل نزول هذا القرآن منقادين لأحكام الله ، نجد في القرراة بشارة بأحمد وأمنه ، والكتاب المنزل عليه .

قال تعالى : شُحَدَّدٌ رُسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَلَّهُ أَهِيدًا مُعَلَى ٱلْكُفُّارِ رُحَمَّا ءُ يَتَنَهُمْ فَرَسُهُمْ وُرُكُمَّا سُجَلًا يَبْتَعُونَ فَطَيلًا مَنَ ٱللَّهِ وَرَضُونًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوعِهِمْ مَنْ أَثَر ٱلشُجُودِ ذَائِكَ مَثَلَهُمْ فِي ٱلنُّؤَرِسُةِ ... (الفتع : ٧٧) .

وقال من شأنه : وَإِذْ قَالَ عِيسَى أَبْنُ مُرْيَمَ يَلْبَيِّي إِسْرَابِيلَ إِلَى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُصَدَّقًا لَمَا بَيْنَ يَدَى مِنْ ٱلْتُورُكِ وَ مُسَلِّدًا ا رَسُولَ يَأْتِي مِنْ يَعْلِيقِ ٱسْمُعُوا أَحْمَلُ ... (المسف : ٢) .

﴾ ٥ – أَوْلَلْئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مُّرْتَيْن بِمَا صَمَوُواْ وَيَلْدَءُونَ بِالْمُحَسَّةِ ٱلسَّيْفَةُ وَمِمَّا رَزَّقْتُهُمْ يُنفِقُونَ .

هوّلاء المومنون بالقرآن والإسلام من أمل الكتاب يضاعف لهم الثواب ، ويؤتون أجرهم مرتون الأولى : لإيمانهم بنبيهم موسى ، أو نبيهم عيسى ، وصبرهم على اتباع تعاليم اليهودية أو المسيحية والثانية : لإيمانهم بالقرآن ورسالة محمد ﷺ وبخولهم في الإسلام ، وصبرهم على الأذى ، واحتماله، الإساءة ممن يعيرهم بذلك ، أو يعيب عليهم الدخول في الإسلام وقد مدحهم الله بما يأتى :

٩ - الثبات على الإيمان والصبر وتحمل تبعات الإيمان.

٢ - مقابلة الإساءة بالإحسان .

٣ - الإنفاق من النفس والمال والعلم وسائر ما رزقهم الله .

وقد وردت عدة روايات في تفسيري القرطبي وابن كثير، وسيرة ابن إسحاق، تقيد أن مجموعة من أمل الكتاب، أو من علماء النصاري أو أحبار اليهود، أو أصحاب النجاشي، قدمت على النبي هي أه فسألوه عن هذا الدين، ثم قرأ عليهم القرآن، فغاضت عيونهم بالدمم، وبخاوا في الإسلام، واستجابوا لله وأمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عند النبي هي بالمسجد المرام بمكة، اعترضهم أبر جهل وويخهم على ترك دينهم، وتصديقهم محمدًا، فقالوا لأبي جهل ومن معه: سلام عليكم، لانجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، وقد قيل: إنهم النفر النصاري من أهل نجريد أنهم كانوا عشرة من أهل الكتاب، وقد ويلوا عشرين رجلاً أو قريبًا من ذلك، وأخرج ابن جويد أنهم كانوا عشرة من أهل الكتاب،

وفي تفسير ابن كثير : قال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية وما بعدها ، في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي ... فأسلموا ، وإذا تأملنا في هذه الروايات ، نقول : لعل حضير وفد من أهل الكتاب تكرر أكثر من مرَّة ، فحينا كان عشرة ، وحينا كان عشرين ، وحينا كان سبعين ، فذكرت كل رواية قمعة وفد معين ، وعمومًا فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السيب .

وقد ورد في معجيحي البخاري ومسلم روايات عديدة تفيد أن من آمن من أهل الكتاب بالإسلام فله أ أجران ، فعن أبي موسى الأشعري قال : قال وسول الله ﷺ : «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب أمن بين ، وعبد معلوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأذبها فأحسن تأديبها فأحسن تأديبها ف

ودوى أبو أمامة قال : إنى لتُحْت راحلة رسول الله ﷺ يرم الفتح ، فقال قولاً حسنًا جميلاً ، وقال فيما قال : «من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين ، وله ما لنا وعليه ما علينا» ("").

٥ = وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّهُو أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا آنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا بَتَنِعِي ٱلْجَلَهلينَ .

يوتدهم الله أجرهم مرتين لأنهم آمنوا يغيهم ثم آمنوا بمحمد ﷺ، ولأنهم تخلقوا بالأخلاق الحسنة ، ومنها مقابلة الإساءة بالإحسان ، والهُجْر من القول بالسمت أو بالتراي .

وتفيد كتب السيرة والتفسير مثل الألوسي واين كثير والطبرى وغيرهم ، أن وفدًا من نصاري نجران ، أو من أصحاب النجاشي قدم على رسول الله ﷺ في المسجد الحرام ، فلما سمع القرآن بكي وأسلم ، ثم قام الوفد فاعترضهم أبر جهل بن هشام في نقر من قريش فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب ، يعتكم من وراءكم من أهل دينكم ، ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، وصدقتموه فيما قال ، ما نطم ركبًا أحمق منكم ، فقالوا لهم : سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيرًا ، ل . هـ .

وتقرير معنى الآية ما يأتى

إذا عيرهم المشركين أو غيرهم ، أو آذاهم الناس بالقول أو الفعل ، أعرضوا عن الأذى وسكتوا عن الردّ على الجاهلين ، وقالوا: لنا أعمالنا سنحاسب عليها وحدنا ، ولكم أعمالكم ستحاسبون عليها وحدكم ، سلام عليكم ، سلام متاركة ، أى : وباعًا سنترككم ، لا نريد صحية الجاهلين ، ولا نريد أن نضوض في الجدال والمشاتمة مم السفهاء .

٥٠ - إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَلْكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ .

كان ﷺ حريصًا على مداية قومه وذرى قرابته ، خصوصًا عمه أباطالب ، الذي بذل نفسه لحماية ابن أخيه والدفاع عنه ، حمية وعصبهة لا من أجل العقيدة ، لقد كان أبو طالب صحرة تحطمت عليها أطماع قريش في الذيل من الذبي ﷺ ، ويذل الكثير من أجل حمايته والدفاع عنه ، وتحمل أبو طالب المقاطمة في شمب بني هاشم مع كبر سنه ، وكان النبي ﷺ حريصًا على هداية عمه إلى الإسلام ، ضنينا به أن يعذب في نارجهنم ، والله تعالى وحده يعلم من هو الشخص الذي سبقت له الهداية ، ومن هو الشخص الذي هلم على قلبه فلا يقبل الهداية ، فمن الجلهية ، ابن على على قلبه فلا يقبل الهداية ، فما أجل هذا الإسلام ، وما أعظم الهدف ، وما أسمى وأعدل الحكمة الإلهية ، ابن نوح عليه السلام يقرق مع الكافرين ، ويحاول أبوه أن يشفح له فيقول له الله تعالى : قالَ يُنْوعُ إِنَّهُ رَئِسَ مِنْ

وهنا يثوب نوح إلى الحقيقة الثابتة ، والحدالة الإلهية ، وهي أن كل إنسان بما كسب رهين ، فلا ينذع الإنسان علو درجة أقرب الناس إليه ، ولا يضرُّه تهاري أقرب الناس إليه ، وأمثلة ذلك كثيرة : إبراهيم عليه السلام دعا أباه للإسلام ، واعتزله واستغفر له ، ثم تبرأ منه عندما علم أنه عدو لله ، امرأة نوح وامرأة لوط خانتاهما فدخلتا النار ، امرأة فرعون أسلمت وآمنت وتحملت الآلام ، فجعلها الله مثلا أعلى للذين آمنوا .

وقد ثبت في المحصيحين: أن الآية نزات في أبي طالب عم رسول الله ﷺ.

قَالَ الْرُهرَى : حدثنى سعيد بن المسيب ، عن أبيه —وهو المسيب بن حزن المخزومي رضى الله عنه— قال : لما حضرت أبا طائب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فرجد عنده أبا جهل بن هشام وعيدالله بن أبي أمهًا ابن المفيرة ، فقال رسول ﷺ: «يا عم ، تل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» (""، فقال أبو جهل وعبدان وعبدالله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان له بتلك المقالة ، حتى كان أخر ما قال : هو على ملة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك، فأذول الله تعالى : مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلْدِينَ ءَامَنُواْ أَن يُسْتَغْفِرُ واْ لِلْمُسْرِكِينَ وَقَرْ كَالْواْ أَذِلِي قُرْتَيْل ... (الدوية : ١٦٤) .

وأنزل في أبي طالب: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَلْكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ...

وخالف في ذلك الشيعة ، وقالوا بإيمان أبي طالب ، وادعوا إجماع أثمة أهل البيت على ذلك .

المقردات ،

· ت خطف انخرج ، أو يبطش بنا أعداؤنا ، وأصل الخطف : الاختلاس بسرعة ، فاستعبر لما ذكر .

1315011

يجبى اليه ويجمع إليه ويجمع إليه من كل جانب وجهة.

يطرت معيشتها، بغت وتجبرت ولم تحفظ الله ، من البطر ، وهو جحود النعمة ، وكفران الغضل ، وفي القاموس : البطر : الأشر وقلة احتمال النعمة ، أو الطفيان بها ، وفعله بطر كفرح .

لاقسيسه ، مدرك له ، ظافر به .

من المحضرين؛ الذين يُحضرون مرغمين للعذاب ، وقد اشتهر ذلك في عرف القرآن ، كما قال : تُكُتُ مِن ٱلْمُحَضِّرِينَ . (السافات: ٥٧) . أي : المرغمين على الحضور ، لأن فيه إشعارًا بالتكليف والإلزام ، ولا يليق ذلك بمجالس اللذات بل أشبه بمجالس المكاره .

التفسيره

٥٠ - وَقَالُواْ إِن تُشِيعِ ٱلْهُدَىٰ مَمَكَ لَتَحَمَّلُفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ لُمُكُن لَهُمْ حَرَمًا عَامِنًا يُحِثَى إِلَّهِ فَمَرَاتُ كُل هَـٰيْءِ .
 ٢٠ ق. الذّن وَلكَ أَكْفَرَهُمْ إِلَا يَعْلَمُونَ .

قال بعض الكفار للنبي ﷺ : إنا انعلم أن ما جنت به هو الحق ، ولكنا نضشى إذا اتبعنا دينك أن تفهر علينا القبائل ، أو تهاجمنا فارس والروم .

وكان العرب فى الجاهلية يغير بعضهم على بعض ، ويقيمون الحروب لأتفه الأسباب ، وهم فى مسحراء واسعة ، ليس لها ملك أو حكومة ، وإنما كل قبيلة لها شيع قبيلة ، وإذا ثار نزاع لحتكموا إلى السيف ، والحرب والقارة والعدوان ، وكان أهل مكة آمنين مطمئنين ، سالدين من العدوان عليهم ، فهم سدنة البيت الحرام ، والقائمون عليه ، وكانوا يتحركون بتجارتهم شمالاً وجنوباً ، صيفاً وشتاء ، ولا يعندي عليهم أحد ، مع العدوان على غيرهم من الذاس ، فامتن عليهم بتلك النعم ، وهي نعمة الأمن والأمان ، وواجههم بذلك علنه :

أَوْ لَمْ نُمُكُن لُّهُمْ حَوْمًا ءَامِنًا يُجْتِينَ إِلَيْهِ فَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ...

لقد كانوا مقيمين بولد غير ذى زرح عند البيت الحرام ، والعرب يعظّمون البيت الحرام ، ويحافظون على حرمقه ، ويحملون الثمار والخيرات إلى هذا البيت من كل مكان .

رَّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

كان هذا الرزق الذي يحمل إلى البيت الحرام وأهله فضلاً من الله تعالى ، واستجابة لدعاء إبراهيم الطلب ، وتيسيرًا من الله تعالى ، والخصابة ، والحماية ، الطلب ، وتيسيرًا من الله اتعالى لاحترام بيته ، وإكرام المقيمين حوله ، وهذا الرزق الفضل والحماية ، والحمانة والنعمة من الله القادر الرزاق ، ولكن أكثر هؤلاء المسركين لا يعلمون ذلك ، فيتركين الإسلام والإيمان ، وإذا كان الله قد تفضل عليهم بالرزق وهم كفار مشركين ، يعبدون الأصنام ، أفيتركهم حين يدخلون في الإسلام ، قال تعالى : إليالمفو أوراش و بالملهم و حالة الشاع و المسلم ، قال تعالى : إليالمفو أوراش ، ها . ع) .

وقىال تىمالى : أَوَلَمْ يَهُوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرِمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَيَالْسَطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِيعْمَةِ ٱللّهِ يَكَفُّدُونَ . (المعكمين: ٦٧) .

٨٥ – وَكُمْ أَهْلَكُنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا قَبِلْكَ مَسَلَكِتْهُمْ لَمْ تُسْكَن مَنْ بَعْلِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنّا لَحَنْ ٱلْوَارِلِينَ .

أراد القرآن أن يؤكد لأهل مكة أن سبب هلاك القرى يكمن في ظلمها وكفر النعمة ، والبطر والأشر والعدوان ، والقتل بدون وجه حق .

والدخلاصة : أن الكفر بنعمة الله هو سبب الهلاك ، وليس الإيمان بالله أو بالرسول محمد ﷺ. ومعنى الآيــد :

كثيرًا ما أهلكنا من قرى الظالمين ، كعاد وثمود وقوم لوط ، بسبب عتوهم ويطرهم بالنعمة وكفرهم بالرسل ، وسوء استخدامهم للنعمة ، فهذه بيوتهم خاوية بعد هلاكهم ، لم تُسكن بعد هلاك أهلها ، إلا وتثاً قليلاً ، هو وقت المستريح بها من القيلولة ، أو من ظلام الليل ، لأنها لا تصلح للإقامة الدائمة ، لما أصابها من التصدح .

وُكُّنا نَحْنُ ٱلْوَارِيْنَ . فلم يوجد من أبناء الهالكين من يرثها ، لهلاك الجميع والقضاء عليهم ، أو لأنها بعد الصاغقة أو الطاغية أو التدمير لم تعد تصلح للسكني .

قال القرطبي:

بين سبحانه لمن توهم أنه لو آمن لقاتلته العرب وتخطفته أن الخوف في ترك الإيمان أكثر ، فكم من قوم كنروا ثم حل يهم البوار ، والبطر : الطغيان بالنصة . ا هـ . ٩٥ ~ وَمَا كَانَ رُبُكَ مُهْلِكَ ٱلْقَرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أَمْهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايْتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰۚ إِلَّا وَأَمْلُهَا ظَلِلْهُونَ .

الله تعالى لا يظلم الناس ، ولا يهلكهم بدون وجه حق ، قال تعالى : إِنَّ اللَّهُ لَا يَطْلِمُ آثَاسَ شَيَّا وَللْكِنُ آثَاسَ أَهْسُهُمْ يُطْلُمُونَ . (ورنس: ٤٤) .

ومن عدالة الله تمالى ورحمته بالعباد إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وتقديم النصيحة ، ومن شأن الرسل أن تكون فى القرى الرئيسية كالعاصمة للقطر ، أن عاصمة الإقليم كالمحافظة ، أن قرية تكون أساسًا وعمادًا لما حولها من القرى ، مثل مكة فهى أم القرى ، أى : عاصمة الجزيرة العربية .

والمعنى: ما صبح ولا استقام في حكمتنا وشرعنا أن نهلك قرية من القرى ، حتى نرسل رسولاً في عاصمة هذه القرية للتبليغ والإرشاد ، والنصح والترجيه ، وتلك مهمة الرسل ، قال تعالى : رُسُلاً مُبَعَّرِينَ وُسُلِرِينَ قِلاً يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجِلًا يَعْدَ ٱلرُّسُلُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَرِيزًا حَكِيمًا . (النساء: ١٦٥) .

هولاء الرسل يقرءون الوحى والقصص ، ويدعون الناس إلى الله تعالى ، بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد ، ويبان منهج الله تعالى وسنته وشريعته ، وأوامره ونواهيه ، فمن أطاع الله كانت له سعادة الدارين ، ومن عصى وطفى ويفى أهلكه الله جزاء ظلمه ويفيه .

وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَئَ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَلْلِمُونَ ..

فالله تعالى لا يهلك الناس عبثًا ، ولا يعاقبهم جزافا ، وإنما يهلك من كنّب الرسل ، وجحد النبوات ، وظلم وطفى ويغى ، فاستحق الهلاك بعمله ويفيه ، قال تعالى : وَضَرَبَ ٱللّٰهُ مَثَلاً قُوْيَةُ كَانَتُ مَّامِئَةٌ مُّطْمَئِتُهُ يَأْتِيهَا رِزُقُهَا رَهْنَا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَّرَتُ بِأَلْهُمِ اللّٰهِ لَالْهُ لِيَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا أَيْمَنْمُونَ . (النحل ١٧٠).

وقد أرسل الله محمدًا ﷺ في مكة وهي أم القرى ، وقد كذُّب أهلها ، فكأنْ في الآية وعيدًا وتهديدًا لأهل مكة ، والله أعلم .

. ٣ - وَمَا أُوتِيتُم مِن شَيْءٍ فَمَمْلُخُ ٱلْحَيْلُوقِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرَ وَٱلِتَمْ ٱلْحَدُونَ لَـ

تأتى هذه الآية كالردُّ على قول المشركين: إِنْ نُّتِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطُّفُ مِنْ أَرْضِنَا ...

فيين الله فيما سبق أن الإيمان سبب للأمان المادى والنفسى ، وأن الكفر والعفيان سبب في الهلاك و والعذاب ، وهذا يقول القرآن : إن كل ما يذاله إنسان في هذه الدنيا من مال أو جاه أو سلطان ، هو متاع قليل من متاع الدنيا محدودة الأجل .

قال تعالى : فَمَا مَعَلَعُ ٱلْحَمَلُوةِ ٱلدُّنَّيَا فِي ٱلْآخِرُةِ إِلَّا قَلِيلٌ . (التوية : ٣٨) .

وقال تعالى : بَلُ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيْلُوةَ ٱلذُّنْيَا هِ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ . (الأعلى: ١٧. ١٠).

وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تُعْقِلُونَ .

فالدنها فانية والآخرة باقية ، ومتاع الدنيا قليل ، ومتاع الآخرة دائم لا يزول ، وما عند الله من ثواب وجنة ونعيم ورضوان أفضل وأبقى وأعزّ وأكرم ، فهلا استخدمتم عقولكم لتسارعوا إلى الإيمان فتنالوا عز الدنها وشرف الأخرة .

وقد كثر حديث القرآن عن هذا المعنى فبين أن متاح الدنيا ظل زائل وعرض حائل ، وأن متاع الأهرة خلود في الجنة ، ومفقرة من الله ورضوان .

قال تعالى : رُيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَ اسْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْنِينَ وَٱلْفَنطِيرِ ٱلْمُفَسَطَرَةِ مِنَ ٱللَّهَبِ وَٱلْفِيلِ الْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنصَرِ وَٱلْمَرْبُ وَالِكَ مَتَابُعَ ٱلْمَيْزَةِ ٱللَّذِي وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنَ الْمَعَاسِ وَ قُلْ أَوْبَسَّمَكُم بِعَمْرٍ مِن وَالْمَعْلِمِ الْمُؤَامِنُ عَلِينِينَ فِيهَا وَأَوْزَجٌ مُطَهَّرةً وَرِحْوَانَ مِن آللَهِ وَٱللَّهُ بَعِينَ فِيهَا وَأَوْزَجٌ مُطَهَّرةً وَرِحْوَانَ مَن آللَهِ وَٱللَّهُ بَعِينَ فِيهَا وَأَوْزَجٌ مُطَهَّرةً وَرِحْوَانَ مَن آللَهِ وَٱللَّهُ بَعِينَ إِلَيْهَادِهِ اللَّهِ مِن مَعْنِهِ ٱلْوَلْمَاعِنَ وَالْمُسْتَغُومِينَ وَٱلْمُسْتَغُومِينَ وَٱلْمُسْتَغُومِينَ وَٱلْمُسْتَغُومِينَ وَٱلْمُسْتَغُومِينَ وَٱلْمُسْتَغُومِينَ وَٱلْمُسْتَغُومِينَ وَٱلْمُسْتَغُومِينَ وَالْمُسْتَغُومِينَ وَالْمُسْتَغُومِينَ وَالْمُسْتَغُومِينَ وَالْمُسْتَغُومِينَ وَالْمُسْتَغُومِينَ وَالْمُسْتَغُومِينَ وَالْمُسْتَغُومِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُسْتَغُومِينَ وَالْمُسْتَغُومِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُسْتَعُمِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُسْتَعُمُومَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ الْمُعْلِمُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عِلَيْهُ اللَّهُ الْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُلِينَ فِيهَا وَلَوْتَوْمَ مُنْهُمُ وَاللَّهُ وَالَامِيلِينَ فَاللَّهُ الْمِنْ الْمُعْلِمُ وَاللَّهُ الْمُعْلِمِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُسْتَعُومُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمِينَ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُعْلِمُ وَاللَّهُ الْمُعْلِمِينَ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُسْتَعْلِمِينَ وَالْمُسْتَعُومِينَ وَالْمُسْتَعِلَمُ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ والْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُعِلِمِينَ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعِلَمِينَ وَالْمُعِينَ وَالْمُؤْمِلِمُ وَالْمُعِلَمُ وَالْمُعْلَمُ وَالْمُعْلِمِينَ وَالْمُعِمِينَ وَالْمُولِمِينَ وَالْمُعْلِمُ وَالْمُعْلِمِ وَالْ

ويقول الشاعر :

ألسفسا مسن الأعسوام مسائك أمسرة	بالله لوعاش الفتي في دهرة
متلذذا فيها بتعمى صرة	متنعما فيهابكل نفيسة
كلا ولا تبرد المهمموم ببالمه	لا يحتريه الشقم فيها مرة
بمجموت أول ليملمة في قابسرة	ماكان هذا كلُّه في أن يغي

وقال عمر بن عبد العزيز للحسن البصرى : يا تقى الدين عظنا وأوجِز ، قال : يا أمير المؤمنين ، صم عن الدنيا وأفطر على العوت ، وأعدُّ الزاد لليلة صبحها يوم القيامة . ٦١ – أَفَمَن وَعَذَنَكُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَلْقِيهِ كَمَن مُتَعْتَكُ مَتَاعَ ٱلْمَتَوْةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَسْمَةِ مِنَ ٱلْمُخْضَرِينَ .

تأتى هذه الآية لتقارن بين نصيب المؤمن ونصيب الكافر ، فالمؤمن منيقن بالآخرة مؤمن بالله وكتبه وملائكته ورسله ، مؤمن بالجزاء والثواب والمقاب ، هذا المؤمن وعده الله وعداً حسداً : أي : جئة عالية وقد صدق بوعد الله فسيلقى هذا النعيم ، أهذا في حصوله على النعيم الدائم ، كرجل كافر مقمه الله بمتاع الدنيا من المال والزواج والجاه وسائر المتع ، ثم هو كافر ، مطالب بالحضور والمثول أمام عدالة الله يوم القيامة ، أيهما أفضل ؟

وفى سبب نزول هذه الآية ، قال ابن عباس : نزلت فى حمزة بن عبد المطلب ، وأبي جهل بن هشام . وقال مجاهد : نزلت فى النبى ﷺ وأبى جهل . وقال الثعلبى : نزلت فى كل كافر مثّم فى الدنيا ، بالعافية والففى ولمه فى الأخرة النار ، وفى كل مؤمن صبر على بلاء الدنيا ، فقة بوعد لله وله في الآخرة الجنة . ا هـ .

وهريب من معنى هذه الآية هوله تعالى : هَتُلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلْتِي وُجِدَ ٱلْمُتَقُّونَ فِيهَا ٱلْهَنَّرِ مَنْ مَاّع عَيْرِ عَاسِنِ وَٱلْهَنْرِ مِّن لِّسَ لِمُ يَعَيِّلَ عَلْمُهُ، وَٱلْهَنِرُ مِّنْ حَمْرٍ لَلْقَوِلَلشَّرِيسَ وَٱلْهَبْرُ مِنْ عَسَلِ مُصْفَى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلْثَمَّرَاتِ وَمَلْقِرَةً مِّن رَقِهِمْ كَمَنْ هُوَ حَلِلَة فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَاءً حَمِيمًا لَقَطْعَةً أَمَّامَاتُهُمْ . (حسد: ١٥) .

المفردات :

حــق صليهـهمالفـــول ا ثبت ووجب عليهم آيات الوعيد كقوله تعالى : وَلَلْكِنْ حَقّ الْقُولُ مِنَّى لَأَمَارُكُ جَهُنَّمُ مِن الْعِبْلَة وَالنَّاسِ أَجْمُعِينَ ، (السجدة: ١٣) .

أف والضلال ، بأن دعوناهم إلى الغي والضلال .

تسبسرانسا إسيك، تبرأ بعضنا من بعض ، فالشهاطين يتبرءون ممن أطاعهم ، والرؤساء يتبرءون ممن تبعهم .

فعبيت عليهم الأنباء ؛ خفيت عليهم الحجج ، خفاء المرثى على الأعمى .

لا يستسماء لسوق ؛ لا يسأل بعضهم بعضًا عن المجع .

السخسيسية: الاختيار.

ماتكن سدورهم: ما يخفون في صدورهم من الاعتقادات الباطلة، وعداوتهم للرسول ﷺ. ومسايسه المشون، ما يظهرونه من الأفعال الخبيثة، والطعن في الإسلام.

الما المحكم، لله وحده القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره.

نمهيد ۽

تعرض الآيات بعض مشاهد القيامة ، كأنك تراها رأى العين :

فالله يسأل المشركين : أين الآلهة الباطلة التي عبدتموها من دون الله ؟ فلا جواب ، وكأنُّ الرؤساء والشياطين أحسُّوا أنهم المقصودون ، فتيرءوا إلى الله من عبادة الأتباع ، وقالوا : رينا هؤلاء الذين حق عليهم عذاب جهنم ، لم نجيره م على الكفر، إنما دعوناهم فقط، فاستجابوا بعقولهم وأرادتهم .

كان الكفار يميدون أصنامًا وأوثانا، وآلهة كثيرة بدون وجه حق، فطلب منهم الاستعانة بهؤلاء الشركاء، فدعوهم فلم يجدوا منهم استجابة، وهنا شاهدوا العذاب، وتعنوًا لو أنهم كانوا بهتدون في الدنيا.

والقرآن بهذا يعرض الآخرة ليراها الناس رأى العين ، ويفيقوا من غفلتهم قبل فوات الأوان .

ويوجُّه القرآن أسئلة معلومًا جوابها ، لكنها للتبكيت والتقويع ، فيسأل الكافرين : بماذا أجبتم المرسلين ؟ فخفيت عليهم الحجة ولم يجدوا جوابا ولادوا بالصمت ، وهنا يعرض القرآن لوحة مشرقة للتائين ، ويوضح أن الحكم والأمر والاختيار لله تعالى أحكم الحاكمين .

التفسين

٩٢ - وَيَوْمَ يُعَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِى ٱلَّذِينَ كُتُمُمْ تَوْعُمُونَ .

تعرض الآية مشهدا من مشاهد القيامة ، حين ينادى الله المشركين فيقول لهم :

أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ .

أين الأصنام والأوثان والآلهة الباطلة الذين عبدتموهم وزعمتم أنهم آلهة.

وممروف أنه لا جواب ولا حجة ، والسؤال هنا للتقريع والتبكيت ، وهي مواقف أخرى أفاد القرآن : أن الأتباع يلقون التبعة على الزعماء والشياطين ورؤساء الضلال ، وكأنُّ مؤلاء القادة أحسُّوا بأن الأتباع يلقون عليهم المسئولية ، فتنصلوا منها .

٣٣ - قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْفَوْلُ رَبَّنَا هَـٰٓٓٓٓ أَلَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَا أَغُويْنَا أَغْوَيْنَا أَعْوَيْنَا أَغُولِنَا بَعْدُونَ .

القول في الآية يراد به كلمة العذاب ، أن المكث في جهنم ، تحقيقا لعدالة الله القائل : وَلَنَكِنْ حَقْ ٱلْقُولُ أ مِنْي لَأَمَائِكُمْ جَهِنْمَ مِنَ ٱلْحِيَّةُ وَٱلْقَاسُ أَجْمَعِينَ . (السجنة : ١٣) .

أى: قال الرؤساء والشياطين ورموز الإغواء والإضلال: إن هزلاء الأتباع اختاروا الضلال ، وساروا ورامنا مختارين ، وما كان لنا عليهم من سلطان ، إلا أن دعوناهم فاستجابوا بإرادتهم واختيارهم ، كما ضللنا نحن دعوناهم للضلال فضلُوا ، ونحن تتبرأ إلى الله من عبادتهم ومن ضلالهم ، ما كانوا يعيدوننا ، وإنما كانوا يعيدون أهواءهم ونزواتهم ، ولو أعملوا عقولهم ، وشحذوا أفكارهم ، لاهتدوا فى الدنيا ، وما ساروا وراءنا ، وهكنا يتبرأ القادة من الأتباع ، ويتبرأ الأنباع من القادة ، فى وقت لا ينجى فيه الإنسان إلا العمل الممالح والتوبة النصوح .

قال تعالى: إِذْ فَرَّا ٱلَّذِينَ ٱلْبُعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱلنَّهُواْ وَزَالُواْ ٱلْعَلَابَ وَتَقَطَّتُ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ، وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱلنَّمُواْ لَقُ أَنَّ لَنَا كُرَّةً فَتَيْرًا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَا لِكَ يُرِهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَدُلُهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم يَحْدُوجِونَ مِنَ ٱلثَّارِ. (الله ة: 271، 172)

٣ ٤ - وَقِيلَ آدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَلَدَعْرُهُمْ فَلَمْ يُسْتَعِيهُواْ لَهُمْ وَرَأُواْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَالُواْ يَهْمَدُونَ .

أى: قيل لهؤلاء الكفار على سبيل التبكيت والتقريع ، والفضيحة على رءوس الأشهاد:

آذْعُواْ شُرَكَّآءَكُمْ . الذين عبدتموهم من دون الله وزعمتم أنهم ينفعونكم في هذا اليوم .

فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ...

أى: دعوهم ياتسين مغلوبين على أمرهم ، فلم يلتفت إليهم الشركاء لانشغائهم بأنفسهم ، ولأنهم لا يملكين لهم أى نفع أو مصلحة ، وشاهد الكفار العذاب بأعينهم رأى العين ، فتمنوا لو أنهم كانوا قد رغبوا في الهدى واستقاموا عليه في الدنها^(١٠).

قال الزمخشرى :

حكى - سبحانه وتعالى - أولاً ما يويخهم به ، من اتضاذهم له شركاء ، ثم ما يقوله الشياطين أو ألمتهم عند توييخهم ، لأنهم إذا رُيِّخوا بعبادة الآلهة ، اعتذروا أن الشياطين هم الذين استغزرهم وزينوا لهم عبادتها ، ثم ما يشبه الشماتة بهم ، من استغانتهم آلهتهم ، وخذلانهم لهم ، وعجزهم عن نصرتهم ، ثم ما يبكّتون به من الاحتجاج عليهم ، بإرسال الرسل وقطع الحجة ، وإبطال المعاذير .

٦٥ – وَيَوْمَ يُمَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَيْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ .

إنها مواقف محيرة ، فقد سئلوا في السابق سؤال تقريع وتوييخ على اتخاذهم شركاء لله ، وهنا يُسألون أيضًا سؤال تقريع وتوييخ على رفضهم الاستجابة لرسل الله ، وعدم استماعهم أملة الهدى ، وآيات الإيمان ، ولفت الأنظار إلى هذا الكون وما فيه من أملة القدرة الإلهية ، وقصص الأولين ، وأخبار البعث والمحاد ، لقد صموا أذانهم في الدنيا عن سماع صوت الرسل ، وأغضرا عيونهم عن رؤية الحق ، وهنا في _____ - القهامة يوجه إليهم السؤال التالى : بماذا أجبتم المرسلين الذين يعثهم الله لإرشادكم ، ودعوتكم للإيمان والترحيد ؟

٣٦ - فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنْبَاءُ يَوْمَعِلْمِ فَهُمْ لَا يَعَسَاءَلُونَ .

خفيت عليهم الحجج ، وغابت عنهم الأدلة ، فلاثوا بالصمت والإبلاس .

قال الزمخشرى:

لا يسأل بعضهم بعضًا ، كما يتسامل الناس في المشكلات ، لأنهم يتساوون جميمًا في عمى الأنباء عليهم ، والعجز عن الجواب . ا هـ .

وجاء في ظلال القرآن :

والتعبير يلقى ظل العمى على المشهد والحركة ، وكأنما الأنباء عمياء لا تصل إليهم ، وهم لا يعلمون شيئا عن أي شيء ا ولا يملكون سؤالاً ولا جوابًا ، وهم في نهولهم صامتون ساكتون أ . هـ .

٩٧ - فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَلْلِحًا فَمَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ .

فى مقابل الصفحة القاتمة لموقف المشركين وتبكيتهم وتقريعهم ، وتبرق الزعماء والقادة منهم ، وعدم استجابة الشركاء لهم ، وغياب الحجة عن عيونهم ، توجد صفحة أخرى مشرقة ناصعة للتائبين ، وكأنها دعوة مفتوحة للفاس أجمعين .

والمعنى:

فأما من تاب عن الشرك بالله أو عن المعصية ، وآمن بالله تعالى ، وجمع بين الإيمان والعمل المسالح ، فهو جدير بالقلاح في الدنيا ، والنجاة من العذاب يوم القيامة . قال تعالى : وَإِنِّي لَفَفَارٌ ثُمَن تَابَ وُوَامْرُ وَعَهِلُ صَلِيْحًا لُمْ آهَتُكُمْ . (هه: ٨٤) .

فَعَسَى . هذا للتحقيق على عادة القرآن .

قال ابن كلير : فَعَسَى ٓ أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُقْلِحِينَ . يوم القيامة و (عَسَى) . من الله موجبة ، فإن هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة . اهـ.

وقيل: لَعَسَى . للترجِّي من قبل التائب المذكور، بمعنى: فيتوقع أن يفلح ويفور.

٨٨ – وَرَأَتُكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيرَةُ سُبْحَلنَ ٱللَّهِ وَتَعْلَمَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

اختار المسركون آلهة باطلة ، وتمثّوا أن يكون الرسول أحد زعماء مكة أو الطائف ، وَقَالُو أَلُولًا نُولُ طُلُمًا ا الْقُرْعَالُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّن ٱلْقَرْيَقِينَ عَظِيم . (الزهرف: ٢١) . يقصدون الوليد بن المغيرة بمكة ، أو عروة بن مسعود الثقفى بالطائف ، فأنزل الله هذه الآيات توضح أن الطلق بيده ، والاختيار بيده ، ولختيار الرسل للبشر ، أو اختيار الملائكة للنزول بالوحى أمر بمشيئة الله تعالى ، واختياره وحكمته ، على مقتضى علمه باستعداد عباده لذلك ، فليس من حق العباد ولا في مقدورهم أن يختاروا على الله ما يشاءون من أديان باطلة وآلهة .

سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

أى: تنزه الله تعالى بذاته تنزهًا خاصًا به ، من أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره ، وتقدس وتعجد عن إشراكهم .

قال الزمخشرى: إن الاحتيار إلى الله تعالى في أفعاله ، وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ، ليس لأحد من هلقه أن يختار عليه ، ولا يبعث الله الرسل باختيار المرسل إليهم . اهـ.

وفى معنى الآية قوله تعالى : وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِنَّا فَعَنَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أُمْرِهِمْ ... (الأحداث : ٣٧).

قال الشاعر :

والدهر فو تُول والرزق مقسومٌ وفي اختيار سوالا اللَّه والشَّهمُ

العبد ذو ضجر والربي ذو قدر والخير أجمع فيما اختار خالقنا

وروت عائشة ، عن أبى بكر رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ كان إذا أراد أُمـرًا قال : «اللهم خِرْ لى واختر لي» ("".

وروی آنس ، آن النجی ﷺ قال : ویا آنس ، إنا هممت بأمر فاستخر ریك فیه سبع مرات ، ثم انظر إلی ما یسبق إلیه قلبك ، هَإِنْ الخیر فیه» (۵۰)

فالله تعالى هو وحده العليم ، وهو سبحانه عالم الغيب ، والمؤمن يصلى الاستخارة ويدعو بدعائها ، الذي ورد في صحيحي البخاري ومسلم . عن جابر بن عبدالله قال: كان النبي ﷺ يحلَّمنا الاستخارة في الأمور كلها ، كما يطمنا السورة من القرار نفي المناسورة من القرآن ، يقول : وإذا هم أحدكم بالأمر لا يدرى عاقبته فليركم ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إنى استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (ويسسًى حاجته) خير لى في ديني ومعاشى وعاقبة أمرى عاجله وآجله ، فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شرلى في ديني ومعاشى وعاقبة أمرى عليه وقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنني ومعاشى وعاقبة أمرى عاجله وآجله ، فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنني به، "

قَالِ العَلْمَاء : ويندِغى له أن يفرغ قلبه من جميع الخواطر، ومن رغبة له في الموضوع قبل الاستخارة أورغبة عنه ، حتى لا يكون ماثلاً إلى أمر من الأمور ، فعند ذلك ما يسبق إلى قلبه يعمل عليه فإن الخير فيه إن شاه الله ، فإن وجد انشراحًا وسرورًا وارتباحًا فالأمر خير ، وإن وجد انقباصًا وضيعًا فالأمر شر.

٣٩ - وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ .

هو سيحانه الطيم علمًا مطلقًا بسرائر النفوس، وما يخفيه المشركون في صدورهم، حين قالوا: تُولاً تُرُّلُ هَذَامًا ٱلْقُلْرُءَانُ عَلَيْ رَجُلِ مِّنَ الْقَرْيَسِيَّ عَظِيمٍ. (الزهرة : ٢٦). وهو عالم بما يعلنونه، ومطلع على كل أمر سواء صنه الخفي والعلن، والسروالجهر، والباطن والظاهر، وهو عالام الغيوب.

٥ > وَهُوَ ٱللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

رَهُوَ ٱللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ...

هو سبحانه المتفرد بالألوهية ، قلا معبود سواه ، كما أنه لا ربَّ يخلق ما يشاه ويختان غيره ، فهو العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء .

لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ...

له كل الحمد والشكر ، فهو الخالق الرازق المتغضل على عباده ، وهو سبحانه العولى للنعم كلها عاجلها وآجلها ، على الخلق كافة ، يحمده المؤمنون فى الدنيا على إنعامه وهدايته ، وفى الآخرة على عدله ومثوبته .

وَلَهُ ٱلْحُكُمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

له القضاء النافذ فى كل شيء ، فلا معقب لحكمه ، وهو القاهر فوق عباده ، الرحيم اللطيف الخبير ، وإليه ترجع جميع الخلائق يوم القيامة ، فيجزى كل عامل بعمله من خير أو شر ، ولا تشقى عليه منهم خافية فى الأرض ولا فى السناء . وفيه نهاية الزجر والردع للعصاة ، ونهاية تقوية القلب للمطيعين ، فهو سبحانه الحاكم العادل ، يجازي المحسنين على طاعتهم ، ويعاقب العصاة على عصيانهم .

* * *

﴿ قُلُ أَنَهُ مُنَا إِن جَمَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ الْمَلْ اللّهُ وَالْفِيمَةِ مِنْ إِلَهُ عَبُرُ اللّهَ بَأَتِيكِم بِضِمَّ إِلَى وَمِرا لَقِيمَةُ مِنْ إِلَهُ عَبُرُ اللّهَ بَأْتِيكُمُ النّهَ الرَسرَمَدًا إِلَى وَمِرا لَقِيمَةُ عَلَيْكُمُ النّهَ الرَسرَمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيمَةِ مَنْ إِلَكُ عَبُرُ اللّهِ يَأْتِيكُمُ مِلِيّلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ وَلِتَبْنَغُولِينَ فَضْلِهِ وَلَعَلَكُمُ وَمِن رَحْمَتِهِ حَمَلَ لَكُرُ اللّهَ عَلَيْكُوا فِيهِ وَلِتَبْنَغُولِينَ فَضْلِهِ وَلَعَلَكُمُ وَمِن رَحْمَتِهِ حَمَلَ لَكُرُ اللّهَ عَلَيْكُوا فِيهِ وَلِتَبْنَغُولِينَ فَضْلِهِ وَلَعَلَكُمُ وَمِن رَحْمَتِهِ حَمَلَ لَكُرُ اللّهَ عَلَيْكُوا فِيهِ وَلِتَبْنَغُولِينَ فَضْلِهِ وَلَعَلَكُمُ وَمِن رَحْمَتُهُ مِنْ اللّهِ فَعَلَيْمُ وَاللّهُ وَمَلَا عَلَيْمُ اللّهِ وَصَلَّعَتُهُمْ وَمَنْ اللّهُ وَمَلَا عَلَيْمُ اللّهُ وَمَلَا عَبْهُمْ مَا اللّهُ وَمِن اللّهُ وَمَن اللّهُ وَمَلَا عَبْهُمْ مَا اللّهُ اللّهُ وَمَن اللّهُ وَمَلَا عَبْهُمْ مَا اللّهُ اللّهُ وَمَن اللّهُ وَمَلَا عَلْمُ اللّهُ اللّهُ وَمَن اللّهُ وَمَن اللّهُ اللّهُ وَمَن اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَن اللّهُ اللّهُ وَمَن اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ

المطردات،

قسل أرايستسم، أخبروني.

و التمام متمالاً مؤيدًا متنابعًا .

تسكنون فيه ، تهدأون فيه وتستريحون .

نسزهسنسا: أخرجنا بشدة وقلعنا وانتزعنا.

شبهبيداء شاهدان

برهائكم، مجتكم ودليلكم.

ضل عنهم: ذهب وغاب عنهم غيبة الضال ، أي : الضائع .

ماكانوا يفترون، ما كانوا يختلقونه في الدنيا من الباطل والكذب على الله تعالى، من أن معه آلهة تعبد.

تمهید ،

سورة القصم تبين من أولها عظمة القدرة الإلهية ، وتؤكد أن الله فعال لما يريد ، حيث رعى طفلاً رضيعًا ، جعل على يديه هلاك ملك قوى مستود . وتذكر مشاهد القيامة ، وحيرة المشركين وضياع حجتهم ، وذكرت في الآيات السابقة وحدانية الله تعالى ، وانفراده بالطلق والاختيار ، واستحقاقه وحده الحمد والشكر في الدنيا والآخرة ، وتفرده بالحكم والفصل بين العباد ، وإليه المرجم والمصير .

وتواصل الآيات ٧١ – ٧٥ من سورة القصص بيان القدرة الإلهية ، بأمثلة محسوسة حيث جعل الله الليل والنهار متتابعين ، يعقب أحدهما الآخر ، ولو استمر الليل سرمهًا دائمًا لتعطلت مصالح الناس ، وتعطنت أجسامهم ، ولو استمر النهار دائمًا لتلفت أعصاب الناس ، وقلّت راحتهم ، ومن رحمة الله أنه جعل الليل بناسًا ، والنهار معاشًا ، ثم عرض مشهدًا من مشاهد القيامة ، لتكرير البطة والذكري .

التفسيره

٧١ - قُلُ أَرَعَاتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَنَا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِينَمَةِ مَنْ إِنْكَ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بعنِيآ عِ أَفَلَا تَسْمَعُونَ.

أبدع الله نظام هذا الكرن ، رفع السماء ويسط الأرض ، وأرسى الجبال ، وأظلم الليل وأضاء النهار ، وسحر الشمس والقمر ، ولو خلق الله الأرض بحيث يكون ليلها دائما ، أو بحيث يكون نهارها دائما كذلك ، فلس هناك إله غير الله يستطيع أن ينعم عليهم بالليل والنهار المتعاقبين ، والناس لطول الإلف والعادة قد أشرا تتابع الليل والنهار ، وظهور الشمس والقمر ، وهنا يذكرهم الله بهذه النعمة ، فيقول : أخبروني إن جعل الله عليكم الليل دائما متتابحاً إلى يوم القيامة ، فتحطلت مصالحكم ، وطال شوقكم للضياء والشمس والحركة والسمى ، من إله غير الله يقدر أن يقدم لكم الضياء ، أفَلا تسمَعُونَ . سماع تدبر وتأمل أن الله وحده مو الذي يرس النهار ، ويحفظ نظام الكون ، ويسخر الشمس والقمر ، ويجعل تتابع الليل والنهار من أسباب سعادة النس ، واستعرار حركتهم ، وقضاء مصالحهم ، والاستمتاع بالراحة أيضًا .

٧٧ - قُلْ أَزَعَتُمْ إِن جَمَلَ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُونَ سَرْمُدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيْسَةِ مَنْ وَلَدُهُ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِينَالٍ مُسْكُنُونَ فِيهِ
 اللّهُ تُوسُرُونَ .

ثم تلمس السورة القلوب والأفندة ، والعقول والخيال ، فلو تخيل الإنسان أن الحياة نهار دائم مستمر ،
لا ليل فيه ولا ظلام ، ولا سكن ولا هدوء ، حينئذ تتأثر أعصاب الناس من كثرة الضرء والعمل ، ومن قلة
الهدوء والظلام ، وفي ليالى الشتاء الطويلة يشتاق الناس إلى طلوع الفجر ، ثم طلوع الشمس ثم الحركة
والسعى ، وكذلك في نهار الصيف القائط يضيق الناس بالهجير والحرارة والضوء ، ويشتاقون إلى نسيم
الليل وهدوئه وراحته ، مع أن الليل محدود في الشتاء ، والنهار محدود في الصيف ، لكن إذا طال الليل قليلاً
زاء العنين إلى النهار ، وإذا طال النهار قليلاً اشتد الجنين إلى الليل .

والمعنى:

آخبرونى إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا مستمرًا ادائماً أبدًا إلى يوم القيامة ، هل يوجد صنم أو وثن أو إله آخر غير الله يستطيع أن يأتيكم بليل يكون لكم سكنًا وراحة ، ونومًا وهدومًا ، أفلا تنظرون بعيونكم ، وتتأملون ضياء النهار ، وانسحاب الظلام ، كما قال سبحانه : وَٱلّْهِلِ إِذْ أَفْبَرُ » وَٱلْفُسُعِ إِذَا أَسْفَرَ » إِنْهَا لَإِحْدُى آلْكُبُر ، (المدن: ٣٣ – ٣٥) .

ونالحظما يأتى:

عندما تحدث الله عن استمرار اللهل قال: ألَّلاً كَسُمَّمُونً . لأن الإنسان إذا كان في الظلام يعتمد على حاسة السمع ، وهي حاسة لا تنام ، وقد وردت في القرآن قبل البصر لأنها وسيلة الفكر والتعلم .

وعندما تحدث القرآن عن استمرار النهار قال: أَفَلَا تُعِيرُونَ . لأن الإنسان في النهار يستخدم البصر في رؤية ما حوله .

وقمال الآلوسى :

أَفَلَا تُبْعِسُونَ . الشواهد المنصوبة الدالة على القدرة الكاملة ، لتقفوا على أن غير الله لا قدرة له على ذلك . فإذا أقررتم بأنه لا يقدر على الإتيان بالليل والنهار غير الله ، فلم تشركين ١٤هـ .

ونالحظ أنه لم يجتمع السمع والبصر في كتاب الله إلا وقدُّم السمع على البصر.

قال تعالى : وَهُوَ ٱلَّذِيُّ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَنْرَ وَٱلْأَفْعِنَةَ ... (المؤمنون : ٧٨) .

وقال تعالى : إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْمَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَائِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُولاً . (الإسراء: ٣٦).

وقد ذكر العلماء والمحدُّثون أن السمع أول حاسة تودى وظيفتها في الدنيا، وهو أداة الاستدعاء في الأخرة، ولأن الأذن لا تنام، فالسمع أسبق وأنفع وأدوم (١١٠].

٧٣ - وَمِن رُحْمَعِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ فِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِيْنَتَّعُواْ مِن فَصْلِهِ وَلَعَلَّكُمُ تَشْكُوُ ونَ .

إن كل شىء فى الكون يسير وفق ناموس ونظام وحكمة عليا ، تعلم مصالح الناس ، وتيسر لهم أسباب راهتهم وسعادتهم .

ومن رحمة الله وفضله أن جعل الليل ظلامًا لينام الناس ، ويجددوا نشاطهم ، ويستقروا ويسكنوا ، وتهدأ أبدانهم ونفوسهم وأرواحهم ، ثم يعقب ذلك النَّهار لينشط الناس ، ويتحركوا إلى أعمالهم وأرزاقهم ، وسعيهم ونشاطهم ، ويذلك يجمع الناس بين العمل والراحة ، والسعى والنشاط ثم الهدوء والاستقرار . وُلَعَلُكُمُّ تَشْكُرُونَ . الله تعالى الذي تامع بين اللهل والنهار ، وجمل أحدهما يأتى وراء الأخر ، فمن فاته عمل بالليل تداركه بالنهار ، ومن فاتته صلاة أو عهادة بالنهار تدارك التقسير بالليل .

قال تعالى : وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَزَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَزَادَ شَكُورًا . (الفرهان . ٦٢) .

٧٤ - وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَرْعُمُونَ .

هذا توبيغ وزيادة خزى لهولاه المشركين ، حيث يفاديهم الله تمالى على رءوس الأشهاد ، فيسألهم: لين الشركاء ، أين الأصنام ، أين الأوثان ، أين الآلهة التي زعمتم أن لها تصرفًا وسلطاتًا ؟

قال القرطبي :

ينادى الله المشركين مرة فيقول لهم: أَيِّنَ شُرَكَآءِيّ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَرْعُمُونَ .

فيدعون الأصنام فلا تستجيب ، فتظهر حيرتهم وخزيهم ، ثم ينادون مرة أخرى على رءوس الأشهاد فيسكتون ، وهو توهيخ وزيادة خزى .

٧٥ – وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أَنْهُ شِهِيدًا لَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَائِكُمْ فَعَلِمُواْ أَنْ ٱلْحَقّ لِلَّهِ وَضَلْ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ .

انتزعنا وأخرجنا من كل أمة شهيدًا يشهد عليها ، بما فعلت مع الرسل الذين أرسلهم الله إليها ، وقال الله تعالى للكفار والمشركين : هاتوا أدلتكم ويرهانكم على أن هناك ألهة أخرى مع الله تعالى ، فضاع منهم الدليل ، وغابت عنهم الحجة ، وعلموا أن الحق لله وحده فى العبادة والألوهية والوحدانية .

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ .

ضاع منهم وتأه ، ولم يجدوا له أصلا ، كما يضيع الشيء من الإنسان ، فلا يجد له أثرا ، أي : ضاع منهم الافتراء على الله تعالى ، بأنّ له شريكاً من الأصنام أو الأوثان أو الآلهة المدعاة .

إنها مواقف التبكيت واللوم والإزعاج ، فقد عجزوا عن إحضار شركاء لله ، ثم شهدت عليهم الرسل ، بأن الرسل بلغوا رسالة الله إليهم فقابلوها بالرفض والجحود والنكران ، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى : فَكُمُّنَا إِذَا جُثَنَا مِن كُلُّ أُمَّمْ بشهيدٍ وَجُثَنَا بِكُ عَلَىٰ هَلُولَآع فَهِيدًا . (انساء : ٤١) .

والحلاصة ما يأتي :

١ -- مواقف الآخرة متعددة .

- تتكرر مناداة الآلهة المزعومة من أصنام وأرثان وغيرها أمام الله تعالى ، ليظهر للناس عجزها ،
 ولينبثند توبيخ ولوم عابديها ، ولتظهر حسرتهم وألمهم .
- ٣ يشهد كل رسول على أمته أنه بلغها رسالة ربها فكذّبت ، ويطلب من المكذبين تقديم الدليل على
 جحودهم ، وتقديم البرهان على أنهم كانوا على حق حين كذبوا الرسل وكفروا بالله فلا يستطيعون ،
 عندئذ يدركون إدراكًا جازمًا أن الرسل كانوا على حق فيما جاءوا به ، وأن الله وحده هو الإله الحق .

٤ - قال ابن كثير :

وَضَلُّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتُرُونَ . ذهبت معبوداتهم فلم ينفعوهم .

* * *

قصة قارون ، وغرور المال

﴿ إِنَّ قَدُونَ كَاتَ مِن قَوْمِمُونَ فَهَى عَلَيْهِمْ وَءَانَيْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَآإِنَ مَفَا عَمُهُ لَلَنُواْ اِلْمُعْصَبَ اللَّهُ الْذَارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ اللَّيْنَ أَوَاَّحْسِن كَمَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّذَيْنَ وَأَحْسِن كَمَا اللَّهُ اللَّالَالُ

المطردات :

فيعًى عليهم ، ظلمهم أو تكبر عليهم .

- السكسنسور ، الأموال المدخرة المحبوسة ، من كنزه بمعنى : الدخره ، وحبسه عن الناس ، ومنه قوله تعالى : وَٱلْمَهِنَ يُكَيِّرُونَ ٱللَّمُّ وَٱلْهُوَّةُ وَلاَ يُعْهِمُونَهُا فِي سَيِيلِ ٱللَّهِ فَشَرَهُم بِعَذَابٍ أَلِهِم . (التربة : ٢٤) .
 - مبضات من الذي تفتح مع مقتح «بكسر الميم» ، وهو المفتاح الذي تفتح به الأغلاق.
- لتنوه بالعصبة ، العصبة ، الجماعة يتعصب بعضها لبعض ويشد أزره ، ومعنى تَشَرَّا بِٱلْعُمْبَةِ : تثقلها ، يقال . ناء به العمل ، أي : ثقل عليه .

لا تستقسرح ، لا تقرح بدنياك قرحًا يذهلك عن أخراك .

المضرحين: الفرحين والفارحين سواء، والفّرح صيغة مبالغة تفيد زيادة القرح.

وأيستسغ ، وأطلب .

ولا تبغ الفساد، ولا تطلبه.

أوت بيته ، أعطيته .

السقروق ، جمع قرن ، وأصح ما قبل فيه : إنه مائة سنة ، ويطلق على أمة هلكت فلم يبق منها أحد ، ويطلق علم, أهل زمان واحد ، ومنه قبل الشاعر :

إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب

المحصرمون، المذنبون.

تمهيده

تفيد سورة القصمى فضل الله على عباده ، وكمال قدرته وجبروته ، فهو سبحانه مالك الملك ، ويُزنى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويمز من يشاء ويذل من يشاء ، وقد ظهرت آثار القدرة في تجريد فرعون من ملكه ، وغرقه في الهمّ مع جيشه .

وفى ختام السورة نجد لوحة هادفة ، تبين قصة قارون فتذكر غناه وظلمه وبناهيه بالمال ، وعدم تواضعه ، وعدم شكره لله ، ثم خسف الله به ويداره الأرض ، والقصة فيها عظة وعبرة ، فالمال مال الله وهو نعمة تستحق الشكر ، وتستحق إخراج الزكاة وإعطاء الفقراء حقهم ، ومن منع الزكاة فإنه يعدَّب أشد العذاب يوم القيامة ، وقد وضع القرآن الكريم والسنة العطهرة منهجًا سليمًا للسلوك الماليّ العطلوب فيما ياتي :

١ - الإسلام احترم الملكية الفردية.

- وقد جمل الإسلام الفنيّ موظفاً في ماله ، فالمال مال الله ، والغني يستثمره ويخرج حقّ الله فيه ،
 بالزكاة والصدقة وصلة الرحم والتكافل الاجتماعي .

٣ - شجع القرآن تقارب الطبقات، وحث على عثق الرقبة والوفاء بالندر، وجعل هذاك كفارة مالية لكثير من الأفعال ، مثل: كفارة الناهار، واليمين، والفطر في رمضان، والفدية في الحج، والتقرب إلى الله تعالى.

التفسيره

٧٦ - إِنَّ قَدْرُونَ كَانَ مِن قَوْم مُوسَىٰ فَهَمَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَا إِنَّ هَفَاتِحَهُ, لَتَنْواً بِالْمُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ...

أفادت كتب التفسير أن قارون كان قريبًا لموسى ، فذكرت روايات أنه كان ابن عمّه ، وقيل : كان عمه، وقيل : ابن خالته . وذكر المفسرون أن قارون كان جميل الصورة ، واسع الثراء ، وكان أحفظ بنى إسرائيل للتوراة ، حسن الصوت ، فدخله النفاق كما دخل على السامريّ .

وقهل: إنه حسد موسى رهارون ، حيث قال : موسى يبلغ الرسالة ، وهارون يشرح التوراة ، وقارون ليس له في الرسالة أدنى نصيب .

والقرآن ليس في حاجة إلى هذه الروايات التي تفتقر إلى قوة السند وصحته ، وحسينا كتاب الله الذي يفيد أن قارون كان من قوم موسى ، فهو من بني إسرائيل ، ولم يذكر زمن الحادثة ، ولم يبين هل كانت أينام إقامة موسى في مصر قبل خروجه مع بني إسرائيل ، أم كانت أثناء التيه ، أم كانت بعد موسى عليه السلام.

وتفيد روايات أن قارون ساهم في إيناء موسى ، حيث وعد موسى بإخراج الزكاة ، وذهب ليخرجها فوجدها مقدارًا عظيمًا جدًا ، فاحتال على منع الزكاة ، واتفق مع امرأة بغيّ ، أن تقول : إن موسى رنى بيّ ، وهذا الولد منه ، فأنطق الله الوليد ، وقال : أنا ابن الراعي .

ونحن نقول: حسبنا كتاب الله في تقديم العظة والعبرة ، والقرآن غنى عما سواه ، ونحن نويد أن نعرف ماذا قال القرآن الكريم ، فلنتأمل في معنى الآية الكريمة :

إن قارون كان من بني إسرائيل قوم موسى ، فبغى عليهم حيث طلمهم وتكبر عليهم ، أو منع إخراج الزكاة والمعونة للمستحقين ، وقد أعطيناه من الأموال التي كنزها وحبسها عن المساهمة في إسعاد الناس والتيسير عليهم ، مع كثرة هذه الأموال ، حتى إن مفاتيح هذه الخزائن أو الخزائن نفسها ، يعجز عن حملها عصبة قوية من الرجال الأشداء ، ما بين العشرة والأربعين ، وقد أظهر قارون الفرح والتفاخر بكنوره ، إذ قال له تقرح فرح البطر والكفران ، إن الله لا يحب الفرحين البطرين ، الذين يكفرون ولا يشكرون ، ويتباهون بالمال ويُسخرونه لأهوائهم ، ويمنعون نصيب الله منه .

٧٧ - وَآتِهُمْ فِيمَا عَامُنكَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَكَ وَلاَ تُسْعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللّهُ لا يُعِينُ آلْفُصْدِينِينَ .

يريد الإسلام إنسانًا مترازنًا ، يقصد بعمله وجه الله ، فالمال مال الله ، والإنسان مستخلف عن الله في إدارته ، قال تعالى : وَالْهِلُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخَلَّهِن فِيه ... (الحديد : ٧) .

وقد حرر الإسلام الإنسان من عبادة المال والهرى ، والجاه والسلطان ، وطلب منه أن يقصد بععله وجه الله ، ويعلم أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير وأبقى ، ولقد وجه الأتقياء النصيحة إلى قارون قائلين: قدّم من المال رصيدا لك في الآخرة ، بإخراج الزكاة والصدقة والمساعدة ، واقصد بعملك وجه الله، ولك أن تستمتع بمنالك بالطرق التى أحلّها الله ، فى المأكل والملبس والمسكن والمتحة الحلال ، وكما أحسن الله إليك بالمال ، فأحسن إلى الفقراء وعليك بالشكر ، وشكر النعمة استخدامها فيما خلقها الله له ، أى : قابل الإحسان من الله ، بالإحسان إلى عباده ، وبالشكر لله والقرائصع والرأفة والرحمة بالآخرين ، ولا تستغل كنوزك فى الفساد والتعالى ، وارتكاب الموبقات والشرور ، إنْ ٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْفَضْرِينَ ، بل يبغضهم وينتقم منهم .

٧٨ – قَالَ إِنْمَا أُولِيَنُهُ, عَلَىٰ عِلْمِ عِلِينَ أَوْ لَمْ يَعْلَمُ أَنَّ آللَٰهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَلِهِ مِنَ ٱلْشُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوْةً وَأَكْثَرُجَمْهُا وَلا يُسْتَلُ عَن فُدُوبِهِمْ ٱلْمُنجِّرُمُونَ .

أى: قال قارون لمن وجه إليه النصيحة: إنما أوتيت هذا المال لمعرفتى بطرق كسب المال واستثماره ، ومهارتى في ذلك واجتهادى ، أو لأني أثير عند الله حبيب إليه ، فقد كان قارون أكثر الناس نصيباً من التوراة ، وأحسنهم صوتًا ، وكان يلقب بالمنوّر ، وهنا يبين القرآن أن الله يعطى الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ، ولا يعطى الدني إلا لمن أحبّ ، فقد أهلك الله أممًا وأفرادًا وقرونًا كانوا أكثر مالاً وجاهًا من قارون ، وأكثر خبرة بجمع المال وطرق تحميله ، لكنهم أذنبوا وأجرموا وأسرفوا على أنفسهم في المهلدات ، والشهوات ، أو منعوا حق الله في المال ، فأهلكهما الله ، كما أهلك فرعون مع ملكه وغناه ، وأهلك عائرًا وثمونً وأصحاب مدين وقوم لوط ، فالمذنبون يهلكهم الله عقوبة عادلة ، كما عاقب سبأ جزاء إعراضهم عن شكر الشعد ، فتهدم سدّ مأرب ، وتلفت الزراعة وعم المجذاف ، وهلك الكافرون .

من كلام المفسرين

قال الإمام عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير الآية :

إِنَّمَا أُولِيتُهُم عَلَىٰ عِلْم عِندِي ...

إنما أوتيته على علم من الله باستحقاقي إياه ، فلولا رضاه عني ، وعلمه بفضلي ما أعطانيه .

وقيل : إنه علم التوراة ، فإنه كان أعلم بنى إسرائيل بها ، وقال أبو سليمان الدارائي : علم التجارة ووجوه المكاسب ، وقيل : علم استخراج الكنوز والدفائن .

وقيل : علم الكيمياه ، فكان يحرُّل الرصاص والنصاس ذهبًا ، ورزَّه العلماء بأن فيه دعوى قلب الحقّائق ، وذلك لا يكون إلا لله تعالى ، ولم يثبت حدوثه منه بطريق صحيح ، وما يشاع بين العامة من إمكان ذلك إنما هو من باب الأراجيف التي لم تثبت في الواقع ، بل هي من الصبخ والتزييف"* وقريب من الآية قوله تعالى : فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِيسَانَ ضُرُّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا حَوَّ لَنَكُ بِعْمَةٌ مَّنَا قَالَ إِلَمَّا أُولِيتُهُمْ عَلَىٰ عِلْمِ ... (الزمر: ٤٩) .

وقال تعالى : وَلَهِنْ أَذَقْتُهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرّاتَ مَسَّتْهُ لَقُولَنَّ هَلْمَا لِي ... (فصلت: ٥٠). أي : هذا أستحقه .

ويقول شوقي أمير الشعراء :

ظواهر خشية وتقى كذابا إذا داعى النزكاة بنهم أهابا كأنّ الله لم يحص النصابا وأعط الله حصته احتسابا وجدات الفقر أفريها انتسابا وأبقى بحد صاحبه دوابا ولب أرخب إبالشعرابا عجبت لمعشر صلّوا وصادوا وللقاهم حيال المال صبّا لقد منعوا نصيب الله منه فخد لمبنيك والأيام ذخرًا فلو صادفت أحداث الليالي وأن المرجبرً فسي حسيساة

وجاء في التفسير المنير للأستاذ د . وهبة الزحيلي ما يأتي :

إن أصول الحضارة الإسلامية أربعة :

١ -- العمل الصالح ثواب الأخرة .

٢ - عمارة الدنيا بإتقان دون أن تستولى على مشاعر الإنسان .

٣ – الإحسان إلى الناس ، إحسانًا ماديًا أو معنويًا أو خلقيًا.

3 - قمع الفساد والعصيان والخراب.

﴿ فَخَرَعَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ اللَّذِيكِ يُرِيدُوكِ الْحَيَوْةَ الدُّنْيَا يَنَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوقِي فَخَرَعَ عَلَى فَوْدَا الْدِيْمَ وَيَلَكُمُ مَا أُوقِي فَكُولُ اللَّذِيكِ أُونُوا الْمِيلَمَ وَيَلَكُمُ مَا أُوقِي اللَّهِ عَلَى أُونُوا الْمِيلَمَ وَيَلَكُمُ مَنَ الْوَالُهُ اللَّهِ عَيْدُولِهَ اللَّهِ عَلَيْهُ وَلَا يَلْقَ لَهَا إِلَّا الْقَسَيْرُوكِ فَيْ فَنَسَفْنَا بِهِ وَيَدَارِوا الْأَرْضَ فَمَا كَانَكُمُ مِن فَتْقِينَصُرُونَهُ مِن دُونِ النَّهُ وَمَا كَانِ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ فَي وَلِي اللَّهُ عَلَيْنَا لَحْسَفَ بِنَا فَي عَلَيْهُ الرِّزَقَ لَكُونَ وَيُكَالِّهُ وَلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَحْسَفَ بِنَا فَيْكُلُمُ الْمُنْ لِيمُلِكُ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا فَيْكُلُمُ الْمُنْ لَلْمُ عَلَيْنَا لَحْسَفَ بِنَا فَيْكُلُمُ اللَّهُ عَلَيْنَا لَوْلَا اللَّهُ عَلَيْنَا لَكُمْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَمُ عَلَيْنَا لَكُونَا اللَّهُ عَلَيْنَا لَمُ عَلَيْنَا لَمُ اللَّهُ عَلَيْنَا لَكُونُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْنَا لَكُونُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْنَا لَكُونُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْنَا لَكُمُولُونَ الْكُونُ وَلِي الْمُنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَكُونُ وَلَا الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَكُونُ اللَّهُ عَلَيْنَا لَلْمُ اللَّهُ عَلَى الْمُنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَلْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ

المضرداتء

في زيد تسته: فيما تزين به من مناع الحياة الدنيا .

وي السبح مه و في الأصل دعاء بالويل وهو الهلاك ،ثم شاع استعماله في الرّجر عما لا ينبغي ،
وهو العراد هنا .

شــواب الــالــه : في الآخرة بالجنة .

ولا يسلم قساف : ولا يلقى هذه النصيحة ، أي : لا يتقبلها ويعمل بها .

إلا الصبيب يسبرون: على الطاعات، وعن المعاصى.

همُسقنا به وبداره الأرض ، أي : بقارون ، وحُسف : غار في الأرض ، والمراد : جعلنا عاليها سافلها ، أي : أنطله الله وداره في جوف الأرض .

ا ماعة .

ويسكسان السلسة ، ألم تر أن الله ، أو : عجبا ألم تر أن الله ، أو : بل إن الله .

يسبيسسط ، يعدُ ويعطى .

وي قصد و يضيق ويقتر بمقتضى مشيئته ، لا لكرامة تقتضى البسط ، ولا لهوان يوجب القبض .

التفسير،

٧٩ - فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي رِبَعِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يُوبِيدُونَ ٱلْحَيَّوَةَ ٱلدُّنِّ يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوبِي َ قَدُرُونُ إِلَّهُۥ لَلُو حَظَّ عَظِيمٍ .

بعد أن قُدمت له النصيحة ، كابر واشتد غروره ، وخرج في أبهى حلة وأحسن متاع ، يستعرض نعم الله عليه ، وجمع كل ما عنده من جنود ورجال وجوارٍ ، وخيل ويغال ، في كسوة تُمينة ومظهر أُخاذ ، ليكس قلوب الفقراء ، ويعاند الناصحين .

قال الراغبون في الدنيا وزينتها الله: اليت لنا مثل ما أوتى قارون من المال والجنود والرجال ، والخيل والبغال ، والحشم والخدم ومظاهر الحياة وزينة الدنيا .

إِنَّهُ لِلَّهِ خَطٌّ عَظِيمٍ .

إنه حصل على نصيب واقر من دنياه .

٠ ٨ - وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُونُوا ٱلْعِلْمَ وَيُلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ حَيْرٌ لَّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا وَلا يُلَقَّنهَا إِلَّا ٱلصَّلْبِرُونَ .

أي: قال أهل العلم والنصح والتقوى لهؤلاء المتعلقين بالدنيا ، الذين جعلوا الدنيا غايتهم : عجبا لكم، أو تباً لكم وخسرًا ، كيف تتغالون في طلب الدنيا ، ويسيل لعابكم عليها ، ما هذا الحرص على المظاهر الكاذبة ، والدنيا القانية ، وما عند الله تعالى من ثواب وجنة ورضوان لمن آمن بالله وأطاعه ، خير مما تتمنون ، فإن نعيم الآخرة باقي لا يزول ، خالص من الأحزان والأكدار ، وهو خير مما ترون وتتمنون ، وما يتقدى الصبر والرضا والهدوء النقسي إلا من صبر على أداء الطاعات ، واجتنب المعاصى ، وكان قدوة حسنة في مجد أمته وإعلاء شأنها ، ورعاية الفقراء والضعفاء ، والإحسان إلى عباد الله ، ويذا ينال محية الخلق ورضوان الخالق .

٨١ - فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَقُرْ مِن فِيهِ يَنصُرُونَكُر مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ .

أصاب قارون العجب والكبر والبطر ، وافترى على موسى واستحق غضب السماء ، قرارال الله به ويداره الأرض ، فخسف به ويداره ، وأصبح هو وداره فى حفرة فى وادٍ سحيق ، وذهبت ثروته وزينته ورُمُر كل ذلك تدميرا .

وقد روى البخارى فى صحيحه ، من حديث الزهرى ، عن سالم ، أن أباه حدثه ، أن رسول الله ﷺ قال: «بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به ، فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة» ٩٠٠ . فالرجل يسير وهو معجب بنفسه ، مغرور منكبر ، يتيه فخرا وتعاليا بثروته أن ماله أن جاهه أو سلطانه أن نفوذه ، ناسيًا فضل الله عليه .

وذكر ابن كثير في تفسيره أن هذا الحديث يشير إلى قارون.

وقد وردت أحاديث في الصحيح تفيد أنه لا مانع من تمتع المرّمن بزينة الدنيا وجسالها ، فإن الله جميل يحب الجمال^(۱۰) ، والله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عباده . والممنوع هو الكبر والخيلاء ومنع المال عن صاحبه ، وحبس المعروف عن مستحقيه ، وأن يتحول الغنىّ إلى أنانى مسرف ينفق على نفسه وأسرته ، ويكابر ويتعالى ، ويمنع الحق عن أهله .

ملحق بتفسير الآية

ا - يوجد في محافظة الغيرم بحيرة صغيرة تسمى بركة قارون ، ويجوز أن يكون قارون وقومه
 كانوا يقيمون في هذا المكان ، وأنه خرج على قومه في زينته ، فخسف الله به ويداره الأرض ، وانخفص
 مستوى الأرض ، وتحوّل إلى بركة تسمى بركة قارون ، وهذا مجرد احتمال .

Y - ذكرت كتب التنسير روايات لاسند لها ، من ذلك ما روى عن قتادة قال: ذكر لنا أنه هرج هو وحشمه ، على أربعة آلاف داية ، عليهم ثياب حمر ، منها ألف بغلة بيضاء ، وعلى دوايهم قطائف الأرجوان . وقال مقاتل : هرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب ، ومعه أربعة آلاف فارس على الخيول ، وعليهم اللهاب الأرجوانية ، ومعه ثلاثمائة جارية بيض ، عليهن العلى والثياب الأمر ، يركبن البغال الشهب . اهـ .

والمرجّح أن مرد ذلك إلى الإسرائيليات ، وفي كتاب الله ما يفني ، فقد خرج في أبهي حلة وزينة ، متظامرًا بكل ما عنده عجبا وتيها . قال تعالى : فَأَضَرَّعَ عَلَىٰ قَرْمِهِ فِي زِيْمَهِ ...

عود إلى الآية:

فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِنَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَقُر مِن فِيْةٍ يَنصُرُونَهُ, مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ .

إن الخسف مقصود به ضياح ماله وداره ونفسه ، وما نراه من تهاوى أسعار البورصة ، وأسعار العملات ، وانتشار الأزمات الاقتصادية فى الشرق حينا ، وفى الغرب حينا ، ينبغى أن يذكر الناس بأن هناك خسفًا للفرد حينا ، وحسفًا للأمة حينا ، وأن هناك خسفًا حسهًا ، وحسفًا معنويًا . فَمَا كَانَ لَمُر مِن فِئةٍ يَعَصُّرُونَهُم مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُعَصِرِينَ.

أى: لم يغن عنه حشمه ولا خدمه ، ولا جيشه ولا نفسه ، ولم تكن له جماعة تعصمه من الخسف ، أو تنصره ، وما مسع ولا استقام أن يكون من الممتنعين من بماش الله ، بأيّ سبب من أسباب الامتناع ، فإنه لابدً واقع ، وليس له من دافع .

وحرى بالأمم الإسلامية أن تراقب ريّها ، وأن تتقى الله في تصرفاتها وأموالها وسلوكها ، حتى تجنى حصاد السعادة في الدنيا ، والنجاة في الآخرة ، قال تعالى : وَصَرَبَ اللّهُ مَلَا فَرَيّةٌ كَانَتْ عَامِنَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ يَالْتِهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مَنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفُرَتْ بِالْمُمِ اللّهِ فَلَا لَهُوْ اللّهُ إِلَى اللّهِ إِلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهُ عَلَى اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللّهِ اللّهُ عَلَى اللهُ اللّهِ اللّهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

٨٧ - رَأَصْبَحُ ٱلَّذِينَ تَمَثُّواْ مُكَانَهُ, بِالْأَمْسُ بِيُقُولُونَ وَيُكَانَّ ٱللَّهَ يَيْسُطُ ٱلرَّدُقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَاَ أَن شُرَّاللَّهُ عَلَيْهَ فَحَسُفَ بَنَا وَيُكَالَّمُ لَا يُفْلِحُ ٱلكَيْفِرُونَ .

صار الذين كانوا معجبين بقارون ، وكثرة أمواله ومظاهر زينته ، يتعجبون مما أهمابه ، ويتذكّرون أن الله تعالى يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ويُعز من يشاء ويذل من يشاء ، وليس عطاء العال بدليل على محبة الله للعبد ، ولا سلب الدنيا منه بدليل على بغض الله له ، فلله تعالى حكمة سامية ، قال تعالى : وَلَوْ يَسَطَ اللَّهُ الرِّوْقَ يَعِادِهِ لَعَوْا فِي الْوَرْضِ وَلَذِي يُتَرَّلُ فِقَدَرً لا يُشَامُ إِنَّهُ بِعَادِهِ خَبِيرٌ بَعِرِسٍ (الشورى: ٢٧) .

وقد روى عن ابن مسعود مرفوعًا : وإن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الإيمان إلا من يحبه (١٠).

لقد طرق الإيمان قلوب المؤمنين الذين غرّتهم مظاهر العظمة والأبهة في قارون ، وتمنوا أن لهم مثل مثل القارون غبطة لا حسدًا ، وحين شاهدوا نهايته تعجيوا كثيرًا لما أصابه ، وعجبوا من نهايته ، وحدوا الله على أنه لم يخسف الأرض بهم كما خسف بقارون ، لأنهم تمنوا أن لهم مثل ما لقارون وقالوا : لُولاً أن مُنَّ الله عَيْنَا لَحَسْسُهُ بنا ...

أى : لولا أن لطف الله بنا وأحسن إلينا ، لخسف بنا الأرض كما خسف بقارون ، لأنا و.دنا أن نكون مثله .

وَيْكَأَنُّهُ لِا يُفْلِحُ ٱلْكَنْفُرُونَ .

عجبا ألم تر أن الله لا يحقق الفوز والنجاح للكافرين به ، المكفيين رسله ، المنكرين ثواب الله وعقابه شي الأعرة ، مثل قاره ن . ﴿ تِلْكَ الذَّارُ ٱلْآخِرَةُ تَجْمَعُهُ كَالِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوَّافِ الْأَرْضِ وَلَا فَسَاذًا وَٱلْمَقِيمَةُ لِلْمُنَّقِينَ ۞ مَن جَاةَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ, خَيْرٌ مِنْهَا ۚ وَمَن جَمَاتَهُ بِالشَّيِّعَةِ فَلَا يُجْرَى ٱلَّذِيرِ عَيلُوا السَّيِّعَاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَصْمَلُورِ ﴾

المفردات:

فسيسطاداء ظلمًا للناس كما أراد فرعون وقارون.

المصاقبة ؛ المصير المحمود .

السمستقين المراقبين لله.

تمهيد :

تأتى هذه الخاتمة في أعقاب قصة فرعون وقارون ، فتبين أن محل جزاء المؤمنين هو الأخرة ، التي جعلها الله للمتواضعين ، الذين لا يظلمون الناس ولا يفسدون ، ولا يأكلون حقوق الآخرين ، ثم وضح مقدار ذلك الجزاء الذي يحصل في الأخرة ، فالحسنة تضاعف إلى عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف فأكثر فضلاً من الله ورحمة ، وجزاء السيئة مثلها لطفا من الله وعدلاً .

التفسير ،

٨٣ - بِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّالِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

هذه الجنة والمنزلة العالية نجعلها للمؤمنين المستقيمين الأسوياء الذين يصبرون على البأساء ، ويشكرون على النعماء ، ويرضون بأسباب القضاء ، وإذا أعطاهم الله المال أو الجاه أو السلطان أنفقوا المال في سبيل الله ومرضاته ، ولم يستطيلوا به على عباد الله ، ولم يتخذوا المال ذريعة للفساد والعدوان والتعالى .

وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

أي: العاقبة المصنة والتمكين في الأرض ، والرفعة في الدنيا ، والسعادة في الآخرة ، لمن اتقى الله وراقب مولاه ، ورضمي بالحلال وزهد في للحرام ، ولم يكن مثل فرعون وقارون . وتأتى هذه الآية بمثابة التعقيب على قصة قارون ، فقد غرّه ماله وتباهى به وتعالى ، ومَننُ به على الفقراء والمساكين ، ثم خسف الله به ويداره الأرض ، فكان المال مصدر بؤس وشقاء له فى الدنيا والآخرة، أما من اتقى الله في ماله فوصل به رحمه وأنفق منه على المستحقين ، ولم يتطاول به على عباد الله فله سعادة الدنيا ، والنجاة في الأخرة ، ثبت فى المصديح أن رسول الله ﷺ قال : «إنه أوحى إلى أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغى أحد على أحد» (أله المدهوا ،

وروى مسلم ، وأبو دارد ، أن النبي ﷺ قال : «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر» ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكرن ثويه حسدًا ، ونعله حسنة ، فقال : وإن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمط الناس» (***).

وروى أبو هريرة : أنه جاء رجل إلى النبى ﷺ ، وكان جميلاً ، فقال : يا رسولِ الله ، إنى رجل حُبُّب إلىُّ الجمال ، وأعطيتُ منه ما ترى ، حتى ما أحبَّ أن يفوقنى أحد بشراك نعل ٍ، أَمْمَنْ ذلك ؟ قال : «لا ، ولكنّ المتكبر من بطر الحقّ ، وغمط الناس» .

وعن عدى بن حاتم قال: لما دخلت على الذبي ﷺ ألقى إلى سادة ، وجلس على الأرض ، فقال: • أشهد أنك لا تبغى علوًا في الأرض ولا فسادًا، فأسلم (٤٠٠ أخرجه ابن مردويه .

٨٤ - مَن جَاءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ، حَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِٱلسِّيَّةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسِّيَّاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

" حن جاء يوم القيامة بالفصلة الحسنة ، أن الأعمال الحسنة ، ومنها كلمة التوحيد ولا إله إلا الله ، محمد رسول الله» ، وعمل بحقها ، وهو أداء واجبات الإسلام ، والبعد عما يغضب الرحمان ، فله خير منها ، حيث يكافأ على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف .

وَمَن جَاءَ بِٱلسِّيَّةِ ... بالمصلة السيئة عقيدة أو عملا .

فَلا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيَّاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . دون زيادة ، فالجزاء الحق من جنس العمل ، قال تعالى : مَّنْ عَمِلَ مَسْلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَكُكَ هَلَّكُمْ لِنَّمِيدٍ . (دسلت : ٤٦) .

وقال تعالى: وَلَعَمُ ٱلْمَوْ (بِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَسَةِ فَلَا تُطْلَمُ لُفَسٌ هَيْنًا وَإِنْ كَانَ مِظْفَلَ حَبُومًلُ خَوْدَلُ أَتَيْنَا بِهَا وَتَخَمَّىٰ بِنَا حَلْسِيسَ . (الأديباء : ٤٧) .

وهذا من عدالة الله وسعة فضله ، فهو يكافئ على الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعماتة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، تفضلا ورحمة ، أما الذي جاء بالسيئة فيعاقب بمثلها فقط ، دون ظلم أن جور .

ونحو الآية قوله تعالى : وَمَن جَاءَ بِٱلسَّيَّةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزُرُنَ إِلَّا مَا كُتُمُ تَعْمَلُونَ . (النمل: ٩٠).

ختام سورة القصص

﴿ إِنَّ اَلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَاتِ لَرَّانُكَ إِلْى مَعَادًّ قُل زَّقِ آَعَلَمُ مَن جَآءَ بِالْمَدُن وَمَنْ هُوَ فِ صَلَالِ مُّينِ ﴿ قُ مَاكُفَ ثَرْخُوا أَنْ يُلْفَقَ إِلَيْكَ الْكِيتَ اللَّهِ بَعْدَ إِلَّا رَحْمَةً مِن زَيِكَ فَلا تَكُونَنَ ظَهِ بِرَّ لِلْكَنْفِرِينَ ۞ وَلاَ يَصْدُّ نَكَ عَنْ النَّتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتَ إِلَيْنَاكُ وَادْعُ إِلَى رَبِيْكُ وَلَا تَكُونَنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَلاَ يَشْتُو وَلاَيْتُمْ وَلَا تَنْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَاهًا عَاخُرُكَ إِلْكُ إِلَاهًا مُؤَكِّلُ شَيْءٍ هَا لِكُ إِلَّا وَجْهَةً اللَّهُ الْمُؤْكُولُولَ الْهِ تَعْوَنَ ۞

المفردات:

فــــرش ، أوجب عليك تبليغه .

لـــــرادك؛ لراجعك.

إلى مسعداد إلى مكان عظيم تموَّدته وهو مكة ، أن إلى مكان تعود إليه بعد الخروج منه ، من العود ، وهو مكة أيضًا ، وذلك فى يوم فتصها سنة ثمان من الهجرة ، وهذا من باب المغيبات ، لأن السورة مكية ،مملت بشرى فتح مكة سنة ثمان من الهجرة .

تسرجسو، تتوقع .

يلقى، ينزل.

السكسساب، القرآن .

ظ هيرا: معينا للكافرين بإجابتهم إلى طلبهم.

ولا يستنك ، ولا يمنعنك الكافرون .

هــــالك، قانٍ .

إلا وجهه، إلا ذاته ، فالوجه مجازعن الذات ، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل.

التفسيره

٥٥ - إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي صَلَلْلٍ مُّسِنٍ .

تأتى هذه الآيات في ختام سورة القصص ، في أعقاب قصة موسى مع فرعون ، وقصة قادون وغروره بالمال ، وكما نصر الله موسى وأغرق فرعون ، تأتى هذه الآيات تبشر النبي ﷺ بأنه سيعود إلى مكة فاتمًا منتصرًا قال الضحاك : لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة ، فأنزلت عليه هذه الآبة.

قالنبي خارج من مكة ، مطارد من أهلها ثاني اثنين ، والله ينزل عليه البشري ، بأنه سيعود إلى مكة فاتحاً منتصرًا ، ثم أمره الله أن يفرّض الأمر إليه ، وأن يجيب الكافرين بما يأتي :

قُل رُبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي صَلَالٍ مُّبِينٍ .

الله أعلم بى ويكم ، من منا على الهدى ، ومن منا على الضلال الواضح ، وهذا رد على الكفار حين قالوا : إنك يا محمد فى ضلال مبين .

٨٦ - وَمَا كُنتَ تَرْجُواْ أَن يُلْقَيْ إِلَيْكَ ٱلْكِتَلْبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَبَّكَ فَلَا تَكُونَن ظهيرًا لَلْكَلفِرينَ.

ما كنت تأمل أن تكون يا محمد صاحب الرسالة الخاتمة ، وأن تكون أخر الرسل ، لقد كان اليهود يهخُرون بنبى قرب زمانه ، وتطلّع عدد من المتحدُّثين والحنيفيين إلى الرسالة والذبوة ، وما كان محمد الأمى يتطلم إلى ذلك ، وإكن الله هو الذي اختاره واصطفاه ، رحمة منه وفضلاً .

وكان قومه يعرضون عليه أن يرجع إلى دين آبائه ، فأمره الله ألا يكون معينا للكافرين في كغرهم ، والمقصود من ذلك : أن يبأس الكفار من تلبية طلبهم ، وتستمر الآيات تشد أزر الرسول 纖.

٨٧ - وَلَا يَصُدُّنكَ عَنْ عَايَلتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَآدْعُ إِلَىٰ رَبُّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ.

ولا تلتغت إلى هؤلاء المشركين المخالفين ، ولا تتأثر بهم ، ولا تركن إلى قولهم فيصدُوك عن اتباع آيات الله المنزلة إليك ، وعليك أن تستمر فى دعوتك إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ، مخاصًا لله في عملك .

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ .

واحذر أن تكون مع المشركين ، الذين حاولوا أن يعيدوا إلهك يومًا ، وأن تعبد إلههم يومًا ، فعليك أن قرفض الحلول الوسط.

قال الدكتور وهبة الزحيلي في التفسير المنير :

وهذا النهى عن مظاهرة المشركين ونحو ذلك ، من باب إلهاب الحماس ، وتهييج العاطفة ، وإثارة الغيرة على استقلال دين التوجيد وعبادة الله . ا . هـ . ويمكن أن يقال: حاشا لله ، أن يتطرق الشرك إلى رسول الله ﷺ ، فريما كان الخطاب للرسول والمراد أمته ، كأنَّ الله وجه الخطاب إلى الأمة في شخص رسولها : ابتعدوا عن الشرك ، وعن خيوط الشرك ، وعن الأشراك الخداعية الموصلة إلى الشرك ، وأهلمموا لله تعالى غيادتكم وتوجهاتكم ، فهو سبحانه أغنى الأغنياء عن الشرك ، فينبغى أن نقصد بأعمالنا وجه الله تعالى ، وحده لا شريك له ، وفي ختام السورة تأتى أل تلخص الفكرة فتقول :

٨٨ – وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَنْهَا عَاخَرَ لَا إِلَنْهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَةُ, لَهُ ٱلْحُكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

إن سورة القصم التي ذكرت قصة موسى ، ورعاية الله له حتى أدى رسالته ، ثم أغرق الله فرعون ونجى موسى ، كما ذكرت قرب الختام قصة قارون ونهايته إلى الخسف والهلاله ، تأخذ بيدنا إلى أن الخيوط كُلُها مرتبطة بيد القدرة الإلهية التي تفعل ما تريد ، فمن وجد الله وجد كل شيء ، ومن ققد الله فقد كل شيء.

وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَاهًا ءَاخَرَ لَا إِلَاهً إِلَّا هُوّ ...

لا تعبد مع الله الواحد الأحد إلهًا آخر ، سواء أكان صنعًا أم وثنًا أم جنًا أم ملائكة ، أم نجماً أم حيوانا ، لأن هذه آلهة متَّعاة ، لا حقيقة لها ، وليس هناك إله بحق إلا الله ، لاَ إِلَّكَ إِلَّا هُوَ . ولا معبود بحق سواه ، وفي معنى ذلك قوله تعالى : قُلْ هُوَ آللَهُ أَخَذَ هَ آللُهُ آلصُمُهُ هَ لَمُ يَلِدُ وَلَمْ يُكُولُه أَحَدًا . (الإعلامي : ١ – ٤) .

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ. ...

كل ما تراه في هذه الدنيا يدركه الفناه والموت والهلاك ، إلاَّ ذات الله المقدسة ، فهو الدائم الباقى ، الحي القيوم الذي يميت الخلاق ولا يموت ، كما قال سبحانه : كُلُّ مُنْ طَلِّهَا فَانَ مِ وَيَتَغَىٰ وَجَهُ رَبِّكُ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْأَكُوامِ (الرحمن: ٢٧.٧٢).

وقال عن شأنه : كُلُّ نَفْس ذَاتِقَةُ ٱلْمَوْتِ ... (أل عمران : ١٨٥).

أي: كل إنسان يموت ، وكل حيوان يموت ، تلك سنّة الله في هذه الحياة ، أن يهالك جبل ، لينشأ جبل أضر، حتى تقدر نقيما أرزاقها أخر ، حتى تقدير أن من الله تعدر فيها أرزاقها أخراتها ، وهو الذي تشر فيها أرزاقها وأقواتها ، وهو الذي خلق الموت والحياة ، وأحكم الخلق ، وقدر الأمور ، تقدير الحكيم العليم ، فهو الإله وحده، وهو غنى عن العالمين ، وانناس فقراء إليه ، يخلقهم ويرزقهم ويميتهم ويحييهم .

وقد ثبت في الممحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أصدق كلمة قالها شاعر ، لبيد حين يقول : ألا كل شيء ما خلا الله باطل: (**).

وقال تعالى . هُوَ ٱلْأَوْلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلْطَاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . (المديد: ٣) .

فهو سبحانه قبل كل شيء وليس قبله شيء ، وهو سبحانه آخر كل شيء وليس بعده شيء ، وكل الذوب وبيا بيا ويكل الدوات ، والنوم ومشابهة الحوادث ، الذوات فاند ، والأنس والذوب ومشابهة الحوادث ، ومتصف بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص ، وهو سبحانه حي لا يموت ، والإنس والجنّ يموتون .

لَّهُ ٱلْعُكُمُّ ... له الأمر والتصرف، والقضاء النافذ في الخلق، وبيده الخلق والأمر.

وَإِلَّهِ تُرْجَعُونَ . فيجازيكم بالإحسان إحسانًا وبالسوء سوءًا .

ويهذا الشتام ُنجِد الآية لرحة هادفة في تقرير الأارهية والوحدانية والبقاء فله تعالى ، وأن الحكم بيده، فهو سبحانه يمز من يشاء ويذل من يشاء ، ومصير الخلائق بيده ، ليقضى بينهم بالحكم والعدل .

فلا معنى لعبادة إله آخر غير الله ، ما دامت خيوط القدرة كلها بيده سبحانه ، وما دام هو الأول والآخر ، والباقى بعد فناء جميع الموجودات ، والمتصرف تصرفًا مطلقًا فى هذا الكون ، وإليه المرجع والمآب .

والحمد لله الذى ينعمته تتم المسالحات ، ولله تعالى الفضل والمنة ، وهو سبحانه له الحمد في الأولى والأغرة ، وما توفيقي إلا بالله عليه تركلت وإليه أنيب .

* * *

خلاصة ما تضمنته سورة القصص

- ١ قصة موسى وفرعون .
- ٢ ولادة موسى ، رضاعه ، نشأته .
- ٣ -- قتل موسى للقبطى ، وهريه إلى أرض مدين -
- ٤ زواج موسي ، ويقائه في أرض مدين عشر سنين .
 - ه عودة موسى إلى مصر، ومناجأته ربّه.
 - " معجزات موسى من العصا واليد البيضاء.
- ٧ -- تبليغ موسى رسالة ربُّه إلى فرعون ، وتكذيب فرعون له .
 - ٨ -- هـارون وزيرًا لموسى ، ورسولاً معه .
- ٩ إثبات نبوة محمد على الخباره عن قصص الأولين دون أن يكون حاضراً معهم .
- ١٠ إنكار قريش لنبوة محمد ، وانتحالهم المعانير لتكنيبه ، وتفنيد القرآن لحججهم ، وبحض أكانيههم .
 - ١١ -- التذكير بنعمة الله على عباده باختلاف الليل والنهار.
 - ١٢ شهادة الأنبياء على أممهم.
 - ١٢ ذكر قارون ويغيه في الأرض ، ثم خسف الأرض به .
 - ١٤ -- ثواب الآخرة للمتقين لا للمفسدين .
 - ١٥ الإنباء بالغيب عن نصر الله لرسوله ، وفتحه لمكة .
 - ١٦ بيان أن كل ما في الوجود هالك ، إلا الله تبارك وتعالى .



أهمداف سمورة العنكبسوت

سورة المنكبوت مكية ، نزلت بعد سورة الروم ، وأيهاتها ٦٩٩ أية ، وقد نزلت سورة العنكبوت في الفترة ؛ الأخيرة من حياة المسلمين بمكة قبل الهجرة ، وكانت هذه الفترة من أنسى الفترت ولذلك تعرضت السورة لتقبيت المؤمنين على الإيمان ، وبيان أن هناك ضريبة يدفعها المؤمن ، هى الفتنة والامتحان بالإيداء أو بالإغراء أو بالوعد أو بالوعيد .

وتناولت قصص الأنبياء السابقين وجهادهم وبالاءهم ، ثم إهلاك الكافرين وانتصار المؤمنين. وسميت سورة العنكبوت بهذا الاسم لتكور ذكر العنكبوت فيها في قوله تعالى : مَثَلُ ٱللَّذِينَ ٱتَحَفُّوا بِن دُودِ ٱللَّهِ أَوْلِيَّاءً كُمُثِل ٱلْعَنْكِيْوتِ ٱلْحَدُّتُ يُثِنَّا وَإِنْ أَوْمَنَ ٱلْشُوتِ لِبَيِّثَ ٱلْعَنْكِيْرِتِ أَوْ كَالُوا يُغْفُونُ . (العنكبوت : ١٤).

وهي المصحف المطبوع بالقاهرة والمتداول بين الناس نجد في عنوان السورة : سورة العنكبوت مكية إلا من آية ١ إلى غاية آية ١١ فمدنية .

وقد رجحت اللجنة المشرفة على طبع المصحف الرأى القائل بأن الإحدى عشرة آية الأولى مدنية ، وذلك لذكر الجهاد فيها ، وذكر المنافقين .

وعند التأمل يترجع لدينا أن السورة كلها مكية ، أما تفسير الجهاد فيها فمرجعه أنها واردة بصدد الجهاد ضد الفتنة ، أى جهاد النفس لتصبر ولا تفتن ، وهذا واضح فى السياق ، وكذلك ذكر النشاق فقد جاء بصدد تصوير هالة نموذج من الناس .

تلاثبة فصول

الخط الأساسي لسورة العنكبوت هو الحديث عن الإيمان والفتنة ، وعن تكاليف الإيمان الحقة التي تكشف عن معدنه في النفوس ، فليس الإيمان كلمة تقال باللسان ، إنما هو المبير على المكاره والثبات في المحن .

ومع أن موضوع السورة هو تكاليف الإيمان والثبات في المحنة .. إلا أنه يمكن أن نقسم سورة المنكبوت إلى ثلاثة عناصر لهذا الموضوع أو ثلاثة نصيل :

الفصل الأول : من أول السورة إلى الآية ١٢.

ويتناول حقيقة الإيمان ، وسنة الابتلاء والقتنة ، ومصير المؤمنين والكافرين ، تم فردية التبعة فلا يحمل أحد عن أحد شيئا يوم القيامة .

وَلَيْسْتَلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَسْمَةِ عَمَّا كَالُواْ يَفْتَرُونَ . (المنكبود: ١٣) .

الفصل الثاني : من الآية ١٤ إلى الآية ٥٥ .

ويتناول قصص نرح وإبراهيم ولوط وشعيب ، وإشارة إلى قبيلتى عاد وثمود ، ويصور هذا القصص ما وجد من عقبات وفتن فى طريق كل دعوة ، ويتحدث عن التهوين من شأن هذه العقبات أمام قوة الإيمان والاعتماد على قدرة الله ، والمضى فى تبليغ رسالته وتحمل تبعات هذه الرسالة إحقاقًا للحق وإزهاقًا للهاطل . قال تمالى : بُلُ تُقُرِفُ بُلُّمُقِ عَلَى الْبُنْهِلُ فَلِمُنْهُمُ إِلَّانًا مُوْ زَاهِقٌ ... (الأبيباء : ١٨) .

الفصل الثالث: من الآية ٦٦ إلى آخر السورة.

ويتناول النهى عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى ، ويتناول وحدة الدين والعقيدة والإيمان ، واتحاد ذلك مع الدين الأغير الذي يجحد به الكافرون ويجادل فيه المشركون ، ويختم بالتثبيت والبشرى والطمأنينة للمجاهدين في الله المهديين إلى سبيله .

ويتخلل السورة من المطلع إلى الفتام إيقاعات قوية عميقة حول معنى الإيمان وحقيقته تهز الوجدان هزاء وتوقفه أمام تكاليف الإيمان وقفة حازمة ، فإما النهوض بها ، وإما النكوص عنها ، وإلا فهو النفاق الذي يفضحه الله .

القصص في سورة العنكبوت

استفرقت الآيات من(١٤ – ٤٥) في الحديث عن قصمص الأنبياء ، والتعليق عليه ، وبيان العظة والعدة منه .

ويدأت بالحديث عن نوح عليه السلام ، فقد مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ، هي مدة الرسالة وجزء من حياته كان قبل الرسالة ، وجزء منها كان بعد الطوفان وهو عمر مديد ، ولكن نتيجته محدودة فلم يرُمَن به إلا قليل من قومه .

ثم ثنى بالحديث عن إبراهيم الخليل صاحب الرسالة الكبرى ، إذ دعا قومه إلى عبادة الله الخالق الرزاق ، ونبذ الأوفان والأصنام ، والتوجه إلى الله الإله الواحد : فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ٱلْتَلُوهُ أَوْ حُرِّقُوهُ أَ... (المنكبوت: ٢٤) . وفى قصة لوط يتبدى تبجح الرذيلة وسفورها بلا حياء ولا تحرج ، وانحدا البشرية إلى الدرك الأسنل من الانحراف والشذوذ ، مع الاستهتار بالنذير : فَمَا كَانَ جَوَابَ قُوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُواْ ٱتْضَا بَعَدَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ آلَمُنْدِائِينَ . (العنكور: ٢٩).

وفي قصة شعيب مع مدين يتبدى الفساد والتمرد على الحق والعدل فاستحقوا عذاب السماء : فَكُنَّبُوهُ . فَأَخَذُتُهُمُ ٱللَّهُ عُفَّةً فَأَصْبُحُوا فِي دَارِهِمْ جُنْعِينَ . (العنكين: ٣٧) .

ونذكر الإشارة إلى عاد وثمور بالاعتزاز بالقوة والبطر بالنعمة ، كما تذكّر الإشارة إلى قارون وفرعون رهامان بطلهان المال واستبداد الحكم والتمرد على أمر الله .

وفي النهاية يلقى الظالم حتفه جزاء ظلمه ، وقد تكرر هذا المعنى في سور سابقة وتأكد هنا ليستقر في الأذهان أمام المشركين والشالمين .

قال تعالى : لَهُكُلاَّ أَعَلْنَا بِلَنَسْهِ فَهِنْهُم مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَامِينَا وَمِنْهُم مَنْ أَخَلَتُهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مِّن حَسَفُنَا بِهِ آلَاُرْ مِنَ وَمِنْهُم مَنْ أَغْرِقُنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ يَشْظِيمُهُمْ وَلَلَّكِن كَالْواً أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . (المنتجرب: ٤٠) .

وتعقب السورة على هذا القصم بمثل ضمريته لهوان قوى الشرك والظلم ، فالهاطل مهما علا لا مستقبل له ، والحق مهما امتحن مستقبله هنىء مرىء ، قال تعالى : مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّحَدُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَّاءُ كَمَثُلِ ٱلْعَنْكُوتِ ٱلْتَحَدُّتَ يَثَنَّا وَإِنْ أَوْمَنَ ٱلْتُبُرِّتِ أَيْتُ ٱلْتَنْكِوتِ إِنْ كَانُواْ يَقَلُمُونَ . (العنكبين: ٤١) .

وينتهى هذا القصص بهوان الشرك وعزة الإيمان ، ويبان قدرة الله الذي يضرب الأمثال ليتعظ بها العقلاء وليفهمها العلماء . قال تعالى : وَقِلْكُ ٱلْأَصْلُ أَصْرُهُمْ لِلنَّاسِ وَمَا يُعْقِلُهُمْ إِلَّا الْمُلْهُوثَ . (المنكبوت: ٤٤).

الدرس الأخير في سورة العنكبوت

يستغرق الدرس الأخير في السورة ربعًا كاسلاً من الآية ٤٦ إلى الآية ٢١. والسورة بدأت بإعلان ثقل تكاليف الإيمان، وتعرض المؤمنين للبلاء والامتحان، ثم ذكرت قصص الأنبياء وبلاءهم من عهد نرح.

وفي هذا الدرس الأخير يبين القرآن وحدة الرسالات في الهدف ، فالرسالات كلها من عهد نوح والرسل من بعده إلى عهد محمد ﷺ دعوة واحدة من عند إله واحد ، ذات هدف واحد هو إمملاح العقيدة وتهذيب السلوك ورد البشرية الضالة إلى قوانين الله المعادلة ، وأن المؤمنين بكل رسالة إخوة للمؤمنين بسائر الرسالات: كلهم أمة راحدة تعيد إلهًا واحدًا ، وأن البشرية في جميع أجيالها صنفان اثنان . صنف المؤمنين وهم حزب الله ، وصنف المشاقين وهم حزب الشيطان .

ولقد ختم الجزء العشرون في القرآن بآية شهيرة تدعو إلى تلاوة الكتاب وقراءة الغرآن وإقامة الصلاة، هي قوله تعالى : آثلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكُ مِنْ ٱلْكِتْسِ وَأَقِمِ ٱلصُّلُوّةَ إِنَّ ٱلصَّلَاقَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْمُحَمِّدَاءِ وَٱلْمُحَكِّرِ وَلَذِكُرُ ٱللَّهِ أُكْبُرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ . (المنكور: ١٥٠).

ويداً الجزء الحادى والعشرون بالحديث عن هذا الكتاب، والعلاقة بينه وبين الكتب السابقة ، ويأمر المسلمين ألا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، لبيان حكمة مجىء الرسالة الجديدة والكشف عما المسلمين ألا يجادلوا أهل الكتاب إلا الذين ظلموا منهم ويدلوا فى كتبهم وانحرفوا إلى الشرك ، والشرك بينها وبين الرسالات قبلها من صلة – إلا للذين ظلموا منهم ويدلوا فى كتبهم وانحرفوا إلى الشرك ، والشرك ظلم عظيم – ودعت الآية الموقمنين أن يعلنوا إيمانهم بالدعوات كلها وبالكتب جميعها ، فهى حق من عند الله يصدق ما معهم من القرآن والإسلام . قال تعالى : وَلاَ تَجُدُلُواْ أَهُلُ آلْكُوكُمْ إِلاَّ بِاللَّي هَيَ أَحْسَنُ إِلَّا اللَّيْنِ اللَّهِ عَلَى أَحْسَنُ إِلَّا اللَّهِينَ عَلَى مُسْلِمُونَ . (العنكبون : 3) .

ثم يحذر القرآن المشركين من استعجالهم بعذاب الله ، ويهددهم بمجيئه بفتة ، ويصور لهم قربه منهم، وإحاطة جهنم بهم ، ويصف حالهم يرم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ثم يلتفت إلى
المؤمنين الذين يتلقون الفتنة والإيذاء في مكة بحضهم على الهجرة بدينهم إلى الله ليعبدره وحده ، يلتفت
إليهم في أسلوب عجيب ، يعالج كل ملجسة تخطر في ضمائرهم ، وكل معوق يقعد بهم ، ويقلب قلوبهم بين
أصابح الرحمان في نمسات تشهد بأن منزل هذا القرآن هو خالق هذه القلوب ، فما يعرف مساريها ومداخلها
الدفية إلا خالقها اللطيف الخبير الذي تكفل برزق كل دابة في كل مكان وزمان .

وينقل من هذا التعجب من حال أولئك المشركين ، وهم يتغيطون في تصوراتهم ، فيُعرّبون لله سبحانه بخلق السماوات والأرض ، وتسفير الشمس والقمر، وإنزال الماء من السماء وإحياء الأرض الموات، وإنزال الماء من السماء وإحياء الأرض الموات، وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله ويحفرون بكتابه ، وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله ويحفرون بكتابه ، ويونون رسوله ، ويقتنون المؤمنين به ، ويذكّر المشركين بنعمة الله عليهم بهذا الحرم الأمن الذي يعيشون فيه ، والناس من حولهم في خوف وقلق وهم يفترون على الله الكذب ويشركون به آلهة مفتراة ، ويعدهم على هذا جهنم وفيها مثوى للكافرين .

وتختم السورة بوعد من الله سبحانه بهداية المجاهدين ورعايتهم ، فيقول سبحانه : وَٱللَّهِينَ جَلَهُمُواْ وَعَا تَنْهُدِيِّتُهُمْ مُسُلِّنًا وَإِنْ ٱللَّهُ لَهُمَ ٱللَّهُ مُعَالِينًا . (العنكبوت : ١٩٩) .

ب الله التحرّ التحديد

المفردات :

م دو المنوا عن عقيدة وإخلاص .

ال يسميم تمونسا، أن يفوتونا ويعجزونا ، فلا يلاقوا جزاء أعمالهم .

ساء سايحكمون ، قيح حكمهم أنهم يهربون مكا .

يسسرچسسوه يطمع .

السقساء السلسه : نيل ثوابه وجزائه .

أجــل المسلمه؛ الوقت المضروب للقائه.

جـــساهــــد، بذل جهده في جهاد حرب أو نفس،

المستسمع على : منفعة الجهاد من الأجر عائد على نفسه .

وتنجزينهم أحسن؛ ولنجزينهم على أعمالهم بأحسن عمل كانوا عملوه.

. 4.00

كان المسلمون في مكة يتعرضون لصنوف الأذى وألوان الاضطهاد، فنزلت سورة العنكبوت تبيّن أنُّ الإيتلاء والاختبار سنّة الله في خلقه ، وقيل : إن سورة العنكبوت هي آخر ما نزل بمكة .

وفي المصحف المتداول في البلاد العربية ما يأتي:

(سورة العنكبوت مكية إلا من آية ١ إلى الآية ١١ فمدنية)

وقد اعتمدت العصاحف على بعض الروايات التى ذكرت أن الإحدى عشرة آية الأولى من سورة العنكبرت مدنية وذلك لذكر «الجهاد» فيها وذكر «المنافقين» .

وقد رجح العلماء أن السورة كلها مكية للرُّسباب الآتية :

 ا — الجهاد الذي ورد في صدر السورة يراد منه الجهاد ضد الفتنة ، أي : جهاد النفس بالصير والثبات والتحمل ، رجاء ثراب الأخرة .

٢ -- ذِكْر النفاق جاء بصند تصوير حالة نموذج من الناس.

٣ – ورد في سبب نزول الآية الثامنة أنها نزلت في إسلام سعد بن أبي وقاص ، وإسلام سعد كان في مكة بلا جدال .

السورة كلها متماسكة في شط واحد منذ البدء إلى الختام.

التفسيره

١ – ألَّمَ .

سبق الحديث عن هذه الأحرف في سورتي البقرة وآل عمران وغيرهما .

والفلاصة أنها حروف للتنبيه والتحدّى والإعجاز ، كالجرس الذي يقرع فيتنبه التلاميذ لدخول العدرسة.

٢ -- أَحْسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُعْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ عَامَنًا وَهُمْ لَا يُفْتَثُونَ .

حين خلق الله أدم عليه السلام استخلفه في الأرض ، وأعطاه العقل والإرادة والاختيار ، فإن المتار الطاعات فهو من الخاصوين ، وهنا يذكر الله تعالى أنه جعل البلاء ضريبة في هذه الدنيا ، يمتحن به الناس ، ويُطهر به المؤمنين ، ويختبر به الصادقين ، فتنة لهم وامتحانًا، كما يفتن الزهب الإبريز ، إذّ يوضع في النار ليخرج منه الخيث .

ومعنى الآية :

أَظُنَ الناس أن يتركوا بدون لختبار وامتحان ، لمجرد قولهم آمنا ، بدون أن يخوضوا تجربة عملية ، فيها البلاء أو الإيذاء أو التكذيب أو التعرض لألوان من القهر أو الإغراء ، أو أي لون من ألوان الامتحان ؟

وقد تعرض المسلمون في مكة لصنوف الأذى ، وألوان الاضطهاد ، وتعجلوا الفرج والنصر ، فنزلت هذه الأيات .

جاء في التسهيل لابن جزي وغيره من المفسرين :

نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين ، كسلمة بن هشام ، وعياش بن ربيعة ، والوليد ابن الوليد ، وعمار بن ياسر ، وأبيه ياسر ، وأمّه سمية ، وغيرهم ، ا ، هـ.

تعرض مؤلاء للفتنة والعذاب فنزلت هذه الآيات تشد أزرهم ، وتبارك جهادهم ، وتذكرهم بأن ذلك قانون الله ونظامه ، يمتحن المؤمنين سابقًا ولاحقًا .

قال العلماء: والآيات وإن نزلت في قوم معينين ، إلا أنها باقية في أمة محمد أبد الدهر.

وقيل : نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب ، أول من قُتَل من المسَّلمين يوم بدر ، رماه عامر بن الحضرمي يسهم فقتله ، فجزع عليه أبواه وامرأته ، فقال النبي ﷺ : «سيد الشهداه مهجع ، وأوّل من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة " " ، " ا

٣ - وَلَقَدْ فَتُمَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيْعْلَمَنَّ ٱلْكَذادِبِينَ .

لقد المتبرنا الأمم قبلكم ، وكذلك الرسل والأنبياء ، والمتبرنا المؤمنين والصالحين في كل أمة وجيل، ويهذا الاختبار وذلك البلاء يظهر المؤمن المسادق الثابت في البلاء ، ويظهر الكاذب المراثى ، تلك سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فالحياة الدنيا حافلة بأنواع البلاء والامتحان ، ومنه امتحان بالشر والتعذيب والسجن والقهر والإحباط ، وامتحان بالإغراء والمال والجاء والسلطان .

قال تعالى : وَلَبْلُوكُم بِٱلشَّرَّ وَٱلْخَيْرِ لِتُنَّةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ . (الأنبياء: ٣٠) .

وقال تعالى : أَمْ حَسِيْتُمْ أَنْ تَلْخُلُواْ ٱلْجَنَّةُ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مُسْتَهُمُ ٱلْمُأْسَآءُ وَٱلصَّرَاءُ وَزُلْوَلُواْ حَتَىٰ يَقُولُ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَتُواْ مَمْهُمْ مَنِي نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَا إِنَّ يَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ . (البقرة : ٢١٤) .

وقال تعالى : أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَلْهَدُواْ مِنكُمْ ... (التوبة : ١٦) .

وفى الحديث الصحيح: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه، مُؤْن كان في دينه صلابة زيد له في الهلاء (**).

قال این کثیر:

وَلَقَدْ فَتِنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبِّلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَيَعْلَمَنَّ ٱلْكُذِينَ

أى: الذين صدقوا فى دعوى الإيمان ، ممن هو كاذب فى قوله ودعوله ، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وهذا مجمع عليه عند أثمة السنة والجماعة ، وبهذا يقول إبن عباس وغيره فى مثل قوله : إلاّ لِتَعْلَمُ ... إلا لذرى ، وذلك لأنّ الرؤية إنما تتعلق بالموجود ، والعلم أعم من الرؤية ، فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود . ا. هـ .

إن الله تعالى يعلم أزلا كل شىء ، والله بكل شىء عليم ، لكنه لم يحاسب العباد بمقتضى علمه القديم ، بل اهتبرهم وامتحنهم بألوان التكاليف ، وصنوف الاختبار ، ليكرن الجزاء فى الأخرة على مقتضى سلوك العبد بالشكر أن بالكفر ، ويكون الجزاء نتيجة للتجرية العملية للإنسان .

أخرج ابن أبى حاتم أن: الّم وأحَسِبُ ... نزات في أناس كانوا بمكة أقرُّوا بالإسلام ، فكتب إليهم أصحاب الرسول عليه السلام بالمدينة ، ألا يقبل منهم حتى يهاجروا ، فخرجرا إلى المدينة فردُهم المشركون.

\$ - أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّيَّاتِ أَن يَشْبَقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ .

أظن الكافرون والفاسقون أن يفوتونا ، ويهربوا من حسابنا ، فلا نقدر على مجازاتهم ، بمساوئ أمسالهم ؟ لقد ظنوا كذبًا ، وحكموا فاسدًا .

سَآءً مَا يَحْكُمُونَ . بنس الحكم الذي يحكمونه ، وبنس الظن الذي يظنونه .

و ثلاحظ أن الجسيان الأول كان من المؤمنين ، وهذا الحسيان من الكافرين .

قال ابن عباس:

يريد سبحانه بالذين يعملون السيئات: الوليد بن العقيرة ، وأبا جهل ، والأسود ، والعاص بن هشام، وشيبة رعتية ابني ربيعه ، والوليد بن عتبة ، وعقبة بن أبى معيط ، وحنظلة بن وائل ، وأنظارهم من صناديد قريش . ا . هـ .

ونقول: إن الآية تممّ جميع من يعمل السيئات، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية وعيد للكافرين، وللعصاة من المؤمنين النين يجاهرون بالمحصية، والسلب والنهب والندر، والإلام والعدوان ، ويظنون أنهم سيقوتون من عذاب الله ، أو يرون أمور الآخرة باهتة غائمة ، وينتصرون للدنيا . أو يبيعون الباقية ويشترون الفانية ، ولا يشبعون من الحرام ولا من انتهاك الحرمات .

وفلا يحسب مفسد أنه مفلت ولا سابق ، فإذا كانت الفتنة سنة جارية لامتحان القلوب وتمحيص الصفوف ، فخيبة المسينين وأخذ المفسدين سنة جارية لابد أن تجيء «⁽¹⁰⁾.

- مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآت وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ .

من كان يطمع في ثواب الله يوم القيامة فليبادر إلى فعل ما ينفعه ، وعمل ما يوصله إلى مرضاته , وتجنب ما يسخطه .

لَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ.

إن رجاء الله وثوابه حق واقع لا محالة ، وسيوخّى الله كل عامل عمله كاملاً موفورًا ، لأن الله سميع الدعاء ، عليم بكل شيء ، محاسب على الفتيل والقطمير ، والقليل والكثير .

قال تعالى : فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلَيْعُمَلْ عَمَلاً صَلْلِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِادَةِ رَبّهِ أَحَدًا . (الكهف: ١١٠).

وقال سبحانه : فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ, • وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ, . (الزلزلة : ٧ ـ ٨) .

٦ - وَمَن جَلْهَدَ لَإِنَّمَا يُجَلِّهِ لَنِفْسِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَلْمِينَ .

من جاهد نفسه أو جاهد عدرة ، ويذل الجهد في سبيل الجهاد ، فإن ثوابه وجزاءه عائد على نفسه ، فلي ستمر في الجهاد ولا ييأس ، وليثق في ثواب الله وفضله ، وليثق في أن ثواب عمله عائد عليه ، فمن بذل نفسه في سبيل الله ، فسينال الشهادة والجنة والدرجات العلا ، ومن جاهد نفسه وصرفها عن المعاصى ، وحملها على الطاعات ؛ فنفع ذلك عائد عليه ، لأن الله غنى عن عباده ، لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم .

إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَلَمِينَ .

فهو سبحانه غنى عن جميع خلقه ، له الملك وله الأمر يفعل ما يشاء .

ونحو الآية قوله تعالى : مَّنْ عَمِلَ صَلِلِحًا فَلِنَفْسِهِ ... (نصلت : ٤٦) .

وقوله تعالى: إِنَّ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ الْأَفْسِكُمْ ... (الإسراء: ٧) .

وقوله سبحانه : يَشَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَلتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ . (فاطر: ١٥).

٧ - وَٱللَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَلْتِ لَنَكَفَّرَكُ عَنْهُمْ سَيَّتَاتِهِمْ وَلَنَجْزَيْتُهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ .

الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ، وصبروا على تكاليف الجهاد ، وأدوا الفرائض واجتنبوا المحرمات ، هؤلاء لهم جزاء عظيم ، من تكفير السيئات ، ومغفرة الذنوب ، ومكافأتهم على الحسنات بما هر أحسن وأفضل ، حيث تضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وهؤلاء إن فاتهم الجزاء في الأرض ظن يفوتهم عند الله تعالى .

قال تمالى: إِنَّ ٱللَّهُ لَا يَطْلِمُ مِفْقَالَ ذُرَّةٍ رَإِن تُكُ حَسَنَةً يُطَلِعُهَا وَيُؤْتِو مِن لَلُنَهُ أَجُرًا عَظِيمًا . (النساء . ٠٠) .

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَلِدَيْهِ حُسَّنًا وَإِن جَهَدَاكَ لِتَشْرِكَ فِي مَالِيْسَ لَكَ بِهِ عِنْمُ فَلَا تُطَعِّمُ الْكَثْمُ وَمَمَلُونَ ﴿ وَلَيْنِ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِنْمُ فَلَا تَعْمَلُونَ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ مَا مَنَكَا إِلَيْهِ فَإِنَّا أُوذِي فِي اللَّهِ جَعَلَ فِيشَنَّهُ التَّيْلِ اللَّهِ فَإِنَّا أَوْدِي فِي اللَّهِ جَعَلَ فِيشَنَهُ النَّيْلِ مَن يَقُولُ مَا مَنكَا إِلَيْهِ فَإِنَّا أُوذِي فِي اللَّهِ جَعَلَ فِيشَنَهُ النَّيْلِ مَن اللَّهِ وَلَيْهِ جَعَلَ فِي مَن اللَّهِ عَلَى اللَّهُ وَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ وَلَيْهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ وَلَيْمَ اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

المفردات :

وصييتاء أمرنا.

مستنساء يرهما وعدم عقوقهما.

جافداك؛ بذلا الجهد في حملك على الشرك.

مرج مكم ؛ عودتكم بعد الموت .

أنبئكم : أخد كم .

المسالحيين ؛ المؤمنين ، أن ندخلهم الحنة ،

أوُذي في الله ؛ عُذب من الكافرينُ يسبب إسلامه .

هتئة الناس : أذاهم له .

كعناب الله : أي : في الخرف منه ، فيطيعهم فينافق .

إذا كنامعكم ؛ كنا مشايعين ومناصرين لكم في الدِّين .

التبعوا سبيلتا : أي : ديننا وما شمن عليه .

صطاياكم ، أوزاركم وسيئاتكم .

أشقسالهم وخطاياهم وذنويهم الفادحة .

يصترون ، يختلقون في الدنيا من الأكاذيب والأباطيل.

التفسيره

٨ - وَوَصْنَيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَالِنَهُو خُسْنًا وَإِن جَلْهَمَاكُ لِنَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُعِظْهُمَآ إِلَى مُرْجِعْكُمْ
 ٨ - وَوَصْنَيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَالِنَهُو خُسْنًا وَإِن جَلْهَمَاكُ لِنَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُعْفِهُمَآ إِلَى مُرْجِعْكُمْ
 ٨ اللّهُ تُعْمَلُونَ .

أي: أمرنا الإنسان بالإحسان إلى والديه ، والبّر بهما ، وعدم العقوق لهما ، والتلطف في القول معهما ، والتواضع لهما ، وإذا هفا هفوة ، أن أعشأ في حقهما ، فينبغي أن يعتقر لهما ويطلب الصفح منهما .

وطاعة الوالدين مشروطة بأن تكون مقترنة بطاعة الله ، إنما السمع والطاعة في المعروف ، فإذا بنل الأب أن الأم جهده في حمل الابن على الشرك والكفر بالله : فلا طاعة لهما ، ومع ذلك يجب عليه أن يبرّ بهما ، ويتاطف في معاملتهما ، مع المحافظة على دينه وإيمانه ، واليقين بأن للجزاء الأوفى سيكون في الآخرة ، فتهون الدنيا بما فيها من صعاب ، وهناك جزاء عادل من الله تعالى في الآخرة .

ا من هدى السنة

روى الترمذى أن الآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص ، وأمّ حمنة بنت أبى سفيان ، لما أسلم وكان من السابقين الأولين وكان بارًا بأمه ، قالت له : ما هذا الدين الذى أحدثت ؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه ، أن أموت فتعيرٌ بذلك أبد الدهر ، يقال : يا قاتل أمّ ، ثم إنها مكثت يومًا وليلة ، لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل ، فأصبحت وقد جهدت ، ثم مكثت يومًا آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب ، فجاء سعد إليها وقال : يا أشّاء ، لو كانت لك مأنّة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ، ما تركت ديني ، فكلي إن شئت ، وإن شئت فلا تأكلي ، فلما أيست منه أكلت وشريت، فأنزل الله هذه الآية ، أمرًا بالبر بالوالدين ، والإحسان إليهما، وعدم طاعقهما في للشرك به ٤٠٠٠ .

وجاء فى الإصابة ٢٠/٦٤ رقم ٣٦٨٧ فى ترجمة سعد بن أبى وقاص أن اسم أمه : حمنة بنت سفيان ابن أمية ، بنت عم أبى سفيان بن حرب .

وقيل: نزات الآية في عيَّاش بن أبي ربيعة ، وقد قطت أنّه مثل مثا القط ، ويجوز أن الحادثة تكررت، عند سعد بن أبي وقاص مع أمه ، وعند عيَّاش بن أبي ربيعة مع أمّه ، فنزات الآية في شأن كل مقهما ، . والطماء يقولون : إن العبرة يعمره اللفظ لا يخصوص السبب ، فهي لجميع الأمة .

٩ - وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَلْتِ لَّنَدْ خِلْتُهُمْ فِي ٱلصَّالِحِينَ .

الذين آمنوا بالله تعالى ربا وقاموا بالأعمال المسالحة ، من مسلاة وصعيام وزكاة ومع ، وتلاوة القرآن وفعل المسالحات وترك المتكرات ، هؤلاء ينزلون منازل المسالحين ، الذين يدخلهم الله فسيح الجنة ، ويسكنهم الدرجات العالية ، وقد بارك القرآن المسلاح ، وجعل العبد المسالح قدر الله في الأرض ، فالخضر نموذج المعيد المسالح الذي آتاه الله رحمة من عنده ، وعلمه علمًا من لدته ، وأفاض عليه من بركته ، وعونه وتوفيقه .

وسليمان عليه السلام يقول: رَبِّ أَوْرِغْنِيَّ أَنَّ أَشْكُرُ يَعْمَتَكَ ٱلْتِيَّ ٱنْعُمْتَ عَلَىٌّ وَعَلَىٰ وَالِمَثَّ وَأَنْ أَعْمَلُ صَلِيحًا وَرَضَلَهُ وَأَدْعِلْتِي مِرَحْمَيْكِ فِي عِبَالِكُ ٱلصَّلِيعِينَ . (العل: ١٩) .

وقال تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام: وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ . (الندل: ١٢٢).

والملائكة تستغفر للمؤمنين وتدعو للصالحين ، كما ورد في الآية الثامنة من سورة عافر (١٠٠).

والصلاح هو منتهى درجات المؤمنين ، وغاية ما امتدح الله به الأنبياء والمرسلين .

١٠ - وَمِنَ آثناس مَن يَقُولُ عَامَنا بِاللّهِ وَإِنّا أُونِيَ فِي اللّهِ جَمَلَ فِئَةَ آثناس كَمَلَابِ اللّهِ وَقُين جَاءَ نَصْرٌ مِن رَبّلكَ يَتُولُنَ إِنّا كُمّا مَكُمُ أَوْلَئِسَ اللّهِ وَقُين جَاءً نَصْرٌ مِن رَبّلكَ لَيْنَ أَناسٍ

ترسم الآية نموذجًا لفئة من الناس تعلن الإيمان ، وتظن أن الإيمان كلمة تقال باللسان ، لايتبعها تضحية أو صبر أو ندام ، فإذا لقى في سبيل الإيمان عذابًا أو نكاية أن سجنًا لرتد عن دينه ، زاعما أن عذاب الناس في الدنيا مثل عذاب الله في الآخرة ، وشتان ما بينهما ، فعذاب الناس امتحان من نجع فيه كان جزاؤه الجنة ، وعذاب الله في الآخرة عقوبة أبدية خالدة ، والمشقة إذا كانت مستتبعة للراحة العظيمة ، تطبي النفس لها ولا تعدما عذاباً .

قَالَ الرِّجَاجِ: ينبغي المؤمن أن يصبر على الأذي في الله.

أخرج أحمد ، والترمذى ، وابن ماجة ، عن أنس قال : قال ﷺ : «لقد أوذيت فى الله وما يوذى أحد ، ولقد أُجِفْت فى الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت على ثالثة ، ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد ، إلا ما وارى إبط بلال « ٢٠٠ .

أسيساب السنزول

قيل: نزلت في المنافقين.

وقال مجاهد : نزلت في أناس كانوا يؤمنون بالسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله ومصيبة في أنفسهم افتتنوا. .

وقال الضحاك : نزلت في أناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون ، فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك.

وقيل : نزلت في عياش بن أبي ربيعة أسلم وهاجر ، ثم أوذي وضرب فارتد ، وقدم إلى العدينة أبو جهل والحارث ، وكانا أخوين لأمّ ، فأغذاه وعنباه فارتد ، ثم عاش بعد ذلك بدهرٍ وحسن إسلامه .

والآية دعوة إلى الثيات على الإيمان وتحمل الأذى في سبيل الله ، وفيها ذم للنفاق ، وذم للارتداد عن الإسلام .

وَلَين جَاءَ لَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُتُا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَلْمِينَ .

تعبر الآية عن انتهازية المنافقين ونفعيتهم، فهم يفرّين من البأساء ويتواجدون عند الغنيمة والنصر، هم عند التعرض للعذاب والآلام يفرّين ولايثبتون ، فإذا جاء نصر من الله للمؤمنين أعلنوا عن أنفسهم، وقالوا: إنا كنا معكم في الحرب ، نشد أزركم ونناصركم ، ونستحق أن ننال من الغنائم ، والله تعالى مطلع وشاهد على ما تكنه ضمائرهم من الإيمان والنفاق ، فهو سيحانه لا تفقى عليه خافية ، وهم عالم السروما هو أهفى من السر.

١١ - وَلَيُعْلَمَنُّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُتَنفِقِينَ .

إن الله تعالى مطلع وشاهد وعالم بالذين آمنوا وصدَّقوا، وبالذين نافقوا وتلوُّنوا، وسيجازي المؤمنين بحسن الجزاء، وسيعاقب المنافقين. وقال سبحانه وتعالى : وَلَتَبْلُونَكُمْ حُتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَلِهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّلْرِينَ وَنَلُواْ أَخْبَارَكُمْ . (محد: ٣١).

١٧ – وَقَالَ ٱللَّذِينَ كَفَرُواْ لِللَّذِينَ ءَاشُواْ ٱلْبِعُواْ مَسِيلُنَا وَلْتَحْوِلْ عَطَلْيَاكُمْ وَمَا لهم بِحَدْمِلِينَ مِنْ عَطَلْيَالْهُم مِنْ
 الله وَاللَّهُ وَكَالِمُ وَنَ

قال الكفار في مكة لمن آمن من أهلهم وقرابتهم: اتبعوا ديننا والبتوا عليه، وانصرفوا عن كلام محمد ودعوته، فإنه لا بعث ولا حشر ولا حساب، وإذا فرض أن هناك بعثًا وحسابًا، فننويكم في رقبتنا نتحملها عنكم، ظنا من الكافرين أن العائلة تحمى أفرادها، كما يخطئ قاتل فتتحمل العائلة الدية معه، فكذلك في الأخرة يتحملون خطايا أقاربهم، إذا تركيا الإسلام وانضموا إلى الكافرين.

وَمَا هُم بِحَلْمِلِينَ مِنْ خَطَلْهَالُهُم مِّن شَيْءٍ ...

فذلك يوم يتحمّل فيه كل فرد مسئولية عمله وحده ، قال تعالى : كُلُّ ٱمْرِي بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ . (الطور: ٢١).

وقال عز شأنه : وَلا تُؤِرُ وَازِرُةٌ وِزْرَ أُحْرَىٰ ... (الأنعام : ١٦٤). أي : لا تحمل نفس مذنبة وزر نفس أحرى .

وقال تعالى : وَإِنْ تَدْعُ مُتَخَلَةً إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُسخَمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا أُورْتِيَ ... (فاطر: ١٨).

إِنَّهُمْ لَكَنْلِبُونَ .

تأكيد ئما سبق وتكذيب لهوّلاء الكافرين الذين يغررون بالناس، ويدّعون حمل أثقالهم عنهم.

١٣ - وَلَيَحْمِلُنُ أَثَقَالُهُمْ وَأَلْقَالاً مِّعَ أَثَقَالِهِمْ وَلَيَسْتَلُنْ يَوْمَ ٱلْقِيَلَمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ .

سيحمل دعاة الكفر ذنويهم التي تثقل ظهورهم، وسيحملون نصبيبا أخر من الأفقال، مماثلا لأوزار من أضلُوهم عن الهدى، وزينوا لهم الكفر، وسيساءلون عن سلوكهم وكذبهم وزعامتهم للشرك وإضلال من خلفهم.

كما قال تعالى : لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَاعَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْم ... (الدحل: ٢٥).

وكما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجة في السنن ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : «من رعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يرم القيامة ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة ، من غير أن ينقص من آثامهم شيئاء (٢٠٠)

وفى الصحيح أيضًا أن رسول الله 義 قال : وما قُتلت نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أوّل من سنّ القتلى، ٩٠٠.

وآخرج مسلم وغيره ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : «من سنّ سنة سيئة فطيه وزرها ووزر من عمل بها ، من غير أن ينقص من وزره شيء« ٢٠٠].

* * *

قصة نوح عليه السلام

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ فَوَمِهِ فَلَيِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّاخَسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَاتُ وَهُمْ ظَلِمُونَ ۞ فَأَنِيَنَهُ وَأَصْحَبَ ٱلشَّفِينَةِ وَجَعَلَنَهُمَا مَاكِةً لِلْعَلَمِينَ ۞﴾

تمهيد،

ذكر الله تمالى فى صدر سورة العنكبوت الاغتبار والابتلاء لعباده ، ثم ذكر قصص عدد من الأنبياء ، منهم نوح وإبراهيم ولوط ، وهود وشعيب وصالح ، وذلك لبيان عاقبة المكذبين ، ولتسلية النبي ﷺ عما يلاقبه من كفار قومه .

التفسير،

٤ ٩ - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا تُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَصْبِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلشُّوفَانُ وَهُمْ طَلْلِهُونَ .

أى: والله القد أرسلنا نوحا إلى قومه ، يدعوهم إلى ترحيد الله تعالى ، وبند عبادة الأمىنام ، ونوح عليه السلام أطول الأنبياء عمرًا ، وتعددت الآراء فى عمر نوح عليه السلام ، وأورد القرطبي فى تفسيره أراء كثيرة فى عمر نوح ، ومن أشهر الآراء : أن نوحًا عليه السلام بُنث بالرسالة وعمره أربعون سنة ، ثم مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة ، فيكون عمره كلّه ألف سنة وخمسين سنة.

و*يرى صاحب* الطلال : أن طول العمر سبيه قلة عدد البشر ، فعوضتهم الله يطول أعمارهم ليستمر استعمارهم الأرض وإعمارها . ا هـ .

ولما طالت مدة نوح مع قومه ، واستمر تكذيبهم لرسالته ، دعا على قومه .

فَأَخَلَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَلْلِمُونَ .

أرسل الله المطر من السماء ، وفجر سبحانه عيون الأرض ، فالتقى ماه السماء وماء الأرض ، يتقدير الله تمالى ، وأمر الله فوحا أن يصنع سفينة ، فكانت وسيلة النجاة له ولقومه .

قال تعالى : حُثَى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَلَوْرَ أَلْتُسُورُ قُلْنَا آخَمِلَ فِيهَا مِن كُلِّ زُوْجَيْنِ أَفْشِ وَأَلْمَلْكَ إِلَّا مَن سَهَىَ عَلَيْهِ ٱلْفَوْلُ وَمَنْ مَامَنَ وَمَا عَامَنَ مَعْهُم وِلَّهِ قَلِيلٌ وَقَالَ آرَكُورًا فِيهَا بِسُمِ ٱللَّهِ مَحْرِسُهَا وَمُرْسَلْهَا إِنْ رَبِّى تَعْفُورُ وَحِيمٌ ﴿ (هـره : ٤٠ ، ٤٥).

وقد ذكرت قصة نوح في القرآن الكريم في ثلاثة وأربعين موضعا ، وجاءت قصته مع قومه بصورة فيها شيء من التفصيل في سور الأعراف وهود والمؤمنون ونوح ، وينتهي نسب نوح إلى شيث بن آدم عليه السلام.

٥ ١ - فَأَنجَيْنَكُ وَأَصْحَابَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا ءَايَةً لَّلْمُلْمِينَ .

نجى الله نوحا والمؤمنين معه ، وكانوا قرابة الثمانين نسمة ، بعضهم من الذكور ، ويعضهم من الإناث ، وسارت السفينة في البحر بإذن الله ، وأغرق الله الكافرين ونجّى المؤمنين ، ثم رست السفينة على جبل الجوديّ ، وتركها الله عليه مدة طويلة ، لتكون عظة وعبرة للناس ، حتى لا يعصوا رسل الله ، ولا يشركوا بالله شيئا .

من كلام المفسرين

ذكر المفسرون أن زوجة نوح وابنه كنمان هلكا مع الكافرين ، ونجي الله نوحًا والمؤمنين ، كما نجي أولاده الثلاثة وهم : سام ، وهن أبن العرب وفارس والروم وهم الجنس السامى . وحام ، وهن أبن القبط والسوبان والبرين ، ويفافت ، وهن أبن الترك والصقالبة ويتأجوج ومتأجوج (٢٠٠٠).

من هدى السُنة

أخرج ابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، والحساكم - وصححه - عن ابن عباس قال : بعث الله تعالى نوحا عليه السلام وهو ابن أربعين سنة ، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، يدعوهم إلى الله تعالى ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة ، حتى كثر الناس وفشوا .

قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه

﴿ وَإِرْهِيمَ إِذَقَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللّقَوَاتَقُوهُ وَالِحَدْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن حُنتُهُ نَعَلَمُوبَ وَالْمَوَاتَقُوهُ وَالْحَدَى وَالْمَالُونَ اللّهِ الْمَرْفِ وَالْمَالُونَ اللّهَ الْمَرْفِ وَاعْبُدُوهُ وَاللّهُ كُورِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الرّفَ وَاعْبُدُوهُ وَاللّهُ كُرُوا لَهُ إِلَيْهِ اللّهِ الرّفَ وَاعْبُدُوهُ وَاللّهُ كُرُوا لَهُ إِلَيْهِ اللّهِ الرّفَ وَاعْبُدُوهُ وَاللّهُ كُرُوا لَهُ إِلَيْهِ اللّهِ الرّفَ وَاعْبُدُوهُ وَاللّهُ كُرُوا لَهُ اللّهُ مَن اللّهُ اللّهُ مِن دُونِ اللّهِ مِن وَلِي اللّهُ مَن اللّهُ اللهُ مَن اللّهُ اللهُ مَن اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى عَلْمُ اللّهُ مِن دُونِ اللّهِ مِن وَلِي اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّه

المفردات ،

السقسوه ؛ اتقوا أن تشركوا به شيئا .

أوالسائساء أصنامًا مصنوعة.

السكساء كذبًا.

فاستفواه فاطلبوا.

السم بسيسن ؛ الواضح البيُّنْ في نفسه ، المبيُّن لغيره ، الموضح له .

أولم يسروا ، المراد من الرؤية هذا العلم ، أي : أو لم يعلموا علما يشبه المشاهدة بالبمس .

يبدئ الخلق؛ يوجده ابتداء على غير مثال سابق.

يعيده ، يحييه بعد موته وتحلل أجزائه ، بل وتلاشيها .

إن ذليب ك، الخلق الأول ، والثاني : هو الإعادة.

على الله يسير ، سهل لا صعوبة فيه .

تسقيله ون ، تردُّون وترجعون ، فيحاسبكم على أعمالكم ، الحسنة منها والسيئة .

بمعجزين، بفائتين ولا هاربين من عذاب الله.

والسبسيسيُّ ، معين وتاصر يمنعكم من العذاب.

يستسسواه انقطع رجاؤهم وقنطوا

رحسمتى، جنتى .

تمهيد

ذكر الله تصلة نؤخ فيما سبق ، وذكر هذا قصة إبراهيم مع قومه كنموذج لتحمل البلاء ...

قال تعالى: فَآصْبِرْ كُمَا صَبَرَ أَوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ . . (الأحقاف: ٣٥) .

التفسير،

٢٠ – وَإِنْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ آغَنْهُ وَأَ ٱللَّهُ وَٱلْقُوهُ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُتُمْمُ تَعْلَمُونَ .

واذكر أيها الرسيل لقومك قصة إبراهيم حين قال لقومه : اعبدوا الله وحده لا شريك له ، وراقبوه وحافوا عقابه ، في القوم وحافوا عقابه ، فأنه هو الآله الواحد الأحد الذي لا شريك له ، ذلك التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له . وينذ عبادة الأصنام والأوثان ، خير لكم في دنياكم والشريكم ، إن كُثم تعلّمون . ذلك فاعبدوا الله وحده ، واثركوا عبادة ما سواه ، أو إن كنتم من أهل العلم بوجه من الوجوه ، تبين لكم أن الخير كله في عبادة الله وحده لا شريك له!"

الله تَشْدُونَ مِن دُربِ اللهِ أَوْلَئَا وَتَخْلُقُونَ إِنْكَا إِنَّ اللَّهِينَ تَشْدُونَ مِن دُوبِ اللَّهِ لَا يَشْلِكُونَ لَكُمْ وِزَقَا
 اللّه الذَّرْقَ وَآخَيْدُوهُ وَآشَكُو أَ لَدُولِيَهِ فَرْحَشُونَ .

كان قوم إبراهيم يصنعون تماثيل بأيديهم ، ثم يعبدونها من درن الله ، فقال لهم إبراهيم : إنكم انصرفتم عن عبادة الله ، وهو الإله الحق ، واتجهتم بعبادتكم إلى الأوثان والأصنام ، وأنتم صنعتموها بأيديكم كذبًا وزورا ، لأن عبادتها وتأليهها كذب وزور وافتراء .

إن هذه الأصنام والأوثان التى تعبدونها لا تنفع ولا تضر، ولا تملك لكم رزقًا ولا نفعًا ولا لنفسها ، فاعبدوا الله وحده ، والتمسوا الرزق بعبادته وشكره ، وإليه مرجعكم ومصيركم يوم القيامة ، فيجازيكم بأعمالكم: فَعَن يُعْمَلُ مِثْقَالَ فَرْقٍ خَيْرًا يُرَهُ، وَمَن يُعْمَلُ مِثْقَالَ فَرَّةٍ شُرًّا يُرَفُر. (الزارت: ٧ . ٨).

١٨ - وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أَمْمٌ مِّن قَلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَكُ ٱلْمُبِينُ .

هذه الآية وما بعدها يحتمل أن تكرن من كلام إبراهيم لقومه ، ويحتمل أن تكون توجيها من الله لنبيه محمد ﷺ ، ليقول هذا القول لأمته ، فهو كلام مقحم بين أول قصة إبراهيم وآخرها، وسواء أكان هذا أم ذلك فإن معناه ما يأتى : وإن تكنبوني وتجحدوا رسالتي فلا ضرر على من ذلك ، إنما الضرر عليكم أنتم ، فقد كنب قوم نوح نوحًا ، وكنب أقوام الرسل من بعده ، فأهلك الله المكذبين ، والرسول ليس ملزمًا بهداية قومه ، فإن الهدى هدى الله ، وليس على الرسول إلا البلاغ الواضح ، وتقديم الدليل والحجة والبرهان في أسلوب مقنع ، يحرك النفوس إلى الإيمان ، ويدعوها إلى النظر والمشاهدة والتأمل ، والتفكير في هذا الكرن الكبير

١٩ - أَوْلُمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُنْدِئَ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيلُهُۥ إِنَّ ذَائِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ.

أولم يشاهدوا دلائل القدرة الإلهية ، حيث خلق الله الكون على غير مثال سابق ، فرفع السماء وبسط الأرض ، وسحر الرباح والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والمحل والنبات ، وأبدع نظام الحياة ، ثم خلق الإنسان والحيوان والطير ، والملائكة والجن وسائر المخلوقات ، وهذه المخلوقات يدركها الموت والفناء، ثم يعدما الله بالبعث والحير والمحساب والجزاء ، وذلك كله هين يسير على الله ، لأن الله على كل شيء قدير، بل ليس عليه هين وأمون ، وإنما ضرب ذلك مثلاً تقريب الأمر إلى نفوسنا ، قال تعالى : وُهُوَ ٱللّذِي يُندُونًا لله ، لأن الله على كل شيء قدير ، المناس عليه هين وأمون ، وإنما ضرب ذلك مثلاً تقريب الأمر إلى نفوسنا ، قال تعالى : وُهُوَ ٱللّذِي يُندُونًا للهُ مَنْ التربير الله على ١٤٠٤) .

وقال عذ وجل : إِنْمَا أَمُولُمْ إِذَا أَرَادَ شَيْنًا أَن يَقُولَ لَقُر كُن فَيَكُونُ ۚ فَسُبِّحَنْنَ ٱللَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ (يس ٨٢،٨٣). ٢٠ - قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُشِئُ ٱلشَّلَةَ آلاَ عَرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

قل يا محمد لقومك ، أو قل يا إبراهيم لقومك : سيروا في الأرض متأملين في السماء وأبراجها ، وشموسها وأقمارها ، والأرض وسهولها وجبائها ، ووديانها ويحورها ، والهواء والفضاء ، وأثار السابقين . وهلاك المكذبين ، وهذا السير يشمل السير بالأبدان ، والتأمل في المخلوقات ، والقرون البائدة ، وتطور الخليقة ، وأصناف النباتات والجبال ، وغير ذلك من المشاهد ، ويشمل السير بالفكر والنظر ، والتأمل في هذا الكون الذي أوجده الله بعد عدم ، وهو دليل على أن له موجدًا نظمه وأبدعه وخلقه على غير مثال سابق، ومن خلق هذا الخلق ، يميتهم ويفنيهم ، ثم يعيدهم للحساب والجزاء .

قال تعالى : كُمَّا بَدَأَنَّا آزُنْ خَلْقِ بِعُمِدُهُ. .. (الأنبياء : ١٠٤) . والبدء والإعادة هين يسير على الله ، فهو على كل شيء قدير .

قال القرطبي :

قُلُ سِوُراً فِي ٱلْأَرْضِ ... أي : قل لهم يا محمد : سيروا في الأرض . فَالَظُرُواْ كَيْفَ بَثَاَ ٱلْخُلُقَ ... على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم ، واختلاف السنتهم والوانهم وطهانعهم ، وانظروا إلى مساكن القرين الماضية ، وديارهم وآثارهم ، كيف أهلكهم ، لتعلموا يذلك كسال قدرة الله . اهـ .

وقريب من هذه الآية قوله تعالى: سُنُرِيهِمْ وَالنِّتَا فِي ٱلْآفَاقِ رَفِيّ أَنْفُهِمْ حَتَّىٰ يَتَيْنَ لَهُمْ أَنْهُ ٱلْحَقُّ أَوْلَمْ يَكُفُو بِرَكُكُ ٱلْمُر عَلَىٰ كُلِّ هَيْءٍ شَهِيةً . (فسلت: ٥٣) .

٢١ - يُعَدُّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَّهِ تُقْلَبُونَ .

لقد خلق الله الإنسان بقدرته ، ومنحه العقل والإرادة والاختيار ، وأرسل الله الرسل وأنزل الكتب لتوجيه الإنسان وإرشاده ، ومساعدته على الإيمان والتأمل والاعتبار ، والله تعالى يعذب من يشاء من الكافرين بعدله، ويرحم من يشاء من المؤمنين بفضله ، وإذا أمهلكم في الدنيا ، فلا تظنوا أنكم أفلتم من المساءلة ، فسترجعون إلهه في الأخرة ، فيحاسبكم ويجازي كل إنسان بما عمل .

وَإِلَّهِ تُقْلَبُونَ . ترجعون وتردُّون .

٢٢ - وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِي وَلَا تَصِيرٍ .

أي: ما أنتم أيها الناس على كلرتكم ، وإختلاف أحوالكم ، بفائتين من حساب الله وجزائه ، بالتواري في الأرض الفسيحة ، أو التخفي في مناكبها ، ولا بالتحصن بالسماء التي هي أمنم من الأرض ، إن استطعتم الوصول إليها ، فالله تعالى لا يعجّزه أحد من أهل سماواته ولا أرضه ، بل هو القاهر فوق عباده ، فما لكم من مهرب منه ولا ملجاً .

وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٌّ وَلَا تَصِيرٍ.

إذا أراد عذايكم وجزاءكم فليس لكم أيها الناس من ولى يلى أموركم ، ويحرسكم من أن يصيبكم بلاء أرضى أو سماوى ، ولا نصير يدفع عذاب الله عنكم .

٣٣ - وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَنَايَلْتِ ٱللَّهِ وَلِقَائِهِ أَوْلَنْتِكَ يَعِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَنْتِكَ لَهُمْ عَذَابٌ ٱلِيمِّ.

والذين جحدوا آيات الله ، ودلائل وحدانيته ، وما أنزله على رسله من الدلائل والبراهين والعظات والعبر، وكفروا بالميماد ولقاء الله : مؤلام لا أمل لهم في رحمة الله بسبب كفرهم ، ولهم عذاب مؤلم شديد موجع .

قال تعالى : إِنَّهُ لَا يَانْشَسُ مِن رُوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَنْفِرُونَ . (يوسف: ٨٧) .

جواب قوم إبراهيم

﴿ فَمَاكَ اَن جَوَابَ قَوْمِهِ الْآ أَن قَالُواْ أَقْتُلُوهُ أَوْحَرْقُوهُ فَأَجَمَنُهُ اللّهُ مِن النّارِّ إِنّ فِي ذَلِكَ لَآيَسَتِ لَقَوْمِ بُوْمِ مُنَ ۞ وَقَالَمِا نَمَا أَخَذَ فُرَيْن دُونِ اللّهِ أَوْنَنَا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الْحَيَوْةِ الدُّيْنَ أَنْمُ يَوْمَ الْفِينَمَةِ يَكُفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضِ وَيُلَعَنُ بَعْضُكُم بِعْضًا وَمَأُوسَكُمُ النّارُ وَمَالِكُم مِن نَنْصِرِين ۞ ﴿ فَعَامَن لَهُ الْوَلَّهُ وَقَالَ إِنِّ مُهَاجِرً إِلَى رَيِّ إِنَّهُ مُهْرَالْعَرْفِرُ الْحَكِيمُ ۞ وَوَهَبْنَا اللّهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَمَلْنَا فِي ذُرْيَتِهِ النَّبُوةَ وَالْكِنَابُ وَمَانَيْتُهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَ وَإِلَيْهُ

تضردات:

أوشمائسي سماه أصناما تعبدونها من دون الله.

مسسودة بينكم، سببا في تواصلكم واجتماعكم على عبادتها.

___أواكــــم، منزلكم الذي تأوون إليه خالدين فيه أبدا.

آمسن لسنه لوط: أي: آمن بإبراهيم وأسلم له فياده.

مهساجسسون الهجرة: مفارقة بلد إلى آخر، فإن كانت قرية إلى الله فهي الهجرة الشرعية.

وهب اعطيناء

إسحم وابن إسعاق، ابنه "ـ كبر، ويعقوب حفيده وابن إسعاق.

أجــرافلنفيــــــا؛ الرزق الوامع الهنيء، والمنزل الرحب، والمورد العنب، والزوجة الصالحة، والثناء الجميل، والذكر الحصر،

التفسيره

٢٤ - فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمه إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرَقُوهُ فَأَلِحَاهُ اللَّهُ مِن النَّارِ إِنَّ فِي ذَلكَ لآيَات لِقُومُ يُؤْمِنُونَ .

قدًّ، إيراهيم إلى قومه عندًا من الأدلة على وجود الله، وحثَّهم على السيـر في الأرض والتـّامل فيها، والاعتبار بمن سيقهم من الأمم، فبماذا أجابوه ؟

ما كان جوابهم مقارعة للعجة بالحجة، ولا مقابلة للبرهان بالبرهان، بل قالوا: اقتلوه باداة فتل، أو حرّقوه بالنار حتى تستريحوا منه، وقملاً استقراً رابهم على تحريقه بالنار، هجمعوا حطيًا كثيرًا جدًا، ولم يستطيعوا الاقتراب من النار، فاهتدوا إلى المتجني ابقدقوه في النار من بعيد، لكن الله تمالي جمل النار بردًا وسلاما عليه، ومعجزة فلم قلم تحرق سوى الحيل الذي أوقق به، وجمل الله ذلك آية على قدرته، ودليلا على صدق إبراهيم، ومعجزة له، حتى يؤمن برسالته من شارف الإيمان قلبه، وقد ذكرت هذه الماني في سور عديدة من القرآن الكريم.

قال تسالى: قَالُوا حَرِقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعْلِينَ ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِمِ ﴿

وقال سبحانه وتمالى: قَالُوا ابْنُوا لَهُ بْنَيَانًا فَالْقُرُهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَمَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ .

(المناقات: ۹۸، ۹۸)

٧٥ – وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذَتُم مَن دُونِ اللهِ أَوْقَانًا مُودَةً بَيْنكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُنْيَا ثُمْ يَوْمُ الْقِيامَة يَكَثُمُرُ بَعْضُكُم بِمَعْمِي
 ويَقَمُ بُعْضُكُم بَعْضًا وَمُأواكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِن قُاصِرِينَ .

قال إبراهيم لقومه: إنكم عيدتم الأصنام والأوثان، لا عن عقيدة وافتتاع بديادتها، لكن مجاملة من بعضكم لبعض، وتمصيا ومودة وتألفا لتصرة الأصنام، وهذه المودة الزائقة تنقلب يوم القيامة إلى عدارة، حيث يكفر بعضكم ببعض، ويتبرأ بمضكم من بعض، ويلمن بمضكم بعضاء وماواكم ومسكتكم جميما النار، هي مالكم ومسيركم، وليس لكم من دون الله من ناصرين يخلصونكم من عدائها.

وقريب من هذه الآية قوله تعالى:

إِذْ تَرْأً الَّذِينَ اتَّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَزَّأُوا الْعَلْمَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ . (البعرة: ١٦٦)

ويقول سيحانه وتعالى:

الأخلاُّءُ يَوْمَتُكَ بَعْضُهُمْ لَبُعْضِ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ. (الزخرف: ١٧)

٢٦ - قَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُو الْمَزِيزُ الْحَكِيمُ .

لقد خرج إبراهيم من النار سليما معاشى، وكانت هذه معجزة بلهرة تستدعى إيمان الكثيرين بإبراهيم عليه السلام، بيد أنه لم يؤمن بإبراهيم الله وكان إبراهيم هي عليه السلام، ابن أخى إبراهيم، وسارة زوجته، وكان إبراهيم هي سن الخامسة والسبعين، هغزم على الهجرة بعد أن وجد القوم هي العراق محجمين عن الإيمان، مصممين على الكثر، وانتقل إبراهيم من قرية كُرلى دبضم الكلف، وهي قرية من سواد الكوفة بأرض العراق، إلى حراًن ثم إلى الشاء، وهي قرية من سواد الكوفة بأرض العراق، إلى حراًن ثم إلى الشاء، وهي سارة.

ثم أرسل لؤما. في حياة إبراهيم عليه السلام، إلى أهل سدوم وإقليمها، قرب البحر الميت، أو بحيرة لوط كما سميت بعد ذلك.

وجمهور المسرين على إن إبراهيم هو الذى قال: إنّي مُهَاجِرٌ إلّى رُبِي إِنَّهُ هُوَ الْمَزِيرُ الْحَكِمُ . اى: آمن لوط بإبراهيم، وبأنه رسول من عند الله تمالى كما آمنت به زوجته سارة، ولما رأى إبراهيم قلة المؤمنين به أعلن هجرته من العراق إلى الشام، وقال: إنّى مهاجر لتنفيذ أمر ربى، ولنشر دعوته فى أماكن أخرى تجد آذانًا صاغية ومؤمنين بها، إنه هو، الْعَزِيزُ . القالب الذي نَجَانى من النار، الْحَكِيمُ. الذي اخْتَار لى الهجرة، وهو الحكيم فى كل أهماله.

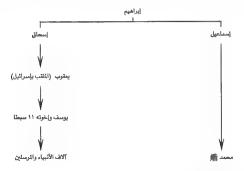
وقال صاحب الظلال:

معنى الآية: فآمن لوط بإبراهيم ورسالته، وقال لوط: إنى مهاجر إلى ربى ابتفاء مرضاته فهى هجرة في سبيله، وهو سبحانه الْعَرِيزُ الْحَكِيمُ . اى: الفائب القادر الحكيم في اوامره (^(۱)).

٧٧ - وَوَهُبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْتُمُو بُ وَجَعَلْنَا فِي ذُرْبِّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكَتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخرة لَمِنَ الصَّالحين.

رزق الله إبراهيم بعد هجريته إلى الشام من زوجته سارة - وهي عجوز عقيم - بولده إسحاق، وكانت هيه عظيمة، حيث رزق به بعد أن أيس من الولد، وقالت زوجته حين بشراعا الملاككة بذلك: أَاللَّهُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهُذَا بِعَلِي شَيْخًا إِنْ هَذَا لَغَيْءٌ عَجِيبٌ هِ قَالُوا أَتْعَجِينَ مِنْ أَمُو اللَّهِ رَحْتُ اللَّهِ وَرَاكُمُ عَلَيْكُمْ أَهُوا اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَهُوا اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَهُوا اللَّهِ وَلَهُ مَعِيدٌ يُجِيدٌ . وبعد أن رزق الله إبراهيم ابنه إسحاق، رزق الله إسحاق ولده يعقوب الملقب بإسرائيل، وقد نشأ هي حجر إبراهيم فنسب إليه، وهو حفيده، ومن نسل إبراهيم كان جميع الأنبياء، فقد رزق بإسماعيل من زوجة شابة، هي هاجر، ولم يكن من نسل إسماعيل نبئ سوى محمد ﷺ.

أما إسحاق فقد أنجب يعقوب ورزق يعقوب بالأسباط، أي: الأحفاد، أحفاد إبراهيم، وكانوا أشي عشر سبطا، من بينهم يوسف "ذي رأي في منامه أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا يسجدون له، وتأويل ذلك أن إباء وأمّه وإخرته، سيسجدون له سجود تعظيم وتحية لا سجود عبلدة، ومن نسل الأسباط كان آلاف الأنبياء من يني إسرائيل مثل: داود صاحب الزيور، وموسى صاحب التوراة، وعيسى صاحب الإنجيل، وهذا رسم توضيعي :



وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكَتَابَ...

جملنا في ذرية إبراهيم النبوة والرسالة، والكتاب، أي: جنس الكتب السماوية، فمن نسل إسماعيل رسول راحد هو محمد ﷺ ومن نسل إسحاق يمقوب، ومن نسله الأسباط (الأحضاد) وهم أحضاد إبراهيم، ومن نسلهم لاف الأنبياء والنرسلين.

وُرزق إبراهيم أجره هي الدنيا، بالثناء الحسن والذكر الجميل، قال تمالي: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَيْ. (النجم: ٢٧).

حيث وفق الله إيراهيم إلى الوهاء هي جميع ما كلّف به، من محارية الشرك وإعلاء التوحيد، والملاعة له حده، والاستجابة لما أمر به من ذبح ولده، والصلاة على إيراهيم إلى آخر الدهر. وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ .

أى: جمع الله له استحقاق الأجر والفوز، وكثرة العطاء في الدنيا، والفوز في الآخرة بالدرجات العلى والحسني وزيادة، لأنه من الصالحين الأتقياء، ودرجة الصلاح درجة سامية هي وسام للأنبياء الصالحين.

كما يحشر إبراهيم يوم القيامة في زمرة الكاملين في المملاح، الذين لهم الدرجات العلي، وقصاري أمره، أنه سبحانه جمع له بين سمادة الدارين، وآثاه الحمدي في الحياتين.

* * *

قصة لوط عليه السلام

المضردات:

السب يسلل: الطريق وكلتاهما تذكر وتؤنث، وكانوا يتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ الأموال.

تات ون تقترهون.

المستك بيا الأمر القبيح الذي ينكره الدين والخلق، كاللواط وأنواع الفحش.

المفسسدي من العاصين بإتيان الرجال، أو بابتداع الفاحشة، فاستجاب الله دعاءه.

تمهيد:

بعد قصة إبراهيم عليه السلام، تأتى قصة لوطه، إذ كان لوط معاصرًا له، وهو ابن أخيه على الراجع، أو ابن أخته، وقد افتنَّ قرم لوطه في قعلة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، ولأن الملاككة الذين أنزلوا بقرية سدوم العذاب، جاءوا ضيوفا الإبراهيم عليه العملام، فقد أخبروه أنهم في طريقهم إلى قرية سدوم لإهلاك أهلها. المسدين.

لتفسب

٢٨ - وَلُوطًا إِذْ قَالَ لَقَوْمِه إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَخَدُ مُنَ الْعَالَمِينَ .

أى: واذكر لوطا حين قال لقومه أهل سدوم، وكان لوط قد أقام بهذه القزية، بعد أن هلجز إلى ريّه مع إبراهيم، على صفاف البحر اليت أو بحيرة لوطا كما سميت فيما بعد، وصار لوطا من أهل سدوم بالصهر والميشة (٢٠٠) ، قال لهم:

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةُ ...

أي: ترتكبون المنكر، وتفعلون أمرًا فاحشا ابتدعتموه، ولم يسيقكم إليه أحد من البشر. "`

مَا سَبُقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدِ مِنَ الْعَالَمِينَ .

ههو أمر مخالف للفطرة، مناف للطبيعة البشرية، حيث خلق الله الذكر والأنثر، وجنل في كل منهمًا أيّلاً للأخز لقضاء وطره وإمتاع نفسه، وإمتاع الطرف الآخز، والاستفتاع بلذة مشتركة بين أثريجال والنساء، يتم على آثارها الحمل والولادة والراء الحياة.

أما جماع الرجل للرجل، فهو شذود وانتكاس للفطرة، وخروج على سنة الحياة، حيث يستغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ويترتب على ذلك أمراض وعلل، وانقطاع للنبل، وإفات جنسية وصحية.

٢٩- أَيْكُمْ قَنَالُونَ الرِّجَالَ وَتَفَهَّمُونَ السَّبِيلَ وَتَأَثُونَ فِي نِادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابِ فَوْمَ إِلاَّ أَنْ قَالُوا الثَّنَا بَعْدَابِ اللَّهِ إِنْ كُتِبَ مَنَ الصَّادِقِينَ . . .

أى: إنكم تجامعون الرجال جماع شهوة، فيدلا من أن يجامع الرجل زوجته في فُبلهنا، كما هوّ شأن التمه بين الذكر والأنثى، فإنه يجامع رجلا مثله في ديره، فهي شاحشة وشنوذ، وانتكاس بالفطرة، وخروج على ما -سمه الله، وفسلد في التركيب النفسي والتركيب المصوى سواء بسواء.

وَتَقْطَعُونَ السِّبيلَ...

تقفون هي الطرقات تقتلون المارة، وتأخذون أموالهم، أو تقعلون بهم الفاجشة كرها، وهي خطوة أبعد هي الفاحشة من الأولى. الفاحشة من الأولى.

وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرِ . . .

يقطون اللواط في مكان اجتماعهم العام، لا يخجل بمضهم من بعض، حيث يقطون الأقعال المشيئة، ومنها حلّ الأزّار، والسياب والقحش في المزاح، والسلوك اللين السيقتر بكل القيم. ونلحظ أن لوطا عرض عليهم أهمالهم، مترقيا ممهم من سيئ إلى أسواً، ووضع فسادهم أمام إعينهم. فقالوا للوما:

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمه إِلاَّ أَن قَالُوا النَّمَا بِهَذَابِ اللَّه إِن كُنتَ مِنَ الصَّادقينُ .

كان الأولى بهم أن يهتدوا ويخجلوا، ويكتُّوا عن اللواها والمدوان على الآخرين، وممارسة الشنوذ أمام أعين الآخرين.

لكتهم لم يرعبوا، ورفضوا النصح، فهندهم لوط بعذاب الله وانتقامه، فقالوا مستهزئين به، مستهينين بأمر العذاب، مكتبين له في هذا الوعيد:

اثْتنا بعَلَابِ الله إن كُنتَ من الصَّادقين . أي: في وعيدك.

قال صاحب الظلال:

والقصة هنا مختصرة، وظاهر أن لوطًا أمرهم ونهاهم بالحسنى، وأنهم أصرُّوا على ما هم فيه، فخوفهم عذاب الله، أ هـ.

وقد استهانوا بالمذاب، وكذبوا رسولهم، وتحدُّوه أن يأتيهم بهذا المذاب إن كان صادقًا.

٣٠ - قَالَ رَبِّ انصُرنِي عَلَى الْقُومِ الْمُفْسِدِينَ .

حار لوط مع قومه، فقد تصحهم وبين لهم قبح فمالهم، وتكرر تصحه لهم، وفي آيات مرشدة قال لهم:

أَتَأْتُونَ اللَّهُ كُوزَانَ مِن الْعَالَمِينَ ﴿ وَتَقَدُّرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلُ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ . (الشمداه: ١٦٥، ١٦٥) وقال عد شانه:

وأنوطًا إذ قال تقومه أتأثون الفاحشة ما سنقكم بها من أحمد من الفاقمين ، إلكم قائلون الرّجال شهرة من درية البّساء بل أنتم قوم مُسْرِفُونَ » ومَا كان جوابَ قومه إلا أن فالوا الخرِجُوهُم مَن قريَتِكُم إنّهم أناسٌ يتفهُوون » فاتجيناه وأهمَّه إلا أمرائه كانت من الفابرين » وأمشرنا عقيهم مُطرًا فانظر كيف كان عَاقِبَة المُمجُرِمين . (الاحراف: ۱۸– ۸۵)

ويذكر الألوسي في تضميره المالي الأتية:

تعددت نصائح لوط لقومه، فقى مرحلة من مراحل إرشاد لوط لقومه وابتداء نصحه لهم، قالوا له:

التنا بِمُلَابِ اللهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . (السنكبوت: ٢٩)

ولما تكرر وعظه لهم، وتوييخه وتحذيره، واستمر لوط يحدّر ويننز، قرروا إخراجه من سدوم، وطرده هو ومن اتبعه من المُؤمنين. ويذلك نجمع بين سا ورد هنا في سورة المنكبوت، بأنهم طلبوا نزول المذاب بهم، وما ورد في سورة الأعراف من قرار إخراج لوط واتباعه من القرية.

قال تعالى: فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ . . (النمل: ٥١).

وقال سبحانه: وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قُرِيِّكُمْ . . (الأعراف: ٨٧).

ونلحظ أن لوطا ضاق بقومه وشمادهم، وعدوانهم وتقاقم شرهم، فمدّ يده إلى ريه داعيًا متضرعا:

قَالَ رَبِّ انصُرُّنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ .

لأنهم فسدوا والصدواء والله لا يحب المستدين.

حضورالملائكة

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّامُهْلِكُواْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرَيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّامُهْلِكُواْ أَهْلِ هَنْدِهِ الْقَرَيةِ إِنَّا أَهْلَوْمِن فِيهَا لُوطاً قَالُوا خَتُ اَقْمَا مُواَنَّهُ وَالْفَا اللَّهُ اللَّ

المفردات

بالبش ــرى، بالبشارة بالولد.

القيابين، الباقين في العذاب،

سيره به من قومه.

فساق بهم ذيعاء مجر عن تدبير شثونهم، يقال: طال ذرعه وذراعه على الشيء، إذا كان قادرًا عليه، وضده: ضاق ذرعه، لأن طويل الذراع بنال ما لا يتاله قصيرها.

رجسسسسناً: عذابا من السماء يزعجهم، يقال: ارتجز فلان وارتجس، أى: اضطرب.

الساة بياسية؛ من آثار القرية الخربة التي تدلُّ على قصتها العجيبة.

الم الم المارة المستماون عقولهم في الإعتبار والاستبصار.

تمهيده

الملائكة رسل الله، وصلت إلى إبراهيم الخايل، تحمل البشرى له بهيلاد إسحاق ومعقوب الذي يولد لإسحاق، ثم قالوا له: إنَّا مهلكو أهل قرية سنوم: لتصادى أهلها في الشر، وأشقق إبراهيم على لوط، فطمأنته الملائكة بنجاة لوط ومن آمن به، وإهلاك القرية بالزلازل البركانية، وإرسال الصواعق والأمطار المهلكة عقوبة عادلة لهم.

التفسين

٣١- وَلَمَّا جَاءَتُ رُسُلُنَا إِيْوَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلَكُوا أَهْل هَذه الْقَرْيَة إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ .

أرسل الله الملاككة إلى إليزاهيم الخليل بالنشارة السارة، وهي أن تحمل امراته سارة هي خيلام يسمى إسعاق، ويشارة أخرى هي أن إسحاق سيبلغ مبلغ الرجال ويتزوج وينجب ولذا يسمّى يعقوب.

هَال تَمَالَى: وَامْرَأَتُهُ قَالِمُنَّةُ فَصَحَكَتْ فَيَشَرَّنَاهَا فِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَقُفُوبَ هِ قَالَتْ يَا وَيَلَى أَأَلُهُ وَأَنَّا عَلَيْ عَجُوزٌ وَهَذَا يُعْلِي شَيِخًا إِنَّ هَلَمَا لَشَيَّةٌ عَجِيبٌ هِ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَهْرِ اللّهِ وَحَمَّتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البّيتِ إِنّهُ جَمِيدًا مُعِيثًا أَنْ هُودِ: ١٧٤ - ١٩٢٨

ثم أيفيرت الملاككة إبراهيم بأن الله تعالى أرسلهم أيضا الإهلالك قوم ليط جزاء فسوقهم وعدواتهم، وتكاح الذكور وترك الإناث.

٣٢- قَالَ إِنْ فِيهَا لَّوْظَا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنْنَجِّينَهُ وَأَهْلَهُ إِلا أَمْرَأَتُهُ كَالَتْ مِنَ الْفَابِرِينَ .

تفيد الآية رقة قلب إبراهيم وإشفاقه أن يصيب المذاب لوطا ومن آمن به، فقال إبراهيم للملائكة؛ إن قرية سدوم فيها لوط ومن آمن به، وهم أهل إيمان وصلاح، ولم يشتركوا في الفساد والظلم، قالت الملائكة؛ نحن أكثر علما بلوط، وأكثر حرصا على نجاته، ونجاة من آمن به.

لُنْنَجِّينَهُ وَآهَلُهُ إِلاَّ امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ .

أقسموا وأكدوا نجاة لوط وأهله المؤمنين، لكن امرأته الكافرة سنترك مع القرية لتنال العذاب معهم، فقد كانت تعاون أهل القرية وتساعدهم، وتتمنى لهم النجاح في ارتكاب الفاحشة مع أضياف لوط. ٣٣- وَلَمَّا أَنْ جَاءَتُ رُسُلُنَا لُوهًا سِيءَ بِهِمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذَرَعًا وَقَالُوا لا تَخَفَّ ولا تَحْزَنُ إِنَّا مُنْجُوكَ وَآهَلَكَ إِلاَّ امرَ أَتَكَ كَانَتُ مِنَ الْفَارِينَ .

وسلت الملائكة إلى قرية لوصا هي صمورة شبان حسان الوجوه، وقد اغتم لوما واعترته المساوة، خوفا على ضيوفه من قومه الذى يرتكبون الفاحشة قسرًا مع الضيوف، وتمنى لوط لو كانت معه قوة أو عصبة من الرجائر، تحميه وتحمى أضيافه، وتأستُ لوما لضيق يده وعدم قدرته على الدفاع عن أضيافه أمام قوم فاسقين، قد أغرموا بإثيان الذكور في أدبارهم، وقد أفادت آيات أخرى جدال لوط مع قومه، وتحريضهم على الزواج بالنساء، فجماع النساء أطهر وأفضل حيث يكون في مكان الحرث، وتتم المتمة مشتركة بين الذكر والأنش، بل عرض عليهم زواج ابنته، فقال:

لقد فصل القرآن ذلك في سور سابقة، وكرر هذه القصة للعظة والاعتبار، ولا شاهدت الملائكة مخايل الضجر على لوما، وعايتوا تالله لمجزه عن حماية أضيافه، ودفع الظلم عنهم طمأنوه:

وَقَالُوا لاَ تَنخَفُ وَلا تُحْزَنُ إِنَّا مُنجُّوكَ وَآهَلُكَ إِلاَّ امْزَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْفَابِرِينَ .

اخيره المُسيوف أنهم ملائكة، هلا خوف عليهم من قومه، وأنهم يحملون العذاب لهذه القرية القللة، التيَّ فسد أهلها وغلبت عليهم الشهوات، فسيخمسفون بهم الأرض، ويمطرون عليهم حجارة من المسماء، وينزلون العذاب بالكافرين، وستتم نجاة لوط واهله المؤمنين، بيد أن أمرائه سنهلك مع الهالكين، لأنها كانت تساعد أهل القرية، وقشى أمدرار لوطاء وتتمنى لو نجع الكافرون في عمل الفاحشة مع أضياف لوطاء وهذا أمر عجيب من هذه المراة، وقد الملكها الله مع الهالكين، ولم يتضمها قريها من لوط رسول الله، لأن عدالة الله قد شملت الإحمان إلى كل معمس، ومعافية كل مسيء.

> قال تعالى: هُلُ جُزَاءُ الإحْسَانُ [لاً الإحْسَانُ . [الرحمن: ١٠] هقا! مسيحان: فَمَن يَعْمُلُ مُظَالُ ذَرَّة خَرَّا أِيزَاءُ وَمَن يَعْمُلُ مُظَالُ ذَرَّة صُرًّا يَوْهُ . (الزرزلة: ٨٠٠)

والخلاصة: أن الملائكة طمأنت لوطا وأخبرته بنجاته مع المؤمنين، وأن زوجته الكافرة سنهلك مع الهالكين.

٣٤ - إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مَنَ السَّمَاء بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ .

زلزل الله بهم الأرض زلزلة شديدة، خمدفت بقرية سدوم الأرض، وابتلعتهم هى باطنها، وصدار مكان قريتهم بحيرة ملحة (البحر الميت).

قال ابن کثیر:

إن جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الأرض، ثم رفعها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم، وجعلهم عبرة إلى يوم النتاد، وهم من آشد الناس عنابا إلى يوم المعاد. أهم.

والخلاصة: قالت الملائكة سننزل على أهل قرية سدوم عدايا عظيما من السماء، تضطرب له نفوسهم بسيب فسقهم.

٣٥- وَلَقَد تُرَكُّنَا مِنْهَا آيَةُ بَيْنَةً لَقُوْمٍ يَعْقَلُونَ .

ترك الله هذه القرية خرايا يبابًا فيها آثار الهلاك والدمار، عظة بينة، وآية واضحة لن استخدم عقله وفكره ويمبيرته.

قال تمالى: وَإِنَّكُمْ لَنَمُرُونَ عَلَيْهِم مُصْبِحِينَ * وَبِاللِّيلِ أَفَلا تَعْقَلُونَ . (الصافات: ١٢٧، ١٢٥).

وهی السیرة النبویة: أن النبی ﷺ لما سار إلی غزوة تبولک مر بقری ثمود؛ هانحنی علی راحلته واستحفها، وهاان: دلا تمرّوا علی قری القوم الذی ظلموا انتصام إلا وائتم مشفقون، خشیة آن یصبیکم ما أصابهم، (۸۸)

ومثل ذلك يقال في قرى قوم لوط التي اثبتت الاكتشافات الحديثة ترجيع وجودها هي مكان يحيرة لوط بهوار البحر الميت، وهي عبرة وعظة، ودليل على عظم هذه الفاحشة، فهي كبيرة بالإجماع، وأشد حرمة من الزيّا (٢٩).

قصص شعيب وهود وصالح وموسى

﴿ وَإِلَىٰ مَلْيَکِ أَغَاهُمْ شَعَيْبًا فَقَالَ يَنَقَوْهِ أَعْبُدُوا اللّهَ وَأُرْجُوا الْبَرْمُ الْآخِتُ الْآخِتُ وَلَا تَعْمُواْ فِي الْآرَضِ مُفْسِدِينَ ۞ فَكَذَّهُمُ فَأَضَدَتُهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَنْمِيكِ ﴾ وَعَادًا وَثَمُونًا وَقَد تَبَيِّكِ لَكُمْ مِن مَسْتَجْعِينِ ﴿ وَهَا لَمُنْ الشّيطِلُ وَكَانُواْ مَسْتَجْعِينِ ﴾ فَصَدَدُهُمْ عَنِ السّيطِلُ وَكَانُواْ مُسْتَجْعِينَ ۞ وَمَنْ السّيطِلُ وَكَانُواْ مُسْتَجْعِينَ ۞ وَمَنْ السّيطِلُ وَكَانُواْ مَسْتَجْعِينَ ۞ وَمَنْ مَنْ السّيطِلُ وَكَانُواْ مَنْ السّيطِلُ وَكَانُواْ مَنْ السّيطِلُ وَكَانُواْ الْمَنْ اللّهُ وَمَنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَنْ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَمَنْ اللّهُ اللّهُ مَنْ عَلَى اللّهُ اللّهُ مَنْ عَنْ اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَنْ اللّهُ اللّه

المفردات،

ارجوا اليوم الأخر: الفعلوا ما ترجون به ثواب اليوم الآخر.

لا تمست الا تقسدوا

پاركىن على الركب ميتين.

وعسادا وشمسوده وأهلكنا

من مــســـاكتهم، كانت قبيلة عاد تسكن الأحقاف، قرب اليمن، وثمود تسكن الحِجِر، قرب وادى القرى، (بين الحجاز والشام)،

اعميالميسم من الكفر والعاصي،

السبي السام سبيل الحق الذي بينه الرسل لهم،

مست بعد رين، عقلاء ذوى بصائر، ولكنها لم تنفعهم.

سابسة بن فائتين عَذابنا غير مُبْرِكين، بل أدركهم أمر الله.

حامسي ساء محابا أو ريحا تحصبهم بالحجارة.

العبيد بالمراج ألطيخ شبايع فنا الهواء، يحدث هزة عنيفة مهاكة.

خسفتا به الأرشي، غيبناه هي جوهفان

التفسيره

٣٦ – وَإِنْنَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُمْيِبًا كُفْقَالَ يَا قُوتُم اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمُ الآخرُ وَلا تَعْتُواْ فِي الأرضِ مُفسدين .

أرسل الله تعالى عبده شعيبًا، رسولًا ناصحا إلى قبيلة مدين، إخوته في النسب، فنصحهم بعبادة الله تمالي وحدرً لا شريك له، وبالغول الصالح الذي يؤهلهم النجاة في اليوم الآخر، مع حشية الله والخوف من حسابه، والبعد عن الفهداد، وتطفيف الكيل والميزان، وقطع الطريق والعدوان على الآخرين، وقد مضت قصتهم مستوطة على بنبور د الأعراف وهود، والشغراء،

ونلاخظ أن الله يتدالى قصٌّ علينا فيما سبق قصص نوح وإبراهيم ولوط، ثم أردف ذلك بقضص شعيب وهود وصالح وموفهي بإيجار، لغائدة المظة والاغتبار بأجوال هؤلاء الأنبياء مع أقوامهم.

كما ثلاحظ أن القرآن فيما سبق تكلم عن قوم الرسول: قوم نوح، وقوم لومك؛ لأنهم لم يكن لهم اسم خاص يهم، أما هنا فتكلم عن القبيلة، أو القوم الذين أرسل إليهم الرسول مثل: مدين، وعاد، وثمود،

لأن هؤلاء كان لهم نسب معروف، اشتهر فيه عند الناس، فجرى الكلام على أصله، وهو الحديث عن القبيلة أو القوم.

وقد اشتهر أمر قارون وفرعون وهامان بالطغيان، فتحَدَّث القرآن عَنْ أعيانهم،

٣٧ - فَكَذَّبُوهُ فَأَخَلَتُهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصَّبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاتُمِينَ .

أى: فقابلوه بالتكذيب والمناد والإصرار على الكفر والمصيان؛ فعاقبهم الله بالهلاك، حيث صاح بهم جبريل صبيحة عظيمة زلزلت نفوسهم، أو زلزلت أركان ديارهم، وقد أرسل الله عليهم عذاب يوم الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها، إنه كان عذاب يوم عظيم أدَّى إلى إماتتهم، فأصبحوا بسبب ذلك باركين على ركبُهم ميتن،

قصص هود وصالح

٣٨ - وَعَادًا وَلَمُودًا وَقَد تُبَيِّنَ لَكُم مِن مَّسَاكِيهِم وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعَمَالُهُمْ فَصَدُّهُمْ عَنِ السُّبِيلِ وَكَانُوا مُستَبْصِرِين .

أى: وأهلكنا عنادا قوم هود عليه السلام، الذين كانوا يسكنون بالاحقباف قرب حضرموت، وقد حدثت حضريات حديثة قرب منطقة صلالة، في سلطنة عمان، وشاهد الناس قرى مغمورة غمرتها الرياح، وكشفت الحفريات عن مبان باثلاة، يرجع أنها لقبيلة عاد، حيث وُجدت مبان ضعّمة لها أعمدة صلبة، ونشرت الصعف والمجلات نباً هذا الكشف، وأشارت إلى قوله تعالى:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ * إِرَمَ ذَاتِ الْعَمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقُ مِثْلُهَا فِي الْبلاد. [الفجر: ٦ - ٨]

وقد تحدث القرآن هى كثير من السور عن قبيلة عاد، وتفوقهم واعتزازهم بقوتهم، وغرورهم واستثبارهم، وظنهم أن أحدًا – أيَّ أحد – لن يقدر علههم.

قال تمالي:

فَأَمَّا عَادَ فَاسْتَكَبَّرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَا قُرَةً أَوَ لَمَ يَرُوا أَنَّ اللَّهِ اللَّهِ خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُولُةً رَكَانُوا بِايَاتِنَا يَجْحَمُنُونَ ﴾ فأرسَلنا عَلَيْهِمْ ويحاً صرْصَرًا فِي أيَّامِ تُحِسَات لِلْدِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّلْيَا وَلَهَانُ الْأَخْرِةَ أَخْرَىٰ وَهُمْ لا يُفصَرُونَ ﴾ (هسلت: 10، 11)

كما تحدثت سورة الحاقة عن قصة ثمود وعاد، فقالت:

كَذَيْتُ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالقارِعَةِ ﴾ قَامًا ثَمُودُ فَأَمْلَكُوا بِالطَّاغِيَّةِ ﴾ وآمًا عَادَ فَأَهْلَكُوا بِربِح صَرْصَرَ عَاتِيَةٍ ﴿ سَخْرَهَا عَلَهُمْ سَمَّعَ لَيَالٍ وَتُمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَمَوى الْقَوْمُ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنْهُم أَعْجَازُ نَخْلِ خَاوِيَةٍ ﴿ فَهِلْ تَرَىٰ ثَهُمْ مِنْ بَاقِمَةٍ * - ٨٠ عَلَهُمْ سَمِّعَ لَيَالٍ وَتُمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَمَوى الْقُومُ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلِ خَاوِيَةٍ ﴿ فَهِلْ تَرَىٰ ثَهُمْ مِنْ بَاقِمَةٍ * - ٨٤

ثمود قوم صالح

اهلك الله ثمود قوم صنالح. وكنانوا يسكنون الحجّر قريبا من وادى القُرى بين الحجاز والشنام، ومداثن صنالج ظاهرة إلى اليوم، وكانت المرب تعرف مساكلهم جيدًا، وتمرّ مليهم كثيراً .

ورأى النبى ﷺ مساكن صالح، حين مرّ بها في غزوة تبوك، فاسرع واستحدّ راحلته، واتحفى على ظهرها، إشفاها ووجلا واعتبارًا بهلاكهم، وقال لأصحابه: «لا تمرُّوا على قرى القوم النين ظلموا أتفسهم إلا وأنتم مشفقون، خشية أن يصبيكم ما أممايهم: (٧٠).

وَقُد لَّبُيِّنَ لَكُم مِّن مُّسَاكِتِهِمْ . . .

اي: انتم يا أهل مكة تمرّون على ديارهم، وتشاهدون كيف أهلكهم الله، شاعتبروا واتعظوا، خشية أن ` يعييكم ما اصابهم. وزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ .

لقد كانوا هي نمية وغنى وقوة جميدية ومعنوية، مع مقل ويصيرة وفهم، لكن الشهطان أغراهم بالفجور والكفر والمدوان، وزين لهم الانصراف عن الطريق القويم، ومبيل الهداية والإيمان، قال تعالى:

وَآمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحْبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَاخَلَتْهُمْ صَاحِقَةُ الْعَذَابِ الْهُودِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ وَتَجْيَنَا اللَّذِينَ آمَوُ الرَّكَانُوا يَقُونُ . (وهسلت: ١٨٠١٧)

٣٩ - وَقَارُونَ وَفَرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُوسَىٰ بِالْبَيَّاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ .

اى: واذكر إيها الرصول الكريم شارون الذى أوتى الملم والمال، شطقى وبقى وأضعد، وشرعون الذى ملك ممسر وأرسل الله إليه موسى وممه الآيات البيئات، فكذب بها واستكبر، وذيّع أبناء بنى إمسرائهل واستحيى شمهم، وتكبَّر في الأرمز، وذرِّق بين الغرق، يستذل شريقا ضعيفا، ويقرّب، منه شريقا آخر، وهامان وزير شرعون ويطائة السوء هؤلاء الثلاثة جامهم موسى بالمجزات الواضحات، ودعاهم إلى الإيمان بالله تمالى، واتباع هدى السماء، فاستكبروا في الأرمز، وخالفوا هداية السماء.

وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ .

لم يفلتوا من عذاب الله بأى حال، فهم في قبضة الملك الجبار القاهر، فقد عاقبهم بالعذاب والهلاك،

٤٠ - لَكُاراً أَخَذَانَا لِمَدْبِهِ فَمِنْهُم مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمَنهُم مَنْ أَخَذَتُهُ الصَيْبِحَةُ وَمِنهُم مَنْ خَسَلْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مِنْ أَخَدَتُهُ الصَيْبِحَةُ وَمِنْهُم مَنْ خَسَلْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مِنْ أَخَدَتُهُ المَنْبَعِينَ فِيظْلُمُونَ .

عقاب السماء

أرسل الله ألوان العذاب على الكذبين، وكانت عقويتهم أربعة أنواع:

 الريح الماصفة تحمل الحصياء (الحجارة المنفيرة) فتلقى عليهم، وتقتلمهم من الأرض، ثم تصرعهم فيصبحون جثثا هامدة كقوم عاد.

٢ - الصيحة الشديدة، التي زلزلت نفوسهم وبيوتهم، وأخمدت أصواتهم مثل ثمود وأهل مدين.

٣ - الخسف بالإنسان وكنوزه وأمواله مثل قارون، الذي اختال وتكبر وطفى؛ فخسف الله به ويداره الأرض.

 - الغرق، كما أغرق الله فرعون في ماء النيل، وجمل الله نهايته عبرة وعظة لهلاك ملك قوى، لكنه ظلم ويغى فاستحق الغرق والهلاك. وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلُمُونَ .

إن الله تمالي عادل لا يظلم مثقال ذرة: وَلا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَداً. (الكهف: ١٩)

هيو سيحانه وتمالى لم يظلمهم حين عاقبهم بالهلاك على أي وجه من الوجوه المسابقة، ولكنهم هم الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمدوان، وترك طرق الهذاية واثباغ سيل الغواية.

هال تمالى: وَنَمُودُ اللَّذِينَ عَابُوا الصَّحْرَ بِالْوَادِ » وَلَوْعُونَ فِي الْأَوْنَادِ ﴿ اللَّذِينَ طَفُواْ فِي الْبِلادِ ﴿ فَأَكَثُووا فِيهَا الْفُسَادَ ﴾ فَصَبُ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سُوطً عَذَابِ ﴿ إِنْ رَبُّكَ لِالْمُوصَادِ . (القجر: ٩ - ١٤)

وهال تمالى: مَنْ عَمِلُ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا رَمَا رَبُّكُ بِظَلُّمُ لِلْمَبِيدِ . (هصلت: ١٦)

تشبيه حال عبدة الأصنام بحال العنكبوت

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اَتَّحَدُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَا ۚ كَمَثُلِ الْعَنَكَبُوتِ اَتَّحَدُنَ ﴿ مَثَلُ الْآفِينَ الْفَاكُونِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمَدُونُ الْحَكِيمُ ﴿ وَهُو الْعَرَوْنُ الْحَكِيمُ اللَّهُ وَلَيْكَ الْمُنْكُونَ الْحَكِيمُ اللَّهُ الْمَكِلِمُونَ اللَّهُ ﴾ الأَمْثُلُ الْمُكِلِمُونَ اللَّهُ ﴾

المفردات،

مستحصيله المثل: الصفة التي تشبه المثل في النرابة.

أولي المتاما يرجون نفعها.

المنكب وته حشرة نتسج نسيجا رقيقا واهيا.

الخسدات بياسماء النفسها تأوى إليه مما نسجته من شبكة واهنة ضعيفة.

مــن دونــــه، غيره.

وهو المزيز الحكيم؛ القالب القوى في ملكه، الحكيم في صنعه.

تلك الأمال الله هذا المثل ونظائره.

ذهبريها التياس، نجملها مثلا تقريبا الأفهامهم.

ومايعقلهباء يفهمها.

إلا العالى ون: التدبرون

التفسين

 ٤١ - مَثَلُ ٱللَّهِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْمُتَكَبُّوتِ اتَّخَذَتُ أَبِيَّةً وَإِنَّ أَوْهَنَ البَّيُوتِ لِبَيْتُ الْهَمْكُيُوتِ لَهُ عَلَمُ اللَّهِ وَإِنَّ أَوْهَنَ البَّيْوِتِ لَبَيْتُ الْهَمْكُيُوتِ لِنَالَهُ الْمُقَامِنَ لَيْ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَى إِنْهِ عَلَيْهِ عَل عَلَيْهِ عَلْ

المتجه إلى الله تمانى فى المبادة يتجه إلى إله قوى قادر، عليم حكيم بيده الخلق والأمر والنفع والضّر، والمتجه بمبادته إلى الصنم أو الوثن أو الجن، أو الملاتكة أو غيرها من المبودات، يتجه إلى أمر واهن ضميف لا ينفع ولا يضر، فكما أن بيت المنتجوت غاية فى الضعف، لا يحمى من حر الصيف أو برد الشتاء، فكذلك عابد الوثرة أو الصنم يتجه إلى قوة متهالكة لا تملك له نفعًا ولا ضرًا.

وذهب بمض المفسرين إلى أن معنى الآية كالآتي: المؤمن الذي يعبد الله كمثل رجل بنى بيننا من آجرً وحجر، أو نعته في صخر، والمشرك الذي يعبد الوثن كمثل عنكبوت اتخذت بينا، وكما أن أضعف البيوت – إذا استقرائاها بينا بينا- هو بيت المنكبوت، كذلك أضعف الأديان – إذا استقرائاها دينا دينا - هو عبادة الأوثان.

وَإِنَّ أُوهُنَ الْبَيُوتِ لَيَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

وإن أضمت البيوت بيت المنكبوت، لأنه يضرب بأدنى شيء ولا يبقى منه الله، وكذلك أمر دينهم وعبادتهم للأصنام، هإنه قد بلم الغاية التي لا غاية بعدها في الضعف والوهن.

لُوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ . علما صحيحاً ان اصدامهم وعبادتهم لا تتفجهم شيئًا ما هعلوا ذلك، إلاَّ أنهم هي الواقع هي غلية الجهل، لا يعلمون شيئًا من مواقب الأمور، فتراهم يطلبون ذلك النقم.

٤٢ - إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

من يتجه إلى الاعتزاز بالشيطان أو الصنم أو الوثن، أو المال أو الجاه أو السلطان، يتجه إلى غير ما طائل، لأن هذه الأمور مظاهر فانية، والله تمالى يعلم حقيقتها وضعفها وعجزها، وهو سبحانه وحده القوى الفالب، الحكيم هى تشريعه وعلمه، وما سواه من الأصنام وغيرها كالمعدوم البحت، وهو سبحانه وتمالى قادر على مجازاة المشركين ومعاقبتهم، لكنه يؤجل ذلك لحكمة يعلمها. 27 - وَتَلْكَ الأَمْثَالُ نَصْرِبُهَا للنَّاسِ وَمَا يَعْقَلُهَا إِلاَّ الْمَالمُونَ .

منذا للثل وأشباهه في القرآن الكريم، يضربه الله تمالي للناس تقريبا للمماني، وتيسيرا عليهم في شهم الأمور، حيث يبرز الماني المعنورة ويوضحها، فتخرج في قالب محسوس مشاهد أمام العيان.

وكان سفهاء قريش وجهلتهم يقولون: إن رب محمد يضرب للثل بالنياب والعنكبوت، ويضمحكون من ذلك. قلهذا قال سبحانه وتمالى: ومَّا يَصَّفُهُمْ إِلَّا الْعَالِمُونَ .

أي: لا يمقل صحتها وحسنها، ولا يفهم فائدتها إلا العلماء الأثبات، المتأملون في القضايا والسائل.

روى جابر أن النبي ﷺ تلا هذه الآية فشال: «المالم من عقل عن الله تمالي، فعمل بطاعته واجتنب سخطه».

من تفسير القرطبي:

قال عطاء الخرساني: نسجت المنكبوت مرتين: على داود حين كان جالوت يطلبه، ومرة على النبي ﷺ. ولذلك نُهي عن قتلها.

ويروى عن على رضى الله عنه أنه قال: طهروا بيوتكم من نسج المنكبوت، فإن تركه فى البيوت يورث الفقر (^(۷))، أ هـ.

ونعن ندعو الناس جميما إلى نظافة بيوتهم، وتطهيرها من العنكبوت وغيره من الهوام، فإن الله تمالى نظيف يعب النظافة، جميل يعب الجمال، طيب يعب الطيين.

وقد بنى الدين على النظافة، ومن آجل ذلك شرع الإسلام الوضوء والاغتممال، وطهارة البدن والثوب والمُكان، وهي الحديث الشريف: دالطهور شطر الإيمان، (٣٧).

وقال تمالى: وَثَيَابُكُ فَعَلَهُرْ . (الدثر: ٤).

وشال عز شنانه: يَا أَنِّهَا الدِّينَ اَسُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاة فَاغْسَلُوا وَجُوهِكُمْ وَآيَادِيكُمْ إِلَى الْمُوَافِقِ وَأَمْسَحُوا بِرُغُوسِكُمْ وَأَرْجِلُكُمْ إِلَى الْكَشِينِ وَإِنْ كُنتُمْ جَنَّا فَاطْهُرُوا ... (المائدة: ١).

تلاوة القرآن وإقامة الصلاة

﴿ خَاقَ اللَّهُ السَّمَنُوتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِ ذَلِكَ لَاَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ اتْلُ مَا أُوحِي إِلَيْكَ مِنَ الْكِنْبِ وَأَقِيمِ الصَّلَوَةً إِنَّ الضَّلُوةَ تَنْعَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنَكِّرُ وَلَذِكُرُ اللَّهِ الْحَبِيِّرُ وَاللَّهُ يَعَلَّمُ مَا تَصْنَعُونَ ۞ ﴾

المفردات،

بالمسمون بالمدل والقسط، أو بحكمته وقدرته المنزهة عن العبث.

لأيسبة؛ علامة ودلالة.

السحمان اقرأ القرآن تقريا إلى الله بقراءته، واستكشافًا لمانيه.

وأقم الصلاة، أدُّما في وقتها بخشوعها وكمال أركانها، وحضور القلب والتقرب إلى الله تعالى.

للهي هذا المثل والشرع، لأن الماصى، والقبيح المدي الدي المثل والشرع، لأن المشلى والشرع، لأن المسلى يناجى ربّه، ويتقرب إليه مخلصا تائبا راغبا راهبا؛ فيخلم الله عليه أنواره وهدايته وتوفيقه.

التفسيره

٤٤ – خَلَقَ اللَّهُ السَّمُوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً تَلْمُؤْمَنِينَ .

خلق الله المماوات والأرض خلقا مقترنا بالحق، لم يخلقهما عبثًا بل خلقهما لحكمة إلهية سلمية، هي أن يخلق الإنسان، وأن يجمله خليفة هي الأرض، وأن يمنحه المقل والإرادة والاختيار، وأن يرسل إليه الرسل، وينزل إليه الكتب، فمن أطاع فله الجنة، ومن عصى وأعرض وطفى ويفي فله النار.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ .

فى خلق المسماء مرهوعـة مزينة بالنجوم، والشمص والقـمر والبروج والأهللاك والأملاك، وخلق الأرض وفيها الجبال والبحار والأنهار، والنبات والفضاء والهواء، لدلائل واضحة للمؤمنين بالله، الذي يتأملون هى خلق الله، ويستدلون بالصنمة على الصائم، قال تمالى:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْيلافِ النَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآياتِ لأَوْلِي الأَلْبَابِ هِ اللّذِينَ يَذْكُوُونَ اللّهَ قِيامًا وَلَقُومًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ مَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكُ فَقِينَا عَذَابَ النَّارِ. (ال عمدان: ۱۹۰، ۱۹۵) وقال تعالى: لِتُعِزْىٰ كُلُّ نَفْسِ بِمَا تَسْفَىٰ . (طه: ١٥)

وقال سبحانه وتعالى: لَيجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَملُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . (النجم: ٢١)

23 - اثلُ مَا أُوحِي إلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَآلَم الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِيكُو اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَكُمُ مَا تَسْتُونَ
 يقلمُ مَا تَسْتُونَ

اهرًا يا محمد القرآن الكريم، هفيه التشريع والهداية، والحلال والحلام، والآداب ومكارم الأخلاق، فأهرًا القرآن، وينَّغ امتك قراءة القرآن، والتهجد به والعمل بأحكامه، فقارئ القرآن يأجره الله عن كل حرف عشر حسنات، وتشهد الملائكة تلاوته.

وَأَقَم الصَّلاةُ . . .

حافظ على إقامة الصلاة كاملة الأركان، مستوطاة الخشوع والخضوع، وحضور القلب، ومراقبة الله يأن المسلى مناج ريّه طليستحضر عظمته.

إِنَّ الصَّالاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ...

إن مداومة المسلاة مع الإخلاص والخشرع، والخشية من الله وتدير القراءة، وتأمل عظمة الخالق ومناجاته، والانشفال بذكره وتعظيمه، وتسييحه وحمده، من شأن ذلك أن يتبعه نور وهداية ومعونة، وتوفيق من الله للميد، فتراء عازهًا عن الفحشاء والذكر، مبتداً عن الكبائر والموبقات.

قال أبو العالية:

إن الصلاة فيها ثلاث خصال: الإخلاص، والخشية، وذكر الله.

فالإخلاص يأمره بالمروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله - القرآن - يأمره وينهاه، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست صلاة.

وَلَذَكُرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ...

أي: تتكرك مظمة الله، وتكر الله باسانك وقلبك في المسلاة أكبر وأعظم، أو إذا تكرت الله تكرك الله، فتكره ألك أكبر وأعظم.

وفي الحديث القنمسي: «من تكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن تكرني في ملاً ذكرته في ملاً خَير منه» (١٣٦).

طالمسلى والمؤمن الذي يذكر الله في حياته وصلاته، ونهاره وليله، ويقطته ونومه، وييمه وشرائه، هذا الذكر أكبر من كل شيء في النشيا . قال تعالى: وَالذَّاكرينَ الله كَثيرًا وَالذَّاكرَات أَعَدُ اللَّهُ لَهُم مَّفْفرَةً وَأَجْرًا عَظيمًا . (الاحزاب: ٢٥)

وقال سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿ رَسَبِحُوهُ أَكُرُةُ وَآصِيلًا ﴿ هُوَ اللَّهِي يُعْمَلِي عَلَيْكُمْ وَمَلاِيكُتُهُ لِيُخْرِجُكُم مِّنَ الظَّلْمَاتِ إِلَى التُورِ وَكَانَ بِالمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿ فَحَيِّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقُونَهُ سَلَامٌ وَآعَهُ لَهُمْ أَجْرًا كُرِهًا. (الخزاس: 11 - 12)

وَاللُّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ .

الله تدائى مطلع وشاهد لأعمالكم وسيجازيكم عليها، وفي الحديث الشريف: ووالذي نفس محمد بيده لتموتن كما شامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبنَ على ما تعملون، ولتجزون بالإحممان إحسانًا، وبالسوم سوما، وإنها لجنة أبداً أو لذار أبداء.

مختارات من تضسير ابن كثير

روى ابن أبي حاتم، عن عمران بن حمين قال: سئل النبي ﷺ عن قول الله: إنَّ السَّلَاةَ تَنَهَى عَنِ الفَحَشَاء والمُنكر ...، فقال: «من لم تنهه صلاله عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعدًا» (^(VL).

وروی الحافظ آبو یکر البزار، قال: قال رجل للنبیّ ﷺ: إن هلانا یصلّی باللیل فإذا أصبح سرق، قال: «إنه سينهاه ما تقول، (۳۰).

وتشتمل الصلاة أيضًا على ذكر الله تعالى، وهو المطلوب الأكبر، ولهذا قال تعالى:

وَلَدَكُرُ اللَّهُ أَكْبُرُ . . . أي: أعظم من الأول.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُصْنَعُونَ .

أى: يعلم جميع أعمالكم وأقوالكم،

ومن ابن عباس هَى شوله تمالى: ولَذِكُرُ اللَّهِ إَكْبُرُ . . . يشول: ولذكر الله لعباده أكبر – إذا ذكروه – من ذكرهم إياء (^^)

وعن عبد الله بن ربيمة قال: قال لى ابن عباس: هل تدرى ما قوله تعالى: وَلَدَكُو اللّهِ أَكَثِّرُ . . . ؟ قلت: نعم، قال: فما هو؟ قلت: التسبيح والتحميد هى الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك، قال: لقد قلت قولا عجيبا، وما هو كذلك، ولكنه إنَّم يقول: ذكر الله إياكم عند ما أمر به أو نهى عنه، إذا ذكرتموه، أكبر من ذكركم إيام.

وقد رُوى هذا من غير وجه، عن ابن عباس، واختاره ابن جرير (γ) .

تم بحمد الله تمانى تفسير الجزء المشرين، والحمد لله؛ له الحمد فى الأولى والأخرة، اللهم لك الحمد ألت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، ألت ضياء السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، ألت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، يا ربّ لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ومظيم سلطائك، والحمد لله الذى يتممّه لتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) الهالكين.

(٢) اللهم لك الحمد :

واللهم لك الحمد ، أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت تير السماوات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك حق ، والجنة حق ، والنار حق، والنار حق، والنار حق، والنيك حكمت . والبيك التيبون حق ، وهمد حق ، اللهم لك أسلمت ، ويك أصنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنيت ، ويك خاصمت ، وإليك حاكمت . رواب للبخارى في اللعجاد ١٩٧٠ ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها ح ١٩٨٨ ، والترمذى في الدعوات ح ١٣٤٠ والترمذى في الدعوات ح ١٣٤٠ والتسائى في قيام اللبل ح ١٩٠١ ، وأبر داود في المسلاة ح ١٩٥٥ ، وإبان ماجة في إقامة المسلاة ح ١٣٤٥ ، وأحمد ح ١٩٥٠ ، والدارمى في العسلاة ح ١٩٤٨ ، أعمد ح

(٣) اللهم إنى أسألك بأني أشهد:

رواه الترمذي فى الدعوات ح ٣٣٩٧ ، وابن ماجة فى الدعاء ح ٣٨٤٧ من حديث بريدة ، وقال الترمذي : حديث حسن ` غريب .

(٤) يا حي يا قيوم برحمتك أستفيث :

بهذا اللفظ ذكره الهولامى فى المجمع ١٩/١٩٠ وعزاه للطبرانى فى الصغير والأوسط، من طريق سلمة بن حرب بن زياد. عن أبى مدرك ، عن أنس ، وسلمة بن حرب : مجهول كشيغه أبى مدرك ، وقد وثقه ابن حبان وذكر له هذا الحديث فى ترجمته ، وفى الميزان : أبو مدرك قال الدارقطفى : متروك ، فلا أدرى هو أبو مدرك هذا أو غيره، ويقية رجاله ثقات، وانظر: ابن حبان فى الثقات ٦ / ١٩٣٨.

ورواه الترمذي في الدعوات ح ٣٣٥٨ ، من حديث أبى هرورة قال : «.. وإذا اجتهد في الدعاء قال : يا حي يا قيوم » ـ 1 هـ وقال : هديث غريب ، وذكره في نفس الباب برقم ٣٤٤٦ ، من حديث أنس بن مالك قال : كان إذا كريه أمر قال · «يا حي يا قبوم برحمتك أستفيث» ا هـ .

(٥) يا ذا الجلال والإكرام:

رواء الترمذي بنحوه في الدعوات ح ٣٤٩٣ وقال : حديث حسن غريب .

(٢) من زعم أن محمدًا :

رواه مسلم في الإيمان ح ٢٥٩ ، والترمذي في التفسير ح ٢٩٩٤ ، وقال : حديث حسن صحيح ،

(٧) التفسير الرسيط: تأليف لجنة من علماء الأزهر، من ١٧٠٥.

(A) من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة:

مسلم في السلام ٤١٣٧، وأحمد ح ٢٦٠٤١ ، ٢٢١٣٨ ، عن يعض أزواج الذبي ﷺ.

(٩) ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط :

رواه مسلم في فضائل الصحابة ح ٢١١٤، من حديث أبي ذر.

(١٠) أنت الأول فليسر قبلك شيء:

مسلم في الذكر والدعاء ۸۸۸۸ ، وأبو داور في الأدب ح ۳۹۹۲ ، والترمذي في الدعوات ح ۳۴۲۲ ، ۳۶۲۳ ، وقال : حديث حسن صحيح ، وابن سلجة في الدعاء ح ۲۸۱۲ ، ۳۸۲۳ وأحصد ح ۲۰۱۳ ، ۲۰۵۳ ، کلهم عن أبي هريرة .

(١١) ثلاث إذا خرجن:

رواه مسلم في الإيمان ح ٢٢٧ ، والترمذي في التفسير ح ٢٩٩٨ ، وأحمد ح ٩٣٦٧ ، من حديث أبي هريرة .

(١٢) إِنْ أُولِ الآيات خووجًا:

رواه مسلم في الفتن ح ٢٣٤، ، وأبو داود في الملاحم ح ٣٧٥٦ ، وأحمد ح ٦٥٨٦ ، من حديث عبد الله بن عمرو.

(14) لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات :

رواه مسلم في الفتن ح ٥٩.٦٣ ، ٥٩.٦٣ ، وأبو داود في المملاحم ح ٢٧٥٧ ، والترمذي في الفتن ح ٢٠٠٩ ، وابن ساجة في الفتن ح ٢٠٤١ ، ٤٥٠٥ ، وأحمد ح ١٥٥٥٠ ، ١٥٥٥ ، من حديث حديقة بن أسيد الفضاري .

(ا ١) بادروا بالأعمال ستًا :

رواه مسلم في الفتن ° ۲۶۰ ، ۳۲۱ ، ۳۲۱ ، وأحد ح ۷۹۵ ، ۳۸۹ ، ۸۵۹ ، ۸۹۹ ، ۸۹۹ ، ۱۹۲۹ ، من حديث أبي هريرة . ورواه ابن ماجة في الفتن ح ۲۶ - ۵ ، من حديث آنس بن مالك ، وفي إسناده ابن لُمپمة وهو شعيف .

(٥٠) المنتخب في تفسير القرآن للأكريم ، لجنة القرآن والسنّة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، بوزارة الأوقاف العمسية ص ٧٤٠ ، وهذا النص به أعطاء مطبعية قصريت الخطأ ، واعلامسرته .

(٩٦) إن الله كتب الحسنات:

البخاري في الرقاق ح ١٠١٠ ، ومسلم في الإيمان ح ١٨٧ ، وأحد ح ٢٩٨٤ ، ٣٢٢٨ ، من حديث ابن عباس .

(١٧) انظر صحيح مسلم ، كتاب الحج ، ج ٢ ص ٩٨٦.

(١٨) يا رب لك الحمد كما ينهفي لجلال وجهك:

رواه ابن ماجة في الأدب ح ٣٧٩١ ، من حديث عبد الله بن عمر . وليس فيه زيادة : مرضينا بالله وبا ... الحديث .

(٩) أي : المؤمن يعبد الله فيستفيد من العيادة نظافة القلب، ولقة النفس، رثبات اليقين، وهدوء البال، وصمة الجسم والدرح . ثم ينال ثراب العيادة في جنة عرضها السماوات والأرض يوم القيامة ، ويذلك يذال أجره مضاعفًا : مرة في الدنيا ، ومرة في الأخرة .

(• ٢) إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى:

رواه البخارى في أحاديث الأنبياء ح ٣٤٦٢ ، ومسلم في الزهد ح ٢٩٦٤ ، ٢٠٠٥ ، وأحدد ح ١٦ ، كلهم من حديث أبي مريزة . .

(٢١) إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم يكلمون وإنه:

رواه البخارى فى المناقب ح ٣٦ ٢٤ ، ٣٦٨٩ من حديث أبى هريرة . ورواه مسلم ح ٣٣٩٨ ، وأحمد ٣٣٧٦٤ ، والترمذى ٣٦٩٣ ، من حديث عائشة .

تنبيه : حديث عائشة رضى الله عنها ليس فيه «يكلمون» إنما ذكرت فيه «محدثون».

(٢٢) إن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على :

رواه مسلم ۲۰۱۷، و أحمد ۲۰۸۹، ۱۳۲۲، من حديث أبي هريرة . «مدرجته» : الطريق، سميت به لأن الناس يدرجون فيها. أي: يمشون .

(٣٣) إن لله ملائكة طوافين عليكم:

رواه البخاري ٨٤٠٨ من حديث أبي هريرة، ورواه الترمذي ٣٦٠٠، وأحمد ٧٣٧١، قال الأعمش: من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد - شك الأعمش -.

(37) Ac.:

أم منظم البالية للذنيين كلَّية قسلت إنسانيا بيضيسر حلَّية منظم غيزال نباعيم في نالبة التنصيف الباليسل وليم أصلَّته

(٩٥) مثل المؤمن كأم موسى :

ذكره الغزالى فى «الإسياء» ، كتاب الحج ، الباب الثانى : فى ترتيب الأنمال الظاهرة ، بلفظ : ممثل الذى يغزو ويأهذ أجرا مثل أم مرسى ترضع ولدها وتأهد أجرهاه وقال العراقى : أهرجه ابن عدى من حديث معاذ ، وقال : مستقيم الإسناد، مشكل المتن .

وكذلك أغربه أبو داود في العراسيل ، عن جبير بن نفير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مثل الذين بغزين من أمتى ويأخذون الجمل – يعنى : ينقوون على عدوهم – مثل أم موسى ، ترضع وادها وتأخذ أجرهاء . نقلاً عن السيوطى فى «الدر المتقور» المجلد السادس – تفسير سورة القصمى ، وصحصه ، ونكره السيوطى كذلك فى «الجامع الصعفير» ٨٤٤٣ ، ونسجه الأبى داود فى مراسيكه ، والبيهلى فى للسنن عن جبير بن نفير مرسلا .

(٢٦) من ولى شيئًا من أمر المسلمين:

تقدم تخريجه .

(۲۷) لا نکاح إلا بولي:

أبو داود ۲۰۸۵ ، وأحد ۲۰۸۶ ، ۱۹۲۱ ، ۱۹۲۱ ، ۱۹۲۷ ، وابن ماچة ۱۸۸۱ ، والترمذی ۱۹۱۱ ، والدارمی ۲۱۸۳ ، ۲۸۸۲ ، من حدیث عبد الله بن عباس ، ورواه أحدد ۲۰۷۳ ، وابن ماچة ۱۸۸۰ ، من حدیث عائشة . وفی الباب عن ابن عباس وأبی هزیرة وعمران .

(٣٨) قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل :

رواه البخاري في التفسير ٢٦٨٤ ، عن عبد الله بن عباس.

(۲۹) في ظلال القرآن ۲۰ / ٦٣.

(۳۰) تفسیر القرطبی ۲ / ۱۱٤۵ .

(٣١) أيسر التفاسير ، أبو بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ٤/ ٧٠ .

(٣٢) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق للصابوني ٣/ ١٤.

(٣٣) الكبرياء ردالي والعزة إزاري قمن نازعتي واحدا متهما :

أبو داود في اللباس ٩٤٠٠ ، وأحد ٩٣٢٥ ، ٨٦٧٧ ، ٩٩٠٩ ، ٩٢٢٤ ، ٩٤١ ، وابن ماجة في الزهد ١٧٤٤ ، من حديث أبي فريرة . ويرواه ابن ماجة أيضًا ١٩٧٥ ، من حديث عبد الله بن عباس .

(٣٤) من سن سنة حسنة كان له أجرها :

رواه مسلم فى العلم ۲۰۱۷، وفى الزكاة ۲۰۵۷، والدارمى فى المقدم ۲۰۱۲، ۱۵۲، والترمذى فى العلم ۲۲۷۰، وابن ماجة فى الدقدمة ۲۰۲، وأحدد ۱۸۲۷، ۱۸۲۷، ۱۸۷۲، ۱۸۷۲، ۱۸۷۲۰، من حديث جرير بن عبد الله البجلى، ورواه أحدد ۲۰۷۸، ۱۰۲۷، من حديث أبى هريرة ، ورواه أحمد أيضًا ۲۲۷۷۸ من حديث حذيفة ، ورواه ابن ماجة فى المقدمة ۲۰۲۷ من حديث وهب بن عبد الله .

(٣٥) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق الصابوني ٢٦/٣ .

(٣٦) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق المنابوني ٢٧/٢ .

(۳۷) تفسیر ابن کثیر .

(٣٨) ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين :

رواه البخاري في الجهاد والسير ٢٠١١، ومسلم في الإيمان ١٥٤، والنساني في النكاح ٣٣٤٤، والدارمي في النكاح ٣٢٤، والتريذي ١٩١٦ في النكاح ، وأحدد ١٩١٥، ١٩١٣، ١٩١٢م نحديث عبد الله بن قيس «أبي موسى الأشدري».

(٣٩) من أسلم من أهل الكتابين قله أجره مرتين:

رواه أحمد ٢١٧٣٠ من حديث صدى بن عجلان «أبى أسامة الباهلي» وزاد فيه ، «ومن أسلم من المشركين»، وذكره الهيلمى فى محجم الزيالته كتاب الإيمان، ء باب: فيمن أسلم من أهل الكتاب وغيرهم، وقال : رواه أحمد، والطبرائي في الكبير، وفيه القاسم أبو عبد الرحمن وقد ضعفة أحمد وغيره ، قلت : في إستاده ابن لهيمة ، وهو ضعيف أيضًا .

(٤٠) أخرجه البخاري ، باب: قصة أبي طالب ٥/٥٥ - ٦٦، ومسلم كتاب الإيمان ، باب: أول الإبدان قولة لا إله إلا الله ١/١٤٥.

(٢ ٤) يا عماه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها :

رواه مسلم في الإيمانُ ٢٥ ، والترمذي ٣١٨٨ ، وأحمد ٩٣٢٧ ، ٩٣٩٤ من حديث أبي هريرة . وانظر ما قبله .

(٤٤) وأجاز المفسرون أن تكون طو، ∴ به وجوابها محقوف ، والتقدير: لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين إلى طريق الحق لما أصابهم هذا العقاب المهين

(٤٣) اللهم خو لي واختر لي:

رواه الترمذي في الدعوات ٢٥ ٣٦ من حديث أبي بكر الصديق وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث زنفل ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، ويقال له : زنفل بن عبد الله العرفي ، وكان يسكن عرفات ، وتغرد بهذا الحديث ولا يتابع عليه. قال النووي في والأذكاره : باب دعاء الاستشارة ، وروينا في كتاب الترمذي بإسناد ضعيف ، ضعفه الترمذي وغيره ~ فأشار إلى ضعفه .

وقال المجلوني في وكشف الشفاء ٥٠٨ : رواه الترمذي ، والبيبغني في الشعب ، عن عائشة ، بسند فيه زنفل بن عبد الله ضميف ، قال النجم : ررى الترمذي وأبو يعلى والبيبغني وضمغه عن أبي بكر الصديق .

(\$ 2) يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات :

رواه ابن الستى (۱۹۰۳) من حديث أنس . وذكره السيوطى فى «الجامح الصخير» AAY وعزاه لابن السنى فى عمل اليوم والليلة ، والديلمى فى مسئد القدردوس عن أنس ، وقال السيوبطى : ضمعيف .

قال المنارى في وفتح القدير شرح الجامع الصغيره : فيه إبراهيم بن البراء ، قال الذهبى فى الضعفاء : اتهمو بالوضع عن أبيه وهن ضعيف . وقال النووى فى الأذكار : إسناده غريب فيه من ثم أعرفهم . وقال ابن حجر فى الفتح بعد عزوه لابن السفى : هذا الحديث ثر ثبت كان هن المعتمد ، لكن إسفاده وله جدًا .

(٥٤) اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك :

البخارى فى الجمعة ١٩٦٦ ، وفى الدعوات ٢٣٨٦ ، وفى القرحيد ٢٣٩٠ ، وأبو داود فى الصلاة ١٩٣٨ ، والترمذى فى الصلاة ٤٨٠ ، والنسائى فى النكاح ٣٣٥٣ ، وابن ساجة فى إقامة العسلاة ١٣٨٥ ، وأهمد ١٤٢٧٩ ، كلهم من حديث جابر، ومعنى : طاقدره لىء ، أى : لجمله مقدوراً لى ، أن تشره ، وقبل : معناه يسره لى .

(٤١) التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

(٤٧) التفسير الوسيط: تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأرهر، وانظر تفسير ابن كثير، ومختصر تفسير ابن كثير تمقيق الممايوني ، حيث علق الصابوني في الهامش باستحسان كلام ابن كثير في ردّ هذا الرأي الأخير.

(٤٨) قبل: هم جماعة من الدرّمنين ، تمنوا أن تكون لهم دنيا كدنيا قارون ، جريا على سنة البشر في حب التوسع فهها ، وقبل: هم جماعة من الكفار أن المنافقين الذين لا ممّ لهم إلا دنياهم ، والظاهر مع الرأى الأول .

(٤٩) بينا رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل:

رواه البخاري ۵۷۸۰ ، ۷۷۰ و وأحد ۵۳۱۸ ، والنسائي في الزيفة ۵۳۲۱ ، من حديث عبد الله بن عمر . ورواه البخاري في اللباس ۵۷۸۹ ، ومسلم في اللباس ۲۰۰۸ ، والدارمي في المقدمة ۶۲۷ ، وأحمد ۵۷۸۲ ، ۸۸۲۲ ، ۹۰۱۷ ، ۹۰۱۷ ، ۹۲۲۱ ، ۲۷۲۱ ، ۲۷۲۹۲ ، ۲۷۲۱۲ ، ۲۷۲۱۲ ، ۲۷۲۱۲ ، ۲۷۲۲۲ ، ۲۷۲۹۲ ، ۲۷۲۹۲ ، ۲۷۲۱۲ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹۲ ، ۲۷۲۹۲ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹۲ ، ۲۷۲۹۲ ، ۲۷۲۹۲ ، ۲۷۲۹ ، ۲۰۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۲۹ ، ۲۲۹ ، ۲۷۲۹ ، ۲۲ ، ۲۲

ررواه الترمذى في صفة القيامة ٢٩٩١ ، وأحمد ٧٠٣٤ ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . ورواه أحمد ١٠٩٦٠، ١٩٩٢ من حديث أبي سعيد الشري

(، ٥) إن الله جميل يحب الجمال :

مسلم في الإيمان ٩٩ ، والترمذي في البر والصلة ١٩٩٩ . من حديث عبد الله بن مسعود .

(١٥) إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم:

رواء أحمد ٣٦٦٣ ، وذكره الهيثمي في «المجمع» وقال إسناد بعضهم مستور ، وأكثرهم ثقات ، من حديث عبد الله بن مسعود .

(٧٥) إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد:

مسلم في الجنة ٢٨٦٥ ، وأبو ناود في الأدب ٤٨٩٥ ، وابن ماجة في الزهد ٤١٧٩ ، من حديث عياض بن حمار . ويراه ابن ماجة في الزعد أيضًا ١٩٢٤ ، من حديث أنس بن مالك .

قال البوصيري في الزوائد: هذا إستاده حسن ، للإختلاف في اسم سنان بن سعد أو سعد بن سنان .

(٣٥) لا يدخل الجنة من كان في قلبه مظال ذرة من كبر :

رواء أبو داود في اللباس ٤٠٩٢ ، من حديث أبي هريرة ،

وانظر حديث : «إن الله جميل يحب الجمال» فهو جزء من هذا الحديث ،

(\$ 0) أشهد أنك لا تبغي علوا في الأرض:

قال المجلوني في «كشف الخفا» : وروى العسكري بسند ضميف عن عدى بن حاتم ، فذكره .

(٥٥) أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:

البضاري في المقاقب ١٩٤١، وفي الأدب ١٦٤٧، ومسلم في الشعر ٢٢٥٦، وابن ماجة في الأدب ٣٧٥٧، وأحمد ٨٦٦٨. ١٩٢٤ من حديث أبي فيورة.

(٥٦) انظر تفسير مقاتل بن سليمان .

(٧٥) أشد الناس بلاء الأنبياء :

بوب به البخارى فى كتاب المرضى ، ورواء الترمذى فى الزهد ح ٢٣٩٨ ، وإبن ماجة فى النقن ح ٢٠٧٣ ، وأصد ح ١٩٥١ ، ١٩٥٨ ، ١٩٥٨ ، ١١٨٠ ، والدارمى فى الرقاق ح ٢٧٨٣ ، من حديث سعد بن أبى وقاص ، وقال الترمذى: حصن صحيح

(٨٥) في ظلال القرآن ٢٠/٧٠ . ط ١ . `

(٩ ٥) قصة سعد بن أبي وقاص :

رواها مسلم في فضائل الصحابة ١٧٤٨، والترمذي في تفسير القرآن ٣١٨٩، من حديث سعد.

(٣٠) قال تمالي : ﴿اللَّذِينِ يحملونَ العرش ومن حوله يسبحون بعمله ربَّهم ويؤمنونَ به ويستغفرونَ لللَّين آمنوا ...﴾. (انتقار سورة: غالم: ٧ – ٩) .

(٦١) لقد أو ذيت في الله وما يوردي أحد والقد أخفت في الله :

رواه ابن ماجة في المقدمة ١٥١ ، والثرمذي في صفة القيامة ٧٤٧٧ ، وأحمد ١١٨٠٣ ، ١٣٣٤١ من حديث أنس ين مالك ، وقال القرمةي: حسن صحيح .

(٩٢) من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه :

رواه ابن ملجة في المقدمة ٢٠٥ من حديث أنس إلا أنه بلفظ :«أيما باع بعا إلى ضلالة فاتُبرّ: فإن له مثل أوزار من اتبعه ولا ينقص من أوزارهم شيئاً ، وأيما داع دعا إلى هدى فاتُبرع فإن له مثل أجور من اتبعه ولا ينقص من أجورهم شيئاء .

أما اللقطة التي ذكرها المصنف فرواها مسلم في العلم ٧٠٢٤ ، وابن ماجة في المقدمة ٧٠٦ ، والدارمي في المقدمة ٥٩٣ ، وأبو دارد في السنة ٢٠٩٩ ، وأحمد ٨٩١٥ ، والترمذي في العلم ٢٩٧٤ من حديث أبي هريرة .

(٩٣) لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من :

الهشاري في الأنبياء ٢٣٣٦ ، وفي الديات ٢٦٦٧ ، وفي الاعتصام ٧٣٦١ ومسلم في القسامة ١٦٧٧ ، والترمذي في الطو ٢٦٧٣ ، والنسائي في تحريم الدم ٢٩٨٥ ، وابن ماجة في الديات ٢٦١٦ ، وأحمد ٢٦١٢ ، ٢٨٠ ، ٢٠١٩ .

(١٤) من سن سنة سيعة :

تقدم تخريجه .

(٦٥) انظر تفسير القرطبي ٦/١٩٦/ دار الغد العربي ، القاهرة .

(٦٦) انظر تفسير الأقرسي ، حيث قال : وقيل : الضمير في قوله تمالى : ﴿وَقَالَ إِلَى مَهَاجِرَ إِلَى رَبُي ...﴾ للوط عليه السلام ، وليس بشيء لما يلزم عليه من التفكيك .

(٦٧) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٢٠ / ١٢٣.

(٩٨) لا تمروا على قرى القوم الذين ظلموا أنفسهم :

رواه البخاري في المملاة ح ٤١٥ ، وفي أحاديث الأنبياء ح ٣١٣ ، ٣١٣ ، وفي المغازي ح ٤٠٧٦ ، ١٥٦ <mark>، وفي تفسير</mark> القرآن ح ٣٤٣ ، ومسلم في الزهد ح ٢٩٨ ، ٣٩٣ ، وأحد ٣٣٣ ، ٤٩٧٤ ، ٤٩٠ ، ، من حديث عبد الله بن عمر بلفظ: «لا تمطل على مؤلاء الممذيهن إلا أن تكرفل باكين ...» الحديث .

(١٩) التفسير الوسيط: تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، من ١٨٥٤، الحزب الأربعون.

(• ٧) لا تمروا على قرى القوم الذين ظلموا أنفسهم :

تقدم في المديث قبله .

(٧١) طهروا بيوتكم من لسج العنكبوت فإن تركه يورث الفقر:

ذكره العنارى فى «شرح الجامع المعفور» ٥٧٢٩ ، وقال : قضية تصرف المصنف أن ابن عدى خرجه وأثره ، والأمر بخلافه ، فإنه أورته فى ترجمه مسلمة بن على الششى ، وقال : عامة حديثه غير محفوظ ، وفى الميزان : هو شامى واه تركوه ، وقال أبو هائم : لا يشتقل به ، وقال النسائى : متروك ، وقال البخارى : متكل المعيث .

(٧٢) الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان:

رواه مسلم في الطهارة ٢٢٣، وأحمد ٢٢٣٩٥ ، والدارمي في الطهارة ٦٥٣ . من حديث أبي مالك الأشعري .

(٧٣) من ذكرني في نفسه :

البخاري في القرميد ٧٥٠٥ ، ٧٠٠٧ ، ومسلم في الذكر والدعاء ٢٦٧٥ ، والقرمذي في الزهد ٢٨٨٨ ، وفي الدعوات ٣٦٠٣ ، وابن ماجة في الأدب ٣٨٢٧، وأحمد ٣٢٦ ، ٣٠٤ ، ٢٠٤١ ، ١٠٥٢، ٣٧٢٨ ، ٢٧٢٩٥ ، ٢٧٢٩٩ ، ٩٠٨٧ ، ٩٨٩٨ من حديث أبي هريرة .

ورواه أحمد ١٢٧٨٠ ، ١٣٥٢٧ من حديث أنس بن سالك .

(٧٤) من لم تنهه صلاته :

ذكره الغزائي في «الإحياء» وقال العراقي في تغريجه : أغرجه على بن معيد في كتاب الطاعة والمعمية من حديث الحسن مرسلا بإسناد ممحيج ، ورواه الطبراني ، وأسنده ابن مردريه في تقميره من حديث ابن عباس بإسناد لين .

وذكره المجلوبي في وكشف الخفاء وقال: رواه أحمد في الزمد ، عن ابن مسعود موقوفًا ، ورواه ابن جرير عنه مرفوعًا. وذكره المهتمى في والمجمع ، وقال: رواه الطهراني في الكبير، وفيه ليث بن أبي سليم ، وهو ثقة ولكنه مدلس .

(٧٥) إنه سينهاه ما تقول :

رواه أحمد ۴۵۸۱ ، وتكره الهيئمي في «المجمع» من حميث أبي هرورة ، وقال: رواه أحمد ، ورجاله رجال الممديع ، إلا أن الأعمل قال : أرى أبنا منالح عن أبي هرورة ، وتكره من حديث جابر ، وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

(٧٦) وهو قول مجاهد، ويه قال غير واحد من السلف.

(۷۷) مختصر تفسير ابن كثير ، تحقيق محمد على الصابوني ٢٨/٣ – ٣٩ .

* * *

تم بحمد الله تعالى تخريج أحاديث وهوامش الجزء (المشرين)

محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
4411	﴿ فَ مَا كَانَ جَوَابِ قَوْمَ ۖ إِلا أَنْ قَالُوا﴾	70
4411	﴿فَانْ جِينَاه وأهاله إلا امسرأته﴾	۵۷
4441	﴿ وَأَمْ طُرِنًا عَلَيْهِمَ مُطُرُا فَسَاءُ مُطِّرُ الْمُتَذَرِينَ . ﴾	٥.٧
4414	﴿ قُـل البحـمد لبلـه وسالام على عباده الذين امنطقى ﴾	٥٩
4474	﴿أُمِـــنْ خِـــا ـــق الســـمــــاوات والأرض﴾	٦٠.
7977	﴿ أُم ن حِسم الأرض قـ راراً ﴾	٦,
7977	أمن يحسب المضطراذا بعساه)	٦٢
4444	﴿أُمِنْ يَسِهِدِيكِم فَنِي ظَلِّمِاتِ الْبِسِ والبِيدِرِ﴾	7,5
4444	﴿أمين يبيدا السفياليق فيم يسميسوه♦	٦٤
4444	و قل لا يعلم من في السماوات والأرض الفيب إلا الله ﴾	٦٥
8979	ولي ل اذارك علم هم قين الأخيرة ﴾	77
7977	﴿وقال السديسن كفسروا أإذا كسنا تسرابُ اس	٦٧
7977	﴿ لَـ قَــ وعدنا هــذا نـحـن وآبــارنــا مـن قــبـل ﴾	7.4
7977	﴿ قُلِ سِيروا في الأرض فيانسظروا	74
7977	وُولا تبصرُن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون .﴾	٧٠
3797	ويقولون متى هذا الدوعد إن كنتم صادقين .	٧١
3797	و المسلم الله المسلم الله المسلم الله	٧٧
3797	﴿ وَإِنْ رِيكَ لِسَدُو قَصْدِلُ عَسَاسَ ﴾	٧٣
3797	﴿ وَإِنْ رَبِكُ لَـــــِعَــلَـــم مَـــا تَــكَـــنْ مَسْدُور هَـــم﴾	٧٤
37.67	﴿ وَمَا مِنْ غَائِيةٌ فِي السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ إِلَّا فِي كِتَابِ مِبِينَ .	٧٥
7977	﴿إِن مِـذَا الْـقِـرَان بِـقِص عـلـى بِـنـى إسـرائـيـل﴾	٧٦
7977	ورانت الهددي ورهيمية المليم ومنيين.)	VV
797V	﴿إِنْ رِيكَ يِـ قَفْسَى بِـينَ هِـم بِـم كَـمه﴾	VA.
7977	رود بالمراجع المراجع	٧٩
7977	﴿إِنك لا تُســــــــــع الــــــــــــــــــــــــــ	۸۰
7977	وما أنت بسهدادي المعدمي عدن فسلالتمهم)	۸۱
7387	﴿ وَإِذَا وَالْمُ اللَّهِ عَلَى عَمْدُ مِنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ	AY

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
73.27	﴿ ويسوم نسخشس مسن كسل أمسة فسوينا ﴾	۸۳
73.27	وحبة على إذا جداءوا قسال أكد نبستهم بسآبساتسي ﴾	٨٤
73.67	﴿ورقسع السقسول عسلسيسهسم بسمسا ظلمسوا﴾	۸٥
73.67	﴿أَلَم يَـرِوا أَبُـا جِـعَـلـنَـا الـلـيـل لـيسكنـوا شيـه﴾	۸٦
73P7	﴿ويــــوم يــــــــــفـــخ فـــــى المــــور﴾	۸٧
73.27	﴿ورَ سرى السجب ال تسمسيد هسا جسامدة	, ۸۸
4404	﴿مبن جِناء بسالنجسينية قبلنه شيس منشهبا﴾	۸۹
4404	﴿ومن جِناء بِالسَيِئَةَ فَكِينَ وَجِرِهِ عِنْمَ فَيَ النِّنَارِ﴾	4.
4408	﴿إنسما أمرت أنْ أعرب رب فدة الراحدة﴾	191
3000	﴿ وَأَنْ أَلِّ سِلْ سِلْ السِلْسِيلِ السَّلِيلِ السَّلِيلِيلِ السَّلِيلِيلِيلِيلِيلِيلِيلِيلِيلِيلِيلِيلِيل	94
4905	﴿ وَقِبِلُ السحمد لساسه سيسريكم آيسائه ﴾	17
440 4	خلاصة ماتضمنته سورة الثمل	-
4404	تفسير سورة القصص	-
447.	أهداف سورة القصص	- 1
7777	♦.	\
4474	﴿ تُسَلِّكُ أَيْسَاتُ السَّكَــِيِّابِ السِّمِــِيــِينَ .﴾	۲
7777	﴿نَــتَــلُــوا عــلَــهُ مــن نَــيــاً مــوســي وقــرعــون﴾	٣
7777	﴿إِن فَسَسَرِءَ سِن عَسَسَلا فَسَسِي الأَرضَ﴾	٤
4414	﴿ونسريد أن نسمسن عسلسي السذيسن استنصيصه الساب	
7177	﴿ون م ك ن ا م الأرض ﴾	٦
7977	﴿ وأود يسنسا إلى أم مسوسي أن أرض عسيسه ﴾	V
7977	﴿ فَالنَّقَطَهُ آلَ فَرَعُونَ لَيْكُونَ لَهُمْ عُدُوا وَحُرْنُنَا ﴾	٨
7977	﴿وقسالت امسرأة فسرعسون قسرت عسيسن لسي ولك	4
7971	﴿ رأم ـــبـــح فــــؤاد أم مـــ رســـى فــــارغَـــا﴾	11
7977	﴿رِقِ الت لأخ حسب قصيب في	11/
7977	ووحسر مسنسا عماسيسه السمسراضسع مسن قسيسل ﴾	14
797 V	﴿ فرددناه إلى أمه كي تقرعينها	14
7940	﴿ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكمًا وعلمًا	١٤

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
4440	وُودِهُلُ الْمَدِينَةَ عَلَى صِينَ غَفَلَةَ مِنْ أَمَلَهَا﴾	10
44V0	﴿ قَسَالَ رِبِّ إِنْسَى ظَلِمَتَ نَافِسِي فَاغْتِفُو لَسَى ﴾	17
7970	﴿ تَسِالَ رَبُّ بِسُمِسًا أَنْسِعِسِمَتُ عَسَلَسِيُّ ﴾	17
4440	﴿ فَمَا صَابِيعِ فَمِي البَصِدِينَةِ خَمَانَيْفُنَا يَتَسَرَقَبِ ﴾	14
7940	﴿ فَـلَـمَا أَنْ أُوادَ أَنْ يَعِيطُسُ بِالدِّي هِـو عَـدولَهِمَا﴾	19
79.4.	﴿ وجِاء رجِمَل مِن أقمسي المصديدَة يسمعني ﴾	٧.
44.4	﴿ فَ عَدِرج مِستَدها عَسانَتُ فَسا يَستَدرَقب ﴾	71
444.	﴿ ول ما تسوجه تسلقاء مدين قسال ﴾	44
7447	﴿ ولسمسا ورد مساء مستهسان وجدد عسلسها أمسة ﴾	74
74.47	وفيستقس المهمما ثمم تسواسي إلمي المنظمان	78
74.67	وندارته إداهما تحشي على استحياء)	۲٥ .
74.47	﴿ قِيلَاتِ إِحِيدَاهِ مِنِياً أَبِنَ اسْتِ أَجِيرَهِ ﴾	77
74.67	﴿ مَالَ إِنْ أَرِيدُ أَنْ أَنْكُمُكَ إِصَارَى ابِنَتْنَى هَاسَيْنَ ﴾	77
74.67	ال ذلك بسيد المسال ذلك بسيد المسال ذلك بسيد المسال ذلك بسيد المسال المسال المسال المسال المسال المسال المسال ا	7.4
79.67	و الما قفسي مدوسي الأجدل وسار بالعباب	79
V4.87	﴿ فَـلَمِمَا أَلَـاهِمَا فَعَادِي مِنْ شَاطِيعُ الْعَادِي الأَيْمِينَ﴾	۳۰ ا
75AV	ورآن الــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	71
YAAY	واسيك يسدك فسي جسهدي	77
4444	وُقِـال ربَّ إنْسِي قِـدَان مِـنْسِهِسِم نَـفْسَـا﴾	**
7997	﴿ وأخسى مسارون هسو أفصيح مسنسي لسيائيا	٣٤
7997	♦ ال <u>نثد د عند دك ب</u> اخيك	70
7997	وفلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا	44
7997	وقال موسى ربى أعلم بسن جباء بالهدى	wv
7997	ورقدال فرعون يسأيسها المسالأصا عبلمات لكم	77
7997	واست مراه الأرض)	79
7997	وناعد ذنباه وجستويه فسنبذناهم في السيم	٤٠
7997	وج عمل نماهم أتحمة يسدعون إلسي النمار ﴾	٤١
7997	﴿ أَنْ بِعِينًا هِم فِي هِنْ هَا لَهُ لِينَا الْعِنْمَ ﴾	٤٢
		7.5

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7997	﴿ واقد آتینا موسی الکستساب﴾	٤٣
٤٠٠١	﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾	٤٤
٤٠٠١	﴿ ولكنا أنشأنا قرونًا فتطاول عليهم العمر	٤٥
٤٠٠١	﴿ ومسا كسنت بسجسانب السطسود إذ نساديسنسا﴾	٤٦
٤٠٠١	﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم ﴾	٤٧
٤٠٠٥	﴿فيلسمنا جياءهم النحق من عندننا﴾	٤٨
٤٠٠٥	﴿قَـل فَــأتــوا بِــكــــتــاب مـبن عــنــد السلــه﴾	٤٩
٤٠٠٥	﴿ فسيان لسم يستسجدي بسوا لك فساعساس ﴾	٥٠
٤٠٠٩	﴿والقد وصلتا لهم القول لعلهم يتذكرون .﴾	٥١
٤٠٠٩	﴿الدَّيِينَ آتِينَاهِمِ الكتَّابِ مِنْ قَبِلُهُ هِم بِهُ يَوْمِنُونَ .﴾	٥٢
٤٠٠٩	﴿وإذا يستسلسي عسلسيسهام قسالسوا أمسنسا بسه﴾	٥٣
٤٠٠٩	﴿أُواسِ تُك يَسَوُنُسُونَ أَجِسُرِهُسُم مُسْرِنُسِيْسَنُ﴾	٥٤
1 2009	﴿ وإذا سـمـعـوا البـلــفـو أعــرفــوا عــنــه ﴾	00
٤٠٠٩	﴿إِنك لا تـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٥٦
٤٠١٤	﴿وقالوا إن نستبع السهدى مسعك نست خطف ﴾	٥٧
£ . 1 E	﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها	٥٨
٤٠١٤	ورمسا كسان ريك مسهلك السقسرى حستسى يسبسعث	٥٩
٤٠١٤	وما أوتيتم من شيء فمتاع المياة الدنيا ﴾	٦٠
8.18	﴿أَفْسِمِسِنُ وعِسِدِنْسِاهِ وعَسْدُا حِسِيدُ سِا﴾	17
6.4.	ويدوم يسف اديهم فيقول أين شركائس	. 77
٤٠٢٠	﴿ وقسال السذيسن حسق عسلميسهم السقسول ﴾	77"
٤٠٢٠	﴿ وقيل ادعوا شركاءكم فدعدوهم ﴾	٦٤
2.4.	ويوم يساديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين .	70
٤٠٢٠	﴿ فعميت عليهم الأنباء يومئد فهم لا يتساطون . ﴾	77
٤٠٢٠	﴿ فَسَأْمِهَا مِسَنُ تَسَابِ وَأَمْسِنُ وَعَهِمَسِلُ صِسَالِسَصَا ﴾	7.7
٤٠٢٠	﴿ وربك بـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٦٨
٤٠٢٠	﴿وربك يسعلم مساتكن صدورهم ومسا يسعلنون .	79
٤٠٢٠	ورهـــوالـــــــه لا إلــــه إلا هـــــو	٧٠

7 1 0 7	أول الأبات	رقم الآية
رقم الصفحة	- 00	-
٤٠٢٦	﴿قُلُ أُرأَيتُم إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهِ السَّرِينَا﴾	٧١
1743	﴿ قَالَ أَرَايِكُم إِنْ جِعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهِ السَّمِورَ ﴾	VY
17.3	وصن رحمت جمال لكم الليل والتهار ﴾	٧٣
77+3	﴿ ويسوم يسنساديسهم فسيقسول أيسن شركسانسي ﴾	V٤
2.47	﴿ ونَصِيرَ عَصِفَ عَامِينَ كَسِلُ أَمِسَةَ شَسِهِ عَسِيدًا ﴾	٧٥
5.4.	﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قِومِ مِوسِي فَيِنْ عِلْيِهِم﴾	٧٦ }
٤٠٣٠	﴿ وَاسِنْسَعُ فَسِيسِمِنَا آتِسَاكَ السَّلِسَةِ السَّدَارِ الأَحْسِرةِ ﴾	YY
٤٠٣٠	﴿قَالَ إِنْهُا أُوتَـٰهِا لَهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَالْمُ عَانِيدِي﴾	VA
٤٠٣٥	﴿ فَسِحْسِرِجِ عَسَلِسِي قَسُومِسِهِ فَسِي زَيْسِنْسِقِسِهِ﴾	V4
8.40	﴿ وقدال الدنيدن أوتدبوا الدحداسم ﴾	۸۰
2.40	﴿ فَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۸۱
1.40	﴿ وأصبه الذين تعمدوا مكانه بالأمس يقولون ﴾	AY
2.44	﴿ تلك الدار الأشرة نجعلها للذين لا يريدون علوا ﴾	AY
8.44	﴿مِن جِناء بِمالِمِسِينَة قَبَلَهُ عُنِيسَ مِسْمِما﴾	A E
٤٠٤١	﴿إِنْ السَّدَى مُسْرِضَ عَسَلَسِكَ السَّمْسِرَانَ لَـرَادِكَ إِلَى مَسْعَادَ﴾	٨٥
13.3	﴿وماكنت ترجرأن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة﴾	٨٦
٤٠٤١	﴿ولا يمسدنك عسن أيسات السلسه بسعند إذ أنسزات إلسيك﴾	٨٧
٤٠٤١	﴿ وَلا تَـــدع مـــع الـــلـــه إلـــهــا آخـــر﴾	۸۸
٤٠٤٥	خارصة ما تضمئته سورة القصص	_
٤٠٤٧	تفسير سورة المنكبوث	_
. 2.24	أهداف سورة المتكبوت	_
2.07	é	,
2.07	واحسب السنساس أن يست ركسوا	۱ ۲
2003	ول قد و قد نا الديدن مدن قد الدهم)	۲ ا
2003	وأم حدب السذيسن يسعم المدون العديد المات أ	٤
٤٠٥٢	﴿ مِن كِمَان يسرجِ ولَقَمَاء اللَّهُ قَبَانَ أَجِلَ اللَّهُ لاَّ تَرِسُهُ	۵
2003	﴿ومِن جِاهِد قَالِمَا يَجِاهِد لَسْنَسِهِ ﴾	١,
2.07	(والذين أمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم)	٧

رقم الصنفحة	أول الآيات	رقم الآية
£ • 0 V	﴿ وومدينا الإنسان بوالديه حسنًا	٨
£ • 0 Y	﴿ والسذيسن آمستسوا وعسمساسوا العسسالسحسات	٩
٤٠٥٧	﴿ ومن النساس من ينقسول أمننا بالله﴾	١٠.
٤٠٥٧	ولي مستمن البله النين أمنوا	- 11
£.0V	﴿ وقسال السنيسن كسفسروا لسلسنيسن أمسنسوا ﴾	١٢
٤٠٥٧	﴿ ول يسحم لمن أصفالهم وأصفالاً مع أصفالهم	14
277	﴿ ولِــقــد أرســلــنـــا نـــوحُـــا إلــــى قـــومـــه﴾	18
77.3	﴿ فِي أَنْ جِيدَاه وأصحاب السيفيدية	١٥
٤٠٦٤	﴿ وإبسراهميم إذ قسال لمقسومته اعتبدوا السلمه والمقسود ﴾	17
٤٠٦٤	﴿إنْ مِنَا تَبِعِيدُونَ مِنْ دُونَ البَلْمَ أُوثِنَانَنَا﴾	17
8.78	﴿ وَإِن تَكَذِيبُوا فَقَد كَذَبِ أَمْمُ مِنْ قَبِيلُكُمْ﴾	1.6
8+78	﴿أُواسِم يسروا كسيسف يسبسدئ السلسه السخساسق﴾	11
٤٠٦٤	﴿ قَلْ سيروا فَى الأرض فَانْظُروا كيفَ بِنا النَّفِقَ ﴾	٧٠
8.78	﴿ يعدن من يشاء ويسرهم من يشاء ﴾	71
٤٠٦٤	﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾	77
11.3	﴿ والسذيسن كسفسروا بسآيسات السلسه ولسقسائسه ﴾	44
8.74	﴿ فَ مَا كَسَانَ جَسُوابِ قَسُومَ ﴾ إلا أن قسالسوا ﴾	37
45.3	﴿ وَقَالَ إِنْمَا اتَحْدَثُمُ مِنْ دُونَ الطَّهُ أُوثَانًا ﴾	٧٥
٨٢٠٤	﴿نــــاَمــــن لـــــه لـــــــــــــــــــــــــ	77
8.474	﴿وروهب خاله إسماق ويسعقوب﴾	44
٤٠٧٢	﴿ وَلِي رَضًّا إِذْ قَبَالَ لِنَصْوِمِهِ إِنْكُمْ لِسَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾	44
£ • VY	﴿أَنْسَكُم لَسَأْتُونَ الرَجِالَ وَتَقَطِّعُونَ السبيلَ﴾	44
٤٠٧٢	﴿قَالَ رَبِّ الْمُسْرِنِي عَالِينَ الْبَقْدِيمِ الْمُسْدِيْسِ . ﴾	٣٠
٤٠٧٥	﴿ولما جاءت رسلنا إبراه يم بالبشرى﴾	۳١
٤٠٧٥	﴿ السَّالُ إِنْ الْسِينَا السَّالُ اللَّهِ السَّالِينَ اللَّهِ السَّالِينَ اللَّهِ السَّالِينَ اللَّهِ اللَّهِ	77
£.V0	﴿ ول ما أن جاءت رسل نا لسوط السوط الس	77
٤٠٧٥	﴿إِنْسَا مُسْتَرَالُونَ عَبْلَتِي أَهْلَ هِنْهُ الْيَقْرِينَةَ رَجِّزًا﴾	37
٤٠٧٥	﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ﴾	40

	(030
رقم الصفحة	أول الآيــات	رقم الآية
£ • ٧٩	﴿ وإلـــى مـــديــــن أخـــاهـــم شـــــــــــــــــــــــــــــــــ	Pr-7
£ • V4	﴿ فَكَ ذَبِ فِ فَأَحْدَثَ هِمَ السِّرِ فَمَ﴾	77
£ • V4	﴿وعادًا وشمود وقد تبين لكم من مساكنهم	4.4
£ + V4	﴿وقــــارون وقـــرعــدون وهـــامـــان﴾	79
£ • V4	♦•• > * * * * * * * * * * * * * * * * * *	٤٠
£ - A4	﴿مــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	13
٤٠٨٣	﴿إِنْ اللَّهُ يَعِلُمُ مِنَا يَنْدَعُونَ مِنْ دُولِتُهُ مِنْ شَيَّءً﴾	£ Y
٤٠٨٣	﴿ وَ لِللَّهِ مِنْ اللَّهِ	٤٣
٤٠٨٦	﴿ عَلَيْنَ السَّلْبَ السَّمِياوَاتِ وَالْأَرَضُ بِسَالِسِحِينَ ﴾	1.5
FA-3	﴿ أَسُل مِنا أُوحِين إليك مِن الكسَّابِ وأقتم المسلاة ﴾	10
8+49	تخريج أحاديث وهوامش .	_
2.99	هرس الكتاب	_

تم بحمد الله (الجزء العشرون) ويليه الجزء (الحادي والعشرون) بإذن الله تعالى

